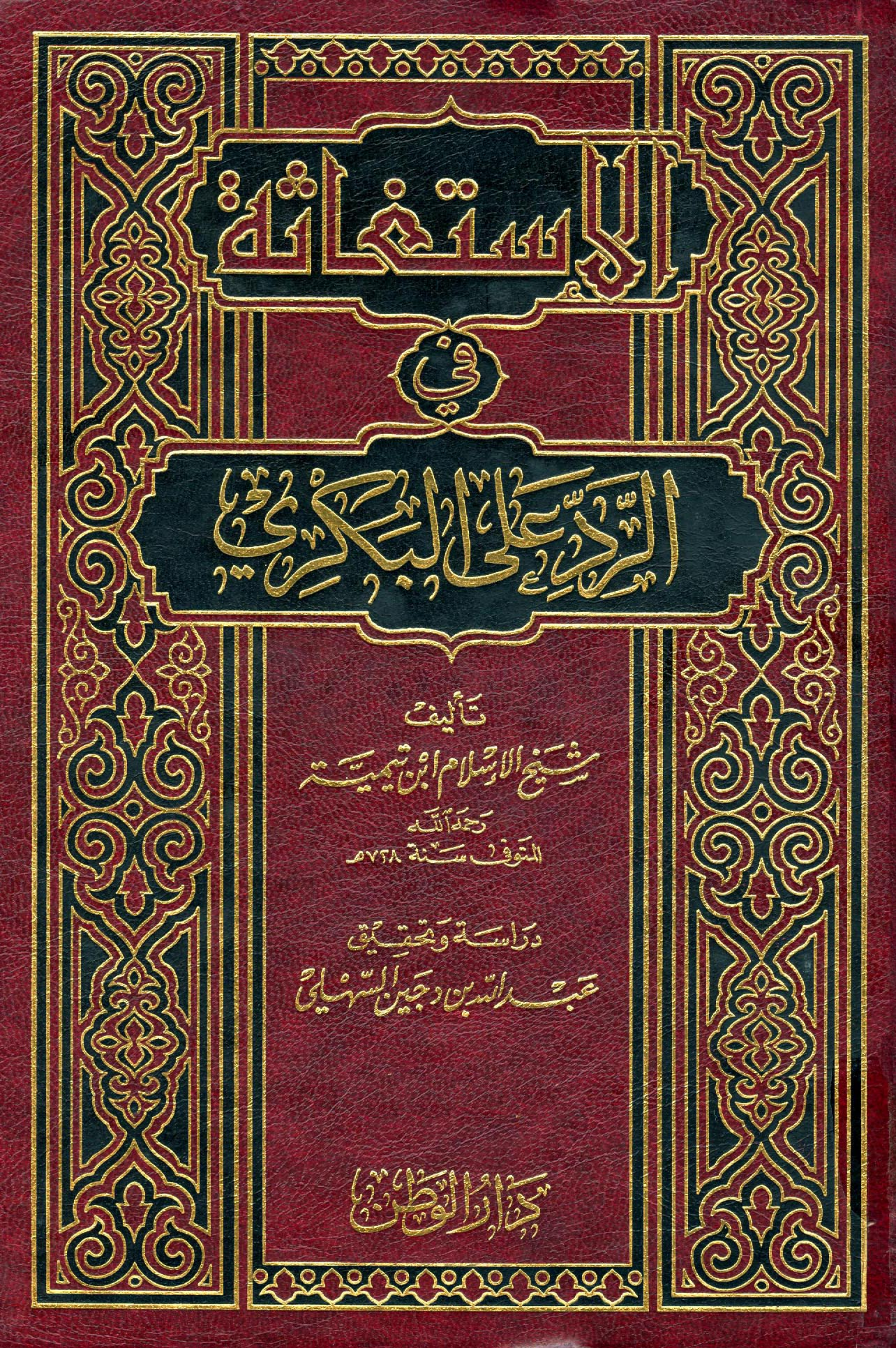

الاستغاثة
في
الرد على البكري
تأليف
شيخ الإسلام ابن تيمية
رحمه الله
المتوفى سنة ٧٢٨هـ
دراسة وتحقيق
عبد الله بن دجين السهلي
دار الوطن



تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله

المتوفى سنة ٧٢٨هـ

دراسة وتحقيق

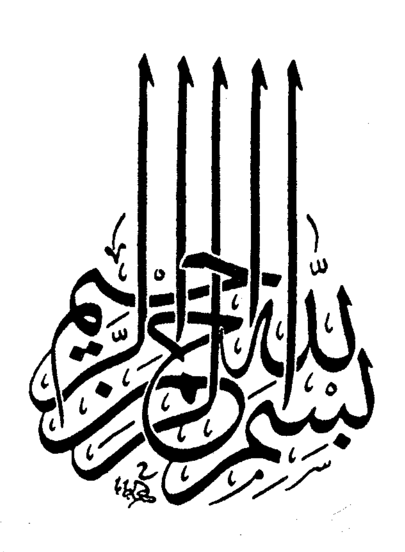
عبد الله بن دجين السهلي

الجزء الأول

دار الوطن

الرياض - شارع المعذر - ص.ب ٣٣١٠

☏ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس ٤٧٦٤٦٥٩




الاستغاثة
في
الرد على البكري

الطَبعَة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

هذاالكتاب في الأصل رسالة ماجستير تقدم بها المحقق إلى قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود، ونوقشت في الثاني من شهر الله المحرم عام ١٤١٧هـ وبتوفيق الله -تعالى- وفضله أجيزت الرسالة بتقدير ممتاز.

قال الحافظ ابن كثير:

«والمقصود أن الشيخ رد على البكري ونقض أقواله نقضا أجاد فيه وأفاد، وبين مافيه من حق وباطل في مجلدة كبيرة، أبطل فيها أنواع الشرك الاعتقـادي والعملـي ومـا يتفـرع منهما بالأدلة والـبراهين القاطعـة المقبولـة التـى تسـر أهـل السـنة وتقـرّ أعينهـم عنـد سماعهـا، وتسـود وجـوه أهــل الأهواء والبدع ويرهقهـا قـتر وذلـة. فرحـم ا لله مـن قبـل الحق ونصره، ورد الباطل وخذله وأهله».

تلخيص الاستغاثة لابن كثير ص٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ با لله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده ا لله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلا ا لله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا ثم أما بعد:

فإنه لايشك مسلم في أهمية التوحيد الخالص، وضرورته للبشرية أجمع، فما أرسل ا لله رسولاً إلا وأمره أن يدعو الناس إلى عبادة ا لله وحده وينذرهم الشرك، قال تعالى ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا ا لله واجتنبوا الطاغوت**﴾[1]، فالشرك خطره عظيم ، ومن تأمل القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة، وجدهما مصرحين ببطلان دين المشركين وكفر أهله، وأنهم أعداء ا لله ورسله، وأنهم أولياء الشيطان وعباده، وأنهم أهل النار الذين لايخرجون منها، وهم الذين حلت بهم المثلات ونزلت بهم العقوبات.

ولذا كانت وصية النبي ﷺ لأمته، وفي آخر لحظات عمره ﷺ، التحذير من هذا الداء الوبيل، كما أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضى ا لله عنها قالت،قال رسول ا لله ﷺ في مرضه الذى لم يقم منه: «**لعن ا لله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[2]

---

١) سوره النحل الآية : ٣٦

٢) انظر ص٣٣٧

وفي رواية «وصالحيهم»، ولقد كانت الأمة على هذه الوصية الشريفة في القرون الثلاثة، حتى أصابها ما أصاب الأمم قبلها فظهرت بدعة القبورية[١]، أواخر القرن الثالث الهجري، حين ضعفت دولة بني العباس، لما تفرقت الأمة وكثر فيها الزنادقة، وقد شاعت بين الرافضة أولاً، لما صارت لهم دويلات ، كدولة بني بويه، ودويلات الباطنية من العبيدية[٢] والإسماعيلية[٣] وغيرهم ، حيث نشروا بدع المشاهد والقبور ، والعبادة عندها ودعاء المقبور وغير ذلك .

ثم انتشرت واشتهرت في القرن الرابع والخامس وما بعدهما، وسارت الطرق الصوفية على سبيل الرافضة تنشر هذه البدع، وتروجها، حتى عمت البلوى في كثير من بلاد الإسلام.

هذا من ناحية ...

ومن ناحية أخرى: لما عربت كتب اليونان الوثنية، عكف عليها

---

١) القبورية –أو عباد القبور–: نسبة للقبور، ويراد بهم: كل طائفة جاوزت الحد في تعظيم المقبور، وقد يكون هذا التعظيم شركا أكبر أو من وسائل الشرك. ووجدت هذه الطوائف في كثير من الأمم، وسلفهم قوم نوح –عليه السلام– وأول من عُرف بهذا الأمر في الأمة الإسلامية الرافضة في آخر القرن الثالث الهجري. انظر: هامش ص٣٣٦ من هذا الكتاب، وكتاب جهود علماء الحنفية تأليف د.شمس الدين السلفي الافغاني الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشر دار الصميعي – الرياض.

٢–انظرص٤٩٥.

٣–انظرص٢٥٥.

من سموا بفلاسفة الإسلام كالفارابي (ت٣٣٩هـ)[١] وابن سينا(ت٢٨٠هـ)[٢] وغيرهما، فتأثروا بها ونقلوها، وخالفوا طريقة المرسلين، وسايرهم كثير من المتكلمين؛ كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فاختلقوا قضايا موهومة؛ ومشاكل أوقعوا أنفسهم فيها، زعماً منهم أنهم دعاة للتوحيد، وحماة لعقائد المسلمين، وحقيقة حالهم لا للفلاسفة كسروا ولا للإسلام نصروا[٣]، وكانوا سبب تسلط الفلاسفة عليهم وعلى الإسلام، فلم يعرفوا التوحيد الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام.

فمن هذه الطرق الرافضة والفلاسفة والمتكلمين والصوفية الخرافية تسربت البدع القبورية إلى بعض المسلمين وكان من أعظم هذه البدع، بل أم هذه البدع الاستغاثة بالأموات، حتى وصل حال الأمة الإسلامية كما وصفها الإمام العلامة الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني[٤] في قصيدته:

١-انظر ص ٤٨٩.

٢-انظر ص ٤١٣.

٣-مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ١٦/٣٠٠ .

٤- هو أبو إبراهيم عزالدين محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، المعروف كأسلافه بالأمير، مجتهد من بيت الإمامة باليمن، ولد سنة ١٠٩٩هـ تعرض لمحن من بعض المتعصبين والعوام، له تصانيف نافعة أشهرها سبل السلام، توفي رحمه الله ١١٨٢هـ. انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع تأليف العلامة محمد بن علي الشوكاني جـ٢/١٣٣ الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ مطبعة السعادة القاهرة - مصر، والأعلام جـ٦/٣٨.

أعادوا بها معنى سواع ومثله	يغوث ووداً ليس ذلك من ودي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها	وكم كما يهتف المضطر بالواحد الصمد
عقروا في سواحها من عقيرة	أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم من طائف حول القبور مقبل	ومستلم الأركان منهن باليد[١]

نعم هذه حال بعض المسلمين -هداهم الله- يستغيثون بالمقبورين، ويدعونهم من دون الله، ويطوفون بالقبور، ويحجون إليها، ويرون أنهم قد أربوا في الربح على حجاج البيت الحرام.

فعزمت أن يكون موضوع رسالتي للماجستير في هذا المجال، تحقيقا أو موضوعاً.

وخلال البحث وجدت أن أغلب من كتب في هذا ينقل أو يحيل إلى كتاب عظيم الفائدة غزير المعني، قد استوفى المسألة بحثا وتحقيقا وتحريرا لإمام من أئمة المسلمين وعلم من أعلام السنة النبوية وهو كتاب "الاستغاثة في الرد على البكري" للإمام المجدد شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) محي السنة وقامع البدعة، وهو من أوفى الكتب في هذه المسألة (الاستغاثة بالأموات)، ومن أجل الكتب التى نافحت عن العقيدة الصحيحة، ودرأت الشبهات الشيطانية، رد فيه شيخ الإسلام على أحد دعاة

١- انظر: ديوان الأمير الصنعاني للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني قدم له وأشرف على طبعه علي السيد صبح المدني ص١٢٩ الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ مطبعة المدني - القاهرة على نفقة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني.

القبورية في عصره، وهو علي بن يعقوب البكري (ت٧٢٤هـ). ويمكن إيجاز أهمية الكتاب بمايلي :

أولاً : إنه أول وأفضل كتاب في الرد على من استغاث بالمقبور، وقضية الاستغاثة بالأموات من أهم موضوعات الخلاف بين دعاة التوحيد ودعاة الشرك، بل هي الركيزة الأساسية في الخلاف، فهو كتاب مهم في موضوع هام.

ثانيا : غالب من تكلم في قضية الاستغاثة يرجع إلى هذا الكتاب، ويبلغ النقل أحيانا عدة صفحات متتابعة، ولايحسن العناية بهذه الكتب دون مصدرها الذى إليه تورد وعنه تصدر.

ثالثا : ندرة الكتاب في المكتبات، ومطالبة كثير من أهل العلم بإخراجه مع سوء الطبعة السابقة وكثرة الأخطاء في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكثرة السقط والتحريف والتصحيف، دون أي خدمة أو معالجة، يقابل ذلك كتب أهل البدعة، التي نراها منتشرة ومحققه، ومطبوعة طباعة فاخرة.

رابعاً: على مافي طبعة الكتاب السابقة من تحريف وسقط، ففيها أخطاء علمية كبيرة، منها : عنونة الكتاب بـ " تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري" وهذا غير صحيح فكتاب "تلخيص الاستغاثة" غير "كتاب الرد على البكري" فالثاني أصل، والأول تلخيص له، فكتاب تلخيص الاستغاثة لابن كثير، والرد على البكري لابن تيمية ، فبينهما فرق.

وهذا الخطأ أدى لأخطاء علمية أخرى، فنقل بعض الباحثين من

تلخيص الاستغاثة، وجعل المرجع الرد على البكري[١].

كما أن في التلخيص نصوصاً لابن كثير لم يذكرها ابن تيمية إطلاقاً، بل في الأصل مايخالف أحدها وقد بينت هذا في الكلام على التلخيص[٢].

خامساً : هذا الكتاب كما أنه وضح أصل بدعة الاستغاثة بالمقبور وبداية وجودها في الأمة الإسلامية، فهو كذلك يعالج كثيراً من البدع المتعلقة بالقبور وغيرها.

سادساً : إنه من مصنفات إمام له قدم راسخ في العلم والفهم متحرر من ربقه التقليد والتعصب وهو شيخ الإسلام بحق . لهذه الأسباب وغيرها، اخترت هذا الكتاب "كتاب الاستغاثة في الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية" تحقيقاً ودراسة، وذلك في أطروحة الماجستير، وقد أيد هذا الاختيار أساتذتي في قسم الثقافة الإسلامية.

وقد واجهتني بعض الصعوبات عند تسجيل الموضوع وعند العمل فيه، منها:

١- انظرعلى سبيل المثال: كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه تأليف د.عبدالرحمن الفريوائي ص٥٩٨، ٦٠١-٦٠٥، ٦١٣، ٦٢٠ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشر دار العاصمة الرياض، وكتاب الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد تأليف صالح العصيمي ص٥٥ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار ابن خزيمة - الرياض .

٢-انظر ص ١٢٥.

أولاً : إن هذا الكتاب لم يحظ بما حظيت به كتب الشيخ الأخرى من الحفظ والعناية، فقد فُقد منه أوله، وقد بذلت كثيراً من الجهد والوقت في البحث عنه و لم أجد أي ذكر له، ولربما كان هذا سبباً في إعراض كثيرٍ من الباحثين المهتمين بتراث هذا الإمام عن تحقيقه ، فأملي من القراء الكرام من وجد شيئاً من ذلك أن يرشدني إليه مشكوراً مأجوراً مجزياً من ا لله خيرا.

ثانيا : عدم ذكر فهارس المخطوطات والمصادر العلمية لهذا الكتاب أو أي معلومات عنه إلا فيما ندر، ويدل على ذلك أن جميع النسخ الخطية التي اعتمدت عليها لم ترد في فهرسٍ متداول.

ثالثاً: عدم تعاون بعض دور المخطوطات .

رابعاً : مع كثرة ما استطعت جمعه من مخطوطات الكتاب إلا أنه وللأسف يوجد فيها سقط وتحريف وتصحيف وقد أمضيت أوقاتاً طويلة محاولاً إكمال سقط أو إصلاح تحريف ؛ أو تصحيف، كما قال بعضهم: «**ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفاً، أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ، وشريف المعاني، أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام**»[1].

قلت : هذه الصعوبة على الكاتب نفسه، فكيف بغيره مع بعد الزمن، وقصور الهمم، وقلة البضاعة.

١-الحيوان جـ١/٧٩ .

ومن أهم نتائج هذا البحث، إثبات المؤلف أن الاستغاثة بالأموات قضية مبتدعة لم تعرفها الأمة الإسلامية عدا الشيعة إلا في نهاية القرن الثالث الهجري، وأن هذه البدعة الشركية بدأت في الأمة بذكر قصص من استغاث بالنبي ﷺ، ثم صارت إلى ماكان عليه البكري، ومع ذلك لم يستوعب جميع شبهات القبورية.

فهذه القضية عند هؤلاء القوم في توسع مطرد .

وعملي في الكتاب على قسمين:

القسم الأول: الدراسة

ويتكون من بابين:

الباب الأول : ترجمة المؤلف وموقف البكري منه.

الباب الثاني : دراسة للكتاب.

القسم الثاني : تحقيق الكتاب

وبين يدي التحقيق وصف للنسخ الخطية ومنهج التحقيق، وقد اعتمدت على أربع نسخ، واستفدت من النسخ الأخرى ثم أعقبت ذلك بالفهارس المختلفة.

*** منهج التحقيق :**

جعلت أقدم هذه النسخ وأفضلها هي الأصل، وهي المحفوظة بجامعة أم القرى، وقارنتها بثلاث نسخ أخرى، وهي نسخة المكتبة السعودية التابعة للإفتاء ورمزت لها بحرف "ف"، ونسخة دارة الملك

عبد العزيز وأصلها في مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة ورمزت لها بحرف "د"، ونسخة المعهد العلمي بحائل ورمزت لها بحرف "ح ".

وقد عرفت بالفرق والمذاهب تعريفاً موجزا وترجمت لغير المشهورين من الأعلام، وعزوت الآيات والأحاديث وعلقت على بعض المواضع التي أرى أنها تحتاج إلى تعليق، كل ذلك بقدر الطاقة والاستطاعة مع الاختصار قدر الإمكان.

وبعد فأشكر الله تعالى وأحمده على مامنّ به ووفق، فحقه تعالى أن يذكر فلا ينسى ويشكر فلا يعصى، ثم أشكر والدي اللذين ربياني وأحاطاني بعنايتهما ورعايتهما، ثم أقدم الشكر الجزيل لكل من ساهم أو سأل أو ساعد في هذا البحث، وأخص أساتذتي سعادة الأستاذ الدكتور/ محمد أبو الغيط الفرت المشرف على الرسالة بوافر الشكر والامتنان، على ما بذله من وقت وجهد، وأشكر فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور/ ناصر بن عبد الكريم العقل الأستاذ بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على تفضله وتكرمه بقبول مناقشة هذه الرسالة رغم انشغاله وضيق وقته، كما أشكر سعادة أستاذنا الدكتور/ رزق بن يوسف الشامي الذي أعطاني من وقته وجهده الكثير، وقد كان مع هذه الرسالة منذ كانت فكرة حتى أصبحت رسالة ليتفضل بمناقشتها، فلهم مني جميعاً وافر الشكر والتقدير، وأسأله تعالى أن يجعل العمل لوجهه خالصا، وأن ينفع به يوم لاينفع مال ولا بنون.

وحسبي أنى بذلت جهدي وطاقتي؛ فإن أصبت فذلك قصدت،

والخير أردت ، ورجائي ممن يجد مايفيد الكتاب أن يبعث إلى مشكورا عبر [دار الوطن للنشر]

وما أحسن ما قال الشاعر:

وإن تجد عيبا فسد الخللا فجل من لا عيب فيه وعلا

فما كان من صواب فمن الله وحده، هو المنّان به ، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، واستغفر الله منه.

والله وحده هو المعين والهادي إلى سواء السبيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

القسم الأول :

الدراسة

وتتكون من ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام ابن تيمية والبكري ودراسة للكتاب

الباب الأول:

في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية وترجمة البكري

وفيه فصلان

الفصل الأول : ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام ابن تيمية

الفصل الثاني : ترجمة البكري وموقفه من ابن تيمية



الفصل الأول

ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام ابن تيمية



الفصل الأول

ترجمة المؤلف

يعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه ا لله- من العلماء البارزين ، بل لعل تاريخ الإسلام في عصوره الوسطى والأخيرة لم يشهد شخصية أشهر من ابن تيمية ، اعترف لها بالفضل الصديق والخصم ، وهو أشهر من أن يُعَرَّف به ، وقد حظي بتراجم عديده، مفردة وغير مفردة، كما أن كتبه ورسائله وفتاواه صارت مجالاً خصباً للتأليف والدراسة والنشر والتحقيق، و لم يغفل محققوها وناشروها الترجمة له.

ولذلك يصعب حصر المصادر والمراجع التي تناولت حياته بالشرح والتفصيل فما بالك بالإحاطة بحياة هذا الإمام الفذ. لذا سأقتصر على ترجمة مختصرة:

ترجمة موجزة للمؤلف :

اسمه ونسبه ومولده ونشأته :

هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس، أحمد بن العلامة (شهاب الدين أبي المحاسن) عبد الحليم بن (مجد الدين أبي البركات) عبد السلام بن (أبي محمد) عبدا لله بن (أبي القاسم) الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدا لله بن تيمية الحراني الدمشقي.

ولد يوم الإثنين العاشر أو الثاني عشر ربيع الأول سنة (٦٦١هـ)

بحران[١]، ولما بلغ من العمر سبع سنين انتقل مع والده إلى دمشق، لسوء أحوال حران وما حولها بعد استيلاء التتار عليها.

وقد نشأ في عائلة اشتهرت بالعلم والمكانة فجده مجد الدين عبد السلام بن عبدا لله من العلماء الأعلام، صاحب التصانيف النافعة التى منها: "المنتقى من أحاديث الأحكام"، "والمجرد في الفقه" وغيرهما. ووالده شهاب الدين أبوالمحاسن شيخ حران وحاكمها وخطيبها بعد وفاة والده مجد الدين. وإخوته ثلاثة، وهم: بدر الدين أبو القاسم محمد بن خالد الحراني، وشقيقاه: زين الدين عبدالرحمن بن عبد الحليم، وشرف الدين عبدا لله بن عبد الحليم، جميعهم اشتهروا بالعلم والفضل.

ففي هذه البيئة العلمية الصالحة كانت نشأة ابن تيمية، وقد بدأ بطلب العلم أولاً على والده وعلماء دمشق، فحفظ القرآن وهو صغير، ودرس الحديث والفقه والأصول والتفسير، وعُرف بالذكاء وقوة الحفظ والنجابة منذ صغره، ثم توسع في دراسة العلوم وتبحر فيها حتى أفتى

١- حران: بتشديد الراء، من مدن الجزيرة بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، قيل سميت بهاران أخي إبراهيم -عليه السلام- لأنه أول من بناها فعربت فقيل حران، وبها منازل الصابئة وهم الحرانيون الذين يذكرهم أصحاب كتب الملل والنحل، وفيها مجمع الصابئين وقيل: إنهم من ولد صاب بن طاط بن خنوخ وهو أول من نزل بابل واتخذ بها هيكلا، وكان من أهل الفلسفة والنجوم. فتحها عياض بن غنم سنة ١٧هـ لما فتح الجزيرة، وهناك حران الكبرى وحران الصغرى قريتان بالبحرين، وحران أيضا من قرى حلب. انظر: معجم البلدان تأليف ياقوت الحموي تحقيق فريد عبدالرحمن الجندي جـ٢/٢٧١-٢٧٢ رقم ٣٥٨٦ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

ودرس قبل بلوغ العشرين عاماً، وما لبث أن صار إماماً يعترف له الجهابذة بالعلم والفضل والإمامة، قبل بلوغ الثلاثين من عمره .

مكانته ومنزلته :

لقد تبوأ شيخ الإسلام ابن تيمية مكانة عظيمة بين علماء عصره، لأسباب منها :

١- العلم الغزير فهو إن درس أو خطب أو أفتى أو كتب رسالة أو كتاباً في أي فن من الفنون أتى بما يفوق علماء عصره، وما يبهر عقولهم.

٢- بعده عن المناصب أو أخذ رواتب من الدولة، وكان ذلك عن عزم وتصميم، فلم يتول القضاء أو الإمارة أو غيرها، حتى وهو في السجن لم يأكل من الطعام الذي يُحضر له في السجن.

٣- جهاده في سبيل الله، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وفضحه أصحاب الحيل الشيطانية، ورده على أهل الاهواء والبدع.

جهاده وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر :

لقد تميزت حياة ابن تيمية -يرحمه الله- بهذه الميزة العظيمة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، والكلام حول هذا الجانب يطول ولكن نشير إلى مسائل مهمة تتعلق بموضوع هذا الكتاب، وهي التطبيق العلمي له، فمن ذلك:

كسره للأصنام والأماكن التي تعظم من دون الله -تعالى-، قال ابن القيم: «وقد كان بدمشق كثير من الأنصاب، فيسر الله -سبحانه- كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين، كالعمود المخلق،

والنصب الذي كان بمسجد التاريخ من المصلى يعبده الجهال، والنصب الذي كان تحت الطاحون، الذي عند مقابر النصارى، ينتابه الناس للتبرك به، وكان صورة صنم في نهر القلوط[1] ينذرون له ويتبركون به، وقطع الله النصب الذي كان عند الرحبة يسرج عنده، ويتبرك به المشركون وكان عموداً طويلا على رأسه حجرة كالكرة، وعند مسجد درب الحجر نصب قد بني عليه مسجد صغير يعبده المشركون يسر الله كسره»[2]

وله مواقف عظيمة في جهاد التتار والنصارى، وطوائف من ضلال المسلمين من الفلاسفة والمتكلمين والرافضة والباطنية والصوفية وغيرهم. وقد فضح هذه الطوائف وبين ضلالها بقلمه ولسانه، وجاهدهم بيده.

والمطلع على هذا الجانب من حياة الشيخ يكاد يجزم بأنه لم يبق له من وقته فضلة، وقد حورب وأوذي وسجن مرات في سبيل الله، حتى وافته منيته مسجونا.

ولا تزال بحمد الله ردود الشيخ سلاحاً فعالاً ضد أعداء الحق

١- لم أجد من عرف به .

٢-إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (في بعض الطبعات الأخرى إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) لابن القيم تحقيق محمد عفيفي جـ١/٣٢٩ الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت. وكتاب ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية بقلم خادمه أحمد الغياني تحقيق محب الدين الخطيب ص٨-١٢ طبعة ١٣٦٨هـ الناشر المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة - مصر، والبداية والنهاية جـ١٤/٣٨.

ودعاة البدع، لأنها تستند على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدى السلف، مع قوة الاستنباط، والاستدلال والاحتجاج بالشرع والعقل، مع إنصاف وعدل.

وردود الشيخ كما كانت رداً شافيا وقويا وتقويماً لضلال فرق عصره -رحمه الله- فهي رد على امتداد هذه الفرق في هذا العصر، ولذلك فإن كثيراً ممن قام بالرد على أي فرقة لابد أن استفاد من كتابات الشيخ وردوده.

محنته وسجونه :

امتحن شيخ الإسلام ابن تيمية محناً عديدة، ماتكاد تنتهي محنة حتى تبدأ محنة جديدة، إلى أن لقي ربه وهو في سجن القلعة بدمشق.

ولعل من أعظم أسباب هذه المحن عداء بعض العلماء والقضاة له؛ لمواقفه العظيمة؛ ووجاهته عند الناس؛ وتشرب كثير منهم بالبدع: من بدع الفلاسفة وأهل الكلام أو القبورية والصوفية، وأول هذه المحن محنته بسبب الفتوى الحموية(١) ثم محنته ومناظرته حول الفتوى الواسطيه(٢)،

١-ملخص هذه المحنة: أن شيخ الإسلام ابن تيمية كتب جوابا سئل عنه من حماة في الصفات، فذكر فيه مذهب السلف، ورجحه على مذهب المتكلمين، فقام عليه بعض الأشاعرة لأنهم يرجحون مذهب المتكلمين، وقد كانت في ربيع الأول سنة ٦٩٨هـ. انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف د.عبدالرحمن المحمود جـ١/١٧٦-١٧٨.

٢-وبدأت هذه المحنة في يوم الإثنين الثامن من رجب سنة ٧٠٥هـ حين ورد مرسوم من السلطان بأن يسأل الشيخ عن عقيدته، فأحضر الشيخ العقيدة الواسطية والتي

=

وهما في تقرير مذهب السلف في الصفات والرد على المتكلمين، لذا لم يكن للصوفية دور بارز فيهما، وإنما كان لبعض رجالاتهم سعي لدى السلطان؛ لامتحان الشيخ مرة بعد أخرى.

ثم كان امتحان الشيخ وذهابه إلى مصر وسجنه بالجب ثمانية عشر شهراً، أما محنته مع الصوفية ففي مصر بعد خروجه من السجن وبقائه فيها، كان يتطرق إلى جوانب عقدية تمس أحوال الصوفية وبدعهم؛ فقام نصر المنبجي[1] وابن عطاء الله السكندري[2] -

---

كتبت قبل سبع سنين، وقرئت وجرى نقاش حول عدة قضايا، وعقدت مجالس أخرى أنتهت لصالح الشيخ. انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف د.عبدالرحمن المحمود جـ١/١٧٩-١٨٢.

١-نصر المنبجي هو: أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر الكبجي المنبجي صوفي له زاوية بالحسينية، كان الجاشنكير يعتقد فيه، وكان يغالي في محبة ابن عربي الصوفي، مات سنة ٧١٩هـ ودفن بزاويته.

انظر: ذيول العبر في خبر من غبر لشمس الدين الذهبي تحقيق أبو هاجر محمد زغلول جـ٤/٥٥ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، والبداية والنهاية جـ١٤/١٠٤، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة تأليف الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني جـ٤/٣٩٢ رقم الترجمة ١٠٧٦ طبعة دار الجيل بيروت - لبنان، وفي الدرر الكامنه نصر بن سلمان والصواب ابن سليمان كما في البداية وذيول العبر.

٢-ابن عطاء الله السكندرى هو: أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن عطاء الله الاسكندرى، صوفي شاذلي، كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية توفي سنة ٧٠٩هـ انظر الدرر الكامنة لابن حجر جـ١/٢٧٥ ترجمة رقم ٧٠٢. انظر: الأعلام للزركلي جـ١/٢٢٢.

وللبكري دور فيها- بإثارة أتباعهم من المتصوفة، فاجتمع خلق كثير منهم؛ من أهل الخوانق والربط والزوايا واتفقوا أن يشكوا الشيخ إلى السلطان، فطلع منهم خلق كثير إلى القلعة وكانت لهم ضجة شديدة لفتت انتباه السلطان، واستعانوا عليه بالأمراء وغيرهم، وذلك في شوال سنة ٧٠٧هـ.

فأمر السلطان أن يُعقد له مجلس فَعُقِد له مجلس يوم الثلاثاء العاشر من شهر شوال سنة ٧٠٧هـ وادعى عليه ابن عطاء بأشياء، فلم يثبت عليه منها شئ، لكنه قال: «لايستغاث إلا با لله، لايستغاث بالنبي استغاثة بمعنى العبارة، ولكن يتوسل به، ويستشفع به إلى ا لله»، فبعض الحاضرين قال: ليس عليه في هذا شئ، ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة[1] أن هذا فيه قلة أدب، فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ماتقتضيه الشريعة، فقال القاضي: «قد قلت له مايقال لمثله»، ثم جاء الأمر من الدولة أن يخير بين أن يسير إلى دمشق أو الاسكندرية بشروط أو الحبس، فاختار الحبس، فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزما ماشرط، فأجاب أصحابه إلى مااختاروا جبراً لخواطرهم، ثم لما سافر ليلة ١٨ شوال من السنة نفسها، رُد من الطريق وقيل: «إن

١-هو بدرالدين أبو عبدا لله محمد بن إبراهيم بن سعدا لله بن جماعة الكناني، الحموي الأصل ولد سنة ٦٣٩هـ بحماة وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم نقل منه إلى قضاء مصر، كان رحمه ا لله دينا ورعا كافا للاذى، له تصانيف نافعة منها "المنهل الروي في الحديث النبوي" وغيره توفي سنة ٧٣٣هـ ودفن بالقرافة. انظر البداية والنهاية جـ١٤/١٧٨ والأعلام جـ٥/٢٩٧.

الدولة ماترضى إلا بالحبس»، فقال القاضي ابن جماعة: «وفيه مصلحة له»، واستناب ابن جماعة بعض القضاة أن يحكموا فيه بالحبس فامتنع أحدهم وتحير الآخر، فلما رأى الشيخ توقفهم في حبسه قال: «أنا امضي إلى الحبس وأتبع ماتقتضيه المصلحة»، فأرسل إلى حبس القضاة وأذن له بأن يكون معه من يخدمه، وكان ذلك كله بإشارة نصر المنبجي لوجاهته في الدولة، فإنه كان قد استحوذ على عقل الجاشنكير[١] الذي تسلطن فيما بعد.

واستمر الشيخ في الحبس يستفتى؛ ويقصده الناس ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكلة، ثم عقد له مجلس بالصالحية بعد ذلك كله، ونزل الشيخ بالقاهرة وأكب الناس على الاجتماع به[٢].

فلما كثر اجتماع الناس بالشيخ وترددهم عليه ساء ذلك أعداءه وحصرت صدورهم؛ وصاحب ذلك تسلطن الجاشنكير تلميذ نصر

١- هو ركن الدين الملك المظفر بيبرس الجاشنكير المنصوري، من سلاطين المماليك، كان من مماليك المنصور قلاوون، وتسلطن في زمن الناصر محمد قلاوون، لما ذهب الناصر للكرك مكرها، في سنة ٧٠٩هـ، كان يعظم نصر المنبجي الإتحادي، وهذا سبب إيذاء شيخ الإسلام في عهده. انظر البداية والنهاية جـ١٤/٦٠-٦١ والأعلام جـ٢/٧٩.

٢- انظر البداية والنهاية جـ١٤/٤٩-٥٠، والعقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية تأليف الإمام محمد بن أحمد بن عبدالهادي تحقيق محمد حامد الفقي ص٢٧٠-٢٧٢ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، والكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية تأليف مرعي الكرمي الحنبلي تحقيق نجم عبدالرحمن ص١٣٣ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان.

المنبجي، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ينال من الجاشنكير؛ ومن شيخه نصر المنبجي، ويتكلم في ابن عربي وأتباعه.

فقرروا أن يسيروه إلى الإسكندرية كهيئة المنفي؛ ـــ في نهاية شهر صفر سنة ٧٠٩هـ ـ ومنعوا أن يذهب معه أحد من أصحابه رجاء أن يقتل ، وأقام بثغر الإسكندرية في برج مليح واسع؛ يتردد عليه الناس وقد لحق به أصحابه، وبقي ثمانية أشهر فلما رجع السلطان الناصر إلى الحكم وقدم مصر في يوم عيد الفطر ٧٠٩هـ؛ لم يكن له دأب إلا طلب الشيخ ابن تيمية من الإسكندرية، فقدم إليه في الثامن من شهر شوال.

وبقي الشيخ في القاهرة إلى سنة ٧١٢هـ، حيث خرج لجهاد التتر صحبة الجيش المصري؛ وقدم دمشق أول ذي القعدة سنة ٧١٢هـ[١] ثم سجن الشيخ وامتحن بسبب فتواه في الطلاق باعتبار الثلاث بكلمة واحدة طلاقاً رجعياً، في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ٧١٩هـ[٢].

ثم كانت أعظم المحن التي مرت على الشيخ وأتباعه، وهي محنته بسبب فتواه في شد الرحال إلى القبور، وقد كُذِبَ عليه فيها وحرفت، حتى جاء مرسوم السلطان بإقامته في القلعة في السادس من شهر شعبان سنة ٧٢٦هـ، وسجن جماعة من أتباعه وضيق عليهم، وعزر جماعة منهم على دواب ، ونودي عليهم، ثم أطلقوا؛ سوى ابن القيم الذي حبس في

١- انظر البداية والنهاية جـ١٤/٧٣ والعقود ص٢٧٨ والكواكب ص١٣٥.

٢- انظر البداية والنهاية جـ١٤/٧٢ والعقود ص٣٢٥ وما بعدها، والكواكب ص١٤٦.

القلعة، ثم أخرج ماعند الشيخ من الكتب بأمر السلطان، وصار يكتب رسائله بالفحم، فكان ذلك من أعظم المصائب عليه[١] حتى مات -يرحمه الله- في الحبس.

ولا يخفى دور الصوفية والرافضة في هذه المحنة، وقد انتصر له كثير من العلماء: من علماء الشام وبغداد وغيرهم وكتبوا بما يوافق قوله في المسألة[٢]، وكان له -رحمه الله- دور إيجابي في هذه المحن، من الثبات على الحق وتحويل جو المحنة إلى خدمة المبدأ الذي يدعو إليه[٣].

مؤلفاته ورسائله:

كتب ابن تيمية ورسائله كثيرة جداً يصعب حصرها والإحاطة بها، وقد ضاع بعضها، وفقدت أجزاء من بعضها الآخر -مثل كتاب الاستغاثة-، لأن هذه المحن التي مر بها هو وأتباعه لابد أن تنال كتبه ورسائله، وقد وصل الأمر إلى أن يخاف أتباعه أن يظهروا كتبه[٤].

ونقصر الكلام هنا على بعض مؤلفاته التي أفردها في الاستغاثة والتوسل وبدع القبور، منها:

١- انظر البداية والنهاية جـ١٤/١٤٦.

٢- انظر العقود الدرية ٣٤٢ وما بعدها، والكواكب ١٥٩.

٣- انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف د.عبدالرحمن المحمود جـ١/١٩٤-١٩٦ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض -السعودية.

٤- العقود الدرية ص٦٤.

١-رسالة الاستغاثة:

وهي جواب مختصر في حكم الاستغاثة برسول الله ﷺ، وقد طبعت عدة طبعات[١]، وهذه الرسالة هي الأساس لكتابنا الذى نحن بصدد دراسته وتحقيقه، فقد رد البكري على هذه الرسالة فرد عليه ابن تيمية بهذا الكتاب.

ونقل ابن تيمية غالب هذه الرسالة في كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة[٢] وفي هذا الكتاب أيضا[٣]، وقد كتبها سنة ٧١١هـ في مصر قال: «وكنت وأنا بالديار المصرية في سنة ٧١١هـ قد استُفتيتُ عن التوسل بالنبي ﷺ...»[٤].

٢-رسالة أخرى :

وهي جواب عن سؤال أطول من السؤال السابق، ويظهر أن السائل من تلاميذ ابن تيمية، ويشير إلى كلام البكري دون ذكر اسمه، ويذكر أقواله مثل: «تكفير من منع الاستغاثة بالنبي ﷺ»، وفي السؤال أيضا بعض أقوال ابن تيمية من كتاب الرد على البكري.

وقد أجاب الشيخ على السؤال أيضا دون ذكر للبكري، ولكن

١- طبعت ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد جـ١/١٠٨-١١٣ طبعة ١٤١٢هـ الناشر دار عالم الكتب الرياض - السعودية، وسأشير له فيما بعد بـ (مج)، وطبعت مستقلة بعناية محمود إمام منصور (الناشر مكتبة الصحابة بطنطا).

٢- ص٢٤٤ بتحقيق ربيع هادي المدخلي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر لينه دمنهور.

٣- ص ٢٨٩.

٤- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٤٤.

يظهر من ألفاظ الجواب وكأنها مختصرة من هذا الكتاب، و لم يذكر لها عنوانا أو تاريخ تأليف، ولكن من المؤكد أنها بعد الرسالة السابقة ورد البكري عليها[١].

٣-قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة:

وهذا الكتاب من أهم كتب شيخ الإسلام في هذه القضية، وغالبه عن التوسل: أنواعه، وحكم كل نوع وأدلته، ورد على أدلة المخالفين له، و الفرق بين التوسل والاستغاثة والشفاعة والدعاء وما بين هذه الأنواع من الفروق، وغير ذلك، وكما سبق فقد ضمنه أجزاء من رسالة الاستغاثة.

وقد ألفه بالشام بعد سنة ٧١٢هـ لقوله «وكنت وأنا بالديار المصرية في سنة ٧١١هـ»[٢].

ويلاحظ أن كثيراً من القضايا التي أوردها المؤلف في هذا الكتاب، أوردها في كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري مختصرة جداً [٣]، وقد جاءت في التلخيص أيضا مختصرة[٤].

٤-كتاب "الاستغاثة في الرد على البكري" وهو كتابنا الذى نحن

١- انظر مج جـ١/١٠١-١٠٧.

٢- قاعدة جليلة ص٢٤٤.

٣- مثل الحكاية المنسوبه عن مالك انظر قاعدة جليله ص١٤٧ وما بعدها.و ص ٣٩٨ من هذا الكتاب، وحديث الأعمى انظر ص١٨٩ من قاعدة جليلة وص٣٩١ من هذا الكتاب.

٤- انظر ص ٥ ، ٢٥،٢٨، ٣٣ ، ٦٩ ،١١٨- ١٢١

بصدده.

٥-"قاعدة في التوسل": وهي غير الكتاب السابق، محفوظة في المكتبة الظاهرية ضمن مجاميع في ١٦ ورقة، وله نسخة في الجامعة الإسلامية برقم ١٠٥٢[١].

٦-وكتاب "الرد على الأخنائي": وهو في الرد على القاضي تقي الدين المالكي، في مسألة شد الرحال وقد طُبع عدة مرات وهو آخر كتبه التي ألفها[٢].

٧-وكتاب "الجواب الباهر في زوار المقابر": كتبه للسلطان في زيارة القبور وما كُذبَ عليه فيها،وهو مطبوع ضمن مجموع الفتاوى، وله طبعة مستقلة في مجلد.

٨- "ومختصر الأخنائية ": وهو مختصر الرد على الاخنائي، وهو مطبوع ضمن مجموع الفتاوى.

وله رسائل وأجوبة صغيرة أخرى في هذا الموضوع.

وفاته:

توفي الشيخ -يرحمه الله- وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق ليلة الإثنين ٢٠ من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، أثر مرض ألم به أياماً

١- انظر مقدمة مسألة في الكنائس لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق علي الشبل ص٧٣ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشر مكتبة العبيكان الرياض - السعودية.

٢- وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، ويقوم الشيخ أحمد العنزي بتحقيق هذا الكتاب رسالة ماجستير في جامعة الملك سعود.

يسيره.

وقد اعتبر المؤرخون جنازة ابن تيمية من الجنائز المشهورة النادرة، فيشبهونها بجنازة الإمام أحمد بن حنبل. وقد هب كل أهل دمشق ومن حولها للصلاة عليه وتشييع جنازته رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء * .

---

* - **مصادر الترجمة :**

المراجع التى ترجمت لابن تيمية كثيرة جداً ولتقصيها تحتاج إلى مؤلف مستقل، أذكر منها:

١. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية تأليف عمر بن علي البزار ص١٦ وما بعدها، بتحقيق زهير الشاويش الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٢. ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية بقلم خادمه أحمد الغياني ص٧ وما بعدها.

٣. العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية تأليف الحافظ محمد بن عبدالهادي.

٤. ذيول العبر في خبر من غبر للذهبي تحقيق أبو ماهر محمد زغلول جـ٤/٨٤.

٥. البداية والنهاية لابن كثير وقد ذكره في مواضع عديده منها جـ١٤/٤٠-٤٣،٥٦،١٢٦،١٤٨ وغيرها.

٦. الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين الصفدي الطبعة الثانية عناية س.ديدرنيغ جـ٥/١٥ وما بعدها.

٧. كتاب الذيل على طبقات الحنابلة تأليف زين الدين عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد الدمشقي المعروف بابن رجب تصحيح محمد حامد الفقي جـ٢/٣٨٧ وما بعدها طبعة ١٣٧٢هـ مطبعة السنة المحمدية القاهرة.

--

....

---

٨. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لبرهان الدين إبراهيم بن مفلح تحقيق د.عبدالرحمن العثيمين جـ١/٨٩ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.

٩. الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية تأليف الإمام مرعى الكرمي الحنبلي ص٥١ وما بعدها.

١٠. الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية تأليف مرعي الكرمي الحنبلي تحقيق نجم عبدالرحمن ص٢٣ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الفرقان عمان الأردن ومؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

١١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين ابن تغرى بردَى جـ٩/٢٧١-٢٧٢ طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١هـ.

١٢. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة تأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني جـ١/١٤٤ وما بعدها ترجمة رقم ٤٠٩.

١٣. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للعلامة الشوكاني جـ١/٦٣.

١٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب تأليف عبدالحي بن العماد الحنبلي الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ الناشر دار الغرب بيروت - لبنان جـ٦/٨٠.

١٥. فهرس الفهارس والاثبات تأليف عبدالحي الكتاني عناية د.إحسان عباس جـ١/٢٧٤ وما بعدها طبعة دار الغرب الإسلامي بيروت.

١٦. شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين جمع صلاح الدين المنجد ص٦٤ الطبعة الأولى ١٩٦٧م الناشر دار الكتاب الجديد بيروت لبنان. وتراجمه -رحمه الله- كثيرة لو استرسلت في ذكرها لطال بنا المقام، وفيما ذكر كفاية -إن شاء الله-.



الفصل الثاني

ترجمة البكري

وموقفه من شيخ الإسلام ابن تيمية



الفصل الثاني

ترجمة البكري وموقفه من شيخ الإسلام ابن تيمية

تضن المصادر علينا بترجمة البكري، وأغلب من ترجم له ذكره باختصار شديد، حتى ذكره الذهبي والسيوطي في ثلاثة أسطر فقط[١]، ويظهر أنه كان مغموراً لم يُعرف إلا بسبب رد شيخ الإسلام ابن تيمية عليه.

وهذا مصداق ماذكره السلف عن أهل البدع، قال: أبو بكر بن عياش -لما قيل له أن بالمسجد أقواما يجلسون ويجلس إليهم الناس-، فقال: «من جلس للناس جُلس إليه، ولكن أهل السنة يموتون ويبقى ذكرهم، لأنهم أحيوا بعض ماجاء به الرسول فكان لهم نصيب من قوله تعالى ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾[٢]، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم، لأنهم شانوا بعض ماجاء به الرسول فبترهم الله فكان له نصيب من قوله تعالى ﴿**إن شانئك هو الأبتر**﴾[٣]»[٤] قلت: صدق والله، وترجمة البكري خير مثال على ذلك.

١-ذيول العبر للذهبي جـ٤/٦٩-٧٠، وحسن المحاضرة لجلال الدين السيوطي جـ١/٤٢٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ طبعة عيسى البابي الحلبي.

٢-سورة الكوثر الآية : ٢

٣-سورة الشرح الآية : ٤

٤- تلخيص كتاب الاستغاثة ص ٧٦.

١- اسمه ونسبه ومولده :

هو أبو الحسن نور الدين علي بن يعقوب بن جبريل بن عبد المحسن البكري الشافعي المصري، ينتهي نسبه إلى عبد ا لله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق -رضى ا لله عنه- ولد سنة ٦٧٣هـ.

٢-شيوخه وآثاره العلمية :

قال مترجموه: «هو الإمام الفقيه الزاهد»،سمع مسند الشافعي على وزيرة بنت المنجا. ومن شيوخه ابن الجزري[1] الذي نهى تلميذه البكرى وأنكر عليه رده على ابن تيمية، وقال له: «أنت لاتحسن الكلام»، وابن الرفعة[2] الذي أوصاه أن يكمل شرح الوسيط، والمسمى المطلب، و لم يتفق للبكري ذلك، لما كان يغلب عليه من

١-هو أبو عبدا لله شمس الدين محمد يوسف الجزري ولد سنة ٦٣٧هـ بالجزيرة وسافر إلى مصر، ولي خطابة جامع القلعة ثم جامع ابن طولون، من فقهاء الشافعية له شرح منهاج البيضاوي توفي ذى القعدة سنة ٧١١هـ وقيل ٧١٦هـ والصواب ٧١٦هـ لأن الحادثة التي يشير إليها شيخ الإسلام حدثت بعد ٧١٢هـ. انظر: شذرات الذهب جـ٦/٤٢ والدرر الكامنة جـ٤/٢٩٩ رقم الترجمة ٨٣٠ وحسن المحاضرة جـ١/٥٤٤ والأعلام جـ٧/١٥١.

٢-هو نجم الدين أحمد بن محمد بن علي الأنصارى يعرف بابن الرفعة، فقيه شافعي، كان محتسب القاهرة وناب في الحكم، له كفاية النبيه في شرح التنبيه والمطلب وغيرهما توفي سنة ٧١٠هـ. انظر: البداية والنهاية جـ١٤/٦٦ والأعلام للزركلي جـ١/٢٢٢.

التّجلّي[١] والانقطاع وله كتاب في "البيان" وآخر في "تفسير سورة الفاتحة" وكتاب "الأحكام"، لم أجد منها شيئا سواء أكان مخطوطا أو مطبوعا، وله فتوى في تكفير ابن عربي قبحه فيها ولعنه[٢]، وابن عربي أهل للتقبيح والتكفير.

ولم أجد من ذكر له تلاميذ، فلعله لم يجلس للتدريس أصلاً، فهو ليس أهلاً لذلك، وبجمع أقواله إلى بعضها يصدق قول شيخه فيه : "إنه لايحسن الكلام"، ففيها ركاكة العبارة، وضعف الأسلوب، ولذلك فهو ليس من العلماء، بل لديه نوع مشاركة في بعض العلوم.

ومن أثنى عليه فإنما نظر إلى جانب جميل في البكري وهو التديّن، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والشجاعة فيما يرى أنه الحق، ولكن يفسد عليه هذا كله، سوء الاعتقاد، ومصادمة أصول الإسلام العظام في الدعوة لعبادة القبور من دون الله -تعالى-.

١-التجلي عند الصوفية وهو: ماينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وإنما جمع الغيوب باعتبار تعدد موارد التجلي، فإن لكل اسم إلهي بحسب حيطته ووجوهه تجلّيات متنوعة.

ثم ذكر الجرجاني أمهات الغيوب وجعلها سبعة. انظر التعريفات للجرجاني ص٥١ باب التاء.

٢-انظر: جزء في عقيدة ابن عربي وحياته من كتاب العقد الثمين لتقي الدين الفاسي عناية على حسن عبدالحميد ص٣٤ الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار ابن الجوزي الدمام - السعودية.

٣- مذهبه الفقهي :

البكري شافعي المذهب أورده السبكي والأسنوي في طبقات الشافعية، والعبادي في ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، إلا أنه لايوجد له أي أثر في المذهب.

٤- عقيدة البكري :

البكري صوفي قبوري ؛كما هو واضح فيما نقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، يدافع عن أقوال الصوفية ويعظمها، ويدعو إلى تعظيم القبور ودعاء المقبورين من دون الله -تعالى-، بل يكفر ويرمي بالزندقة كل من يرد عليه ضلاله؛ كما فعل مع شيخ الإسلام ابن تيمية، ويرى مثل سلفه الأقدمين أن إنكار بدع القبورية مؤذن بالهلاك، كما قال تعالى عن سلفه قولهم لإبراهيم -عليه السلام- لما نهاهم عن الشرك: ﴿**وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون * وكيف أخاف ماأشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون**﴾[1]

فقد قال البكري: (لقد خشيت على كثير من أهل الإقليم بسبب تقاعدهم عن نصرة الرسول ﷺ)[2]، وهذه عادة عباد القبور في كل عصر و مصر، وقد برأه شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بالحلول

١-سورة الأنعام الآية : ٨٠ - ٨١

٢-تلخيص الاستغاثة ص١٤٢.

والإتحاد[١]، وهذا من عدله -رحمه الله- وإنصافه.

ومع صوفيته وقبوريته فقد أغفله الشعراني في طبقاته، ولم أجد له ذكراً في المصادر الصوفية، ولعل تكفيره ابن عربي شيخ الصوفية الأكبرهو السبب في إغفاله.

وأما اعتقاده في الأسماء والصفات والقدر فليس له كلام واضح فيها ، ولكنه يرى بعض آراء الأشاعرة، فهو يرى أن التوحيد هو توحيد الربوبية فقط[٢]، وينكر السببية[٣]، ويقول بالجبر[٤]، وغير ذلك.

٥- طريقة البكري الصوفية :

ما وصلنا عن الرجل يظهر أنه لاينتسب إلى طريقة معينة ، وأما بعض الطرق الصوفية التي يطلق عليها اسم البكرية ، فلم أجد من نسبه إلى أي منها ، وهما :

الأولى: " البكرية " الذين رد عليهم ابن أبي زيد القيرواني الأندلسي[٥] (ت٣٨٦هـ)، في " كتابيه كشف التلبيس في الرد على

١-انظر ص٢٥٧.

٢-انظر ص٢٢٢.

٣-انظرص٢٧٨-٢٨٤.

٤-انظر ص٢٤٠.

٥-هو أبو محمد عبدالله بن أبي زيد (عبدالرحمن) القيرواني المالكي، عالم أهل المغرب، يقال له: مالك الصغير، قال القاضي عياض: «حاز رئاسة الدين والدنيا ورُحِلَ إليه من الأقطار ونجب أصحابه، وكثر الأخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب» كان رحمه الله على طريقة السلف في الأصول (الاعتقاد)، لايدرى الكلام ولا يتأول.

--

البكرية "، " والاستظهار في الرد على البكرية " أيضا، فهما رد على عبدالرحمن البكري الصقلي الصوفي[١] (ت٣٨٠هـ)، الذي توسع في إثبات الكرامات، ومما أنكر عليه ابن أبي زيد قلب الأعيان، ورؤية الله في اليقظة. وقد ورد اسم هذه الطائفة في بعض المصادر "الفكرية"[٢].

الثانيه: الطريقة البكرية الصوفية المعاصرة الموجودة في مصر وغيرها، وإن كان رؤساء الطريقة ينتسبون إلى أبي بكر -رضي الله عنه-، وأبو بكر بريء من ضلالهم وإفكهم كما ينتسب البكري، وقد ذكر رؤساء الطائفة ممن ينسب للصديق - رضي الله عنه - محمد توفيق البكري في كتابه"بيت الصديق" و لم يذكر علي بن يعقوب البكري [٣].

وكان مع عظمته في العلم والعمل ذا بر وإيثار وإنفاق على الطلبة، ولما ألف الاستظهار والكشف شنع عليه الصوفية وغيرهم، وأشاعوا أنه ينفي الكرامات، وهو لم يقل بذلك وله غيرهما " الرسالة " المشهورة، وكتاب " الإقتداء بأهل السنة " وغيرها توفي رحمه الله سنة ٣٨٦هـ. انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض جـ٦/٢١٥ وما بعدها والسير للذهبي جـ١٧/١٠ رقم ٤.

١-هو عماد الدين أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله البكري الصقلي، متصوف مالكي المذهب، له "الأنوار في علم الأسرار" توفي سنة ٣٨٠هـ. انظر الأعلام للزركلي جـ٣/٢٢٥.

٢-انظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض تحقيق سعيد أعراب جـ٦/٢١٨ ط الأولى مطبعة فضالة المحمدية المغرب، ومعالم الإيمان في معرفة أهل القيروان تصنيف عبدالرحمن الأنصاري وأكمله أبو القاسم التنوخي تحقيق محمد ماضور جـ٣/١١١، وتراجم المؤلفين التونسيين تأليف محمد محفوظ جـ٢/٤٤٤ ط الأولى دار الغرب الإسلامي.

٣-انظر بيت الصديق تأليف محمد بن توفيق البكري طبعة ١٣٢٣هـ مكتبة المؤيد القاهرة، والكتاب كله ترجمة لرؤساء هذه الطائفة.

٦- منهج البكري في التكفير :

التكفير حق لله ـ تعالى ـ فلا يكفر إلا مَنْ كفـره ا لله ورسـوله ، أمـا التكفـير عنـد البكـري فحالـه كحـال المبتدعـة يبتدعـون البدعـة ويكفرون من خالفهم فيها ، وأقوال البكري في هذه المسأله تبنـى علـى ماسبق ذكره في آثـاره العلميـة ، فهـو ليـس مـن الراسـخين في العلـم ، ولذلك نجده يكيل الكفر والزندقَـة والسـب لشـيخ الإسـلام ابـن تيميـة كيلا لالسبب شرعي ، كما نجـده أيضـا يكفـر ابـن عربـي محـي الديـن ويلعنه ، وابن عربي أهل لذلك ، فهل تكفير البكري مبـني علـى أسـس شرعيه ؟ أم حسب الهوى ؟ ومن خلال دراسة أقواله يظهـر أنـه يكفـر من خالفه مهما كانت هذه المخالفة صواباً أو خطأ.

٧-مواقفه مع شيخ الإسلام ابن تيمية:

آذى البكري شيخ الإسلام ابن تيمية بالقول والعمل،أما القول فقد رماه بالزندقة، قال (إن المجيب -أي ابن تيمية- لايثبت على تأويل، وإنمـا يذهب إليه عند الخوف زندقة منه على ماعلمته)، وأحيانا يصـل إلى حـد التكفير(١).

واستعدى السلطان في عصره على شيخ الإسلام ابـن تيميـة فقـال: (لقـد خشيت على كثير من أهل الإقليم بسبب تقاعدهم عن نصرة الرسول ﷺ بإهلاكه هو إهلاك أمثاله خصوصاً أهل الدولة وأصحاب الحكم)(٢).

١-انظر ص ٥٩٦ من أصل الكتاب.

٢-تلخيص الاستغاثة ص١٤٢.

ولكن جعل الله كيده في نحره وسلط الله السلطان عليه، وسلم الله أهل العلم والإيمان.

وأما بالعمل فقد كان من أشد الصوفية على شيخ الإسلام ابن تيمية، ففي محنته معهم عام ٧٠٧هـ عندما ادعوا عليه أنه يمنع الاستغاثة بالنبي ﷺ، فقال بعض الحاضرين: [يعزر]، فقال البكري: «لامعنى لهذا القول، فإنه إن كان تنقيصاً يقتل، وإن لم يكن تنقيصاً [لايعزر]»[١].

وفي رجب وقيل شعبان سنة ٧١١هـ تعصب على شيخ الإسلام ابن تيمية جماعة من الغوغاء معهم البكري نور الدين وتفردوا به وضربوه، وقد استفرد البكري بالشيخ ووثب عليه، ونتش أطواقه[٢] وقال: «احضر معي إلى الشرع، فلي عليك دعوى»، فلما تكاثر الناس أنملص، فطُلب -أي البكري- من جهة الدولة فهرب واختفى، وثار بسبب ذلك فتنة، وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم إلى الشيخ لأجل الانتصار له، فلم يجبهم. وقال: «أنا ما أنتصر لنفسي». وأكثروا عليه في القول حتى قال لهم: «إما أن يكون الحق لي، أو لكم أو لله، فإن كان الحق لي فهم في حل، وإن كان لكم فإن لم تسمعوا مني فلا تستفتوني؛ وافعلوا ماشئتم، وإن كان الحق لله فالله يأخذ حقه كما يشاء ومتى شاء»، ولما طلبت الدولة البكري هرب اختفى عند شيخ

١-الدرر الكامنه جـ١/١٥٥ وفي الأصل يعذر وبالهامش صوابه يعزر، وقد انفرد بذكر هذا الموقف للبكري ابن حجر في الدرر الكامنة.

٢-أطواق مفردها الطّاق وهو نوع من الملابس وهو الطيلسان وقيل: الطيلسان الأخضر. انظر لسان العرب لابن منظور جـ١٠/٢٣٣ كلمة طوق الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار صادر بيروت - لبنان.

الإسلام ابن تيمية لما كان مقيما في مصر حتى شفع فيه عند السلطان وعفى عنه[١].

فانظر إلى نبل موقف ابن تيمية، وموقف البكري منه، قابل العفو والصفح بالظلم والعدوان، والشفاعة له باستعداء الدولة والسلطان.

٨-موقف البكري مع السلطان (الملك الناصر محمد بن قلاوون) :

في النصف من المحرم سنة ٧١٤هـ بلغ البكري أن النصارى قد استعاروا من قناديل جامع عمرو بن العاص بمصر شيئا؛ وعلقوه في كنيسة، فأخذ معه طائفة كبيرة من الناس وهجم على الكنيسة والنصارى في المجمع ونكل بهم؛ وبلغ منهم مبلغاً عظيماً، وعاد إلى الجامع وأهان قوّمته وأكثر الوقيعة في خطيب الجامع ، فبلغ السلطان فأمر بإحضار القضاة وفيهم ابن الوكيل[٢]؛ واحضر البكري فتكلم ووعظ وذكر آيات من القرآن وأحاديث، واتفق أنه أغلظ في العبارة للسلطان، ثم قال: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[٣]

١-انظر: البداية والنهاية جـ١٤/٧٦ والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب جـ٢/٤٠٠ والعقود الدرية ص٢٨٦ والكواكب الدرية ص١٣٩.

٢-هو صدرالدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن مكي بن عبدالصمد المعروف بابن المرحل، وبابن الوكيل، شيخ الشافعية في زمانه ولد سنة ٦٦٥هـ، كان ينصب العداوة لابن تيمية ويناظره في كثير من المحافل والمجالس توفي سنة ٧١٦هـ نهار الاربعاء، ٢٣ من ذى الحجة انظر: ذيول العبر في خبر من غبرللذهبي جـ٤/٤٥ والبداية والنهاية لابن كثير جـ١٤/٨٧-٨٨.

٣-أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث في السنن في (كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي) جـ٤/٥١٤ رقم ٤٣٤٤ عناية د.بدر الدين جنتن آر الطبعة الثانية

--

فقال له السلطان -وقد اشتد غضبه-: أنا جائر؟، قال: «نعم، أنت سلطت الأقباط على المسلمين وقويت دينهم»، فلم يتمالك السلطان نفسه أن أخذ السيف وهم بالقيام ليضربه، فبادر بعض الأمراء وأمسك يده، فالتفت إلى ابن مخلوف وقال: «ياقاضي يتجرأ علي هذا، ماالذى يجب عليه»، قال: «لم يقل شيئاً يوجب العقوبة»، فصاح السلطان بالبكري اخرج عني، فقام وخرج، فقال ابن الوكيل: «ماكان ينبغي أن يغلظ ويتكلم برفق»، فأعجب السلطان، فقال ابن جماعة: «قد تجرأ وما بقي إلا أن يزاحم السلطان»، فانزعج السلطان وقال: «اقطعوا لسانه»، فبادر الأمراء ليفعلوا ذلك بالبكري، فارتعد وصاح واستغاث بالأمراء فرقوا له؛ وألحوا على السلطان في السؤال في أمره؛ والشفاعة فيه حتى

١٤١٣هـ الناشر دار سحنون - تونس، والترمذى محمد بن عيسى في الجامع في (كتاب الفتن، باب ماجاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) جـ٤/٤٧١ رقم ٢١٧٤ ولفظهما « ... كلمة عدل ..» قال: أبو عيسى وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ا.هـ. عناية د.بدر الدين جنتن آر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون - تونس، وابن ماجه محمد بن يزيد في السنن في (أبوابُ الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) جـ٢/٣٨٣ رقم ٤٠٦٠ ولفظه « ... كلمة عدل ... » ورقم ٤٠٦١ ولفظه «...كلمة حق عند سلطان جائر» تحقيق د.محمد الأعظمي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ الناشر شركة الطباعة العربية السعودية الرياض-السعودية، والإمام أحمد في المسند جـ٣/١٩، جـ٤/٣١٤،٣١٥ واللفظ له، عناية د.بدر الدين جنتن آر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون - تونس وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته جـ١/٢٤٨ رقم ١١٠٠ أشرف على طبعه زهير الشاويش الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

رق له، وأمر بنفيه ومنعه من الفتوى، ودخل ابن الوكيل على السلطان وهو يبكي وينتحب فظن السلطان أنه أصابه شيء، فقال له: «خير خير»، فقال: «البكري عالم صالح[1] لكنه ناشف الدماغ»، قال: «صدقت» وسكن غضبه[2].

وقال الذهبي: «وأراد قطع يده لفتاويه»[3]. قلت لعل الذهبي يقصد حادثة غير هذه الحادثة، فقد انتقد شيخ الإسلام ابن تيمية فتوى للبكري في بيت المال[4]، ولم أجد من ذكر هذه الفتوى.

وقد كتب ابن تيمية في الرد على البكري ثم شغل عن إكمال الرد عليه؛ حتى حصل له هذا الموقف للبكري مع السلطان؛ يقول ابن تيمية: «كنت قد أجبت عن كلامه إلى هذا الموضع، واتفقت أمور شغلتني عن تمام ذلك حتى أنزل الله بأسه بهذا الجاهل الظالم وحزبه الجاهلين الظالمين، وكانوا في ذلك نظير المستفتحين من المشركين وهذا الوعيد الذي ذكره في كلامه به وبأحزابه أليق؛ وهم به أحق ، وهكذا فعل الله -تعالى- بهم حيث عاقبه وحزبه عقوبة المعتدين الظالمين، عقوبة لم يعاقب بها أحداً من أشكالهم»[5].

من هذه المواقف يظهر جلياً أن البكري اتصف بالحدة والغلظة

١-هذا وصف ابن الوكيل للبكري .

٢-الدرر الكامنة جـ١/١٥٧.

٣-ذيول العبر جـ٤/٧٠.

٤-انظر ص٦٠٤ من هذا الكتاب

٥-تلخيص الاستغاثة ص١٤٢-١٤٣ وانظر ص٥٩٨ من هذا الكتاب.

مع كل من خالفه، وبسط لسانه في الإنكار دون حكمة ودون روية ، وصفه ابن حجر: «بأنه أكثر القلاقل»[١].ومع هذا فالبكري ديّنٌ متعفف طارح للتحمل.

٦–وفاته وشعره:

تنقل بأعمال مصر حتى توفي يوم الاثنين سابع شهر ربيع الآخر سنة ٧٢٤هـ، ودفن بالقرافة[٢] قال ابن كثير: وكانت جنازته مشهورة غير مشهودة .

من شعره –عفا الله عنا وعنه– :

كن ياعلي على الطريق الأقوم   واذعن لخلاق (الأنام)[٣] وسلم

ودع الهوى والنفس عنك بمعزل   والوجه منك أقم لدين قيم*

١–الدرر الكامنه جـ١/١٤١.

٢–القرافة: بالفتح وآخره هاه، هي خطة بفسطاط من مصر كانت لبنى غصن بن سيف بن وائل من المعافر، وقرافة بطن المعافر نزلوها فسميت بهم، وهي مقبرة أهل مصر، وبها أبنية ومحال واسعة ومشاهد على القبور، قال أبو سعد محمد العميدي:

إذا ماضاق صدري لم أجد لي   مقر عبادة إلا القرافة .

–نعوذ بالله من الخذلان–

انظر: معجم البلدان جـ٤/٣٥٩–٣٦٠ رقم ٩٤٨٠ وهذه المشاهد حصلت في العصور المتأخرة.

٣–في هامش طبقات السبكي جـ١٠/٣٧١: (العباد).

* –مصادر الترجمة:

١. طبقات الشافعية الكبري تأليف تاج الدين عبدالوهاب السبكي جـ١٠/٣٧٠–٣٧١ تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي الطبعة الأولى طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

--

....

---

٢. طبقات الشافعية لجمال الدين عبدالرحيم الأسنوي جـ١/٢٨٨ تحقيق عبدالله الجبوري طبعة دار العلوم ١٤٠١هـ.

٣. ذيول العبر للذهبي جـ٤/٦٩-٧٠.

٤. والبداية والنهاية لابن كثير جـ١٤/٧٦،١٢٥.

٥. ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين للعبادي جـ٣/١٩٧ تحقيق د.أحمد عمر هاشم ود.محمد زينهم طبعة المكتبة الثقافة الدينية بورسعيد - مصر.

٦. الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لابن حجر جـ٣/١٣٩-١٤١ رقم الترجمة ٣٢١.

٧. شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي جـ٦-٦٤ حسن المحاضرة للسيوطي جـ١-٤٢٣.

٨. البدر الطالع للشوكاني جـ١-٥٠٢. الأعلام للزركلي جـ٥/٣٢-٣٣. معجم المؤلفين تأليف عمر رضا كحالة جـ٧-٢٦٢ طبعة مطبعة الترقي ١٣٨٧هـ.



الباب الثاني

دراسة الكتاب

ويتكون من ستة فصول:

الفصـــل الأول : الاستغاثة وأقسامها.

الفصـــل الثاني : الكتب المؤلفة في موضوع الاستغاثة

الفصل الثـــالث : تحقيق عنوان الكتاب

الفصل الرابـــع : نسبة الكتاب إلى المؤلف

الفصل الخامس : مصادر المؤلف في الكتاب

الفصل السادس : منهج المؤلف في الكتاب

الفصل الأول

الاستغاثة أقسامها وحكمها*

الاستِغَاثةُ: مصدر، وعند النحاة من أنواع النداء، وتعريفها لغة:أن يطلب من المُنادى الإغاثة لغيره، وهي: طلب الغوث وهو كشف الشدة، كالاستنصار طلب النصر، وكالاستجارة والاستعاذة، فكلها من أنواع الطلب والدعاء لأن الفعل الثلاثي إذا تقدمه السين والتاء دل على طلب الشيء ، والنداء والدعاء بمعنى واحد، وبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة دعاء المستغيث، وينفرد الدعاء الذى هو مطلق الطلب أو السؤال من غير المستغيث. والمستغاث به هو المطلوب منه الغوث، والمستغيث هو الذي يطلب الإغاثة من غيره، ولفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما يستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به.

والفرق بين الاستغاثة والتوسل، أنه في الاستغاثة لايقال استغثت إليك بفلان يافلان أن يفعل بي كذا، وإنما يقال استغثت بفلان أن يفعل بى كذا، وفي التوسل يقال ذلك، كما أن من سأل بشيء أو توسل به لايكون مخاطباً له ولا مستغيثاً به، لأن قول السائل المتوسل أتوسل إليك يا إلهي بفلان إنما هو خطاب لله، لالذلك المتوسل به، بخلاف المستغاث به فإنه مخاطب مسؤول منه الغوث.

أقسام الاستغاثة: وتنقسم الاستغاثة إلى استغاثة مشروعة واستغاثة

---

* للتوسع انظر مقدمة كتاب تلخيص الاستغاثة بتحقيقي ـ قيد الطبع

ممنوعة: **والاستغاثة المشروعة أنواع:**

أولها: الاستغاثة با لله -تعالى-، وهي الاستغاثة المأمور بها في الشرع، فلا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا ا لله -تعالى-، وكل غوث فهو من عنده.

قال تعالى إخباراً عن المؤمنين في استغاثتهم إياه ليلة بدر ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين**﴾[١] **وقد أمر تعالى عباده أن يدعوه** ويستغيثوه، فهو تعالى غياث المستغيثين: ومعناه المدرك لعباده في الشدائد، قال تعالى ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾[٢] عبادتي : أي دعائي

الثاني: **الاستغاثة** بالنبي ﷺ فيما يقدر عليه ويليق بمنصبه وهذا لاينازع فيه مسلم، وهذا النوع جائز أيضا في حق غير النبي ﷺ من عامة المؤمنين وخاصتهم، بل والفجار والكفار أيضا، ومن هذا النوع ماوردت به النصوص من الاستغاثة بالنبي ﷺ يوم القيامة

قال تعالى ﴿ **فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه**﴾[٣].فهذه الاستغاثه في ما يقدر عليه موسى ـ عليه السلام ـ وهذا لا ينافي كمال التوحيد.

١-سورة الأنفال ، الآية : ٩

٢-سورة غافر ، الآية : ٦٠

٣-سورة القصص ، الآية : ١٥

وقد غلط بعض الغلاة فسوى بين حياة النبي ﷺ وموته، وأثبتوا له بعد موته حياة حقيقية كحياته ﷺ في الحياة الدنيا، وأن الشهداء أحياء في قبورهم وحياة الأنبياء أكمل، وبناء على هذا أجازوا الاستغاثة بالنبي ﷺ حياً وميتا.

ولم يعلموا أن حياته ﷺ -بأبي هو وأمي- حياة برزخية، وهذه الحياة البرزخية من الغيب الذى أخبرنا الله به، ولم نعلم حقيقتها وكنهها ، فوجب علينا الإيمان بحياة الأنبياء على هذا الأساس مع الجزم باختلافها عن الحياة الدنيا، ولو أريد أن حياتهم كحياتهم في الدنيا لاقتضت جميع لوازمها من أعمال، وتكليف، وعبادة، ونطق وغير ذلك[1].

وأما الاستغاثة الممنوعة فهي أقسام أيضا:

الأول: الاستغاثة بالنبي أو الرجل الصالح الحيين الشاهدين الحاضرين فيما لايقدر عليه إلا الله -تعالى-؛ مثل غفران الذنوب وهداية القلوب، وشفاء المرض، والرزق والنصر على الأعداء، وغير ذلك مما لايقدر عليه إلا الله -تعالى-، وهذه الاستغاثة من الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة، وهذا شرك العرب في الجاهلية.

إلا أن هؤلاء قد يزيدون على شرك العرب في الجاهلية، أنهم يشركون أيضا في توحيد الربوبية الذى أقر به مشركو العرب، الذين

١-انظر : حياة الأنبياء بعد وفاتهم لأبي بكر البيهقي تحقيق د. أحمد الغامدي ص٣٢ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر مكتبة العلوم والحكمة المدينة المنورة - السعودية.

أقروا بأن الله خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم، أما هؤلاء الغلاة فمنهم من لايقبل الرزق إلا من شيوخهم.

وأيضا فإن مشركي العرب يخلصون لله في الشدائد وهؤلاء الغلاة يزدادون شركاً في الشدائد ولا حول ولا قوة إلا با لله.

الثاني: الاستغاثة بالميت سواء كان نبياً أو غير نبي، وحجتهم في ذلك تسويتهم بين حياة النبي ﷺ ومماته، كما سبق بيانه، واعتقاد بعضهم في شيوخهم أن لهم تصرفاً في الكون بعد الممات، أو حكايات مكذوبة لسدنة القبور ليأكلوا بها أموال الناس بالباطل.

الثالث: الاستغاثة بالنبي ﷺ والرجل الصالح في حال غيبته، وهذا أيضا لايجوز، فإنه لايسمع الاستغاثة ولا يعلم الغيب، وعمدة القائلين بجوازها حكايات لاتصح، فضلاً عن أن تكون دليلاً في الدين، منها: أن أحدهم استغاث با لله فلم يغثه، فاستغاث بالنبي ﷺ أو الشيخ الفلاني فأغاثه، وفرج كربته.

وقد تتمثل الشياطين بالمستغاث به إمعانا في إضلال المستغيثين بهم، وتُحْضِر لهم بعض مطالبهم، وحصول مطالبهم لايجعل هذه الأسباب مباحة، فإنه ليس كل ماكان سبباً كونيا يجوز تعاطيه ولو كان نافعا.

فهذه أقسام الاستغاثة ، عرف المسلمون الاستغاثة المشروعة ، و لم يعرف القبورية إلا الاستغاثة الممنوعة ، وجعلوها أصل دينهم .

الفصل الثاني

الكتب المؤلفة في موضوع الاستغاثة

كلام الأئمة المتقدمين في مسألة الاستغاثة بالمخلوقين قليل، فهي مسألة واضحةٌ ناصعة لا لبس فيها، ولا تحتاج إلى بيان ، «فإن آيات القرآن الكريم ناطقة بحظر دعاء كل أحد، لامن الأحياء، ولا من الأموات سواء كانوا أنبياء أو صالحين، أو غيرهم ، وسواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو بغيرها، فإن الأمور غير المقدوره للعباد لاتطلب إلا من الله خالق القدر ومنشئ البشر»[١].

«ومن المعلوم أيضا أن الدعاء عبادة من أجل العبادات، بل هو أكرمها على الله ...... فإن لم يكن الإشراك فيه شركا؛ فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك؛ فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركا من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ»[٢].

ولذلك كانت ترد هذه القضية عرضا؛ في تفسير آية من الكتاب العزيز، أو نقل خبر عن المصطفى ﷺ أو عن الصحابة رضى الله عنهم، أو قصص من أخبار التابعين والسلف الصالح.

ولذا قلما يفردونها في مصنف خاص، أو يتكلمون في حكمها وأنواعها وما لايجوز صرفه لغير الله، وما يجوز الاستغاثة فيه بغير الله مما

١-انظر فتح البيان تتمة منهاج التأسيس ص٣٤٧ نقلاً عن دعاوى المناوئين ص٢٧٣.

٢-تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص٢١٧ عناية عبدالله حجاج الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشر مكتبة التراث الإسلامي ـ القاهرة.

يقدر عليه البشر، لشدة وضوحها ومعرفة الناس بها.

وقد شهد بهذا أحد القبورية وهو محمد بن موسى النعمان المالكي (ت٦٨٣هـ) فقال: «أما بعد فإنه سبق جماعة من العلماء الأعلام إلى جمع أخبار من استغاث بالله -تعالى- .. فقصدت أن أذكر ماوقع لي ممن استغاث بالنبيﷺ، ولاذ به في شدته»[١].

لهذا فالكتب التي تعرضت لموضوع الاستغاثة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الكتب المؤلفة في الاستغاثة بالله -تعالى-، وهي ماكانت على الإسلام الصحيح الذي لم يعرف بدعة القبورية.

والقسم الثاني: الانحراف في مسألة الاستغاثة بالمقبورين.

والقسم الثالث: ردود أهل السنة والجماعة على هذا الانحراف وبيان حكم الاستغاثة بغير الله . وإليك هذه الأقسام بشيء من التفصيل.

القسم الأول: الكتب المؤلفة في الاستغاثة بالله -تعالى-:

لم يصنف السلف هذه الكتب ليوضحوا القضية ، أو يبينوا حكمها ، أو يردوا بدعة القبوريه ، فهي قضية واضحة لا لبس فيها ، أوضحها القرآن الكريم، وأبانها رسول الله ﷺ ، ولم تعرف الأمة بعد بدعة القبورية حتى تردها ، بل لعله لم يتوقع أحد منهم وقوع الاستغاثة بالأموات في هذه الأمة .

فهذه المؤلفات لجمع الأخبار في هذا الباب ، وكانت تحكى حال الأمة في اللجوء إلى الله تعالى عند الكرب والشدة ، ورجائه ودعائه

١-مصباح الظلام - مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مصور عن شستربتى رقم ٣٦٧٧ ص١/ بترقيمي.

وحده ، لايلجئون لنبي ولا لملك من الملائكة ولا لرجل من الصالحين .

قال القاضي التنوخي: <<فإني لما رأيت أبناء الدنيا متقلبين فيها بين خير وشر ، ونفع وضر ،ولم أرلهم في أيام الرخاء ، أنفع من الشكر والثناء ، ولا في أيام المحنة والبلاء أنجع من الصبر والدعاء ، .... وجدت من أقوى مايفزع إليه ، من أناخ الدهر بمكروهه عليه ، قراءة الأخبار التي تنبيء عن تفضيل الله ـ عز وجل ـ على من حصل قبله في محصله ، ونزل به مثل بلائه ومعضله ، بما أتاحه الله ــ تعالى ــ له من صنيع أسهل الأرزاق ، ومعونه حل بها من الخناق ، ..... فإن معرفة الممتحن بذلك تشيحذ بصيرته للصبر ، وتقويه عزيمته على التسليم لله مالك كل أمر ، والتفويض إلى من بيده ملك النواصي ، وإذا علم الله ـ سبحانه وهو علام الغيوب ـ من عبده الممتحن المبتلى صدق اللجوء إليه ، وانقطاع أمله إلا من عنده ، لم يكله إلى سعيه وجهده ، ولم يرض له باحتماله وطوقه ، ولم يخله من عنايته ورفقه ....>> (١)

وهذه القصص التي ذكروها البعض منها في القرآن الكريم ، والبعض الآخر في السنة النبوية ، ومنها ما ورد عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

من المؤلفات في هذا القسم :

١- " الفرج بعد الشدة والضيق " لأبي الحسن علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥هـ)

١-الفرج بعد الشده ج١/ ٥-٦ الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ الناشر مكتبة الخانجي ـ مصر ، والمثنى ببغداد .

٢-" الفرج بعد الشدة " لأبي بكر بن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ) .

٣-" مجابو الدعوة " لأبي بكر بن أبي الدنيا أيضاً.

٤-" الفرج بعد الشدة " للقاضي أبي علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي (ت٣٨٤هـ) وهذا الكتاب أجمع الكتب السابقة وأوسعها ،وله مختصرات كثيرة منها: مختصر لطف الله بن حسن التوقاني .

٥-كتاب " المستصرخين بالله " للقاضي (بهاء الدين أبي الوليد) يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن الصفار القرطبي (ت سنة ٤٢٩هـ) وصف الذهبي كتبه: "بأنها نافعة " [١].

٦-كتاب " المستغيثين بالله -تعالى- عند المهمات والحاجات والمتضرعين إليه سبحانه بالرغبات والدعوات، وما يسر الله -الكريم- لهم من الإجابات والكرامات" تأليف الإمام الحافظ (أبي القاسم) خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال (ت سنة ٥٧٨هـ) وقد نقل في كتابه من مصنفات ابن أبي الدنيا مثل " الفرج بعد الشدة" "وكتاب " المستصرخين بالله " والدعاء" لابن أبي حاتم،"والأخبار " للطحاوي " ومن عرف بالإجابة " للقصرى غيرها، جمعه بدون تمحيص وتدقيق، فجمع بين الغث والسمين[٢].

١-انظر سير أعلام النبلاء تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط جـ١٧/٥٦٩-٥٧٠ رقم الترجمة ٣٧٥ الطبعة السادسة ١٤٠٩ه الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، ومصباح الظلام ص٢ مخطوط، والأعلام للزركلي جـ٨/٢٦٢.

٢-انظر مقدمة كتاب المستغيثين ص٧ ضبط نصه غنيم عباس غنيم الناشر دار المشكاة - القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ والسير للذهبي جـ٢١/١٣٩ رقم الترجمة ٧١.، وما ذكر من مصادر هذا الكتاب تعرضت للاستغاثة بالله.

وقد ذكر فيه الآيات والآثار التي ورد فيها لفظ الاستغاثة، وبعض قصص من استغاثوا با لله فأغاثهم.

٧-" العدة للكرب والشدة " جمع أبي عبد ا لله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ) (١).

٨- " الفرج بعد الشدة والضيقة " تأليف الشريف إبراهيم بن عبد ا لله الحازمي.

وأما ماورد عرضاً فكثير جداً، فلا يكاد يخلو كتاب حديث أو تفسير من ذكر الاستغاثة با لله(٢).

القسم الثاني: الانحراف في مسألة الاستغاثة:

١-طُبع بتحقيق/ ياسر إبراهيم ، الناشر دار المشكاة - القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢-يضاف إلى هذه الكتب ، أن جميع من آلف الدعاء: بابا في كتاب ،أو كتاباً مفرداً ، كلهم يبين أن الدعاء بجميع أنواعه يجب اخلاصه لله -تعالى-كتب منها :
الدعاء لمحمد بن الفضيل الضبي الكوفي (ت١٩٥هـ)، والدعاء لأبي داود السجستاني (ت٢٧٥هـ) صاحب السنن، والدعاء لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، والدعاء لابن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ)، والدعاء لأبي عبدا لله ابن فطيس الأندلسي (ت٣١٩هـ) والدعاء لأبي عبدا لله المحاملي (ت٣٣٠هـ) والدعاء للطبراني(ت٣٦٠هـ)، والدعاء لابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٩هـ) وشأن الدعاء للخطابي (ت ٣٨٨هـ) ، والدعوات لجعفرين محمد بن المعتز المستغفري (ت ٤٣٢هـ)والدعوات الكبير للبيهقي (ت ٤٥٨ هـ) .
فهذه بعض كتب المتقدمين، وأما المتأخرون فلا يحصيهم إلا ا لله، وانظر كتب الدعاء في الصحاح كصحيح البخاري ومسلم، والسنن وغيرها .

تعتبر الاستغاثة بالأموات من أهم عقائد القبورية، فهي الغاية التي لاغاية وراءها، والمقصد الأسمى، فهم يثبتون أن الأموات يعلمون الغيب؛ وأن لهم التصرف المطلق في الكائنات، وأنهم أحياء في قبورهم حياة كحياتنا ؛ وأنهم يسمعون نداء المستغيثين بهم، كل ذلك ليجوزوا الاستغاثة بهم، ولذا قال بعض العلماء: «الاستغاثة بالأموات أم الشركيات»(١).

لذلك أهتم القبورية بهذه المسألة، وأولوها عنايتهم، وألفوا فيها المؤلفات عرضا وردا، وحسب ماوصل إلينا، وحسب ادعاء ابن النعمان في كتابه "مصباح الظلام"، فهو يعتبر أول كتاب في هذا الانحراف ، أي في القرن السابع الهجري.

ومن المعلوم أن بدع القبور ظهرت في آخر القرن الثالث الهجري، في عهد الدولة البويهية الرافضية، فهذه البدعة بدأت متقدمة عند الرافضة، لأن أصل دينهم قائم على عبادة الأئمة، وقد تسربت فيما بعد إلى بعض المنتسبين إلى السنة.

لذا لن أذكر كتب الرافضة في هذه المسألة لأنها كثيرة، وسأقتصر على كتب القبورية فقط :

١-" مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام " تأليف (شمس الدين أبو عبد الله) محمد بن موسى بن النعمان المراكشي

١-انظر: جهود علماء الحنفية جـ٢/١٠٤٩.

المزالي التلمساني الفاسي (ت سنة ٦٨٣هـ) [١].

وحسب علمي لم يطبع، وقد حصلت على نسخه خطية منه من قسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مصورة من مخطوط في مكتبة شستربتي رقم (٣٦٧٧)، وغاية كاتبه جمع أخبار من استغاث بالنبي ﷺ ولاذ به في شدته وتوسل إلى ا لله به[٢]، وحسب ماوصل إلينا فهو أول كتاب يذكر الاستغاثة بالنبي ﷺ من دون ا لله -عز وجل-، وإن كان أقل ضلالاً ممن جاء بعده.

وقد ذكر أشياء صحيحه مثل أحاديث الشفاعة، وأحاديث معجزات النبي ﷺ في تكثير الماء أو الطعام لكن في غير موضعها.

وذكر أشياء معلوم بطلانها مثل قصة مالك مع المنصور، وقصة العتبي؛ يظن أنها صحيحة. وهو كما وصفه ابن تيمية " وغاية ماذكره نقل

١-انظر : الأعلام للزركلي جـ١١٨/٧ ومعجم المؤلفين جـ٦٨/١٢ طبعة الترقي بدمشق ١٣٨٠هـ، والمنخل لغربلة خرافات ابن الحاج في المدخل تأليف د.محمد الخميس ص٢٢-٢٣ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشر دار الصميعي الرياض - السعودية.

وفي كشف الظنون جـ١٧٠٦/٢ نسب هذا الكتاب لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (ت ٦٣٤هـ) وهذه النسبة لاتصح لإنه إمام محدث، وقد ذكر مترجموه أن له كتاب "مصباح الظلام وأنه على غرار "الشهاب" في الحديث، فلعله اشتبه على صاحب كشف الظنون.

انظر : جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية تأليف شمس الدين الأفغاني جـ١٠٥٠/٢ الأولى١٤١٦هـ.

٢-انظر ص٢ من المخطوط.

غير مصدق عن قائل غير معصوم" (١).

وهو قدوة لكل قبوري جاء بعده، فقد نقل منه البكري في رده على ابن تيمية(٢)، ونقل منه النبهاني في " شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق" (٣).

٢-كتاب البكري (ت٧٢٤هـ) في الرد على ابن تيمية و لم يصل إلينا سوى ماأورده ابن تيمية للرد عليه في كتابنا هذا، و لم تذكر لنا مصادر ترجمة البكري أي شئ عنه، وهو رد على فتوى في حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ لابن تيمية قال ابن تيمية: «وقد ذهب إليه الجوابِ ووقف عليه، وزعم أنه يرد عليه، فافترى على المجيب»(٤).

وقد ذهب البكري في جوابه إلى جواز الاستغاثة بالنبي والرجل الصالح، بل كفر من أنكرها، وجعلها من صفات الكمال للنبي ﷺ التي يكفر من أنكرها.

٣-"شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق" تأليف يوسف بن إسماعيل النبهاني رئيس محكمة الحقوق ببيروت (ت سنة ١٣٥٠هـ)(٥) وقد

١-انظر ص٥٨٩.

٢-انظر ص٣٧٠.

٣-ص٢٤٢ الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ الناشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر.

٤-انظر ص٣٠٢.

٥-وقد طبع الكتاب طبعتين، الأولى طبعة دار الفكر بيروت ١٣٥٠هـ، والثانية عام ١٣٧٤هـ في مجلد

حمل فيه على شيخ الإسلام ابـن تيميـة، وأجـاز الاستغاثة بـالنبي ﷺ والصالحين والأولياء. وهو وا لله شواهد الضلال.

٤-"الإغاثة بأدلة الاستغاثة بالنبي ﷺ " تـأليف حسـن بـن علـي السـقاف -هداه ا لله- قال فيه بالاستغاثة بالنبي ﷺ، وجعـل عمدتـه أدلـة حيـاة النبي ﷺ [1].

٥-"نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف للأوليـاء بعـد الانتقـال" تأليف شهاب الدين أبي العباس الحموي الحنفي (ت١٠٩٨هـ).

٦-"تحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء" تـأليف عبـد ا لله بن إبراهيم الميرغني (ت ١٢٠٧هـ).

٧-" أنوار الانتباه بحل النداء بيارسول ا لله" تأليف أحمد رضـا الأفغـاني إمـام البريلويـة (ت١٣٤٠هـ) ولـه كتابـان آخـران همـا: "بركـات الاستمداد" و"حدائق بخشش" يعني حدائق الهبـات، كلـه استغاثات بالأموات[2].

وأما عقد القبورية الأبواب والفصول في كتبهم للاستغاثة بالأموات؛ فكثيرة جداً[3].

١- الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ الناشر مكتبة الإمام النووي عمان الأردن

٢-انظر : جهود علماء الحنفية جـ٢/١٠٥٢.

٣-انظر على سبيل المثال "شفاء السقام" للسبكي الباب الثامن في التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبيﷺ، ص١١٣ ط بولاق، والتركية، وص١٦٠ ط لجنة التراث ببـيروت، نقلا عن جهود علماء الحنفية جـ٢/١٠٥٣، وفي طبعة دار الآفاق الجديـدة بـيروت- لبنان الطبعة الثانية ١٩٧٨ ص١٦ حُرف عنوان الباب إلى الاستعانة بدل الاستغاثة،

....

وما ذاك إلا محاولة للتهرب من القول بهذه العقيدة الشركية، التى هي أم الشركيات ، ولا غرابة فقد حرفوا كلام ا لله ورسوله فأئمتهم من باب أولى.

و"غوث العباد" للحمامي ص٢١١ طبعة الديوبندية، "والتوسل" لابن مرزوق ص١٨٥ الباب الثامن، "وحجة ا لله على العاملين" الباب الثاني جـ٢/٧٨٥.

و " حقيقة التوسل والوسيلة في ضوء الكتاب والسنة " لموسى محمد علي الباب الثاني الفصل الأول ص١٣٧ وما بعدها والثاني ص١٥٥-١٧٥.

و" التوسل " لمحمد حسنين مخلوف ص٧٣، و"النقول الشرعية" للشطي ص١٠٦ و"مصباح الأنام وجلاء الظلام.في رد شبه البدعي النجدي التى أضل بها العوام" لعلوى أحمد الحداد ط المطبعة العامرة الشرفية مصره ١٣٢٥هـ ص٢٦، و"فصل الخطاب في ضلالات ابن عبدالوهاب" للقباني ق٦٠ خ ، " والفجر الصادق " لجميل الزهاوي ص٤٠ ط مكتبة المليجي مصر ١٣٢٣هـ وغيرها كثير، وغالب من رد على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هذا الصنف مثل: ابن عفالق، وعبدا لله بن داود الزبيري والكوكباني، وابن جرجيس، ومصطفى الدجوى، وشيخ الكذب زينى دحلان.

وللتوسع انظر: جهود علماء الحنفية جـ٢/١٠٥٤، ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص٣٤٧.

علماً أن بعض هؤلاء القبورية قد يسمى الاستغاثة توسلاً أو استمداد أو نداء أو غير ذلك. أما الرافضة فلم أذكر شيئا عنهم هنا فأصل دينهم هذا الشرك الأكبر ، وهم أول من أحدث هذا الشرك الصراح في الأمة الإسلامية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الأخنائي ص٤٨ (بهامش تلخيص الاستغاثة) «وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التى على القبور أهل البدع من الروافض ونحوهم الذين يعطلون المساجد ، يعظمون المشاهد التى يشرك فيها ويكذب فيها ويبتدع فيها دين لم ينزل ا لله به سلطانا» . ومنهم سرى هذا البلاء إلى الطرق الصوفية، فالناس عيال عليهم في هذا الشرك.

القسم الثالث : ردود أهل السنة والجماعة :

لما انتشر ضلال القبورية، انتدب للرد عليهم علماء السنة في كل زمان، وقد افردوا هذه القضية في مؤلفات مثل:

١-"الاستغاثة في بالرد على البكري" لابن تيمية وهو كتابنا هذا، وفيه رد ابن تيمية على البكري.

٢-"غاية الأماني في الرد على النبهاني" للعلامة أبي المعالي محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ) ويقع في مجلدين ، رد فيه على شواهد الحق للنبهاني، وطبع في عصر المؤلف ولم يذكر عليه اسم المؤلف الصريح خوفاً من كبار الصوفية المتنفذين في الدولة العثمانية، وطبع ثانية باسم المؤلف ولم يذكر تاريخ الطبعة[1].

٣-"الرد على شبهات المستغيثين بغير الله" تأليف الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى طبع ضمن الجامع الفريد[2]، وهو رد على

انظر على سبيل المثال: بحار الأنوار ٢٢/٩٤ وما بعدها ، نقلاً عن أصول مذهب الشيعة جـ٢/٤٤٩، وفقد خصصوا لكل إمام وظيفة، فأحدهم للنجاة من السلاطين، وآخر للآخرة، وثالث للعافية وهكذا.

ولا يغرنك هذا الغثاء، قال تعالى ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض﴾[سورة الرعد:١٧].

١-وقد رد على النبهاني غيره مثل: الشيخ أحمد بن عيسى في "تهديم المباني في الرد على النبهاني"، وعبدالعزيز السويح في قصيدة في الرد على يوسف النبهاني (خ) دارة الملك عبدالعزيز رقم ٢٤٥.

٢-الطبعة الثانية ص ٥٣٥ على نفقة عبدالعزيز ومحمد الجميح طبعة مكتبة ابن تيمية القاهرة - مصر.

صاحب كتاب "أنموذج الحقائق" في الاستغاثة وغيرها.

٤-"رسالة في حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد" تأليف الشيخ محمد بن سلطان المعصومي الحنفي (ت ١٣٧٩هـ) [١].وهي عبارة عن جواب عن سؤال من طلبة تركستان، أطال النقل فيها من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية.

٥-"حكم من استغاث بغير الله" تأليف العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية[٢]. وهي تعليق على أبيات نشرت في ذكرى المولد النبوي الشريف تضمنت الاستغاثة بالنبي ﷺ.

وأما عقد أهل السنة الفصول والأبواب في الرد على القبورية في استغاثتهم بالأموات فكثيرة جداً، لايتيسر حصرها[٣].

١-طبعت ثلاث طبعات الأولى بمصر، والثانية بالباكستان وهي طبعة حجرية، والطبعة الثالثة بعناية وتقديم د.محمد الخُميس عام ١٤١٤هـ الناشر دار العاصمة الرياض.

٢-طبعت مستقلة، وضمن مجموع فتاوى الشيخ جـ١/١٠٨-١١٥ طبعة مكتبة المعارف - الرياض ١٤١٣هـ.

٣- الأئمة المتقدمون كلامهم قليل في هذه المسألة ، لإنها لم تنتشر وتعرف في زمنهم ، وأما من عُرفت هذه البدعة في عصره فكتبهم طافحة ببيان التوحيد، ورد مايضاده، ومن أهم مايضاده الاستغاثة بالأموات ، منهم : شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)وابن القيم(ت٧٥١هـ)وابن كثير(ت٧٧٣ هـ) وابن أبي العز الحنفي

....

(ت٧٩٢هـ)،، والشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت١٢٠٦هـ)، وأئمة الدعوة السلفية في نجد، والشوكاني والأمير الصنعاني ومحمد رشيد رضا(ت١٩٣٥م)، ومحمد سلطان المعصومي (ت١٣٧٩هـ) وصنع الله الحلبي (ت١١٢٠هـ)، والشيخ ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ) والأسرة الألوسية، والسهسواني الهندي، ومبارك الميلي الجزائري، وعبدالظاهر أبو السمح والشيخ ناصر الدين الألباني وتلاميذه وغيرهم ممن لايحصيهم إلا الله، وقد يكون غيرهم أولى بالذكر ولكن هذا الذى حضرني فهؤلاء جميعا كتبهم طافحة ببيان التوحيد، ورد هذه البدعة الشركية التى هي أم الشركيات "الاستغاثة بالأموات". وإليك أسماء بعض الكتب :

"إغاثة اللهفان " لابن القيم جـ٢/٣٢١، وكتاب "التوحيد الذى هو حق على العبيد " للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ص٦٥ باب من الشرك أن يستغيث بغير الله ويدعو غيره ، تحقيق محمد عفيفي الطبعة الأولى ١٤١١هـ وشروحه " تيسر العزيز الحميد " للشيخ سليمان بن عبدالله "وفتح المجيد" ص١٢٨ "وقرة عيون الموحدين " للشيخ عبدالرحمن بن حسن تحقيق بشير عيون ص٨٣ "والقول المفيد على كتاب التوحيد" شرح فضيلة الشيخ محمد العثيمين عناية د.سليمان أباالخيل ود.خالد المشيقح جـ١/٢٦١.وما بعدها، "والدين الخالص " تأليف محمد صديق حسن خان جـ٢/١٧٦-١٧٧،٢٧٠-٢٧٢،٣٠٦،٣٠٧، "وتطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد" للأمير الصنعاني ص٢٧-٣٠، "والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" للشوكاني تحقيق أبو عبدالله الحلبي ص٩-١٥، "ومنهج الإمام الشوكاني في العقيدة " تأليف عبدالله نومسوك ص٤٩٣ وما بعدها، "وشفاء الصدور في زيارة القبور" تأليف مرعى الحنبلي ص١٢٩-١٧٢، "والديوبندية " تأليف سيد طالب ص٦٩-٨٦، "وأصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية " د.ناصر القفاري جـ٢/٤٤٩ ومابعدها،٤٩٤-٤٩٧، "ورسالة الشرك ومظاهره " تأليف مبارك الميلي ص١٩٥ وما بعدها، "وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية " تأليفد.شمس الدين السلفي الأفغاني جـ٢/١٠٤٧ وما بعدها ، " ودعوة التوحيد" تأليف د.محمد خليل هراس ص٥٥،

....

"والحماسة الدينية في الرد على بعض الصوفية " تأليف حسن عبدالرحمن السنى البحيرى عناية د.محمد الخميس ص٥١ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار العاصمة بالرياض، وغيرهم كثير.

الفصل الثالث

تحقيق عنوان الكتاب

عُرف الكتاب بعنوانين:

أولهما: كتاب "الاستغاثة" ويضيف بعضهم المعروف "بالرد على البكري" أو في "الرد على البكري".

وقد جاء هذا الاسم على طرة جميع النسخ التي حصلت عليها، وهي: نسخة جامعة أم القرى وقد جعلتها الأصل؛ ونسخة الإفتاء ورمزها (ف) ومنها نسخة في مكتبة جامعة الملك سعود، ونصهما "كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية راداً به على ابن البكري"، ونسخة دارة الملك عبد العزيز بالرياض رقم ٧٣٩ ورمزها(د) ونصها "كتاب الاستغاثة الشهير بالرد على البكري" وأصلها محفوظ بمكتبة الملك عبد العزيز بجدة برقم٢٨٨٦، ونسخة المعهد العلمي بحائل رقم ٣٩ ضمن مجموع ورمزها (ح) ونصها "كتاب الاستغاثة"، وفي قطعة من الكتاب المحفوظة في مكتبة الدولة ببرلين (قال أبو العباس -رحمه الله- في "كتاب الاستغاثة في الرد على البكري").

وبهذا الاسم ذكره الصفدي في "فوات الوفيات"[1] ونصه "وكتاب في الاستغاثة"، والعلامة عبدالرحمن بن حسن في كتابه

١- انظر شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين جمع د. صلاح الدين المنجد ص٦٤.

"كشف ماألقاه إبليس من البهرج والتلبيس"[١] ونصه: «وقال -رحمه الله- (أي شيخ الإسلام) في "كتاب الاستغاثة في الرد على البكري"»، وسماه بهذا الاسم أيضا الشيخ أحمد بن عيسى في كتابه "الرد على شبهات المستغيثين بغير الله"[٢]. والعلامة محمود شكري الألوسي في غاية الأماني ونصه: «قال -رحمه الله- في "كتاب الاستغاثة الذي رد به على البكري"»[٣]. وأيضا سماه بهذا الاسم محمد الشيباني في كتابه "أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية"[٤] والدكتور عبدالرحمن المحمود في كتابه "موقف ابن تيمية من الأشاعرة"[٥] ونصه "والرد على البكري المعروف بالاستغاثة" والأخ علي الشبل في "مقدمة مسألة في الكنائس لشيخ الإسلام ابن تيمية"[٦] ونصه "الاستغاثة والرد على البكري".

العنوان الثاني: الرد على البكري في الاستغاثة.

وقد ذكره بهذا الاسم ابن القيم في أسماء مؤلفات ابن تيمية[٧]

١-ص٢٠٥ تحقيق عبدالعزيز الزير آل حمد النشرة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

٢-ص٥٣٩ ضمن مجموع الجامع الفريد الطبعة الثانية.

٣-غاية الأماني في الرد على النبهاني جـ١/٣٠.

٤-ص٤٤ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة ابن تيمية - الكويت.

٥-جـ١/٢١١.

٦- ص٢٦.

٧-ص١٩ تحقيق د.صلاح الدين المنجد الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.

ونصه "كتاب في الرد على البكري في الاستغاثة" في مجلد.

وابن عبد الهادي في العقود الدرية[1] ونصه: "وكتاب الرد على البكري في الاستغاثة" مجلد. ولكن يظهر أن ابن القيم لم يجزم بهذا العنوان، وإنما ذكر موضوع الكتاب، فعلى سبيل المثال عندما جزم بعناوين كتب أخرى للشيخ قال مثلا: كتاب الإيمان وكتاب الاستقامة ، وقد ذكره بهذا العنوان أيضا عبد العزيز الزير آل حمد في حاشية كتاب "كشف ماألقاه إبليس من البهرج والتلبيس" للشيخ عبدالرحمن بن حسن[2].

كما ورد هذا العنوان أو قريب منه على طرة مخطوطتين لاقيمة لهما وهما:

الأولى بعنوان: خلاصة رد ابن تيمية على البكري في الاستغاثة والمحفوظة في خزانة المكتبة التيمورية برقم (٢٨١)، وهي مختصر للكتاب فقد تصرف الناسخ في مواضع كثيرة.

الثانية بعنوان: رد ابن تيمية على مارد عليه ابن يعقوب البكري في مسألة الاستغاثة. والمحفوظة في خزانة المكتبة التيمورية أيضا برقم ٤٠٥ وهي قطعة من تلخيص الكتاب، وليس فيها من نص الكتاب شئ.

مما سبق يتبين أنه قد جاء عنوانان للكتاب، وهما متفقان مضمونا، ولم أجد المؤلف ذكر عنواناً لهذا الكتاب حتى يقطع النزاع.

ويتبين أيضا أن العنوان الأول وهو: "كتاب الاستغاثة" ورد في

١-ص١٩ تحقيق محمد حامد الفقي طبعة مطبعة حجازى بالقاهرة عام ١٣٥٦هـ.

٢-انظر حاشية ص١٦٢ والصفحات من ٢٧٠-٣٣٤ النشرة الأولى ١٤١٥هـ.

جميع النسخ، الخطية وعند أكثر المترجمين لمؤلفه، غير أنهم أضافوا جملة "المعروف بالرد على البكري" أو "في الرد على البكري" تميزا للكتاب عن رسالة المؤلف المعروفة بالاسم نفسه، وتعريفاً بموضوع الكتاب، وقد عرف الكتاب واشتهر بعنوان: "كتاب الاستغاثة في الرد على البكري".

وللأسف الشديد فإن طبعة ١٣٤٦هـ فيها خطأ كبير في عنوان الكتاب كما سبقت الإشارة إليه [١].

١-انظر ص١٤

الفصل الرابع

نسبة الكتاب إلى المؤلف

تثبت نسبة الكتاب إلى مؤلفه، بأدلة كثيرة مشهورة، منها:

أولا: ماجاء على النسخ الخطية للكتاب من نسبة الكتاب إلى مؤلفه شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية.

ثانياً: قد نص على نسبته إلى المؤلف الإمام ابن القيم في كتابه أسماء مؤلفات ابن تيمية[١]، والصفدي في فوات الوفيات[٢]، وابن عبد الهادي في العقود الدرية[٣] وغيرهم ممن سبق ذكرهم.

ثالثاً: أحال ابن تيمية في هذا الكتاب إلى بعض كتبه الأخرى؛ مثل كتاب "الصارم المسلول على شاتم الرسول" فقد أشار إليه في عدة مواضع وسماه باسمه، ونقل من الصارم ونقل منه البكري أيضا[٤].

رابعاً: ماجاء في آخر المخطوطات من قول النساخ: «هذا آخر ماوجدت من كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية»[٥].

خامساً: النقول الكثيرة من الكتاب، والتي نسبوا فيها الكتاب لمؤلفه.

١-ص١٩.

٢-انظر شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره ص٦٤.

٣-ص٣٧.

٤-ص ٤٠٨ ، ٥٩٢ ، ٦٠١ .

٥-انظر ص٦٥٥.



الفصل الخامس

مصادر المؤلف في الكتاب

جمع الله لشيخ الإسلام ابن تيمية من الحفظ والذكاء وقوة الذاكرة وكثرة الاطلاع مايفوق الوصف، ولذلك كتبت بعض البحوث العلمية في مصادر المؤلف[١].

أذكر هنا أهم مصادر ابن تيمية في هذا الكتاب بعد القرآن الكريم وسنة النبيﷺ، فإنه لاتكاد تخلو صفحة من آية أو حديث أو عدة آيات وأحاديث.

أما المصادر الأخرى فمنها:

١ـ"كتاب البكري" في الرد على ابن تيمية، المردود عليه في هذا الكتاب، ولم يصل إلينا منه شئ، سوى ماذكره ابن تيمية في ثنايا هذا الكتاب، فهو يذكر كلام البكري بنصه ثم يرد عليه، وبذلك وصل إلينا أهم موضوعات كتاب البكري ويمثل قطعة كبيرة منه.

٢ـ"رسالة الاستغاثة" لابن تيمية، وهي فتواه التي كانت سبباً في رد البكري ثم رد ابن تيمية عليه، وقد نقلها المؤلف في هذا الكتاب سوى أسطر قليلة[٢].

١-انظر مصادر ابن تيمية ومنهجه في تحليلها تأليف د.رزق الشامي بحث منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية - القاهرة المجلد ٣٨ الجزآن ١، ٢ رجب ١٤١٤هـ.

٢-انظر ص ٢٨٨.

٣- كتاب "الصارم المسلول على شاتم الرسول" للمؤلف أيضا، وقد أكثر من الإحالة عليه لوحدة الموضوع، وهي حقوق المصطفى ﷺ، وقد نقل البكري أيضا منه في الرد على مؤلفه قال ابن تيمية: «هذا كله (أي كلام البكري) منقول من كلام المجيب من كتاب الصارم على شاتم الرسول، لكنه أزال بهجته، وحذف من محاسنه مايبين حقيقته»[1]، وعلق الشيخ أحمد بن عيسى على هذا بقوله: «فانظر إلى هذه السذاجة يرد عليه من كتابه»[2].

٤- كتاب "خلق أفعال العباد" للبخاري[3].

٥- "التعرف لمذهب أهل التصوف" لأبي بكر الكلاباذي[4].

٦- "شرح السنة" للبغوي[5].

٧- "طبقات النساك" لأبي سعيد بن الأعرابي[6].

٨- "الاستذكار" لابن عبدالبر[7].

٩- كتاب "المضنون به على غير أهله" لأبي حامد الغزالي، وإن كان

---

[1] -انظر ص٦٠١ وأيضا ص٤٠٨، وص ٥٩٢.

[2] -كتاب تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدارسي والحلبي للشيخ أحمد بن عيسى ص١٥ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر مكتبة لينة دمنهور - مصر.

[3] -انظر ص٢٠٦

[4] -انظر ص٢٠٦

[5] -انظر ص٢٠٦

[6] -انظر ص٦٣٧

[7] -انظر ص٣٤٢

هناك خلاف حول نسبة الكتاب لمؤلفه، إلا أن موضوعاته تشبه مايذكره الغزالي في كتبه الأخرى[١].

١٠-"السر المكتوم في مخاطبة السحر والنجوم" لأبي عمر الرازي وهناك خلاف أيضا حول نسبته إليه، والصواب صحة نسبته إليه[٢].

١١-"مصباح الظلام في المستغيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام" تأليف محمد بن النعمان المزالي المالكي القبوري، وقد أثبت المؤلف نقل البكري من هذا الكتاب، وعلق على موضوعه ومؤلفه[٣].

١٢-كتاب "مناسك حج المشاهد" للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان الرافضي الملقب بالشيخ المفيد [٤].

١٣-قصيدة البردة للبوصيري [٥].

١٤-شعر جمال الدين يحي بن يوسف الصرصري، له شعر في التوسل بالنبي ﷺ[٦].

١٥-"رسائل إخوان الصفا" حيث ذكر مصدرها، وحلل مادتها،

١-انظر ص ٤١٢

٢-انظر ص ٤٨٢

٣-سبق التعليق عليه في ص٦٦.

٤-ص٤٦٦ ولعل اسم الكتاب كاملا "مناسك حج مشاهد الأبرار لمن عنى إليهم من المقيمين والزوار ".

٥-ص٣٠٩

٦-ص ٣٦٩

فهي أصول الصابئة مزجوها بما أخذوه من دين المسلمين(١).

١٦-"الملل والنحل" للشهرستاني(٢).

١٧-"محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين" لأبي عمر فخر الدين الرزاي(٣).

١٨-"المعتبر" لأبي البركات هبة الله بن علي بن ملكا(٤).

١٩-التوراة وقد نقل منها عن خلق العالم(٥).

٢٠-كتاب "الأموال" لأبي عبيد بن سلام(٦).

٢١-"مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" لأبي الحسن الأشعري(٧).

٢٢-رجع المؤلف لبعض الكتب المفقودة اليوم، مثل جزء معاذ بن جبل في المعجم الكبير للطبراني(٨)، وكتاب المبسوط للقاضي إسماعيل بن إسحاق(٩).

١-ص ٤٧٩

٢-انظر ٤٧٨

٣-انظر ص ٤٧٨

٤-انظر ص ٤٢١

٥-انظر ص٤٢٣

٦-انظر ص٥٦٠

٧-انظر ص٣٧٩

٨-ص٢٩٤

٩-ص٣٣٣

٢٣ـ كتب ابن سبعين وابن عربي في الحروف وطبائعها، والدعاء بأسماء ذكروها في أوقات و لم يذكر عناوين تلك الكتب[1].

٢٤ـ نقل المؤلف من كتب الفلاسفة مثل كتب ارسطو وأفلاطون، ومتأخريهم مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد[2].

٢٥ـ كتب الفقه من المذاهب الأربعة، فقد نقل عن الأئمة الأربعة وأتباعهم بعض أقوالهم أو فتاواهم، ولا يذكر المرجع إلا نادراً، مثل منسك الحج الذي نقله المروذي عن الإمام أحمد[3].

٢٦ـ كتب التفسير بعامة مثل: تفسير ابن جرير الطبري[4] وغيره.

٢٧ـ كتب السيرة والتاريخ، فهو ينقل منها الأشعار والأحداث التاريخية، مثل السيرة لابن هشام، تاريخ ابن جرير الطبري، والكتب المؤرخة للفرق ولا يذكرها بأسمائها.

فهذه جملة من مصارد المؤلف، وهي كثيرة جداً، وقد رجع المؤلف إلى كتب طوائف من أهل الضلال كالرافضة والصوفية وقد أطال النقل منها، و لم يذكر أسماء هذه الكتب أو مؤلفيها.

١ـص٤٨٣ وقد ذكرت في الهامش أسماء هذه الكتب.

٢ـانظر ص ٤٩١

٣ـانظر ص٣٦٦

٤ـانظر ص٦٢٠



الفصل السادس

منهج المؤلف في الكتاب

لم يكن هذا الكتاب الرد الوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية، بل له كتب كثيرة في الرد على الخصوم، مثل: " منهاج السنة "، " والجواب الصحيح "، " وبيان تلبيس الجهمية وتأسيس بدعهم الكلامية " ، " والرد على الأخنائي " وغيرها .

وقد سار في هذه الردود على منهج واحد، ولدراسة هذا المنهج نحتاج إلى رسائل لنعطيه حقه[1] ، لذا نقتصر هنا على أهم ميزات منهج ابن تيمية في هذا الكتاب منها:

١- الشمولية في الرد:

قد يظن المطلع على الكتاب من أول وهلة أنه رد على شخص البكري، ولكن من معايشة الكتاب يتبين أنه رد على القبورية، وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية في وصف هذه الطائفة ، فذكر اعتقاداتهم وأقوالهم وأشعارهم وما يحصل من بعضهم، ومناقشاته معهم، وما ذكره بعض الناس له عنهم، في مواضع متعدده.

فيقول عن هذه الطائفة: «ويذكرون حكايات يظنونها صدقا، منها أن أهل الصفة قاتلوا النبي ﷺ مع الكفار لما انهزم»[2].

١-انظر الكلام على منهج ابن تيمية في موقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف د.المحمود جـ١/٢١٨ وما بعدها.

٢-انظر ص٣٧٥

وقد ساعد الشيخ على ذلك؛ سعة إطلاعه على تاريخ الفرق، وبدعهم وتاريخ نشوء كل بدعة، وكتبهم وبلدانهم وكل مايتعلق بهم.

وكان هذا هو منهجه في ردوده الأخرى، لأن المقصود بالرد هم الطوائف لاالأعيان، فرد ابن تيمية على البكري على اعتبار أنه أحد القبورية.

ويتمثل الشمول أيضا في الرد على كل ماذكره البكري وإن لم يكن في موضوع الاستغاثة، يقول ابن تيمية: «ونحن نتكلم على ماذكره وإن لم يختص بمسألتنا لما فيه من تمام الكلام على ماذكره كله»[١].

٢- وضوح الهدف والغاية:

يوضح شيخ الإسلام ابن تيمية الهدف من هذا الكتاب، فيقول: «ثم إن الأصحاب تقاضوني على كلام هذا الظالم الجاهل، لئلا يغتر بكلامه بعض الطغام[٢]، حتى قال لي بعضهم: إن الكلام على هذه المسألة من أفضل الكلام، إذ فيها بيان التوحيد ونفي الشرك عن الصمد المجيد»[٣].

ويبين هدف أهل السنة والجماعة عموماً من الردود على المبتدعه فيقول: «وأهل العلم والإيمان؛ فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون

١-انظر ص٦٣٥

٢-الطغام جمع طغمة وهو الرجل الأحمق. انظر لسان العرب لابن منظور جـ١٢/٣٦٨ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.

٣-تلخيص الاستغاثة ص٤.

الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم ... ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لايقصدون الشر لهم ابتداء؛ بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا»[1].

وفي مقابل ذلك يصف منهج أهل البدعة فيقول: «وهذه الطريقة التي سلكها هذا وأمثاله -يقصد البكري- هي طريقة أهل البدع، الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة؛ مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم»[2].

لذلك نجد رد ابن تيمية خالٍ من التكفير والكذب والتوتر، بينما البكري كفر شيخ الإسلام ابن تيمية وسبه ولعن واتهم النيات، وحمّلَ الكلام ما لم يحتمل.

٣- ثبات المنهج والثقة به:

وحدة منهج شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وثقته بما عنده من الحق المبني على الكتاب والسنة وأقوال السلف؛ بارزة في جميع ما كتب.

وعلى هذا نجد هذا الكتاب على وتيرة واحدة، فهو يصف الخصم بالجهل والظلم ولا يكفره، وإن كان يشتد عليه أحيانا، إلا أنه

---

١ -انظر ص٣٨١

٢ -انظر ص٣٧٨.

لايخرج عن حدود الشرع، ويستدل على كل مسألة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف الصالح.

بينما البكري يصف الشيخ مرة بالإلحاد[١] ومرة بالزندقة والكفر[٢]،ويستشهد بأقوال القبورية أمثاله.

كما نجد هذا الكتاب مشبعاً بروح الثقة وبسلامة المنهج، وعدالة القضية، وموافقته للكتاب والسنة، ومخالفة خصمه لهما، فيقول: «وقد طاف -أي البكري- بجوابه على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبته فما خالفوه»[٣].

وينقل ابن تيمية رد شيخ البكري عليه فيقول: «وقد كفانا شيخه وغيره من الناس، فبينوا ضلاله وجهله ما[٤] ذكروه وذموه وعابوه وتنقصوه به»[٥].

ويرد على فهم البكري في الاستغاثة فيقول: «وهذا الكلام كذب باطل لم يسبقه إليه أحد»[٦]، ويقول في إحدى المسائل: «وما علمت إلى ساعتي هذه أحداً من علماء المسلمين الذين يستحقون الإفتاء نازع في هذا»[٧].

١-انظر ص٣٠٢

٢-انظر ص٥٩٦

٣-انظر ص٣٧٧

٤-كذا في الأصل والأولى(بما).

٥-انظر ص٣٨٧

٦-انظر ص٣٩٠

٧-انظر ص٥١١

٤- الأمانة العلمية والصدق:

ينقل شيخ الإسلام أقوال البكري بالنص ثم يقوم بالرد عليها، وهذا منهج رضيه لنفسه واتبعه ودعا إليه.

وقد نعى على البكري كذبه وافتراءه عليه، فبعد أن ذكر كلام البكري الذي ادعى أنه لشيخ الإسلام بلفظه: «فيقال: في هذا الكلام من الكذب والافتراء والظلم والاعتداء والجهل والضلال مايظهر عند التأمل»[١] ثم ذكر نص جوابه الذي كذب عليه البكري فيه.

أما البكري فعلى النقيض من ذلك، فلم يذكر ألفاظ ابن تيمية أو جوابه، بل يقول عنه: (إنه يخلط في الحقائق ويلحد في الآيات)[٢].

٥- العدل والإنصاف:

نجد ابن تيمية يعتذر عن البكري، ويحكم عليه بعدل وإنصاف، يقول ابن تيمية بعد أن ذكر مشابهة قوله وأشباهه للنصارى: «وإن كانوا لايعلمون لوازم قولهم»[٣]، وأيضا عند ذكره لمشابهة قوله للإتحادية؛ يقول: «لكن هذا الرجل -أي البكري- وأمثاله لم يصلوا إلى الإتحاد بل وقفوا عند القدر وهو شهود القيومية»[٤]، ويقول: «وهذا الكلام باطل لم يسبقه إليه أحد، لاريب أنه لجهله وهواه وقع في هذا، وإلا فما تعمد أن يقول مايعلم أنه كذب»[٥].

١-انظر ص٢٨٨

٢-انظر ص٣٠٢

٣-انظر ص٣٠٣

٤-انظر ص٢٥٧

٥- انظر ص٣٩٠

ويحلل سبب خطأ البكري فيقول: «فدخل عليه الخطأ من وجوه:
منها أنه جعل المتوسل به بعد موته في الدعاء مستغيثاً به ....
والثاني: ظنه أن توسل الصحابة به في حياته كان توسلاً بذاته لابدعائه وشفاعته، فيكون التوسل به بعد موته كذلك»[١].

كما نجده يقر البكري على الصواب؛ ويؤيده ويستدل عليه، فيقول: «ونحن نقول بموجب هذا الكلام وهو معناه الصحيح»[٢].

وعند كلامه عن تكفير البكري له، يقول: «التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفر الله ورسوله»[٣].

٦- المقارنة والتحليل:

من أهداف الكتاب الرئيسة بيان الشرك الذي وقع فيه القبورية، وأن بعضهم وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة، ولبيان هذا الضلال العظيم وتوضيح خطره يقارنه المؤلف بشرك العرب في الجاهلية، الذين نزل عليهم القرآن وقاتلهم الرسول ﷺ واستباح أموالهم ودماءهم[٤].

ثم يبين من خلال هذه المقارنة أن شرك العرب أهون من شرك هؤلاء، فالعرب في الجاهلية مقرون بتوحيد الربوبية، وأن الله هو الخالق الرازق، بينما هؤلاء القبورية يعتقدون أن شيوخهم يرزقونهم ويحفظونهم، فهم

١- انظر ص٣٦٨

٢- انظر ص٢٠٠

٣- انظر ص٣٨٣

٤-انظر ص٤٧٣

أشركوا في توحيد العبادة وتوحيد الربوبية[١].

ويقارن بين بيوت النيران وبيوت الكواكب والمقابر، وبين المشاهد التي على القبور ومشاهد الأصنام[٢].

ويقارن بين حال أهل التوحيد مع الأنبياء وتأدبهم معهم واتباعهم لهم، وحال أهل الشرك معهم الذين يخالفون أمرهم ويسلطون العامة والجهال عليهم، وأن أهل الشرك هم المنتقصون حقاً للرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-[٣].

بعد هذه المقارنات يبحث المؤلف عن مصدر هذا الشرك، فيوضح أن هذا الشرك انتقل إلى هؤلاء القبورية من الفلاسفة، الذين أخذوا دينهم عن الصابئة المشركين[٤]، وأن متأخري المتكلمين والصوفية ادخلوا بعض ضلال الصابئة على المسلمين[٥].

ثم يعود للمقارنة مرة أخرى ليقارن بين شرك الصابئة وشرك العرب، ليصل إلى أن شرك الصابئة المشركين -لأن الصابئة طوائف- شر من شرك العرب[٦].

١- انظر ص٤٦٧-٤٨٩

٢-انظر ص٤٧٣ وما بعدها

٣-انظر ص٤٩٨

٤-انظر ص٤٨٠.

٥-انظر ص٤٨٢

٦-انظر ص٤٨٠

فالمؤلف -رحمه الله- أراد بهذه المقارنات بيان خطورة ماوقعوا فيه من الشرك، وما هي مصادره، ليتيسر تجنبه وعلاجه.

* * *

وبعد فهذه أبرز سمات منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب، وتركت غيرها للاختصار وقد يدعي بعض الناس كثرة استطرادات الشيخ وتكرارها، فنقول وبالله التوفيق:

٧-الاستطراد والتكرار:

يلاحظ على منهج ابن تيمية عموماً إطالة النفس مع الخصوم، حتى إن القارئ يجد صعوبة بالغة في ملاحقة الأفكار التي يناقشها، وهذا جزء من منهجه الذي ارتضاه؛ لأنه لايمكن قطع دابر بعض الشبه إلا بملاحقة أصولها، ومناقشة تلك الأصول التي لابد لردها من عرضها بوضوح ليتم نقضها بوضوح أيضا.

وفي كتابنا هذا بعض هذا الاستطرادات المفيدة جداً في توضيح بعض المسائل، فمثلاً أطال المؤلف في الكلام على سؤال النبي ﷺ والناس من الدنيا وأبان حكمها والآثار الواردة في النهي عنه في مواضع[١].

وقد أراد بهذا الاستطراد الرد على دعوى البكري: أن من استغاث بالنبي ﷺ فقد استغاث بالله، فيكون من سأل النبي ﷺ فقد سأل الله، قياساً عليها.

فيلزم من هذا حض الناس على سؤاله، والأمر عكس ذلك، فقد ورد

١-انظر ص٢٦٣وما بعدها

ذم من سأله ومدح من لم يسأله، يقول رحمه ا لله: «فإن كان النبي ﷺ على زعم هذا قد جعل من استغاث به فإنما استغاث با لله، وقد حضه على ذلك، فمن سأله فإنما سأل ا لله، فيلزم أن يحض الناس على سؤاله، والأمر بالعكس، بل مدح من لم يسأله وذم كثيراً ممن سأله»[١].

وفي استطراد أخر هل كان النبي ﷺ يعلم براءة عائشة أم لا؟ فقد أراد بهذا الاستطراد أن يوضح أن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب وأنه بشر، والرد على من يغلو فيه ﷺ، ويرفعه إلى درجة الألوهية[٢].

ويعلل المؤلف الإطالة فيقول: «ونحن نتكلم على ماذكره وإن لم يختص بمسألتنا، لما فيه من تمام الكلام على ماذكره كله»[٣]، ويقول أيضا: «وبعض الناس يكون الطريق كلما كان أدق وأخفى وأكثر مقدمات أطول كان أنفع له، لأن نفسه اعتادت النظر الطويل في الأمور الدقيقة ، فإذا كان الدليل قليل المقدمات، أو كانت جليه، لم تفرح نفسه به»[٤].

ويكرر المؤلف مايذكره في مواضع عديده، فمثلاً وصف حال القبورية واستغاثتهم بشيوخهم، وإضلال الشياطين لهم، ذكر هذا عدة مرات بصيغ مختلفة، وقد أراد بذلك التأكيد على ضلالهم في هذه القضية، فهي قضية الكتاب الأساسية ، وفي التكرار بطرح متجدد فائدة عظيمة

١-انظر ص٢٦٦

٢-انظرص٥٦٣ وما بعدها

٣-انظر ص٦٣٥

٤-مج ٢١٣/٩.

لاختلاف أفهام الناس، ويعلل المؤلف ذلك بقوله: «ولولا أن أصحاب هذا القول كثروا، وظهروا وانتشروا وهم عند كثير من الناس سادات الأنام، ومشايخ الإسلام ، وأهل التوحيد والتحقيق، وأفضل أهل الطريق ، حتى فضلوهم على الأنبياء والمرسلين وأكابر مشايخ الدين، لم يكن بنا حاجة إلى بيان فساد هذه الأقوال، وإيضاح هذا الضلال، ولكن يعلم أن الضلال لاحد له، وأن العقول إذا فسدت لم يبق لضلالها حد معقول، فسبحان من فرق بين نوع الإنسان، فجعل منه من هو أفضل العالمين، وجعل منه من هو شر من الشياطين، ولكن تشبيه هؤلاء بالأنبياء والأولياء كتشبيه مسيلمة الكذاب بسيد أولى الألباب، هو الذي يوجب جهاد هؤلاء الملحدين، الذين يفسدون الدنيا والدين»[١].

ولا يخفى أن الكتاب لم يؤلف مرة واحدة، بل على مرحلتين، بينهما فترة من الزمن، مما أدى إلى بُعد المؤلف عن أوله، وبالتالي تكرر طرح بعض القضايا التي ذكرها في أوله ، ومع ذلك فهو يكرر كثيراً قوله: «هذا ليس مما نحن فيه»[٢].

وأيضا فإنه رحمه الله يكتب كتبه من ذاكرته دون ترتيب للمعلومات أو تناول للمصادر .

١-مج ٢/٣٥٧-٣٥٨.

٢-انظر ص٦١٢ من أصل الكتاب.

القسم الثاني

تحقيق الكتاب

الباب الأول ويتكون من فصلين :

الفصل الأول : وصف النسخ الخطية ونماذج منها

الفصل الثاني : منهج التحقيق



الفصل الأول

وصف النسخ الخطية للكتاب

بعد البحث والتدقيق حصلت بتوفيق الله على ست نسخ خطية، تم تحقيق الكتاب على أربع منها، واستفدت من الخامسة، وأعرضت عن السادسة لعدم صلاحيتهما للمقابلة كما سيأتي .

وقد اشتركت هذه المخطوطات في ملاحظتين:

١-إن أول الكتاب سقط منها.

٢--جميعها متأخرة .

وإليك وصف النسخ الخطية:

النسخة الأولى:

وهي الأصل، الذى اعتمدت عليه في تحقيق الكتاب، حصلت على صورتها من قسم المخطوطات بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وهي مسجلة تحت رقم (١٤٧٢) بمكتبة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، وعلى طرتها ختم الجامعة - قسم المخطوطات، ورقمها، والعنوان ؛ وهو: "كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية -قدس الله روحه ونور ضريحه - راداً على البكري".

وقد رُقِّمَتْ المخطوطة في أعلى الصفحات بترقيم جديد حيث بلغت ١٠٣ ورقة، وقد أخطأ واضع الترقيم في أوله؛ حيث رقم على أساس الصفحات في الأولى والثانية، ثم رقم على أساس الورقات فيما بعد، وأخطأ في العد في الورقة ١٠١ حيث كرر الرقم مرتين.

لذلك قمت بترقيمها على أساس عد الصفحات في كل وجه

صفحتان، وقد بلغت ٢٠٦ صفحات، في كل صفحة ٢٤ سطراً تقريباً، وفي كل سطر ١٢ كلمة تقريباً وخطها جيد، تكثر فيه الأغلاط الإملائية، وعدم النقط أحيانا، والناسخ هو: "محمد بن عثمان بن يحي"، كما جاء في آخر النسخة، وتاريخ النسخ (١٢٨٤هـ).

وفي الهوامش تصحيح لبعض الكلمات، أو إكمال لسقط في الأصل، وفي أحيان قليلة أو نادرة التعليق على النص، قد تصل لثلاثة مواضع أو أربعة، والتعليق بخط الأصل نفسه.

وفي الجانب الأعلى الأيسر وقف، نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم يعلم الناظر إليه والواقف عليه؛ بأن فاضلة بنت سنان وقفت هذا الكتاب على طلبة العلم؛ بشرط الصيانة، وجعلت النظر لها مدة حياتها، فمن بدله بعد ماسمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم. كتبه شاهداً به (إبراهيم بن سعيد القويزاني) حرر في سنة (١٢٨٤هـ) . وتحت العنوان كلام حول التوكل واليقين لاعلاقة له بالموضوع.

النسخة الثانية ورمزها (ف):

وحصلت على صورتها من نسخة مصورة بالمكتبة السعودية بالرياض - التابعة لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء وهي مسجلة برقم (٧٦٦)، وفي جامعة الملك سعود - قسم المخطوطات نسخة منها غير واضحة.

وتقع في ١٩٠ صفحة؛ في كل صفحة ٢٣ سطرا؛ وفي كل سطر عشر كلمات تقريباً، والمقاس ٢٤×١٧سم تقريبا.

والناسخ هو الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن صالح بن مرشد، وتاريخ النسخ سنة (١٣١٩هـ) وخطها جيد وواضح.

وعلى طرة النسخة في الوسط العنوان، وهو: "كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية -قدس الله روحه- راداً على ابن البكري

جزى الله شيخ الإسلام عن الإسلام والمسلمين خيراً".

وعلى الجانب الأيمن الأعلى في الصفحة الأولى وقف، ونصه: «يعلم من يراه بأن الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل -سلمه الله- وقف هذا الكتاب لوجه الله -تعالى- على طلبة العلم لايباع ولا يورث ولا يحبس فمن بدله بعد ماسمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إنه سميع عليم وصلى الله على محمد سنة ١٣٥٠هـ» ٢٢ل[1].

وهي أقرب النسخ إلى الأصل.

النسخة الثالثة ورمزها (د):

وحصلت على صورتها من نسخة مصورة في دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، مسجلة برقم (٧٣٩)، وأصلها في قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة في خزانة الشيخ محمد نصيف مسجلة برقم (٢٨٨٦)، وهي جزءان:

الجزء الأول: تلخيص كتاب الاستغاثة ويقع ١٧٥ صفحة.

الجزء الثاني: وهو نص الكتاب ويقع في ٢٢٨ صفحة في كل صفحة ١٧ سطرا، وفي كل سطر عشر كلمات تقريبا، ومقسم على أربعة عشر كراسا، وتاريخ النسخ (١٣٢٦هـ) ولم يذكر اسم الناسخ.

ومن هذه المخطوطة نشرت أول طبعة للكتاب سنة ١٣٤٦هـ، وفي أول المخطوط ذكر الناسخ أنها منقولة عن أصل لدى آل الشطي الحنابلة بدمشق.

وهي نسخة جيدة، خطها كبير، مقابلة على نسخة أخرى، ويكثر الناسخ من ألفاظ الثناء بعد لفظ الجلالة؛ مثل: تعالى أو سبحانه وتعالى بعد

١-كذا في الأصل المخطوط .

لفظ الجلالة، وأيضاً يكثر الصلاة والسلام بعد ذكر النبي ﷺ، زيادة على النسخ الأخرى، وعلى طرة النسخة في الوسط العنوان ونصه: "الجزء الثاني من كتاب الاستغاثة الشهير بالرد على ابن البكري تأليف شيخ الإسلام علم الأعلام بحر العلوم العقلية والنقلية تاج السادة الحنبلية، الحافظ الناقد الورع الكامل أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم الشهير بابن تيمية الحراني الحنبلي -قدس الله سره آمين- المتوفي سنة ٧٢٨هـ".

وتحته تنبيه: «هذا الجزء نقل من قطعة هي من أصل كتاب الاستغاثة الكامل لمؤلفه شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- وأما الجزء الذى قبله فإنما نسخ من تاريخ ابن كثير حيث اختصّر هذا الكتاب فيه، فوصل الجزء الأول المختصر بهذا الثاني للفائدة الناجزة التى لاينبغي أن يحرم قارؤه، ومتى ظفر بالأصل الكامل فيجب نسخه كله على حده فلينتبه». (كتبه جمال الدين القاسمي).

النسخة الرابعة ورمزها (ح):

وحصلت على صورتها من الأصل في مكتبة المعهد العلمي بحائل مسجلة برقم ١٣ ضمن مجموع، في مكتبة الشيخ علي العبدا لله اليعقوب.

وتقع في ١٤٨ صفحة وهي غير مرقمة ، في كل صفحة ٣١ سطرا، وفي كل سطر خمس عشرة أو ست عشرة كلمة، وخطها متقن وجيد، قليلة الأخطاء.

والناسخ هو عطية بن سليمان -أحد علماء حائل-، وتاريخ النسخ ١٣٢٠هـ.

وعلى طرة المخطوطة العنوان وهو: "كتاب الاستغاثة تأليف شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية في الرد على البكري".

وتحته وقف في وسط الصفحة، نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد

لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فليعلم الناظر فيه والمطلع عليه، بأن هذا الكتاب وقف لوجه الله -تعالى- لايباع ولا يوهب ولا يبدل، فمن بدله بعد ماسمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم، وهو بيد كاتب الأحرف طلال بن نايف مدة حياته، ثم من بعده لطلبة العلم المستحقين بشرط الحفظ والصيانة والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين سنة ١٣٢٢هـ» (ختم طلال بن نايف).

ولم أحصل على نسخة واضحة منها، حيث صورت على آلة التصوير العادية، مما أدى لعدم وضوح بعض الكلمات التى بين الوجهين، لذا لم أُشِرْ إلى اختلافها أو مالا يظهر في الصورة، إلا عند الضرورة، واستفدت منها في الترجيح بين النسخ الثلاث الأخرى.

* * *

وهناك نسخ أخرى ليس لها أهمية ولم استفد منها، في مقابلة النسخ، اذكرها باختصار وهي:

١- نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض والمحفوظة برقم ٥٠٥٣/خ في قسم المخطوطات، وقد حصلت على نسخة منها، وليس عليها عنوان، وهي مجموع كبير غير مرقم، ولا مرتب، أوله عن المحبة (مجهول المؤلف)، وآخره كتاب الاستغاثة، إلا أن أوراقه غير مرتبه، وفيها ماليس من الكتاب، وتاريخ النسخ سنة ١٢٧٤هـ، وخطه جيد، وفيه سقط كلمات وأسطر وصفحات أحيانا.

٢- "خلاصة رد ابن تيمية على البكري في الاستغاثة"، والمحفوظة في خزانة المكتبة التيمورية برقم (٢٨١)، وعدد صفحاتها ٢٧٠ صفحة،

منها ١٣٨ تلخيص كتاب الاستغاثة، و١٣٢ صفحة نص كتاب الاستغاثة، والناسخ هو محب الدين الخطيب الدمشقي، وتاريخ النسخ صفر سنة ١٣١٩هـ.

وقد حصلت على نسخة منها، وهي كما في عنوانها خلاصة للرد، وليست نفس كتاب الاستغاثة، حيث تصرف الناسخ في نص الكتاب، مابين حذف وإضافة، وتبديل للنص وتقديم وتأخير لذا أعرضت عنها سوى مواطن قليلة.

٣-قطعة من كتاب الاستغاثة، حصلت عليها من الشيخ علي بن عبدالعزيز الشبل، وأصلها محفوظ في مكتبة الدولة ببرلين بألمانيا، وهذه النسخة عبارة عن مقتطفات من الكتاب في خمس عشرة صفحة.

٤-هذه النسخة ليست للكتاب، وعنوانها "رد ابن تيمية على البكري في الاستغاثة" وهي صفحات قليلة من تلخيص الاستغاثة، وفي فهرس خزانة المكتبة التيمورية ذكر أنها نسخة من الكتاب، وليست كذلك، وقد حصلت على نسخة منها وهي محفوظة في خزانة المكتبة التيمورية برقم (٤٠٥).

تاريخ تأليف الكتاب :

كماسبق بيانه [١] فإن رد البكري على ابن تيمية كان بعد تأليف ابن تيمية لرسالة الاستغاثة، والتى كتبها سنة ٧١١هـ، كما ذكر ذلك في قاعدة جليلة حيث يقول: «وكنت وأنا بالديار المصرية في سنة إحدى عشرة

١-ص٣٣

وسبعمائة قد استفتيت في التوسل بالنبي ﷺ...»[١] .

وقد ألف ابن تيمية الكتاب على مرحلتين: الأولى: قبل ٧١٤هـ، والثانية بعد ذلك.

يقول رحمه الله: «كنت قد أجبت عن كلامه إلى هذا الموضع واتفقت أمور شغلت عن تمام ذلك، حتى أنزل الله بأسه بهذا الجاهل الظالم وحزبه الجاهلين الظالمين »[٢]

ومرادة بقوله «حتى أنزل الله بأسه بهذا الجاهل الظالم» يشير إلى ماحدث للبكري مع السلطان في شهر محرم عام ٧١٤هـ[٣] .

فعلى هذا، الجزء الأول من الكتاب أُلف مابين عام ٧١١هـ إلى ٧١٤هـ والجزء الثاني بعد ٧١٤هـ وقبل وفاة البكري ٧٢٤هـ فظاهر كلام ابن تيمية أن البكري حي .

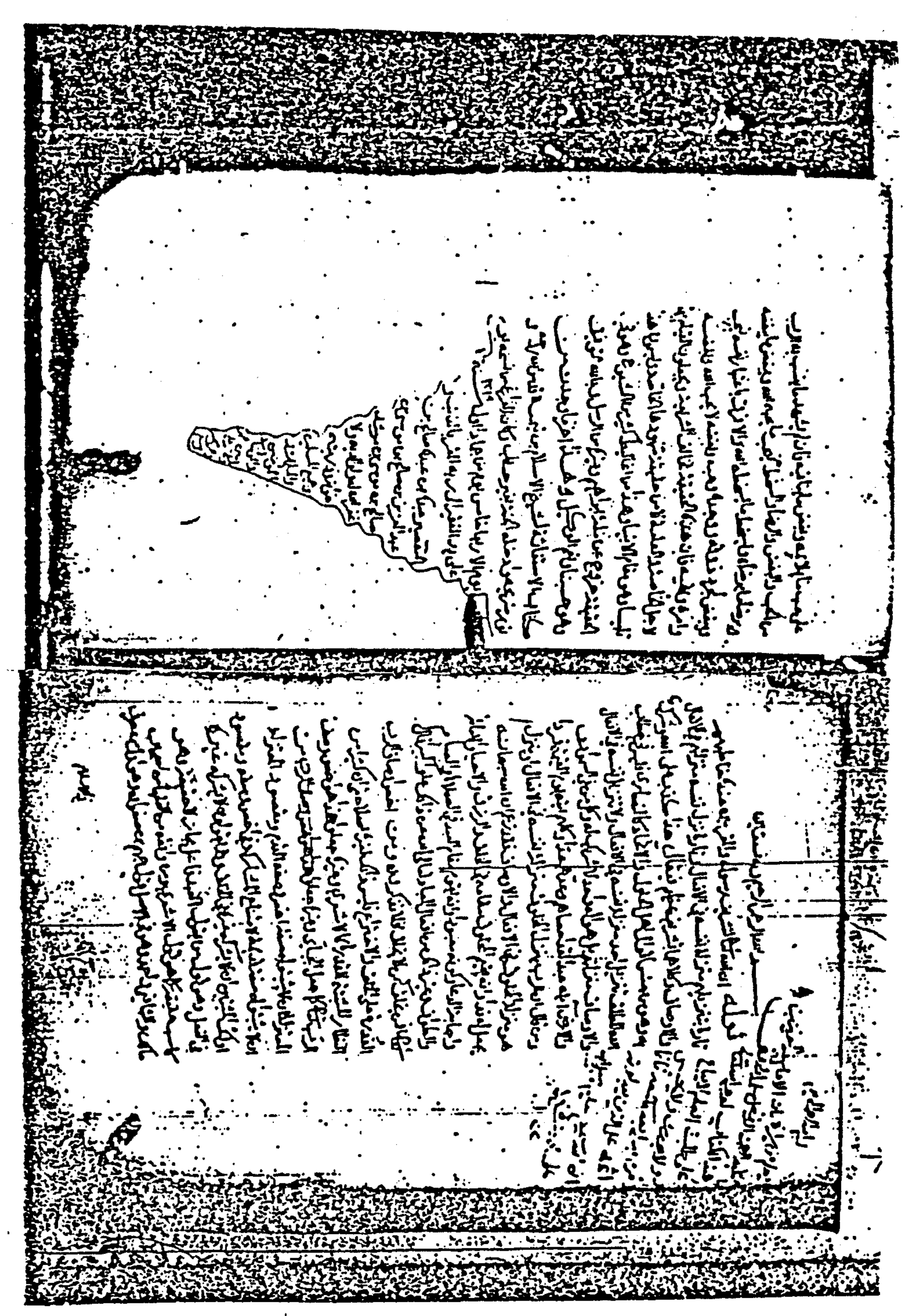
ولعل تأليف الكتاب على مرحلتين كان سبباً في ضياع الجزء الأول منه. ولم يشر المؤلف هنا صراحة إلا إلى كتابه " الصارم المسلول" ، ويُرجع إلى بحوثه الأخرى دون ذكر لها.

١-قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٤٤.

٢-تلخيص الاستغاثة ص١٤٢.

٣-انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ١٤/٧٦.

الصفحة الأولى والأخيرة من المخطوط الأصل المحفوظ في جامعة أم القرى



الصفحة الأولى والأخيرة من مخطوطة (ف) المحفوظة بالمكتبة السعودية

الصفحة الأولى والأخيرة من مخطوطة (د) المحفوظة بدارة الملك عبدالعزيز

الصفحة الأولى والأخيرة من مخطوطة (ح) المحفوظة في معهد حائل العلمي



الفصل الثاني

منهج تحقيق الكتاب والتعليق عليه

(١) تحقيق النص :

سلكت في تحقيق النص أن جعلت أفضل النسخ أصلاً، وقارنتها بغيرها وهي نسخة أم القرى ، فما سقط من الأصل أثبته من النسخ بين معقوفين []، وما كان من زيادة أو سقط من النسخ الأخرى بينته في الهامش، مع وضع النقص بين قوسين ()، وما سقط من نص الكتاب في جميع النسخ، حاولت إكماله من الكتاب نفسه إذا كان المؤلف كرر الكلام نفسه في موضع آخر، أو من كتبه الأخرى، أو مَمَّنْ نقل عن هذا الكتاب ، فان لم أجد في ذلك، اجتهدت ووضعت ماأظنه يناسب المعنى.

وجعلت كلام البكري بين قوسين، وعزوت الآيات في نص الكتاب بين معقوفين صغيرين، ووضعت للكتاب عناوين جانبيه، في الجانب الأيسر، وبينت مواضع بداية صفحة المخطوطة الأصل بخط مائل، يقابله رقم الصفحة في الجانب الأيسر.

وقد أغفلت ألفاظ الثناء بعد لفظ الجلالة والصلاة على النبي ﷺ في نسخة (د) لكونها زيادات من الناسخ، كما سبق بيانه في وصفها.

(٢)عزو الأحاديث والآثار :

في عزو الأحاديث حاولت -بقدر الإمكان- الاختصار، واقتصرت على القدر الضروري في عزو الحديث؛ تفادياً لإثقال الكتاب بالحواشي.

فالأحاديث الموجودة في الصحيحين، أو أحدهما، فإني أكتفى في الغالب بعزوها لكل منهما أو أحدهما، لأن المقصود هو الاطمئنان على درجة الحديث، وذلك حاصل بعزوه للصحيحين أو أحدهما.

وإذا كان أصله في الصحيحين وليس اللفظ لهما فإني أعزوه لهما ولصاحب اللفظ، دون أن أطيل في التخريج.

وإذا لم أجد اللفظ الذى ذكره المؤلف، فإني أذكر المصادر التى ألفاظها قريبة من لفظ المؤلف، ولا أذكر المصادر الأخرى.

وأما الأحاديث التى ليست في الصحيحين، فإني أجتهد قدر استطاعتي في نقل أقوال العلماء المعتبرين في درجتها، وإذا كان بينهم اختلاف في درجته، بذلت الجهد في الترجيح.

وإذا لم أجد في الحديث كلاما لأحد الأئمة، أجتهد في دراسة سنده بنفسي، مع الاستعانة بأهل الاختصاص، ثم أذكر ماتوصلت إليه وهذا قليل جدا.

أما الآثار عن السلف التى ينقلها المؤلف؛ فإني أبذل جهدى في تخريجها من مصادرها؛ وإذا لم أجد من تكلم على إسنادها، أتكلم عليه أو أنقل السند للقارئ؛ إذا لم أتمكن من نقده، وما لم أجد مصادره بينت ذلك.

(٣)توثيق الأقوال والمسائل والآراء الفقهية:

حرصت على توثيق كل مسألة ذكرها المؤلف، وبيان مصدرها، وإذا لم يتيسر ذلك نقلت من المراجع التى نقلت من المصدر الأصلي.

وقد أذكر بعض الأقوال والآراء التى تعضد رأى المؤلف من المتقدمين أو المتأخرين باختصار، حتى لاأثقل الكتاب.

إلا أنه واجهني أن المؤلف نقل من بعض الكتب النادرة، ككتب الباطنية، وكتب غلاة الصوفية وغيرهم، وهذه لاتتوفر في هذه البلاد - حفظها الله بحفظه- وهي نادرة في كثير من البلاد، وفي كثير من المكتبات الكبيرة، ولذلك لم يتيسر توثيق هذه الأقوال، وقد وثقت ماوقع لي بمراجع مساعدة أو ناقلة عن المصادر الأصلية.

كما خرّجت الشواهد الشعرية، ونسبتها إلى قائليها، وقليل منها لم أعرف قائله.

ومع ذلك، فهناك مسائل وأقوال لم أجد لها مراجع، من نصوص ونقول، أو آراء ونحوها، وحسبي أني بحثت وبذلت الجهد في البحث والاستقصاء وا لله الموفق.

(٤)التراجم والتعريفات :

عرفت بالأعلام غير المشهورين في أول مرة يذكرهم المؤلف، و لم أعرف بالمشهورين؛ لأن التعريف بهم غمط لشهرتهم، كمشاهير الصحابة، والأئمة الأربعة، واكتفيت بمرجعين أو ثلاثة للتعريف، في الغالب، أما القبائل والأماكن والكلمات فأعرف منها ماأرى أنه يحتاج إلى تعريف.

(٥)المصادر والمراجع:

حرصت كل الحرص على أن أوحد النسخة والطبعة لكل مرجع، ليسهل على القارئ والباحث الرجوع إلى المراجع التى عزوت

إليها عند الحاجة، وقد ذكرت كامل المعلومات عن المرجع في أول مرة أذكره.

وفي حالات قليلة اضطررت للرجوع إلى طبعة أخرى، فأشير إلى الطبعة المغايرة في الهامش.

(٦)الرموز والمصطلحات:

نظراً لكثرة الرجوع إلى بعض الكتب، حاولت اختصار أسمائها، فقد رمزت لمجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم بـ(مج)، ولكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي بـ(السير).

وأما رموز النسخ فهي كما يلي:

الأصل : نسخة جامعة أم القرى.

ف : نسخة الإفتاء.

د : نسخة دارة الملك عبدالعزيز وأصلها بجامعة الملك عبدالعزيز.

ح: نسخة المعهد العلمي بحائل.

ت: نسخة المكتبة التيمورية.

ط: النسخة المطبوعة عام ١٣٤٦هـ.

الباب الثاني

كتاب تلخيص الاستغاثة

لابن كثير

ويتكون من فصول:

الفصـــل الأول : تعريف بالكتاب والملخص.

الفصـــل الثاني : نسبة التلخيص لابن كثير.

الفصـل الثالث : منهج ابن كثير في التلخيص.

الفصـــل الرابع : الموضوعات التى انفرد بها التلخيص.

الفصل الخامس : الموضوعات التى سقطت من الكتاب الأصل أو جاءت مختصرة فيه



الفصل الأول

كتاب تلخيص الاستغاثة*

حظيت كثير من المصنفات المفقوده ؛ أو أجزاء منها ؛ قبل فقدانها باهتمامات ودراسات نفيسه ، حفظت لنا قطعا من تلك الكتب المفقوده كالمنتخبات والمنتقيات والتهذيبات والمختصرات وغيرها (١)

ومن هذه الكتب كتابنا موضوع الدراسة ، كتاب " الاستغاثة في الرد على البكري " ، فقد لخصه ابن كثير في كتاب " تلخيص كتاب الاستغاثة "

والتلخيص في اللغة هو : التبين والشرح ، يقال لخصت الشىء ولحصته ، بالخاء والحاء ، إذا استقصيت في بيانه وشرحه وتحبيره ، ويطلق التلخيص أيضا على : التقريب والاختصار.

وقد جاء كتاب " تلخيص الاستغاثة " مطابقاً لمعناه ، فقد لخص موضوعات الكتاب الأصل ، وقرب مسائله ، وشرح أخرى ، وذكر ما فقد منه ، واختصر مطوله وجمع مكرره .

وقد طبع كتاب " تلخيص الاستغاثة " في مقدمة كتاب " الاستغاثة في الرد على البكري " عام ١٣٤٦هـ في المطبعة السلفية ـ مصر ، وجعلا كتابا

---

* هذا الكتاب قيد الطباعة ، وسينشر بإذن الله مفردا ، لأن وضعه مع هذا الكتاب سيوقع كثيراً من الناس في الخطأ، ثم بأيهما يسمى الكتاب ، وهما كتابان مختلفان، ولأسباب أخرى ذكرتها في مقدمته .

لذا فقد ذكرته هنا للاستفادة منه في معالجة النقص في "كتاب الاستغاثة في الرد على البكري "

١ــ انظر القواعد المنهجيه في التنقيب عن المفقود من الكتب والأجزاء التراثية ـ تاليف د. حكمت بشير ياسين ص ١٦٣ط الأولى ١٤١٢ هـ الناشر مكتبه المؤيد ـ الرياض

واحداً ، فعلى غلافه وضع عنوانه كما يلي " تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري " ففي هذا العنوان خطأ علمي شنيع أوقع بعض الباحثين في أخطاء علمية كبيرة

وقد أُعيد طبعه عام ١٤٠٥ هـ بالدار العلمية ـ الهند ، دون أي تصحيح.

ويقع التلخيص في ١٥٥ صفحة من القطع المتوسط .

وبعد البحث حصلت على ثلاث نسخ خطية لكتاب تلخيص الاستغاثة وهي :

النسخة الأولى :

جاءت في مقدمة نسخة دارة الملك عبدالعزيز (د) والتي أصلها في مكتبة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، في خزانة الشيخ محمد نصيف والمسجلة برقم (٢٨٨٦) ، ويقع التلخيص في ١٧٥ صفحة ، وفي آخره «بلغ معارضة على أصل مخطوط جيد في دمشق الشام ، وتمت المعارضة في ٢٥ جمادى الثانية ١٣٣٠» وكتبه جمال الدين القاسمي عفى عنه .

وعلى هذه النسخة طبع الكتاب .

النسخة الثانية :

جاءت أيضا في مقدمة نسخة المكتبة التيمورية والتى عنوانها "خلاصه ردابن تيمية على البكري في الاستغاثة "والمسجلة برقم (٢٨١)،ويقع التلخيص في١٣٨صفحة.والناسخ هوالشيخ محب الدين الخطيب الدمشقي،وتاريخ النسخ صفر١٣١٩هـ.

النسخة الثالثة :

وهي قطعة من التلخيص ،وليس فيها شيء من نص الكتاب، وعنوانها "رد ابن تيمية على البكري في الاستغاثة" وهي محفوظة في

خزانة المكتبة التيمورية برقم(٤٠٥).

وينسب التلخيص للإمام العلامة عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، (ت٧٧٣ هـ)صاحب كتاب"تفسير القرآن العظيم" "والبداية والنهاية" وغيرهما .

وهو تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية مؤلف كتاب" الاستغاثة في الرد على البكري" ، وقدكان ابن كثير معجباً بشيخه ابن تيمية محباً له ، حتى امتحن بسبب ذلك ، وأوذى وسجن .

فهو قام بخدمة كتاب شيخه الذى خشي عليه من الضياع ، بعد أن فقدت أجزاء منه كان قد أطلع عليها ، وهو في نفس الوقت رد على من رد على شيخه ابن تيمية .



الفصل الثاني

نسبة التلخيص لابن كثير

ليس بالأمر الهين أن نؤمن بصحة نسبه أي كتاب كان إلى مؤلفة ، ولاسيما الكتب الغير مشهوره، ولابد من التأكد من ذلك بالنظر في فهارس الكتب والمؤلفين ، ودراسة مادة الكتاب نفسه .

وهنا لانجد مصادر مستقلة تنسب هذا التلخيص لابن كثير، أو تتكلم عن التلخيص أصلا، فليس أما منا سوى ماجاء على المخطوطات و دراسة مادة الكتاب ومقارنتها بمؤلفات المؤلف الأخرى ، وإليك الأدلة التى تؤيد نسبة كتاب تلخيص الاستغاثة لابن كثير:

أولاً : ورد في مقدمة التلخيص نسبته لابن كثير حيث كُتب في وسط الصفحة « يعرف هذا الكتاب بالرد على البكري (كلمة غير واضحة) وجد في مجموع مخطوط في مكتبة الأفاضل بني الشطي شيوخ الحنابلة في دمشق الشام منقولا من تاريخ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ وقد لخص أصل كتاب الشيخ ـ رضى الله عنه ـ »[1] ويؤكد العلامة جمال الدين القاسمي هذه النسبة فيقول في بداية الكتاب الأصل : «وأما الجزء الأول الذي قبله، فإنما نسخ من تاريخ ابن كثير حيث اختصر هذا الكتاب فيه»[2] . ولم أجد في

١-انظر الصفحة الأولى من المخطوطة (د)، وفي بداية التلخيص: ترجمة البكري من تاريخ ابن كثير ولعل الذى نقلها النساخ.

٢-انظر صفحة العنوان من المخطوطة (د)

النسخ المطبوعة لتاريخ ابن كثير ذكر لهذا التلخيص، وهذا أمر مستبعد، فإن تلخيص الكتب أو الإطالة في ذكرها ليس من منهج ابن كثير في تاريخه، ولكن المحتمل أن يكون اختصره في الكتاب المفقود الذي أفرده لترجمة ابن تيمية[1].

ولعل ابن كثير لم يصرح في كتبه الأخرى بذكر هذا التلخيص خوفاً على نفسه، فقد أوذي لانتسابه لشيخ الإسلام، وقوله ببعض فتاويه.

ثانيا : الملخص عالم بالرجال وبالجرح والتعديل، وبالحديث وعلله، فهو يطيل في نقد الرواة، ويوازن بين أقوال النقاد وعلماء الرجال، ويبين درجة الأحاديث، ويعزوها لمصادرها وبأسانيدها أحيانا.

ثالثاً: وهو أيضا من كبار تلاميذ الشيخ، وواسع الاطلاع، فيصرح ببعض مصادر ابن تيمية التي نقل منها و لم يذكرها، وهذه الصفات تتوفر في ابن كثير.

رابعاً : اهتمام ابن كثير بترجمة البكري في تاريخه ، أكثر من خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية الآخرين ، مع أنه من أقلهم شأنا ، فقد يدل ذلك على أن له جهداً علمياً في هذا المجال .

١-انظر أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية تأليف محمد بن إبراهيم الشيباني ص١٨٨ فقد ذكر هذا الكتاب المفقود. ومقدمة مسند الفاروق لابن كثير للمحقق د.عبدالمعطي قلعجي ص٨٥ فقد ذكره بعنوان "مناقب ابن تيمية" ضمن الكتب المفقودة.

خامساً :موافقته لآراء ابن كثير:

أ- عند ذكره لخبر دانيال[١]، قال: «وهذا قد رويناه في كتاب المغازي لابن إسحاق من رواية يونس بن بكير إلى أبي العالية»، وهذا السند ذكره ابن كثير في قصص الأنبياء[٢].

ب- وأيضا حديث «لايستغاث بي» ضعفه في التلخيص[٣]، وفي التفسير قال: «هذا الحديث غريب جدا»[٤].

جـ- في تفسير قول الله تعالى **﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾**[٥] قال في التلخيص[٦]: «فجعل المشركين غير أهل الكتاب»، وهذا هو رأى ابن كثير في تفسير هذه الآية في كتابه تفسير القرآن العظيم[٧].

د- عند ذكره لذي القرنين في التلخيص[٨] قال:« والصحيح أنه لم يكن نبياً» وفي البداية والنهاية قرر ذلك فقال: «والصحيح أنه

١-تلخيص الاستغاثة ص٢٩.

٢-ص٥٢٧ الطبعة الثامنة ١٤٠٨هـ الناشر دار القلم بيروت - لبنان.

٣-تلخيص الاستغاثة ص١٥٣.

٤-تفسير القرآن العظيم لابن كثير طبعة ١٤٠٣هـ الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان جـ١٧٣/٣.

٥-سورة البينة الآية : ١

٦-ص١٤٩.

٧-جـ٥٣٧/٤.

٨-ص٦٤.

كان ملكا من الملوك العادلين»[١]، وضعف الروايات التي ذكرت نبوته.

سادساً : إشارة الملخص لبعض كتبه[٢]:« وقد كتبت في هذه المسألة نحو مجلد، وذكرتها في مواضع أخر، وبينت أسباب الشرك وما فيه من الفوائد والمقاصد التي ضل بها المشركون؛ وأنها معمورة بالمفاسد، ومعمورة بالمضار التي من أجلها حرمه الله»، وفي هذا إشارة لكتاب ابن كثير "أحاديث التوحيد والرد على الشرك"، فذكر هذا المؤلف جاء في سياق كلام ابن كثير، فبعده بصفحات قال: « وفي الرد على البكري»[٣] ثم ذكر مسألة أخرى. ولا يمكن أن يكون هذا الكلام لابن تيمية؛ فمؤلفاته في هذا الباب بمجلدات كثيرة.

فلهذه الأدلة وعدم المنازع في نسبته فالراجح صحة نسبته إليه.

١-جـ٢/١٠٥.

٢-ص٧٢.

٣-ص٨٠، وكتاب "أحاديث التوحيد والرد على الشرك" لابن كثير مطبوع على هامش كتاب "جامع البيان" لمعين بن شافع في دلهي - بالهند عام ١٢٩٧هـ انظر تاريخ الأدب العربي - بروكلمان (٢ : ٣٥٩) باللغة الألمانية نقلا عن مقدمة مسند الفاروق ص٧٦.

الفصل الثالث

منهج ابن كثير في التلخيص*

أولاً : حاول ابن كثير ذكر المفقود من الكتاب بلفظ الشيخ، فيورد أكثر هذه المواضع بقوله: «قال الشيخ» ثم يذكر رد الشيخ، وقد يستطرد أحيانا في الرد من عنده. فمن ذلك حديث الكوة، فقد أشار ابن تيمية[1] إلى تقدمه في أول الكتاب "المفقود" ونجد ابنَ كثير يذكره بالنص. وهذا يؤكد أن الملخص وقف على الجزء المفقود.

ثانياً : لم يتطرق لبعض الموضوعات الموجودة في آخر الكتاب، مثل حديث حجاج آدم وموسى.

ثالثاً : لخص بعض الموضوعات الأخرى الموجودة في الكتاب الأصل، وجمع كلام المؤلف في موضع واحد.

رابعاً : كرر بعض الموضوعات مثل سماع النبيﷺ للصلاة والسلام عليه بعد وفاته[2] وغيره.

خامساً : في التلخيص مواضع كثيرة ليست من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، بل قد لاتكون في كتاب ابن تيمية ، مثل كلام ابن كثير عن كتابه في الشرك، و وصفه لكتاب ابن تيمية الرد على البكري ، وفي الغالب إذا قال الملخص «والمقصود:» فما بعدها من كلامه.

---

* راجع تفصيل هذه النقاط في مقدمة كتاب تلخيص الاستغاثة بتحقيقي .

١-انظر ص ٤٠٣.

٢-تلخيص الاستغاثة ص٣٤-٣٥، و ص١١٧-١١٨.

سادساً : ضعف الملخص حديث «لايستغاث بي»، وابن تيمية لم يجزم بضعف الحديث أو صحته في موضعين من الأصل[1] ، بل يرى ابن تيمية أن غالب أحاديث إبن لهيعة الصحة[2] .

١-انظر ص٢٦٩،٢٧٣ من الأصل، وص ١٥٣ من التلخيص.

٢-مج جـ١/٢٦.

الفصل الرابع

الموضوعات التي انفرد بها التلخيص أو أطال فيها

أولاً : الموضوعات التي انفرد التلخيص بذكرها :

أ- رأى ابن تيمية في البكري أنه لايخاطب خطاب العلماء، ووجوب تعزيره التعزير البليغ، وأنه ليس له خبرة بالأدلة الشرعية، أو أقوال أهل العلم ، ويشكك في سريرته ومراده، ثم يكله لله -تعالى-[1].

ب- سبب تأليف هذا الرد، فإنه بطلب من أصحاب ابن تيمية حتى لايضل الناس بكلام البكري، وأن الكلام في هذه المسألة من أفضل الكلام، إذ فيه بيان التوحيد ونفي الشرك عن الله - تعالى-[2].

ج- تأليب البكري للسلطة على ابن تيمية، فقد نقل عنه ابن تيمية قوله (ولقد خشيت على كثير من أهل الإقليم بسبب تقاعدهم عن نصرة الرسول ﷺ بإهلاكه وإهلاك أمثاله، خصوصا أهل الدولة وأصحاب الحكم) وفي رد ابن تيمية أبان أنه رد عليه إلى هذا الحد ثم شغل عنه، حتى حصل موقف البكري مع السلطان ونفاه عن القاهرة ومنعه من الفتوى، فأكمل الرد عليه[3].

١-تلخيص الاستغاثة ص٣.

٢-المرجع السابق ص٤.

٣- المرجع السابق ص١٤٢-١٤٣.

د- دعوى البكري أن جماعة من الأنبياء توسلوا بالنبي ﷺ منهم نوح وإدريس وأيوب -عليهم السلام- و لم يذكر لها إسنادا أو يعزها، وقد رد عليه ابن تيمية وبين كذبه في هذه الدعوى(١).

ثانياً : الموضوعات التي أطال الملخص فيها :

وردت بعض الموضوعات في أصل الكتاب مختصرة جداً، وأطال الملخص فيها وهي:

أ- أدلة البكري في الاستغاثة وهي:

* توسل آدم بالنبي ﷺ بعد الأكل من الشجرة[٢] .
* القصة المنسوبة للإمام مالك مع أبي جعفر المنصور[٣] .
* حديث فتح الكوة على القبر الشريف[٤] .
* حديث الأعمى في التوسل[٥] .

ب- سماع النبي ﷺ للصلاة والسلام عليه، وذكر الأحاديث الواردة في ذلك، وانتهى إلى أنه ﷺ يسمع القريب ويُبلغ سلام البعيد وصلاته، وإذا لم يسمع الصلاة والسلام من البعيد إلا بواسطة فمن باب أولى أن لايسمع دعاء الغائب واستغاثته، وكرر هذا

١-المرجع السابق ص٦،٢٢ قلت: وقد نقل البكري هذه الدعوى عن الرافضة كما سيأتي.

٢-انظر: ص٣٩٨ من هامش الأصل، وص٥ وما بعدها من تلخيص الاستغاثة.

٣-انظر ص ٤٠١ من هامش الأصل وص٢٥ من التلخيص.

٤-انظر ص٤٠٣ وما بعدها من هامش الأصل الكتاب وص٢٨ وص٦٩ من التلخيص.

٥-انظر ص٣٩١ من هامش الأصل الكتاب وص١٢٨ من التلخيص.

في موضعين[١] .

ج-تضعيف حديث «لايستغاث بي» وذكر أن المؤلف أورده للاعتضاد به، وليس للاعتماد به، وأنه موجود في دواوين الإسلام من قرون متطاولة، ولم ينكر لفظه أحد من أهل العلم[٢] .

١-انظر ص٣٤٢ من أصل الكتاب وص٣٣ وما بعدها وص١١٨-١٢١ من التلخيص.

٢-انظر ص٢٩٤ من أصل الكتاب وص١٥٣-١٥٥ من التلخيص.



الفصل الخامس

الموضوعات التى سقطت من الكتاب الأصل

أو جاءت مختصرة فيه

البحث عن نصوص كتاب مفقود يحتاج إلى بحث دقيق ، في اختيار المصادر وانتقاء النصوص منها [١] ، وحيث أن كتاب تلخيص الاستغاثة تلخيص "لكتاب الاستغاثة في الرد على البكري " ولذلك حفل بنصوص لم ترد في الأصل .

فتتميماً للفائدة ، قمت بجمع هذه النصوص والتى فقدت من كتاب " الاستغاثة في الرد على البكري " أو جاءت مختصرة فيه ، و اتبعت المنهج التالي:

* وضع عنوان لكل فقرة .
* جمع كل موضوع في فقرة واحدة وإن جاء في التلخيص مكررا أو متفرقا، مع حذف المكرر .
* المحافظة على نص التلخيص وعباراته ماأمكن إلى ذلك سبيلا.
* عزو الآيات، والأحاديث باختصار شديد، والإحالة على كتاب التلخيص المحقق.
* عدم التعريف بالأعلام أو الأماكن أو التعليق على القضايا، وسيكون كل ذلك في الكتاب المحقق -إن شاء الله-.

١-القواعد المنهجيه ص ٢٥

* إصلاح السقط ، أو العبارة الركيكة من الأصول الخطية أوحسب ما يقتضيه السياق .

* * *

١- رأي ابن تيمية في البكري :

قال ابن تيمية : رأيت أن مثل هذا لا يخاطب خطاب العلماء، وإنما يستحق التأديب البليغ، والنكال الوجيع الذي يليق بمثله من السفهاء ، إذا سلم من التكفير فإنه لجهله ليس له خبرة بالأدلة الشرعية التى تتلقى منها الأحكام، ولا خبرة بأقوال أهل العلم الذين هم أئمة أهل الإسلام.

بل يريد أن يتكلم بنوع مشاركة في فقه وأصول وتصوف، ومسائل كبار بلا معرفة ولا تعرف، وا لله أعلم بسريرته، هل هو طالب رياسة بالباطل، أو ضال يشبّه الحالى[1] بالعاطل، أو اجتمع فيه الأمران، وما هو من الظالمين ببعيد.

٢- وصف ابن تيمية لرد البكري عليه :

قال : وكلامه في الاستغاثة بغير ا لله أتى فيه من الجهالات بالعجب العجاب . قال : فمجموع ماقاله ماعلمت أنه سبقه إليه أحد من المسلمين، ومع هذا لم يجترئ على أن يكتب فيها شيئا حتى نظر جوابي في الاستفتاء الذى كتبته، وأرسل به إليّ، فاستعان به على ماقاله، وأعاره بعض الأمراء -كما أخبرني[2]- كتابي الذى كنت صنفته من مدة وسميته " الصارم المسلول على شاتم الرسول" ، فإني

١-كذا في الأصول الخطية .

٢-في الرد على البكري ص٥٩٢ لم يذكر هذه الزيادة.

ذكرت فيه مايجب على من سب الرسول ﷺ من العقوبات الشرعية، وذكرت فيه من أصول هذه المسألة وفروعها والدلائل الشرعية عليها، وكلام أئمة الإسلام فيه، مايعرفه من وقف عليه.
فأخذ هذا الكلام مما ذكرته في ذلك وجعلته صيانة لعرض الرسول ﷺ من أهل النفاق والإعتداء، مااستعمله هذا الجاهل الظالم في حق أهل العلم والاهتداء .

٣- سبب رد ابن تيمية على البكري

قال شيخ الإسلام: ثم إن الأصحاب تقاضوني تعليقاً على كلام هذا الظالم الجاهل لئلا يضل بكلامه بعض الطغام، حتى قال بعضهم: إن الكلام على هذه المسألة من أفضل الكلام إذ فيها بيان التوحيد ونفى الشرك عن الصمد المجيد، فإن أول مانشأ الشرك وعبادة غير الله من القبور، وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الهياج الأسدى أن علي بن أبي طالب -رضى الله عنه- قال له: «**ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لاأدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**»[1] فأمره بمحو الشرك وأصله الذى ينشأ منه.

٤- استدلال البكري بحديث آدم في الرد على ابن تيمية :

مما استدل به البكري الحديث الذى يُروى أن آدمَ عليه السلامَ لما أكل من الشجرة وجرى ما جرى استشفع بالنبي ﷺ إلى الله، فقال له: «ياآدم كيف عرفت محمداً و لم أخلقه بعد؟» قال له: «لما نفخت فيّ الروح رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش لاإله إلا الله محمدٌ رسول

١- أخرجه مسلم في (كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر) جـ٦٦٦/٢ رقم ٩٦٩ واللفظ له إلا قوله «لاأدع» فلفظ مسلم «لاتدع».

الله، فقلت: إنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك» فقال: «صدقت ياآدم إنه لأحب خلقي إليّ وإذ سألتني به فقد غفرت لك، ولولا محمد ماخلقتك وهو آخر الأنبياء من ذريتك»[١] ذكره في رده مع نظائره من هذا الجنس الذى لايستجيز الصبيان ذكره ، فضلا عن الجهال ، فضلا عمن شمَّ للعلم شمة أو نشق له رائحة. قال[٢]: وقد رواه بصيغ مختلفة من المفسرين والمحدثين من لاأحصيهم كثرة و لم يروه من المرويات المنكرة. قال: وقد جاء أن نوحاً وأدريس وأيوب وموسى وجماعة من الأنبياء توسلوا به .

رد ابن تيمية

(قال شيخ الإسلام ابن تيمية) في نقض كلامه وحله إبرامه: فيقال

(أولاً) : هذا الحديث وأمثاله لايحتج به في إثبات حكم شرعي لم يسبقه أحد من الأئمة إليه، وإثبات عبادة لم يقلها أحد من الصحابة ولا التابعين وتابعيهم إلا من هو أجهل الناس بطرق الأحكام الشرعية وأضلهم في المسالك الدينية، فإن هذا الحديث لم ينقله أحد عن النبي ﷺ لابإسناد حسن ولا صحيح بل ولا ضعيف يستأنس به ويعتضد به، وإنما نقل هذا وأمثاله كما تنقل الإسرائيليات التى كانت في أهل الكتاب ، وتنقل عن مثل كعب ووهب وابن إسحاق[٣] ونحوهم ممن أخذ ذلك عن مسلمة أهل الكتاب أو غير مسلمتهم أو عن كتبهم

١-سياتى تخريجه في ص٣٩٨

٢-أي البكري .

٣-إشار المؤلف لهذا في الأصل ص ٤٩٣ وانظر غير مأمور تراجمهم هناك .

كما روي أن عبدا لله بن عمرو وقعت له صحف يوم اليرموك من الإسرائليات فكان يحدث منها بأشياء .

ويكفيك أن هذا الحديث ليس في شيء من دواوين الحديث التى يعتمد عليها .

وقد جمع غير واحد من الحفاظ قصة آدم [1]، ومن أجمعهم أبو القاسم ابن عساكر في " تاريخه الكبير" فإنه روى عامة مارواه الناس و لم يذكر هذا، وإنما ذكر هذا وأمثاله من يجمع الموضوعات الكثيرة والأكاذيب العظيمة.

ومما يبين كذب هذا أن ا لله -سبحانه وتعالى- قال ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم * قلنا اهبطوا منها جميعاً**﴾[2] فأخبر أنه تاب بالكلمات التى تلقاها منه وقد قال تعالى ﴿**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا**﴾ الآيه فأخبر أنه أمرهم بالهبوط عقب هذه الكلمات، وأخبر أنه تاب عليه عقب الكلمات وأمره بالهبوط ، فكان أمره بالهبوط عقب الكلمات التى تلقاها منه وهي قولهما ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾[3] أو كلمات تشبه هذه الكلمات ذكر ذلك طائفة كثيرة من المفسرين . ومن ذكر أن الكلمات التى تلقاها من ربه غير هذه لم يكن معه حجة في خلاف ظاهر القرآن.

١-آي قصة آدم وأكله من الشجرة ، وتوبته ، و لم يذكر هذا الخبر الباطل .

٢-سورة البقرة الآية : ٣٧ - ٣٨

٣-سورة الأعراف الآية : ٢٣٠

وقد ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب "التوبة "في هذه الكلمات أشياء كثيرة كلها تدور على ماذكره ا لله في كتابه من قول ادم وحواء ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾ وأيضاً فإن قولهما ﴿**ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا**﴾ يتضمن الإقرار والاستغفار، ومن هو دون آدم أقر بذنبه واستغفر منه غُفِرَ له، كما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعائشة «**إن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب ا لله عليه**»[١] وقال -تعالى- ﴿**من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر ا لله يجد ا لله غفوراً رحيما**﴾ [٢] وكذلك الآية التى في آل عمران ، وإذا حصلت مغفرة بالتوبة حصل المقصود بها لابغيرها ، وقد ثبت في الصحيح عن عمرو بن العاص أن النبيﷺ قال له «**ياعمرو أما علمت أن الإسلام يهدم ماقبله وأن التوبة تهدم ماكان قبلها**»[٣]، وأيضا فلو كان آدم قد قال هذا لكانت أمة محمد أحق به منه بل كان الأنبياء من ذريته أحق ، وقد علم كل عالم بالآثار أن النبيﷺ لم يأمر أمته به ؛ ولا نقل عن أحد من الصحابة الأخيار؛ ولا نقله أحد من العلماء الأبرار.

فعلم أنه من أكاذيب أهل الوضع والاختلاق الذين وضعوا من الكذب أكثر مما بأيدي المسلمين من الصحيح[٤] ،لكن ا لله فرق بين الحق والباطل بأهل النقد العارفين بالنقل علماء التعديل والتجريح.

١-سيأتي تخريج الحديث ص ٥٦٣

٢-سورة النساء الآية : ١١٠

٣-أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ماقبله وكذا الهجرة والحج) ج١/١١٢ رقم ١٢١.

٤-في ط : (التصحيح)وقد صححتها من الأصول الخطية

٥- كذب البكري في تكثير رواة حديث توسل آدم :

وأما قوله: (إن هذا قد رواه بصيغ مختلفة من المفسرين والمحدثين .. إلى آخره) فما أدري من أيهما أعجب من تكثيره لمن رواه كأنهم من الحفاظ الكبار أو من سكوته عن مقابلتهم بالرد والإنكار، إذ مثل هذا الكلام لايصدر إلا عمن هو عارف بطرق الحديث مميز بين الصحيح والضعيف.

٦- الأحاديث الواردة في كتابة نبوة النبيﷺ :

وقد روى أبو بكر الآجري وابن الجوزي آثاراً في أن اسم النبي ﷺ كان مكتوباً على ساق العرش وعلى أبواب الجنة، وهذا ممكن فإنه قد ثبت عن ميسرة قال: قلت يارسول الله متى كنت نبياً، وفي رواية متى كتبت نبياً؟ قال:«**وآدم بين الروح والجسد**»[1] وفي مسند أحمد وغيره بإسناد حسن عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ قال:«**إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وأن آدم لمجندل في طينته سأنبئكم بأول أمري، دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ورؤيا أمي رأت حين ولدتني كأنها خرج منها نور أضاءت له قصور الشام**»[2] وفي حديث أبي هريرة سئل النبي ﷺ، متى وجبت لك

١-أخرجه الترمذي في(كتاب المناقب،باب في فضل النبي).ﷺ . ج٥/٥٨٥. رقم ٣٦٠٩. قال أبوعيسى:هذاحديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريره لانعرفه إلامن هذا الوجه.وفي الباب عن ميسرة الفجر، والإمام أحمدفي المسندج٥/٥٩واللفظ له وصححه ابن تيمية في مج٢/١٤٧.

٢-أخرجه الإمام أحمد في المسندج٤/١٢٧وغيره وللتوسع انظر:شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه للدكتور عبدالرحمن الفريوائي ج٢/٤٤٩.ومابعدها.

النبوة؟ قال: «**بين خلق آدم ونفخ الروح فيه**»[١] رواه الترمذي وحسنه. فتبين من هذه الأحاديث أن الله كتب اسمه بعد خلق آدم وقبل نفخ الروح فيه.

٧- الأحاديث الموضوعة

وأما مايرويه كثير من الجهال والإتحادية وغيرهم من أنه قال: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ،وآدم لاماء ولا طين»[٢] فهذا مما لاأصل له لامن نقل ولا من عقل، فإن أحداً من المحدثين لم يذكره ، ومعناه باطل فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط، فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذ موجوداً وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراه مثل حديثٍ فيه «أنه كان نوراً حول العرش» فقال: «ياجبريل أنا كنت ذلك النور»[٣]، ويدّعى أحدهم أن النبي ﷺ كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل.

١-أخرجه أبونعيم في دلائل النبوة ج١/٤٨ .رقم٦وقدعزاه ابن كثير في البداية والنهاية للترمذي أيضاج٣/١٨، و لم أجده في جامع الترمذي،ولاعزاه إليه أحد،وقدأخرج الترمذي الحديث السابق(وآدم بين الروح والجسد).وا لله أعلم.

٢-حديث موضوع . انظر مج ج٨/٢٨٣ وكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه ج٢/٤٥٣

٣-حديث موضوع نسبه بعض الجهلة لمصنف عبدالرزاق ، و لم يخرجه في مصنفه . انظر : تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام في حديث النور المنسوب لمصنف عبدالرزاق تأليف : أحمد عبدالقادر الشنقيطي ط. الثانية ١٤٠٢هـ دار اليقين ص ٦ ومابعدها

٨- دعوى البكري في توسل الأنبياء بالنبي ﷺ :

وأعجب من هذا قوله: إن نوحاً وإدريس وأيوب وجماعة من الأنبياء توسلوا به ، فمثل هذا [لا] [١] يجوز لمسلم أن يبني دينه الذى يكفر به من خالفه على مثل هذا النقل الذى لايعتمد عليه من يدري مايقول.[٢]

ومعلوم أن ماجاء به نبينا ﷺ أضبط وأتم وأكمل ، وهو علينا أوجب ، وأمتنا به أعرف، ولو قال قائل في زماننا قد جاء أن النبي ﷺ قال كذا وفعل كذا ؛ محتجاً به من غير أن يعرف مايستند إليه من العزو والإسناد لكان قائل ذلك من أجهل الناس وأبعدهم عن طريق الرشاد، دع من يستدل على تكفير غيره مما يرويه عن أولئك الأنبياء الذين قد أمرنا نبينا ﷺ إذا حدثنا أهل الكتاب عنهم أن لانصدقهم ولا نكذبهم، بل مثل هذا إذا وجدناه في كتب أهل الكتاب أو في كتب المسلمين منقولاً ، لم يجز لنا أن نصدقه ، ومن صدقه فقد عصى الله ورسوله ، ولو صح فغايته أن يكون شرع من قبلنا.

٩- أمثلة لما ورد عن أنبياء بنى اسرائيل :

وفي المأثور عن الأنبياء المتقدمين مايدل على أن ذلك لم يكن مشروعاً لهم مثل ماذكره الحافظ أبو نعيم في «كتاب الحلية »[٣] في ترجمة أحمد بن أبي الحواري قال: حدثنا أبي حدثنا [أحمد بن محمد بن عمر

١-مابين العقوفتين سقط من الأصول الخطية ، ولايستقيم المعنى بدونه

٢- نقل البكري هذه الدعوى عن الرافضة. انظر: تفسير الحسن العسكري (ت ٢٦٠هـ) ص٩٠-٩١، نقلاً عن التفسير و المفسرون جـ٢/ ٩٥-٩٦

٣-ج١٠ص٩ ط الثالثة ١٤٠٠هـ الناشر دار الكتاب العربى بيروت .

اللنباني] [١] حدثنا الحسين يعني أبا علي الحسين بن عبدا لله بن شاكر السمرقندي سمعت عبدا لله بن الجلا [٢] يقول قال يوسف عليه السلام: «اللهم أني أتوجه إليك بصلاح أبائي إبراهيم خليلك وإسحاق ذبيحك [٣] ويعقوب اسرائيلك» فأوحى ا لله إليه يايوسف :«تتوجه إليّ بنعمة أنا أنعمت بها عليهم» قال أحمد [٤]: فقلت لأبي سليمان الداراني، كنت لبعض الأولياء قبل اليوم أشد حباً، فقال: إنما يتقرب إليه بحب أوليائه[أولاً] [٥] ثم بعد منزلة سعد [٦] القلب، وقد ذكر بعض الناس في هذا الأثر أن ا لله قال له: «وأي حق لأبائك علي» [٧] لأنه سبحانه وتعالى هو الذى أنعم عليهم بالإيمان والنبوة كما قال تعالى بعد ذكره لهم وثنائه عليهم﴿**أولئك الذين أنعم ا لله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل**﴾ [٨] الآية وكذلك الآية التى في النساء ﴿**ومن يطع ا لله والرسول فأولئك مع الذين أنعم ا لله عليهم من النبيين**﴾ [٩] الآية،

١-كذا في الحلية،أحمدبن محمدج١٠/٩،وصححت الاسم من السير ج١٥/٣١١، وفي(ط) و(د) أحمد يعنى محمد بن عمر اللبناني.

٢-في الحلية (الحذاء) ج١٠/٩.

٣-الذبيح هو إسماعيل عليهما السلام ، وهذا الخبر من الإسرائيليات،وقد جاء فيه ما خالف ديننا فهو مكذوب، وسيأتي ردالمؤلف لهاوأنه احتج بها لإلزام الخصم فقط.

٤-آي أحمد بن أبي الحواري

٥-كذافي الحليةج١٠/٩وفي ط و (د) و التيمورية (أولى) ولايستقيم المعنى.

٦-كذافي (ط) و(د)، و في الحلية (تشغل) ،وفي التيمورية (تستعد)

٧-وقد ذكر في موضع أخر أنه قد جاء قريب من ذلك عن داود عليه السلام .

٨-سورة مريم الآية : ٥٨

٩-سورة النساء الآية : ٦٩

وقال في الفاتحة ﴿اهدنا الصراط المستقيم صرط الذين أنعمت عليهم﴾ [(١)] وأما مااستحقوه عليه فكقوله ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ [(٢)] ﴿كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين﴾ [(٣)] فهو سبحانه أحقه على نفسه بحكم احسانه وفضله ووعده، لاهم أحقوه عليه؛ كالحق الذي للإنسان على من له عنده يد ، ولهذا ليس لأحد أن يُدِلَ على الله بصلاح سلفه فإنه ليس صلاحهم من عمله الذى يستحق به الجزاء؛ كأهل الغار الثلاثة فإنهم لم يتوسلوا إليه بصلاح سلفهم وإنما توسلوا إلى الله بأعمالهم لما علموا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يثيب العاملين على أعمالهم كما قال ﴿لها ماكسبت وعليها مااكتسبت﴾ [(٤)] وسعي غيره ليس له كما لاتزر وازرة وزرا أخرى كما قال تعالى ﴿أم لم ينبأ بما صحف موسى • وإبراهيم الذى وفّى • ألاتزر وازرة وزر أخرى • وأن ليس للأنسان إلا ماسعى*﴾ [(٥)] وإن كان المرء قد ينتفع بسعي غيره لكنه ليس له فلا [يمن] [(٦)] ويدل بما ليس له [(٧)].

فإن كانت الإسرائيليات حجة فهذا فيه دليل، على أنه لايسأل الله بحق

١-سورة الفاتحة الآية : ٦

٢-سورة يونس الآية : ١٠٣

٣-سورة الروم الآية : ٤٧

٤-سورة البقرة الآية : ٢٨٦

٥-سورة النجم الآيات : ٣٦ - ٣٩

٦-في (د) و (ط) لايمت، وفي التيمورية (لايمن)

٧-وأيضا لايمن ولا يدل بعمله على الله لما ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : ((**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ، قال: ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**)) انظر ص ٣٥١

الأنبياء. وإن لم تكن حجة لم يجز الاحتجاج بتلك الإسرائليات، ثم إن توسل النبي المتقدم بالنبي الذي بعده يقتضي أن يكون أفضل منه، فيقتضي أن يتوسل نوح بإبراهيم ، وداود بعيسى، وإسرائيل بموسى. ومثل هذا لو كان حقاً لكان أصلا في العلم الصحيح ، ولكن المتقدم من الأنبياء يبشر بمن يأتي بعده منهم، وليس هو مأموراً باتباع شريعة من يأتي بعده . بل إما أن يكون مأموراً باتباع شريعة توحى إليه أو شريعة رسول قبله ، فهو مستغن عمن بعده متبع لمن قبله، فكيف يتوسل بالمتأخر؛ ولا يتوسل بالمتقدم الذي يجب عليه اتباعه؟

١٠- استدلال البكري بقصة الإمام مالك مع أبي جعفر المنصور :

قال الشيخ: (قال المعترض وقد رُوى أن أبا جعفر لما ناظر مالكاً في مسجد النبي ﷺ ، قال له مالك: ياأمير المؤمنين لاترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله أدب قوماً؛فقال ﴿**لاترفعوا أصواتكم**﴾ [١] وذم آخرين فقال ﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات**﴾ [٢] وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً. فاستكان لها أبو جعفر وقال: ياأبا عبدالله أستقبل القبلة وأدعوا أم أستقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال له: و لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به[٣] .

رد ابن تيمية

- قال الشيخ: فيقال (الجواب) عن هذا من وجهين: (**أحدهما**) المطالبة بصحة هذه الحكاية وليس معه ولا مع من ينقلها به إسناد صحيح ولا

١-سورة الحجرات الآية : ٢

٢-سورة الحجرات الآية : ٣

٣-سيأتي تخريجه في ص ٤٠١

ضعيف ، وإنما غايته أن يعزوها إلى " الشفا " أو إلى من نقلها منه ، وكل عالم بالحديث يعلم أن في هذا الكتاب من الأحاديث والآثار ماليس له أصل ولا يجوز الاعتماد عليه. فإذا قال القاضي عياض ذكره فلان في كتابه فهو الصادق في خطابه ؛ وإذا لم يذكره من أين نقله لم نتهمه ؛ ولكن نتهم من فوقه. وقد رأيناه ينقل من كتب فيها كذب كثير وهو صادق في نقله منها لكن [من] [1] فوقه لايجوز الاعتماد عليهم.

الوجه الثاني: أن يقال هذه الحكاية كذب بلا ريب من وجوه : منها أنها مخالفة لمذهب مالك ومذهب سائر الأئمة ، فإنهم متفقون على أن من سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء فإنه يستقبل القبلة ، كما روي ذلك عن الصحابة ، وتنازعوا وقت السلام عليه هل يستقبل القبلة أو القبر؟ على قولين : فقال أبو حنيفة : يستقبل «القبلة أيضا». وقال : غيره : « يستقبل القبر وقت السلام عليه » . وأما وقت الدعاء فما أعلم إماماً خالف في أنه يستقبل القبلة ، بل الأئمة متفقون على أن قبلة المسلمين التى يستقبلونها في جميع أدعيتهم وأمكنتهم هي الكعبة ، ويستحب لكل من دعا الله أن يستقبل الكعبة حيث كان ، وأين كان ، كما كان النبي ﷺ يستقبلها، فيستقبل وقت الذكر والدعاء بعرفة ومزدلفة وبين الجمرات وعلى الصفا والمروة، وعقب الصلاة في مسجد النبي ﷺ ، وغيره ، وما جعل أحد من الأئمة قبر أحد من الأنبياء قبلة للدعاء ، وإنما يستقبل قبورهم أهل الجهل عند عباداتهم ومن هؤلاء الغلاة من يستقبل

١-كذا في التيمورية وفي (د) و (ط) ما .

قبورهم ويصلي إليها وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لاتجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**»[١]

(ومنها) أن مالك من قوة متابعته للسنة كره أن يقال زرت قبر النبيﷺ، وهذا مما لايستريب أحد في ثبوته عنه، مع أن لفظ زيارة القبور في الجملة مما جاءت به السنة في غير قبره، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: زار النبيﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال:«**استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**»[٢] والأحاديث في ذلك كثيرة.

ثم بسط الشيخ الكلام على ذلك.

١١- استدلال البكري بحديث الكوة :

أما ذكره (أي البكري) من أن أهل المدينة شكوا إلى عائشة فأمرتهم أن يعملوا كوة إلى السقف حتى لايكون بينه وبين السماء حائل، ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل وتفتقت شحما فسمي عام الفتيق. فقد ذكر هذا فيما أظن محمد بن الحسن بن زبالة فيما صنفه في أخبار المدينة[٣].

١-أخرجه إلامام مسلم في (كتاب الجنائز ، باب النهي عن الجلوس على القبور والصلاة عليه) ج٢/٦٦٧ رقم ٩٧٢

٢-أخرجه إلامام مسلم في (كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه - عز وجل - في زيارة قبر أمه) ج٢/٦٧١ رقم٩٧٦

٣-سيأتي تخريجه في ص ٤٠٣

رد ابن تيمية

وجوابه من وجهين : **أحدهما** : أن هذا محمد بن زبالة ضعيف لايحتج به ، والثابت عن الصحابة باتفاق أهل العلم أنهم كانوا إذا استسقوا دعوا الله ؛ إما في المسجد وإما في الصحراء، وهذا الاستسقاء المشروع باتفاق أهل العلم ، فإنهم اتفقوا على دعاء الله واستغفاره. واختلفوا هل يصلى للاستسقاء على قولين: وجمهورهم على أنه يصلى له، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد ، وأما أبو حنيفة فلم يعرف الصلاة في الاستسقاء ، والجمهور عرفوا ذلك بما ثبت في الصحاح والسنن والمسانيد أن رسول الله ﷺ صلى في الاستسقاء ركعتين ، والصحابة في زمن عمر وغيره صلوا واستشفعوا بالعباس وغيره ، ولم يكشفوا عن قبره ، ولو كان مشروعا لما عدلوا عنه.

وهذا العلم العام المتفق عليه لايعارض بما يرويه ابن زبالة وأمثاله ؛ ممن لايجوز الاحتجاج به، ولو قال عالم يستحب عند الاستسقاء أو غيره أن يكشف عن قبر النبي ﷺ ؛ أو غيره من الأنبياء والصالحين لكان مبتدعاً بدعة مخالفة للسنة المشروعة عن رسول الله ﷺ وعن خلفائه.

الثاني : أن هذا الفعل ليس حجة على محل النزاع سواء كان مشروعاً أو لم يكن ،فإن هذا استنزال للغيث على قبره ؛ والله ـ تعالى ـ ينزل رحمته على قبور أنبيائه وعباده الصالحين، وليس في ذلك سؤال لهم بعد موتهم ولا طلب ولا استغاثة بهم، والاستغاثة بالميت والغائب سواء كان نبياً أو ولياً ليس مشروعاً ولا هو من صالح الأعمال، إذ لو

كان مشروعاً أو حسناً من العمل لكانوا به أعلم وإليه أسبق. و لم يصح عن أحد من السلف أنه فعل ذلك.

ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة بل كان بعضه باقياً كما كان على عهد النبيﷺ: بعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه ، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة: «**أن النبيﷺ يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد**»[1]. و لم تزل الحجر كذلك حتى زاد الوليد بن عبدالملك في المسجد في أمارته لما زاد الحجر في مسجد الرسول ﷺ ، وكان نائبه على المدينة ابن عمه عمر بن عبدالعزيز وكانت حجر أزواج النبي ﷺ شرقي المسجد وقبليّه فأمره أن يشتريها من ملاّكها ورثة أزواج النبي ﷺ فاشتراها وأدخلها في المسجد ، فزاد في قبلي المسجد وشرقيه. ومن حينئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد ، وإلا فهي قبل ذلك كانت خارجة عن المسجد في حياة النبيﷺ وبعد موته، ثم إنه بنى حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدار عال وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك ألأجل كنس أو تنظيف.

ولوصح ذلك لكان حجة ودليلا على أن القوم لم يكونوا يُقسمون على الله بمخلوق ولا يتوسلون في دعائهم بميت ولا يسألون الله به، وإنما فتحوا على القبر لتنزل الرحمة عليه و لم يكن هناك دعاء يقسمون به عليه، فأين هذا من هذا؟! والمخلوق إنما ينفع المخلوق بدعائه أو بعمله، فإن الله -تعالى- يحب أن نتوسل إليه بالإيمان والعمل والصلاة السلام على نبيه ﷺ ومحبته وطاعته وموالاته، فهذه الأمور

١-سيأتي تخريجه في ص ٤٠٥

التى يحب الله أن نتوسل بها إليه. وإن أريد أن نتوسل إليه بما تحب ذاته وإن لم يكن هناك ما يحب الله أن نتوسل به من الإيمان والعمل الصالح فهذا باطل عقلا وشرعا، أما عقلاً فلأنه ليس في كون الشخص المعين محبوبا له مايوجب كون حاجتي تقضى بالتوسل بذاته، إذا لم يكن منى ولا منه سبب تقضى به حاجتى، فإن كان منه دعاءٌ، لي ؛ أو كان مني إيمان به وطاعة له ؛ فلا ريب أن هذه وسيلة، وأما نفس ذاته المحبوبة فأي وسيلة لي فيها ، إذا لم يحصل لي السبب الذي أمرت به فيها. ولهذا لو توسل به من كفر به مع محبته له لم ينفعه ، والمؤمن به ينفعه الإيمان به وهو أعظم الوسائل.

فتبين : أن الوسيلة بين العباد وبين ربهم - عز وجل - الإيمان بالرسل وطاعتهم ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم**﴾ [1] ﴿**ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً**﴾ [2]

وأما الشرع فيقال العبادات كلها مبناها على الاتباع لاعلى الابتداع، فليس لأحد أن يشرع من الدين مالم يأذن به الله، فليس لأحد أن يصلي إلى قبره ويقول: وهو أحق بالصلاة إليه من الكعبة، وقد ثبت عنهﷺ في الصحيح أنه قال «**لاتجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**».

١٢- استدلال القبورية بحديث الأعمى :

حديث الأعمى رواه الترمذي والنسائي والإمام أحمد وصححه الترمذي ولفظه: أن النبيﷺ علّم رجلا فيقول : «**اللهم إني أسألك**

١-سورة النساء الآية : ٦٩

٢-سورة الجن الآية : ٢٣

وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة. يامحمد يارسول الله إني أتوسل بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها لي فشفّعه فيّ» وروى النسائي نحوه.

وفي الترمذي وابن ماجه عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى إلى النبيﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني ، فقال:**«إن شئت دعوتُ وإن شئت صبرتَ فهو خير لك» فقال: فادعه. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء. فذكر نحوه.** قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه النسائي عن عثمان بن حنيف ولفظه: أن رجلاً أعمى قال: يارسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قل[1]:**«اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة، يامحمد إني أتوجه بك إلى ربي أن يكشف عن بصري، اللهم فشفّعه فيّ»** فرجع وقد كشف الله بصره.

وقال أحمد في مسنده: حدّثنا روح حدّثنا شعبة عن عمير بن يزيد الخطمي المديني قال سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان ابن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: يانبي الله ادع الله أن يعافيني فقال: **«إن شئت أخّرت ذلك فهو أفضل لآخرتك، وإن شئت دعوت لك»** قال: بل ادع الله لي، فأمره أن يتوضأ وأن يدعو بهذا الدعاء : **«اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يامحمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي اللهم فشفعني فيه وشفعه فيّ»** ، قال ففعل الرجل فبرأ، فهذا الحديث فيه التوسل به إلى الله في الدعاء. فمن الناس من يقول: هذا يقتضي

١-في (ط) قال ، والتصحيح من التيمورية .

جواز التوسل به مطلقاً حيا وميتا، وهذا يستدل به من توسل بذاته بعد موته وفي مغيبه ، ويظنون أن توسل الأعمى والصحابة به في حياته كان بمعنى الإقسام به على ربه ؛ أو بمعنى أنهم سألوا الله بذاته ولا يحتاج هو أن يدعو لهم ولا إلى أن يطيعوه، ويظنون أن كل من توسل بالرسول كما توسل به ذلك الأعمى مشروع له.

وقول هؤلاء باطل شرعا وقدَراً، فلاهم موافقون لشرع الله ولا مايقولونه مطابق لخلق الله، ومنهم من يقول هذه قضية عين فيثبت الحكم في نظائرها التى تشبهها في مناط الحكم ، لايثبت الحكم بها فيما هو مخالف لها لامماثل لها والفرق ثابت شرعا وقدرا بين من دعا له النبي ﷺ وبين من لم يدع له ، فلا يجوز أن يجعل أحدهما كالآخر ، وهذا الأعمى شفع له النبي ﷺ ولهذا قال في دعائه : «**اللهم فشفعه فيّ**» فعلم أنه شفع فيه، وكذلك قوله «**إن شئت صبرت وإن شئت دعوت لك**» فقال ادع لي فدعا له ، وقد أمره أن يصلي ويدعو لنفسه أيضاً، فحصل الدعاء من الجهتين. وكذلك قول عمر في استسقائه بالعباس.

فالنبي ﷺ علم رجلاً أن يتوسل به في حياته ؛ كما ذكر عمر أنهم يتوسلون به إذا أجدبوا ، ثم أنهم بعد موته إنما كانوا يتوسلون بغيره بدلا عنه، فلو كان التوسل به حياً وميتاً سواء ؛ والمتوسل به الذي دعا له الرسول كمن لم يدع له ؛ لم يعدلوا عن التوسل به وهو أفضل الخلق وأكرمهم على ربه وأقربهم وسيلة إليه، وكذلك لو كان كل أعمى توسل به وإن لم يدع له الرسول بمنزلة ذلك الأعمى لكان عميان الصحابة أو بعضهم يفعلون مثل مافعل الأعمى، ولو أن كل أعمى دعا بدعاء ذلك الأعمى وفعل كما فعل من الوضوء والصلاة بعد موت النبي ﷺ وإلى زماننا هذا لم يوجد على وجه الأرض أعمى،

فعدول عمر والصحابة عن هذا إلى هذا وما يشرع من الدعاء وينفع عما لايشرع ولا ينفع، وما يكون أنفع من غيره وهم في وقت ضرورة ومخمصة وجدب يطلبون تفريج الكربات وتيسير الخير وإنزال الغيث بكل طريق ممكن، دليل على أن المشروع ماسلكوه دون ماتركوه.
ولهذا ذكر الفقهاء في كتبهم في الاستسقاء مافعلوه دون ماتركوه.

وحديث الأعمى إنما ظهر بسبب كلامنا، ومن جهةِ أصحابنا اتصل علمه إلى هؤلاء المبتدعة. فإن الفقيه أبا محمد بن عبدالسلام لم يقف على هذا الحديث و لم يعرف صحته، فإنه علق الجواب بجواز التوسل به ﷺ على صحته فكأنه لم يصح عنده إما لعدم علمه بتصحيح الترمذي له أو أنه اطلع فيه على قادح معارض. ولولا الإطالة لتكلمنا على ذلك فنحن لاحاجة بنا إلى شيء من ذلك فإنا بالحديث عاملون وله موافقون وبه عالمون، والحديث ليس فيه إلا أنه طلب من ا لله عزوجل و لم يطلبها من مخلوق، ونحن إلى ا لله -تعالى- نرغب وإياه نسأل، فهو المدعو المسؤول كما أنه المعبود المستعان، لا نشرك به شيئاً[1].

١٣- استدلال القبورية بسماع الميت :

لو قال القائل :سؤال الغائب حياً وميتاً كسؤال الشاهد ، فإن الأنبياء والأولياء يسمعون خطاب الغائب البعيد ويسمع أحدهم خطاب الناس البعيدين عنه.

قلنا : هذا محال في العادة المعروفة وإذا وقع ذلك في بعض الصور كان من باب خرق العادة والعادة قد تخرق بأن يسمع الأدنى خطاب الأعلى ،كما سمع سارية خطاب عمر «ياسارية الجبل ياسارية الجبل» ويجوز خرق العادة

١-انظر تخريج الحديث ص٣٩١

بالعكس، لكن إثبات هذا في حق معين لايكون إلا بحجة تدل على وقوع ذلك في حقه.

فإن قال : إن النبي ﷺ يسمع الخطاب البغيد والقريب. قيل : ليس في هذا الحديث المعروف ما يدل على التسوية بين القريب والبعيد في سمع خطابه بل الحديث يدل على نقيض ذلك. ففي السنن حديث أوس بن أوس الذي رواه أبو داود وغيره ورواه ابن حبان في صحيحه والدارقطني في سننه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، وفيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة ، فأكثروا علّي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علّي ، قالوا : يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمت (قال يقولون بليت) قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[١] والحديث الذي رواه أحمد في مسنده وأبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاتتخذوا قبري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علّي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني**»[٢] والحديث الذي رواه النسائي وابن حبان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «**إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام**»[٣].

١-أخرجه أبو داود في (كتاب الصلاة،باب فضل يوم الجمعة)، ج١/٢٧٥ رقم١٠٤٧ت محمد محي الدين عبدالحميد.والنسائي في كتاب الجمعة ، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة ج٣/١٩رقم١٣٧٢. صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحةج٤/٣٢رقم١٥٢٧.وانظرالصارم المنكى في الرد على السبكي لابن عبدالهادي ت السلفي ص١٥٨-١٥٩

٢-انظر تخريج الحديث ص ٣٤٥

٣-أخرجه النسائي في (كتاب السهو ، باب السلام على النبي ﷺ) ج٣/٤٣ رقم ١٢٨٠ والامام أحمد في المسند ج١/٤٤١ وغيرهم . وصححه ابن عبد الهادي في الصارم المنكي ص٢٠٢

وروى أبو يعلى الموصلي في مسنده عن موسى بن محمد بن حبان عن أبي بكر الحنفي حدثنا عبيدا لله بن نافع حدثنا العلاء بن عبدالرحمن قال سمعت الحسين بن علي يقول: قال رسول الله ﷺ : **«صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً ولا تتخذوا بيتي عيداً صلوا عليّ وسلموا فإن صلاتكم وسلامكم يبلغني أينما كنتم»**[1].

وروى الروياني في مسنده والبزار وغيرهما عن نعيم بن ضمضم عن عمران بن الحميري قال: قال لي عمار بن ياسر: قال نبي الله ﷺ : **«ياعمار إن لله ملكاً أعطاه الله أسماع الخلائق فهو قائم على قبري إذا مت إلى يوم القيامة فلا يصلي عليّ أحد صلاة إلا سماه باسمه واسم أبيه فقال صلى عليك فلان كذا وكذا ، فيصلي الرب على ذلك المصلي بكل واحدة عشرا»**[2]
وقال أبو أحمد الزبيري حدثنا إسرائيل عن أبي يحي عن مجاهد عن ابن عباس قال **«ليس أحد من أمة محمد ﷺ يصلي عليه صلاة إلا وهي**

١-انظر تخريج الحديث ص ٣٤٥

٢-أخرجه البزار في مسنده كما في مختصر زوائد مسند البزار لابن حجر تحقيق صبري عبد الخالق ج٢/٤٣٦رقم ٢١٦٤ و ٢١٦٥ ، وقال لا نعلمه يُروى عن عمار إلا بهذا الإسناد . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية .
وابن عدى في الكامل في ضعفاء الرجال في ترجمة عمران ج٥/٩٣ رقم ٣٠٦/ ١٢٧٣ وقال : «لايتبع عليه »
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج١٠/١٦٢ :«رواه الطبراني ونعيم بن ضمضم ضعيف ، وابن الحميري اسمه عمران قال البخارى لايتابع على حديثه وقال صاحب الميزان لايعرف وبقيه رجاله رجال الصحيح » .

تبلغه يقول له الملك فلان يصلي عليك كذا وكذا صلاة»[1]

وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الجرث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكثروا علي الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وإن أحداً لايصلي عليّ إلا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ»** قال: قلت وبعد الموت؟ قال: **«إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»** فهذه الأحاديث تدل على أن الصلاة والسلام يعرضان عليه، وأن ذلك يصل حيثما كنا. وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **«مامن أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام»**[2] وهذا الحديث هو الذي اعتمد عليه العلماء كأحمد وأبي داود وغيرهما في السلام عليه عند قبره وزيارة قبره، إذ لم يكن معهم سند يستندون إليه في زيارة قبره إلا هذا الحديث. والأحاديث التى رويت في زيارة قبره ضعيفة بل موضوعة وأكثرها وضعت بعد الإمام أحمد وأمثاله.

فهذه النصوص التى ذكرناها تدل على أنه يسمع سلام القريب ويبلّغ سلام البعيد وصلاته ، لأنه يسمع ذلك المصلي والمسلم، وإذا لم يسمع الصلاة والسلام من البعيد إلا بواسطة فإنه لايسمع دعاء الغائب

١-أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج٢/٢١٨ رقم ١٥٨٤ ت محمد السعيد زغلول الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ الناشر دار الكتب العلميه بيروت ، وابن عدى في الكامل في ترجمه أبي يحي القتات ج٣/٢٣٨- ٢٣٩ رقم ٧٢٩/٤٤ وقال في أخر ترجمته : « وفي حديثه بعض مافيه إلا إنه يكتب حديثه »

٢-انظر تخريج الحديث ص٣٤٢

واستغاثته بطريق الأولى والأحرى. والنص إنما يدل على أن الملائكة تبلغه الصلاة والسلام، ولم يدل على أنه يبلغه غير ذلك.

والحديث الذى **فيه «مامن رجل يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام»** فهمَ العلماء منه السلام عند قبره خاصة فلا يدل على البعيد ، فإن السنة إذا زار الرجل القبور مطلقاً أن يسلم عليهم **ويدعو لهم، وكان النبي ﷺ** يخرج إلى أهل البقيع يسلم عليهم.

وقد بسط الشيخ الكلام في هذا الموضع بسطاً طويلاً ومقصوده توحيد الله سبحانه، **وطلب** الحوائج منه والذب عن حومة الاخلاص وأن **لايسأل إلا الله.**

١٤- صور السؤال وحكم كل صورة :

قال الشيخ: فإن هنا أربعة معاني **أحدها**: أن يسأل الله تفريج الكربة بالمتوسل به ، ولا يسأل المتوسل به شيئاً ؛ كما يفعله كثير ممن يتوسل بالأموات .

الثاني: أن يسأل الله ويسأل المتوسل به أن يدعو كما كان الصحابة يتوسلون بالنبيﷺ في الاستسقاء، ثم من بعده بعمه العباس، وبيزيد بن الأسود الجرشي وغيرهما.

والثالث: أن يسأل المتوسل به أن يسأل الله له تفريج الكربة ولا يسأل الله.

والرابع: أن يسأل المستغاث به أن يفرج الكربة ولا يسأل الله.

فأما الأول: فهو سائل لله وحده ومستغيث به وليس مستغيثا بالمتوسل به إلا أن يريد بالاستغاثة السؤال به.

وأما **الثاني**: فهو استغاثة با لله في تفريج الكربة واستغاثة بالشفيع أن يسأل ا لله هو، توسل به (أي بدعائه وشفاعته)، وهذا هو المشروع في الدنيا والآخرة في حياة الشفيع وسؤاله أو في حال مشاركة الشفيع له في السؤال لافي حال انفراده هو بالسؤال.

وكذلك **الثالث**: إذا سأل المتوسل به أن يسأل ا لله كما يسأله الناس يوم القيامة. فهذا لاريب في جوازه وإن سمي استغاثة به.

وأما **الرابع**: وهو أن يسأل المستغاث به تفريج الكربة، فهذا استغاثة به ليس توسلاً به بل المستغاث به مطلوب منه الفعل فإن لم يكن قادراً عليه لم يجز أن يطلب منه مالا يقدر عليه.

فالأول: سؤال به وليس استغاثة أصلا وبعض الناس يسميه توسلا به .

والثاني: فيه استغاثة به وتوسل به.

والثالث: فيه استغاثة في سؤال ا لله وليس فيه سؤال به.

والرابع: استغاثة في تفريج الكربة لكن لايجوز ذلك من ميت ولا غائب ولا من حي حاضر إلا فيما يقدر عليه خاصة، وليس هذا هو التوسل به.

والتوجه المشروع الذي كانت الصحابة تفعله إنما كان بدعائه وشفاعته، ولا ريب أن من سأل ا لله تفريج الكربة بواسطةسؤال النبي ﷺ وشفاعته فقد استغاث به، وهذا جائز كما كان الناس يفعلونه في حياته وكما يفعلونه في الآخرة في حياته أيضاً.

ولكن هذا ليس مشروعاً بعد موته ولم يفعله أحد من الصحابة بعد موته ؛ بل عدلوا عن التوسل بدعائه وشفاعته إلى التوسل بدعاء غيره من الأخيار كالعباس ويزيد بن الأسود وغيرهما، فلا دين إلا ماشرعه ا لله ورسوله كما أنه لاحرام إلا ماحرمه.

ومن ذهب إلى الاستغاثة بالموتى فقد شرع له ديناً لم يؤذن له به.

١٥- أحاديث زيارة قبر النبيﷺ كلها موضوعه:

الأحاديث التى رويت في زيارة قبر النبي ﷺ كلها ضعيفة بل موضوعة، وليس في السنن الأربعة منها حديث واحد فضلا عن الصحيحين ، ولا احتج الأئمة بشيء منها ولا رووا شيئاً منها لامالك ولا الشافعي ولا أحمد ولا الثوري ولا الاوزاعي ولا الليث ولا أبوحنيفة ولا إسحاق بن راهوية ولا أحد من أئمة المسلمين وذلك مثل قوله :**«من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي»**[1] ومثل مايروون عنه أنه قال :**«من زارني بعد مماتي وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على ا لله الجنة»**[2] فهذه الأحاديث وما أشبهها كلها كذب موضوع على النبي ﷺ ، لم يثبت عنه لفظ واحد في زيارة قبره، ولكن روى الأولان من قد يروي الموضوعات كالبزار والدارقطني كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع. كيف يكون زائر قبره كالمهاجر إليه في حياته؟ فإن زيارته في حياته إنما شرعت لمن يأتي ويبايعه على الإسلام والجهاد،أو يهاجر إليه لطلب الآخرة أو يطلب منه العلم أو نحو ذلك من المقاصد المأمور بها في حياته التى لايحصل شيء منها بزيارة قبره.

١٦- مراتب بدعة سؤال الموتى :

أبعدها عن الشرع : أن يسأل الميت حاجة أو يستغيث به فيها ،كما يفعله كثير من الناس بكثير من الأموات وهو من جنس عبادة

١-حديث موضوع لاأصل له . انظر الصارم المنكي ص١٧٢

٢-موضوع قال النووي في المجموع ـ شرح المهذب ـ « وهذا باطل ليس مروياً عن النبي ﷺ ، ولا يعرف في كتاب صحيح ولا ضعيف ، بل وضعه بعض الفجرة » ج ٢٧٧/٨ . ط المكتبة السلفية .

الأصنام . ولهذا تتمثل لهم الشياطين على صورة الميت أو الغائب كما كانت تتمثل لعباد الأصنام ، بل أصل عبادة الأصنام إنما كانت من القبور كما قال ابن عباس وغيره. وقد يرى أحدهم القبر قد انشقّ وخرج الميت فعانقه أو صافحه أو كلّمه ؛ ويكون ذلك شيطانا تمثل على صورته، وهذا يوجد كثيرا عند قبور الصالحين ، وأما السجود للميت أو للقبر فهو أعظم وكذلك تقبيله .

المرتبة الثانية : أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت، فيقصد زيارته لذلك أو للصلاة عنده ؛ أو لأجل طلب حوائجه منه، فهذا أيضا من المنكرات المبتدعة باتفاق أئمة المسلمين وهي محرمة ، وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين.

المرتبة الثالثة: أن يسأل صاحب القبر أن يسأل الله له، وهذا بدعة باتفاق أئمة المسلمين .

١٧- دعاء صفة من صفات الله :

(في الرد على البكري) أن مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع كما جاءت به الأحاديث. وأما دعاء صفاته وكلماته فكفر باتفاق المسلمين، فهل يقول مسلم ياكلام الله اغفر لي وارحمني واغثني أو أعني، أو ياعلم الله أو ياقدرة الله أو ياعزة الله أو ياعظمة الله ونحو ذلك؟ أو سمع من مسلم أو كافر أنه دعا ذلك من صفات الله وصفات غيره؟ أو يطلب من الصفة جلب منفعة او دفع مضرة أو إعانة أو نصراً أو إغاثة أو غير ذلك ؟ والنصارى وإن كانوا يقولون : المسيح هو الكلمة ويدعونه ويتخذونه إلهاً فهو عندهم عين قائمة بنفسها حاملة للصفات؟ ليس المسيح عندهم صفة قائمة بموصوف، ولكن مذهبهم متناقض حيث يجعلون الإله واحداً والأقانيم ثلاثة،

ويدعون أن المتحد بالمسيح هو أقنوم الكلمة، فإن فسروا الأقنوم بما يجري مجرى الصفة لزم أن تكون الصفة خالقة وهم لايقولون ذلك،وإن فسره بما يجرى مجرى الموصوف لزم أن تكون الذات الموصوفة وهي الآب هي المسيح وهم لايقولون ذلك . فقولهم متناقض في نفسه باتفاق عقلاء بني آدم، و لم يقولوا أن مجرى الصفة القائمة بغيرها تدعى وتسأل.

١٨- سبب ضلال القبورية وأصل شبهتهم :

قال: وقوله (من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربه أو استغاث به سواء كان ذلك بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو غيرهما مما هو في معناهما) فهذا القول لم يقله أحد من الأمم بل هو مما اختلقه هذا المفتري ، وإلا فلينقل ذلك عن أحد من الناس، وما زلت أتعجب من هذا القول وكيف يقوله عاقل ، والفرق واضح بين السؤال بالشخص والاستغاثة به. وأريد أن أعرف من أين دخل اللبس على هؤلاء الجهال ؟ فإن معرفة المرض وسببه يعين على مداواته وعلاجه ، ومن لم يعرف أسباب المقالات - وإن كانت باطلة - لم يتمكن من مداواة أصحابها وإزالة شبهاتهم ، فوقع لي أن سبب هذا الضلال والإشتباه عليهم أنهم عرفوا أن يقال سألت الله بكذا كما في الحديث : «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد أنت المنان**»[1] ورأيي أن الاستغاثة تتعدى بنفسها كما

١-أخرجه النسائي في (كتاب السهو ، باب الدعاء بعد الذكر) ج٣ /٥٢ رقم ١٢٩٨ وأبو داود في (كتاب الصلاة ، باب الدعاء) ج٢/٧٩ - ٨٠ رقم ١٤٩٥ ، والترمذي في (كتاب الدعوات ، باب خلق الله مائة رحمة)، ج٥/٥٥٠ رقم ٣٥٤٤ وغيرهم ولفظهم « ...... لا إله إلا أنت المنان .....»

يتعدى السؤال كقوله **﴿إذ تستغيثون ربكم﴾**[1] وقوله **﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾**[2] فظنوا أن قول القائل استغثت بفلان كقوله سألت بفلان والمتوسل إلى ا لله بغائب أو ميت تارة يقول : أتوسل إليك بفلان ، وتارة يقول : أسألك بفلان ، فإذا قيل ذلك بلفظ الاستغاثة فإما أن يقول استغيثك بفلان ، أو أستغيث إليك بفلان ، ومعلوم أن كلا هذين القولين ليس من كلام العرب.

وأصل الشبهة على هذا التقدير أنهم لم يفرقوا بين الباء في استغثت به التي يكون المضاف بها مستغاثاً مدعوا مسؤولاً مطلوباً منه ، وبالاستغاثة المحضة من الإغاثة التى يكون المضاف بها مطلوبا به لامطلوبا منه، فإذا قيل توسلت به أو سألت به أو توجهت به فهي الاستغاثة كما تقول كتبت بالقلم ، وهم يقولون أستغيثه وأستغث به من الإغاثة ، كما يقولون استغثت ا لله واستغثت به من الغوث، فا لله في كلا الموضعين مسؤول مطلوب منه.

وإذا قالوا لمخلوق استغثته واستغثت به من الغوث كان المخلوق مسؤولاً مطلوبا منه، وأما إذا قالوا استغثت به من الإغاثة فقد يكون مسؤولاً وقد لايكون مسؤولاً ، وكذلك استنصرته واستنصر به فإن المستنصر يكون مسؤولاًمطلوبا؛ وأما المستنصر به فقد يكون مسؤلا وقد لايكون مسؤولاً.

فلفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به، وقول القائل استغثت فلانا واستغثت به معنى طلبت منه الإغاثة لابمعنى توسلت به فلا يجوز للإنسان الاستغاثة بغير ا لله فيما لايقدر عليه إلا ا لله.

١-سورة الأنفال الآية : ٩

٢-سورة القصص الآية : ١٥

١٩- أهمية التوحيد :

التوحيد أصل كل خير وجماعه، والشرك أصل كل شر وجماعه. والموجبتان «**من مات وهو يعلم أن لاإله إلا ا لله دخل الجنة ومن مات يشرك با لله شيئاً دخل النار**»[1] ولهذا لما جمع سبحانه وتعالى بين ماأمر به وبين ماحرمه في قوله تعالى ﴿**قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين**﴾[2] ثم قال تعالى ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا با لله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على ا لله مالا تعلمون**﴾[3]. وأصل الكفر و الشرك مخالفة الرسولﷺ ، وهؤلاء الجهال فيهم من الشرك ومخالفة الرسول مالا خفاء به على المؤمن العليم، وهم فيه درجات منهم من يأتي بالشرك البيّن ، والإنكار البيّن لما جاء به الرسول ﷺ فهذا يستتاب باتفاق الأئمة، ومنهم من هو مخطيء في دقيق ذلك، ومنهم من هو بين هذا وهذا إما فاسق وإما عاص.

٢٠- استعداء البكري للدولة :

وقوله: (لقد خشيت على كثير من أهل الإقاليم بسبب تقاعدهم عن نصرة الرسول ﷺ بإهلاكه وإهلاك أمثاله خصوصاً أهل الدولة وأصحاب الحكم إلى آخره).

١- أخرجه مسلم في «كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك با لله شيئاً دخل الجنه » ج١/٩٤ رقم٩٣ ولفظه «... لايشرك با لله ...» وأخرج مسلم الشطر الأول في «كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة مطلقاً ج١/٥٥رقم ٢٦ بلفظه .

٢- سورة الأعراف الآية : ٢٩

٣-سورة الأعراف الآية : ٣٣

جواب ابن تيمية : فيقال: كنت قد أجبت عن كلامه إلى هذا الموضع واتفقت أمور شغلت عن تمام ذلك حتى أنزل الله بأسه بهذا الجاهل الظالم وحزبه الجاهلين الظالمين ، وكانوا في ذلك نظير المستفتحين من المشركين ، وهذا الوعيد الذي ذكره في كلامه به وبأحزابه أليق وهم به أحق، وهكذا فعل الله - تعالى - بهم حيث عاقبه وحزبه عقوبة المعتدين الظالمين، عقوبة لم يعاقب بها أحداً من أشكالهم، وهؤلاء مضاهون للمشركين الذين ناظروا إمام الحنفاء إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه - كما قال تعالى ﴿**فلما أفلت قال ياقومِ إني بريء مما تشركون**﴾ إلى قوله ﴿**إن ربك حكيم عليم**﴾[1] فإنهم خوّفوا إبراهيم بما عبدوه من دون الله فقال لهم ﴿**ولا أخاف ماتشركون به**﴾ فإنه ليس للمؤمن أن يخاف إلا الله. فلا يستحق ملك مقرب ولا نبي مرسل أن يُخشى ويُتقى ،كما لايستحق أن يصلى له ويصام، بل هذا كله لايصلح إلا لله وحده لاإله إلاهو. ثم قال الخليل ﴿**إلا أن يشاء ربي شيئاً**﴾ وهذا استثناء منقطع أي : لكن إن شاء ربي شيئاً كان، فأنا أخاف ربي ثم قال: وكيف أخاف ماأشركتم من المخلوقات ؟ وأنتم لاتخافون إشراككم بالله مالم ينزل به سلطاناً ، يقول: فكيف لاتخافون أنكم عبدتم غير الله بغير سلطان من الله، وهكذا يقول اتباع إبراهيم الخليل الذين هم على ملته لمن خرج عنها من أشباه النصارى وغيرهم: كيف نخاف ماأشركتموه ودعوتموه من دون الله كائناً من كان سواء كان ملكاً أو نبياً أوشيخاً أو غيره ؟

١-سورة الأنعام ،الآيات : ٧٨ - ٨٣

وأنتم لاتخافون الله حيث دعوتم غيره بغير سلطان من الله فإن هذا الذي تفعلونه بدعة لم يأمركم الله بها ولا رسوله وفيها من الشرك مافيها !!ولو لم يكن فيها شرك فكيف يسوغ لكم أن تشرعوا من الدين مالم يأذن به الله ؟ ومعلوم أن من شرع عبادة يتقرب بها إلى الله ويجعلها وسيلة له إلى الله يرجو عليها ثواب الله إما واجبة أو مستحبة ؛ فلابد أن يكون من الدين الذي شرعه الله وأمر به ، وإلا كان حظ صاحبها الإبعاد والطرد ، ولهذا قال الفقهاء: العبادات مبناها على التوقيف والاتباع لاعلى الهوى والابتداع.

٢١- مدح البكري لكتاب الصارم المسلول :

وقد وقف هذا الرجل (أي البكري) على الكتاب الذي صنفه المجيب في "سابِّ الرسول" واعترف أنه مارأى في هذا الباب مثله ، فكيف يسوغ له مع هذا أن ينسبه إلى نقيض ذلك ؟ ولو قدر أن هذا في نفس الأمر تنقص فهو مما تكلم فيه صاحبه بالاجتهاد ، وقد أجمع المسلمون على أن مسائل الاجتهاد لاتدخل في السبِّ الذي يستحق صاحبه الوعيد.

٢٢- رد على البكري على استشهاد ابن تيمية بحديث لايستغاث بي :

قال البكري: (وأورد هذا الرجل حديثاً أن منافقاً كان يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ :قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : «**إنه لايستغاث بي وإنما يستغاث**

با لله» قال: والكلام على هذا الكافر الضال من وجوه الأول : عدم تسليم صحة الحديث له إلى آخر كلامه)[1].

رد ابن تيمية

قال الشيخ: والجواب عن هذا الكلام ـ مع مافيه من الجهل والإلحاد والشرك في الدين والافتراء على ا لله والرسول وعباده المؤمنين ـ أن يقال: هذا الخبر لم يذكر للاعتماد عليه ، بل ذكر في ضمن غيره ليتبين أن معناه موافق للمعاني المعلومة بالكتاب والسنة ، كما أنه إذا ذكر حكم بدليل معلوم ذُكِرَ مايوافقه من الآثار والمراسيل وأقوال العلماء وغير ذلك من الاعتضاد والمعاونة، لالأن الواحد من ذلك يعتمد عليه في حكم شرعي.

ولهذا كان العلماء متفقين على جواز الاعتضاد والترجيح بما لايصلح أن يكون هو العمدة ؛ من الأخبار التى تُكلم في بعض رواتها لسوء حفظ أو نحو ذلك ، وبآثار الصحابة والتابعين ، بل بأقوال المشايخ والإسرائيليات والمنامات مما يصلح للاعتضاد، فما يصلح للاعتضاد نوع وما يصلح للاعتماد نوع، وهذا الخبر من النوع الأول فإنه رواه الطبراني في معجمه من حديث ابن لهيعة، وقد قال أحمد: « قد كتبت حديث الرجل لأعتبر واستشهد به مثل حديث ابن لهيعة » ، فإن عبدا لله بن لهيعة قاضي مصر كان من أهل العلم والدين باتفاق العلماء ولم يكن ممن يكذب باتفاقهم، ولكن قيل إن كتبه احترقت فوقع في بعض حديثه غلط، ولهذا فرقوا بين من حدث عنه قديماً و[بين من حدث عنه] حديثاً ، وأهل السنن يروون له، والسياق الذي ذكر فيه

١-سيأتي تخريج الحديث ص ٢٩٤

هذا الحديث في جواب الفتيا [1] لفظه: فأما مالا يقدر عليه إلا ا لله فلا يجوز أن يطلب إلا من ا لله، لايطلب ذلك لامن الملائكة ولا من الأنبياء ولا من غيرهم، إلى أن ذكر الحديث لأن فيه لفظ الاستغاثة التي كان فيها النزاع وهو في كتاب مشهور.

وقد روى الناس هذا الحديث من أكثر من خمسمائة سنة إن كان ضعيفاً، وإلا فهو مروي من زمان النبيﷺ، ومازال العلماء يقرءون ذلك ويسمعونه في المجالس الكبار والصغار و لم يقل أحد من المسلمين إن إطلاق القول إنه لايستغاث بالنبيﷺ كفر ولا حرام، وكان في إيراده بيان تقدم تكلم العلماء والسلف بهذا اللفظ ولو كان عبدا لله بن لهيعة ذاكراً لاآثراً لم ينكره المسلمون عليه ؛ لكان في ذلك مستند لهذا الإطلاق، فإن الرجل قاضي مصر في ذلك الزمان وهو من أكبر العلماء المفتين ونظير لليث بن سعد. والغلط الذى وقع في حديثه لايمنعه أن يكون من أهل الاجتهاد والفتيا.

١ -أي فتوى ابن تيمية وتسمى " الاستغاثه " أو " رسالة الاستغاثة "

النص المحقق





تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله

المتوفى سنة ٧٢٨هـ

دراسة وتحقيق

عبد الله بن دجين السهلي



بسم الله الرحمن الرحيم(١)

[و أما ما ذكره من تأويل الحديث فهو من جنس دين النصارى لامن جنس دين المسلمين، وبيان ذلك من وجوه:-

١ كلام البكري في منزلة المقربين

الأول](٢) /قوله (إن الله -تعالى- لتشريف رسوله والمقربين عنده خاطبهم تارة بتنزيلهم منزلة نفسه في الأفعال ، وتارة نزل نفسه منزلتهم في الأفعال والأوصاف، وكلاهما تشريف عظيم).

رد ابن تيمية

فيقال : هذا كذب على الله وشرك به ، وهو من جنس أقوال

١-كما مر في المقدمة، فإن الكتاب مفقود منه أوله، وقد سبق بيان أهم موضوعات الجزء المفقود. ومن المعلوم أن مما فُقد البسملة والحمد لله والصلاة على نبيه ﷺ والتي دائماً يبدأ به المؤلف كتبه، وجميع النسخ الموجودة بدأت الكتاب بالبسملة، وهي من وضع النساخ وفيها كفاية لأنها من أبلغ الثناء والذكر، وقد اقتصر عليها النبي ﷺ في مراسلاته؛ كما في كتابه لهرقل عظيم الروم، صحيح البخاري(كتاب بدء الوحي، باب رقم ٧) جـ١/٢٣ تحقيق محمد علي قطب طبعة ١٤١١هـ الناشر المكتبة العصرية بيروت - لبنان، وكذلك الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في بداية كتابه "الصحيح" و"خلق أفعال العباد" الطبعة الأولى ١٤٠٤ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان وغيره.

٢- ما بين المعقوفتين من (د) و (ت) و سقط من الأصل و (ف) و (ح).

أهل الحلول [١] والاتحاد [٢] كالنصارى [٣]، فليس في خطاب الله

١-الحلول: عند الصوفية معناه أن الله -تعالى- يصطفي اجساماً يحل فيها بمعاني الربوبية، فيزيل عنها معاني البشرية، وأن الله يحل بالعارفين من أوليائه وأصفيائه، وهذا زعم طائفة الحلولية.

انظر: معجم مصطلحات الصوفية تأليف د.عبدالمنعم الحفني ص٨٢ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ الناشر دار المسيرة بيروت -لبنان.

وذكر عبد القاهر البغدادي أن الحلولية في الجملة عشر فرق، يرجع أكثرها إلى غلاة الرافضة. انظر الفرق بين الفرق ص٢٥٤ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الناشر دار المعرفة بيروت – لبنان.

وقسمهم ابن تيمية قسمين:

الأول: من يقول بالحلول الخاص، وهو قول النساطرة من النصارى، وغالية الرافضة الذين يقولون: إن الله -تعالى- حل في علي بن أبي طالب وأئمة آل البيت، وغالية النساك، الذين يقولون بالحلول في الأولياء.

الثاني: الحلول العام، وهو قول متقدمي الجهمية، وغالب متعبدة الجهمية، الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان. انظر مج جـ٢/١٧١-١٧٢.

٢-الاتحاد: معناه تصيير الذاتين واحدة، وهو حال الصوفي الواصل، وقيل: هو شهود وجود واحد مطلق من حيث إن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد، معدومة في أنفسها، لامن حيث إن لما سوى الله وجوداً خاصا به يصير متحداً بالحق، وقيل: هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذى لكل موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل شئ موجوداً به، معدوماً بنفسه، لامن حيث إن له وجوداً خاصاً اتحد به؛ فإنه محال. انظر معجم مصطلحات الصوفية للحفني ص٩-١٠.

وقد قسمهم ابن تيمية أيضا إلى قسمين، الأول: من يقول بالاتحاد الخاص، وهو قول يعقوبية النصارى، ومن وافقهم من الغلاة المنتسبين للإسلام.

الثاني: الاتحاد العام وهو قول من يقول: إن عين وجود الله، هو عين وجود

--

المطلق تنزيل أحد منزلة نفسه في الأفعال، ولاتنزيل نفسه في الأفعال والأوصاف منزلتهم، بل هو إله واحد[٣] لا شريك له، وكل من في السموات والأرض آتيه عبدا ﴿ **لقد أحصاهم و عدهم عدا وكلهم آتيه**

الكائنات، وهو قول ابن عربي وأمثاله من أهل الوحدة. انظر مج جـ٢/١٧٢.

وبعض الباحثين يجعل الحلول والاتحاد شيئاً واحداً والصواب التفريق بينهما انظر نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام تأليف سارة بنت عبدالمحسن آل سعود ص٣٣-٣٥ الطبعة الأولى ١٤١١هـ الناشر دار المنارة جدة - السعودية.

٣- كذا في الأصل و (ح) و سقطت من (ف) و في هامش (د) في نسخه (كالنصارى) والنصارى هم: أمة عيسى-عليه السلام- أرسله الله إلى بني إسرائيل خاصة، واستجاب له بعضهم، وسموا بالنصارى نسبة إلى الناصرة مولد عيسى بن مريم -عليه السلام- ولما رفع إلى السماء نزلت بأتباعه بلايا وكوارث جعلتهم يستخفون بديانتهم، ويفرون بها أحياناً، حتى تنصر "قسطنطين" ملك الروم، ورأى الاختلاف بين طوائف النصارى في شخص المسيح هل هو رسول أم ابن إله، فدعا لعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، ثم نصر قسطنطين رأى بولس القائل بألوهية المسيح وحارب عقيدة التوحيد. وأهم اعتقادات النصارى: أن البارى -تعالى- جوهر واحد، وهو ثلاثة في الأقنومية: الأب، والابن، وروح القدس. وأن اليهود قتلوا عيسى -عليه السلام- وأن القتل وقع على الجزء الإنساني منه "الناسوت" وأن عيسى قدم نفسه للقتل ليتحمل ذنوب أتباعه إلى يوم القيامة، وأشهر أناجيلهم: أنجيل متى، ويوحنا، ولوقا، ومرقص، وإنجيل برنابا لا يعترفون به. وانقسم النصارى إلى فرق كثيرة منهم النساطرة واليعاقبة وغيرهم. انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل تأليف علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري تحقيق د.محمد إبراهيم نصر ود.عبدالرحمن عميرة جـ٢/١٤ وما بعدها طبعة ١٤٠٥هـ الناشر دار الجيل بيروت - لبنان، والملل والنحل تأليف محمد بن عبدالكريم الشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاني (جـ١/٢٢٠) وما بعدها طبعة ١٤٠٢هـ الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان.

يوم القيامة فردا﴾[سورة مريم: ٩٤-٩٥].

ومن قال[1] إن الرب منزل[2] المخلوق منزلة نفسه في الأفعال، أو يَنْزِلَ هو منزلة المخلوق في الأفعال والأوصاف فقد زعم أن الله -سبحانه- يجعل له ندا، وأنه يقيم المخلوق مقامه في الخلق والرزق والإحياء والإماته وإجابة الدعاء وكونه معبودا، وأنه يقوم مقامَ العبد في الصلاة والصيام والطواف وغير ذلك من أفعال العباد -تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا-قال تعالى ﴿ **أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون**﴾[سورة النحل:١٧].

ومن أخص أوصاف الرب التعالى القدرة على الخلق والاختراع، فليس ذلك لغيره أصلاً، حتى إن كثيراً من النظار [المثبتين][3] للقدر كالأشعري[4] وغيره جعلوا هذا هو أخص وصف الرب -تعالى- كما

١- في هامش (د) في نسخة (زعم).

٢- في (د) و (ح) ينزل.

٣- كذا في (د) و (ح) و في الأصل و (ف) المثبتة ، وقد يقال المثبتة والأولى أصح .

٤- الأشعري هو: أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق الأشعري، يرجع نسبه إلى صاحب رسول الله ﷺ أبو موسى الأشعرى .ولد سنة ٢٦٠هـ ، وكان ذكياً ،و تبحر في العلم. وتلقى مذهب المعتزلة و ألف كتاباً في تصحيحه، ثم رجع عنه و تاب من الاعتزال و أعلن ذلك على منبر البصرة ، و أعلن اتباعه للإمام أحمد، وإليه ينتسب الأشاعرة، ومؤسس مذهبهم حقيقة هو ابن كلاب. ومذهب الأشعري خير من مذهب الأشاعرة بعده وأقرب إلى السنة منهم، ولكن مجرد الانتساب إليه بدعة. من مؤلفات أبي الحسن "المقالات "و "اللمع"و "الإبانة " و

--

جعل الجبائي[١] وغيره من المعتزلة[٢] أخص وصفه

غيرها و قد نسب إليه كثير من الكتب بعضها لاتصح نسبته إليه، مات ببغداد سنة ٣٢٤ هـ . انظر السيرجـ١٥/٨٥ ترجمه رقم ٥١ ومج جـ٤/٢٨ جـ٦/٣٥٩ والأعلام حـ٤/٢٦٣.

وانظر الكلام على مذهب الأشاعرة في إثبات القدرة لله -تعالى- في شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني تحقيق د.عبدالرحمن عميرة جـ٤/٨٩ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار عالم الكتب بيروت.

١ - الجبائي هو : أبو علي، محمد بن عبد الوهاب البصري، شيخ المعتزلة ، صاحب التصانيف، وكان على بدعته سيال الذهن ، وهو الذي ذلل الكلام و سهله، و يسر ما صعب منه له كتاب "الأصول" و" النهي عن المنكر" و غيرهما و إليه تنسب الجبائية إحدى فرق المعتزلة، انفرد ببعض الآراء عن مذهب المعتزلة ، وهذه المسألة انفرد بها عن أصحابه وهي مبنية على نفيه لصفات الله -تعالى- حيث قال: عالم لذاته، قادر حي لذاته، وقد خالفه ابنه أبو هاشم في مسألة أخص وصف الله، هذه المسألة -وسيأتي بيانها-مات بالبصرة سنة ٣٠٣ هـ . انظر الملل والنحل جـ١/٧٦-٨٤ والسير جـ١٤/١٨٣ رقم الترجمة ١٠٣ و الأعلام حـ٦/٢٥٦.

وانظر الكلام على هذه المسألة عند المعتزلة والأشاعرة في شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار المعتزلي تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق د.عبدالكريم زيدان ص١٨٢-٢٠١ الطبعة الثالثة رمضان ١٤٠٨هـ الناشر مكتبة وهبه القاهرة - مصر.

٢ - المعتزلة: سمو معتزلة لأن واصل بن عطاء لما أظهر بدعته طرده الحسن البصري من مجلسه، فاعتزل عند سارية من سواري المسجد وانضم إليه قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد، فقال الناس فيهما: إنهما اعتزلا قول الأمة، وسمى أتباعهما من يومئذ "معتزلة" ويقال لهم قدرية لردهم لقضاء الله. وقد زعموا أن هذين الاسمين أسماء مدح ولهم مقولات في ذلك. ويلقبون أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد وغير ذلك. وهم ينفون

--

أخص صفات الرب - تعالى - ٢

القدم[١]، ومقصود المعتزلة أن لايثبتوا له صفة قديمة لامتناع المشاركة في أخص وصفه، ومقصود أولئك المثبتين أن لا يشركه غيره في الخلق، / وقد يقولون لايشركه غيره في الفعل؛ وهو قول من يقول : العبد فاعل مجازاً لاحقيقة وهو كاسب حقيقة، كما هو قول الأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد، وهو في الأصل قولُ جهم بن صفوان[٢] ، وهو أول من عُرِفَ في الإسلام أنه قال: إن

صفات الله تعالى ويطلقون عليه السلوب مثل لادم، ولالحم، ولاصورة، ولاجثة وغير ذلك. وقالوا بخلق القرآن ، ونفوا الرؤية، وأنكروا قضاء الله وقدره للمعاصي، وأثبتوها للعباد دونه. ومن لم يقل بالأصول الخمسة عندهم لم يكن معتزلياً وهي العدل والتوحيد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهم فرق كثيرة، ويكفر بعضها بعضا.

انظر: التنبيه والرّد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي تحقيق يمان بن سعدالدين المياديني ص٤٩ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر رمادى للنشر - الدمام السعودية، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تأليف أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد جـ١/٢٥٣ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ الناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة - السعودية، والملل والنحل جـ١/٤٣-٤٤، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني تحقيق محمد عبدالله الغامدي جـ١/٣٢٥ الطبعة الأولى١٤١٤هـ الناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة - السعودية.

١ - (القدم) سقطت من (د)

٢- الجهم بن صفوان هو : هو أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي، مولاه السمرقندي. رأس الجهمية ، كان صاحب ذكاء وجدل. أنكر الصفات، و قال بخلق القرآن، و أن الإيمان بالقلب، وإن تلفظ بالكفر، وقال لا فِعل و لا عمل لأحد غير الله - تعالى-، و إنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز وقد زرع شراً عظيماً.

--

العبد ليس بفاعل.

لكن جمهور أهل السنة[1] من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم يقولون : إنه فاعل حقيقة ؛ وجمهور هؤلاء يقولون إن فعله مفعول للرب بناءً على أن الخلق غير المخلوق، كما هو قول الأكثرين وهو مذهب السلف وأهل الحديث والفقهاء.

وأما من قال : إن الفعل هو المفعول وأن فعل العبد فعل

والجهم اشتق هذا الكلام من السمنية -صنف من العجم بناحية خرسان- وكانوا شككوه في دينه حتى ترك الصلاة أربعين يوماً، وقال : لا أصلي لمن لا أعرفه، ثم اشتق هذا الكلام وبني عليه من بعده. قتل سنة ١٢٨هـ في آخر دولة بني أمية. انظر: خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للبخاري ص٩ والتنبيه والرد للملطى ص١١٣، والسير جـ٦/٢٦ ترجمة رقم٨ الأعلام جـ٢/١٤١ والفرق بين الفرق ص٢١١.

١ -أهل السنة: يراد بلفظ أهل السنة أحد معنيين:

أ- المعنى الأعم: ويراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة.

ب-المعنى الأخص: ويراد به أهل الحديث والسنة المحضة وأهل الأثر فلا يدخل إلا من أثبت صفات الله -تعالى- ويقول القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة ويثبت القدر وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة.

قلت: فيخرج الأشعرية والماتريدية والصوفية والمعتزلة ومتأخرو الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء. والثاني هو المعنى الأكثر والأشهر وهو مراد المؤلف هنا.

انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق د.محمد رشاد سالم جـ٢/٢٢١ الطبعة الأولى ١٤٠٦ الناشر مؤسسة قرطبة.

الـرب ، و لم يفـــــرق بين الفعـل والمفعـول(١) فيلزمـه لـوازم تبطـل

-مسألة: هل الخلـق هـو المخلـوق أو غـيره؟ هـذه المسـألة مشـهورة بـين المتكلمـين ويطلقون عليها مسألة التكوين ويعرفونها بأنها المعنى الذى يعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والإيجاد والإحداث والاختراع ونحو ذلك.

بيان ذلك : أنه إذا كان من المتفق عليه بين جميع الطوائـف أن ا لله -تعـالى- هـو الـذى خلـق السـموات والأرض، كمـا اتفقـوا علـى أن هـذه المخلوقـات وجـدت منفصلة عنه، إلا أنهم اختلفوا في أنه تعالى لما خلقها هل قامت به صفـة الخلـق، أو أن الخلق هو نفس المخلـوق مـن غـير أن تقـوم بـه صفـه؟ فهـذه المسـألة سـبب في الخلاف في الصفات الفعلية أو الاختياريه، وارتباطها بها قوى جداً.

فإنه من المعلوم أن السموات والأرض أو غيرهما من المخلوقات ليست مخلوقة منـذ الأزل، بل هي حادثة، فحين خلقها ا لله لابد أن تكون قد تجددت له صفة لم تكن موجودة من قبل، فبخلقه للسماء قامت به صفـة الخلـق لهـا لأن السـماء لم تكـن مخلوقـة مـن قبـل، ومعنـى ذلـك -حسـب تعبـير أهـل الكـلام- أن ا لله حلـت بـه الحوادث التى لم تكن موجودة من قبل.

فالذين ينفون الصفات الفعلية وحلول الحوادث قالوا بأن الخلق هـو المخلـوق والفعل هو المفعول، ومعنى ذلك أن صفة الخلـق أو الفعـل لاتقـوم بـا لله -تعـالى- ويفسرون أفعاله تعالى أن ذلك وجد بقدرته من غير أن يكون منه فعل قـام بذاتـه، بل حاله قبل أن يخلق وبعد ماخلق سواء، لم يتجدد عندهم إلا إضافـة نسـبة وهـي أمر عدمي لاوجودي. وهذا هو مذهب الأشاعرة ومن وافقهـم، وسـبب التزامهم هذا القول دليلهم على حدوث العالم.

أما جمهور أهل السنة ومن تابعهم كالكرامية والصوفية والماتريدية وبعض المعتزلة - كل طائفة بحسب أصولها- فيقولون: إن الخلق غير المخلوق والفعـل غـير المفعـول، فيثبتون صفة الخلق والفعل قائمة با لله، ويقولون بوجود المخلوق والمفعول المنفصل عن ا لله -تعالى-، ومعلوم أن أهل السنة يثبتون صفات الفعـل لله -تعـالى- وأنهـا تتعلق بمشيئته وإرادته وقدرتـه وحكمتـه، فـإذا اقتضـت حكمتـه فعلُهـا فَعَلهـا وإن

--

قوله كما قد بسط في غير هذا الموضع[١].

وبيّن أن القدرة على الاختراع من خصائص الرب، وأخص وصف الرب ليس هو صفة واحدة، بل علمه بكل شئ من خصائصه،

اقتضت حكمته أن لايفعلها لم تكن، فهي قديمة النوع أو الجنس وإن كانت أحاده توجد شيئا فشيئا حينا وآخر.

ورد أهل السنة دعوى الأشاعرة أن القول بأن الخلق هو المخلوق يستلزم تسلسل وهذا ممتنع، بأن التسلسل ليس تسلسلاً في الفاعلين والعلل الفاعلة، وإنما هو تسلسل في الآثار، وهو حصول الشيء بعد شئ، والسلف على إثباته، وهذا عمدة أدلة الأشاعرة، وسيعود المؤلف إلى الكلام عن هذه المسألة بعد صفحات قليلة ص ٢٠٧. وللتوسع انظر: خلق أفعال العباد للبخاري ص١١٢ ومج جـ٦/١٤٩، ٢٢٩-٢٣٠، ٢٩٨ والملل والنحل جـ١/١٠٨، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الاثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية للعلامة محمد السفاريني جـ١/٢٥٢-٢٥٣ الطبعة الثالثة ١٤١١هـ الناشر المكتب الإسلامي - بيروت لبنان، وشرح العقائد النسفية للعلامة سعدالدين التفتازاني تحقيق د.أحمد حجازي السقا ص٤٧ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، وشرح المقاصد جـ٤/٦١-٦٥ والروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية تأليف الحسن بن عبدالمحسن المشهور بأبي عذبة تحقيق د.عبدالرحمن عميرة ص٦٣-٦٨ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر عالم الكتب بيروت لبنان، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف د.عبدالرحمن المحمود جـ٣/١٢٠٤-١٢٠٧.

١-بسط المؤلف هذا الموضوع في عدة مواضع من كتبه منها:

درء تعارض العقل والنقل تحقيق د.محمد رشاد سالم جـ٢/٢٦٤-٢٧٠، جـ٤/٦٠، جـ٩/٥٧٩ طبعة دار الكنوز الأدبية.

ومج جـ٦/١٤٨-١٤٩، ٢٢٩-٢٣٠، جـ١٦/٣٧٥-٣٧٧، وشرح حديث النزول -ضمن مجموع الفتاوى- جـ٥/٥٢٨-٥٣٦ وغيرها.

وقدرته على كل شئ من خصائصه، و خلقه لكل شيء من خصائصه، و المقصود هنا ما يتعلق بكلام [١] هذا الرجل الذي ضاهى المشركين الحلولية من النصارى[٢] وغالية الشيعة[٣] وجهال الصوفية[٤].

١-في (د) الكلام على قول.

٢-الحلولية من النصارى هم النساطرة، الذين يقولون: إن اللاهوت حل في الناسوت، وتدرع به، كحلول الماء في الإناء. انظر الملل والنحل جـ١/٢٢٤، ومج جـ٢/١٧١-١٧٢.

٣ -غالية الشيعة : هم الذين غلوا في علي وقالوا فيه قولاً عظيماً، فمنهم من ادعى في علي الألوهية، وأنه لم يمت، وسيرجع إلى الدنيا قبل القيامة، وقال آخرون منهم إنه في السحاب وأن الأئمة ينسخون الشرائع وغير ذلك. ومن فرقهم الكيسانية، والسبئية أتباع "عبدا لله بن سبأ" والخطابية، والمنصورية وغيرها. قال البغدادي في الفرق بين الفرق: وجميع فرق الغلاة خارجون عن فرق الإسلام ا.هـ. ومقالات الأسلامين للأشعري جـ١/٦٦-٨٨، والملل والنحل (جـ١/١٤٦-١٥٤) وعقائد الثلاث وسبعين جـ١/٨٥، ومذهبهم أنه لايمتنع ظهور الروحاني بالجسماني كجبريل في صورة دحية الكلبي، فلا يبعد أن يظهر ا لله -تعالى- في صورة بعض الكاملين وأولى الناس بذلك علي وأولاده الذين هم خير البرية، وذكر البغدادي أن أكثر فرق الحلولية من غلاة الرافضة. انظر الفرق بين الفرق ص٢٥٤ وشرح المقاصد جـ٤/٥٩.

٤ -الصوفية : هم من يدين بالتصوف، وهو مذهب يدعي أصحابه أن الغرض منه تصفية القلب، وأصل كلمة التصوف من لبس الصوف لاختصاص أصحابه به. وقيل إنها من الصفا، وقيل نسبة لأهل الصفة، والأول أرجحها.

وللصوفية رموز وإشارات وأحوال ومقامات وينضم تحت مسمى التصوف مدارس عدة:

أ- مدرسة الزهد وأصحابها من النساك والزهاد والعباد ويطلق عليهم صوفية خطأ،

--

حيث قال: (إن الله تعالى ينزل المقربين منزلة نفسه تارة وينزل نفسه منزلتهم في الأفعال والأوصاف تارة)، فإن هذا كلام مخالف لدين

عودة إلى رد ابن تيمية على كلام البكري في منزلة المقربين

لأنهم أهل الإسلام الصحيح.

ب-مدرسة وحدة الوجود والحلول والإتحاد وأصحابها الحلاج وابن عربي والتلمساني وابن الفارض وغيرهم وهؤلاء مشركون.

ج-المتصوفة المنحرفون أصحاب الطرق ، المبتدعون في العباذات والأذكار وهؤلاء مبتدعون ضلال. والطرق الصوفية كثيرة جداً منها الرفاعية والقادرية والمولوية والشاذلية والأكبرية والبكداشية والنقشبندية. وللصوفية شطحات كبيرة مثل تحضير الأرواح والشعوذة، وبناء الأضرحة والمشاهد على القبور والتمسح بها وعبادة بعضهم لها من دون الله. وقد كان التصوف باباً كبيراً دخلت منه كثير من الشرور على المسلمين مثل التواكل، والسلبية، وعبادة الشيوخ من دون الله، وضلالات أخرى كثيرة.

انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف تأليف أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي ضبط وتخريج أحمد شمس الدين ص٩ ومابعدها الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ومج جـ١١/٥-١٧،٧-٢١، والتصوف المنشأ والمصادر تأليف إحسان إلهي ظهير ص٢٠ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر إدارة ترجمان السنة لاهور - باكستان، والصوفية في نظر الإسلام تأليف سميع عاطف زين ص١٤ وما بعدها الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان ودار الكتاب المصري القاهرة - مصر.

ومذهبهم في هذا يقولون: إن السالك إذا أمعن في السلوك، وخاصة لجهة الأصول، فربما يحل الله فيه -تعالى الله عما يقولون-، بحيث لايتمايز أو يتحد به لااثينينة ولا تغاير وصح أن يقول: هو أنا وأنا هو. انظر: شرح المقاصد جـ٤/٥٩.

المسلمين وسنبين جهله وخطأه فيما تأوله على ذلك من القرآن و الحديث .

فنقول/: أما قوله تعالى ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون ا لله يد ا لله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه ا لله فسيؤتيه أجراً عظيما**﴾[سورة الفتح: ١٠] فليس فيها أن نفس الفعل القائم بالرسول ومخاطبته لهم ومد يده لمبايعتهم هو نفس فعل ا لله ومخاطبته ومبايعته ، بل فيها أن من بايع الرسول فقد بايع ا لله كما قال تعالى:﴿**من يطع الرسول فقد أطاع ا لله**﴾[سورة النساء : ٨٠]. ٣

وكما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «**من أطاعني فقد أطاع ا لله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى ا لله ومن عصى أميري فقد عصاني**»(١).

---

١ -أخرجه البخاري في (كتاب الأحكام ، باب قول ا لله تعالى ﴿**وأطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم**﴾ رقم ٧١٣٧ جـ٥/٢٢٣١ من حديث أبي هريرة و لفظه « من أطاعني فقد أطاع ا لله، ومن عصاني فقد عصى ا لله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ....» و طرفه جـ٢/٩١٠ رقم ٢٩٥٧ . ومسلم في (كتاب الأمارة، باب طاعة الأمراء في غير معصية ا لله) جـ٣/١٤٦٦ رقم ١٨٣٥ وأحمد بن شعيب النسائي في السنن في(كتاب البيعة،باب الترغيب في طاعة الإمام) جـ٧/١٥٤رقم ٤١٩٠ عناية وتعليق د. بدرالدين جنتن آر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون – تونس، وابن ماجه في(أبواب الجهاد، باب طاعة الإمام) جـ٢/٢٤٧رقم٢٨٨٩ وغيرهم و أحمد في المسند جـ٢/٤٧١ و لفظه «.... ومن أطاع الإمام .... ومن عصى الإمام ....»و في جـ٢/٢٥٣، ٢٧٠، ٣٨٦، ٤٦٧،

--

فطاعة أميره طاعته ، ومعصية أميره معصيته ،لأنه أمر بطاعة[1] (أميره ونهى عن معصيته ، وطاعته طاعة [لله][2] لأن الله أمر بطاعته)[3] فمن أطاعه فقد أطاع الله لأن الله أمر بامتثال ماأمر به[4]، لأن[5] نفس الفعل القائم بأميره نفس فعله ولا نفس فعله هو نفس فعل الرب -تعالى-.

واعلم أن من قال من النظار : إن أفعال العباد كلها فعل الله ، فلا فرق عندهم بين أفعال المؤمنين والكفار والبهائم وحركات الجمادات ، فإن مرادهم أن كل ما سوى الله فهو فعله أي مفعوله ، وعلى قول هؤلاء فلا فرق بين فعل الرسول وغيره ، وليس في كون الله خالقاً لشئ تفضيلٌ لذلك المخلوق على غيره ، فإن الله خالق كل شئ .

كذلك على قول الجمهور الذين يقولون : إن أفعال العباد مفعولة له مخلوقة له ليست فعله ؛ بل هي فعل/الفاعلين، والله -تعالى- خالق الفاعل وفعله ، فعلى القولين لافضيلة في ذلك لمخلوق على مخلوق ، فلا تظن أن في هذا تشريفاً لمقرب لارسول ولا غيره.

---

٥١١ بألفاظ متقاربه.

١- في (د) بطاعته.

٢- كذا في (ف) و (ح) و في هامش (د) و الأصل (الله).

٣ -ما بين القوسين سقط من (د) و في هامشها أنه هكذا في نسخة أخرى.

٤ - في (د) لأن أمره من أمر الله.

٥- في (ف) لأن.

وهذا مما يبين به خطأ هؤلاء الجهال الذين لايفرقون بين ماخلقه الله وقدّره وما أمر به وفرضه ، فجعلُ الله - تعالى - مبايعة الرسول مبايعة لله[١] وطاعة الرسول طاعة لله[٢] ليس[٣] من جهة خلق الله أفعال العباد والقيومية[٤] الشاملة للمخلوقات؛ فإن كونه خالقاً لكل شئ وكونها بمشيئته وقدرته ، ليس فيها[٥] تفضيل مخلوق على مخلوق، [إذ][٦] التفضيل إنما يكون بما به الاختصاص لابما يشترك الجميع فيه.

اللوازم الباطلة لقول البكري

ومن جعل مبايعة الرسول مبايعة لله لأجل أن الله خالق كل شئ ، نظراً منه إلى القيومية الشاملة لكل مخلوق؛ لزمه أن يكون من بايع الكفار والفساق مبايعاً لله لأن الله خالق كل شئ ، فيكون هؤلاء قد

١- في (د) الله.

٢- في (د) الله.

٣- في (د) (ليست). و مصححة في الهامش بكلمة غير واضحة .

٤- القيومية من صفة القيوم؛ على وزن الفيعول من القيام وأصله القيووم، سبق عين الفعل، وهي "واو" "ياء" ساكنة فاندغمتا فصارتا "ياء" مشددة، ومعنى القيوم هو: القائم برزق ماخلق وحفظه. قال بهذا ابن جرير الطبري ونقله عن مجاهد والسدي . انظر: تفسير الطبري (المسمى جامع البيان في تأويل القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري جـ٣/٧ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان. وشرح صحيح مسلم للإمام محي الدين النووي مراجعة خليل الميس جـ٦/٣٠٠-٣٠١ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار القلم بيروت لبنان، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير طبعة ١٤٠٣هـ الناشر دار المعرفة، بيروت لبنان.

٥-في (ف) فيه .

٦-كذا في (د) و (ف) و(ح) وفي الأصل "إذا" وهو خطأ

جعلوا مبايعة خاتم الرسل ﷺ كمبايعة فرعون وأمثاله من المشركين ، وهذا يقع فيه كثير ممن يلحظ القيومية الشاملة العامة المتناولة لكل مخلوق، وهؤلاء من أكفر الخلق، ويجعلون هذا منافياً للأمر والنهي ، وهم من جنس الذين قالوا ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولاءآباؤنا﴾[١] إلى قوله ﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن﴾[٢][سورة الأنعام :١٤٨] .

فإن[٣]هؤلاء إنما يتبعون أهواءهم ولا يتكلمون بعلم فإن قولهم في غاية المناقضة ، فإن الواحد من هؤلاء إذا آذاه/ غيره أو ظلمه قابله وعاقبه ولا يمكنه أن يعذره بالقدر ومشاهدة القيومية ،كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع .

سبب تفضيل الرسول ﷺ

وجهة تفضيل الرسول ﷺ من جهة كون الله -تعالى- أرسله مبلغاً لأمره ونهيه، مبيناً لما يحبه ويرضاه وما يبغضه ويسخطه، فما أمر به الرسول[٤] فالله آمر به، وما نهى عنه فالله نهى[٥] عنه، ومن بايعه

١-تكملة الآية ﴿ و لا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ﴾

٢- قوله تعالى ﴿ إن تتبعون إلا الظن﴾ ساقط من الأصل

٣- في (د) كذلك

٤-في (د) ﷺ

٥- الأولى مراعاة لأمر أن تكون ناه.

فعاهده وعاقده[١] ؛ على أن يطيعه في الجهاد إذا أمر به، وعلى[٢] أن [لا يفر][٣] و[٤] على أن يقاتل حتى يموت كما بايعه المسلمون تحت الشجرة[٥]، فهم معاهدون لله معاقدون له على طاعته فيما أطاعوا فيه الرسول ﷺ، وكذلك الذين بايعوه قبل ذلك ليلة العقبة لما بايعه الأنصار، ولهذا قال تعالى **﴿واذكروا نعمة الله عليكم و ميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا و أطعنا﴾**[سورة المائده:٧] فسمعهم و طاعتهم لما أمرهم و معاهدتهم على ذلك هو سمع وطاعة لله -تعالى- ومعاهدة له، وعهد الله إلى خلقه هو[٦] أمره و نهيه الذي بلغته رسله.

[والتخصيص والتفضيل يظهر في الوفاء به و متابعة الرسل، ولهذا][٧] قال تعالى **﴿وأوفوا بعهدى أوفِ بعهدكم﴾** [سورة البقرة:٤٠] أي

١- في (د) وعاهده و عاقد

٢-(وعلى) سقط من (د) و (ف).

٣ -كذا في (د) و (ف) و في الأصل و (ح) لا يفروا لإن السياق عن المفرد

٤ -في (د) أو

٥-يشير إلى بيعة المسلمين للنبي ﷺ في غزوة الحديبية، تحت الشجرة يقول تعالى ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [سورة الفتح:١٨] وأخرج البخاري في (كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية) جـ٣/١٢٧٠ رقم ٤١٦٩ عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة ابن الأكوع: على أي شئ بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت.

٦ -في (د) وهو.

٧ -ما بين المعقوفتين من (د) و سقط من الأصل و (ف) و (ح).

أوفوا بأمري أوف بوعدكم الذي وعدتكم[١]،فإن المعاهدة والمبايعة[٢]، تتضمن المعاوضة من الجانبين فهم إذا أوفوا بما عاهدوا الله عليه من الطاعة وفى الله -تعالى- بما عاهد عليه من الأجر و الثواب كما قالت الأنصار؛ لما قالت[٣] للنبي ﷺ اشترط لربك و لنفسك ولأصحابك، فقال: «**أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، / ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أبناءكم ونساءكم، ولأصحابي أن تواسوهم**» قالوا : فإذا فعلنا ذلك فمالنا ؟ قال: «**لكم الجنة**» قالوا: أمدد يدك، فوالله لا نقيلك ولانستقيلك[٤].

٦

١-في (د) على الوفاء به

٢-في (د) المبايعة و المعاهدة

٣ -(قالت) سقطت من (د)

٤- أخرجه الأمام أحمد في المسند جـ٤/١١٩-١٢٠ من حديث ابن مسعود البدرى و لفظه «... فقال قائلهم -أي الأنصار وهو أبو أمامة- سل يامحمد لربك ماشئت ثم سل لنفسك و لأصحابك ماشئت، ثم أخبرنا مالنا من الثواب على الله -عزوجل- وعليكم إذا فعلنا ذلك، فقال : «**أسألكم لربي ......، وأسألكم لنفسي و أصحابي أن تؤونا وتنصرونا وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم**» قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك قال: **لكم الجنة**. قالوا :فلك ذلك».

قال الهيثمى في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ٦/٤٨ طبعة ١٤٠٨هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان: رواه أحمد مرسلا ورجاله رجال الصحيح، وذكره بعد ذلك مسندا وفيه مجالد وفيه ضعف وحديثه حسن -إن شاء الله- ا.هـ.

وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة تحقيق د. محمد رواس وعبدالبر عباس (الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ الناشر دار النفائس بيروت - لبنان) جـ١/٣٠٣،٣٠٨ رقم ٢٢٦

--

فهم لما عاهدوه على هذا ليطيعوه فيه، قد عاهدوا ربه -عز وجل- الذي أمرهم بذلك، وا لله-تعالى- هو الذي يوفي بعهدهم فيدخلهم الجنة.

وفي الحديث الصحيح عن شداد بن أوس عن النبيﷺ أنه قال **«سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما[استطعت]**[١] **، أعوذ بك من شر ما صنعت،أبوء لك بنعمتك عليّ،وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها حين يصبح موقناً بها فمات من يومه دخل الجنة، ومن قالها حين يمسي موقناً بها فمات من ليلته دخل الجنة»**[٢].

فقوله **«وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت»** أي على ما عهدته إلينا

بلفظ قريب جداً ولم يذكر أصحابه. والطبراني في المعجم الكبير جـ٢/١٨٦ و المعجم الصغير تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان جـ٢/١١٠ (طبعة ١٣٨٨هـ الناشر المكتبة السلفية المدينة المنورة - السعودية) من حديث جابر بن عبدا لله، ولم يذكر أصحابه قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٦/٤٩: رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله ثقاة ا.هـ.

١-كذا في (د) و (ف) و(ح) وفي الأصل (سطعة)

٢-أخرجه البخاري في (كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح) رقم (٦٣٢٣)(جـ٤/١٩٩٠) و أبو داود في (كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح رقم (٥٠٧٠)(جـ٥/٣١٢) و الترمذي في (كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح و أمسى) رقم(٣٣٩٣)(جـ٥/٤٦٧) وأحمد في المسندجـ٤/١٢٤-١٢٥) و اللفظ له.

من طاعتك[١]؛ وما[٢] وعدتنا به من ثوابك؛ أمتثل أمرك وأرجو وعدك.

فعل الخالق وفعل المخلوق أشد تبايناً من فعل المِوكل

ومن المعلوم أن الإنسان لو استناب نائباً ووكل وكيلاً في عقودٍ كبيع وإجارة ومزارعة ونحو ذلك لكان المعاقد للوكيل معاقداً لموكله، بحيث إن وفّى للموكل[٣] فقد وفى للوكيل[٤]، وإن غدر بالوكيل فقد غدر بالموكل، والموكل عليه أن يُوفِي بما عاقد عليه الوكيل، والوكيل[٥] إذا سمى[٦] موكله في العقد تعلقت حقوق / العقد بالموكل، وهل يكون الوكيل ضامناً؟ [٧] على قولين معروفين، هما روايتان عن

٧

١-في (د) ووعدك.

٢-في (د) (ما) بدون (واو).

٣-كذا في جميع النسخ والأولى للوكيل.

٤-كذا في جميع النسخ والأولى للموكل.

٥-كذا في الأصل و (ح) وفي (ف): للوكيل و في (د) :وللوكيل.

٦-في (د) :(إستمر) وهو خطأ.

٧-في هامش الأصل: الصحيح أنه لا يضمن إلا إذا خالف أمر الموكل ا.هـ وهذا هو الراجح فإن الوكيل نائب المالك أشبه المودع لاضمان عليه إلا إذا خالف أمر الموكل أو تعدى.

انظر: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل تأليف موفق الدين بن قدامة المقدسي جـ٢/٢٥٤ الطبعة الثانية الناشر المكتب الإسلامي بيروت لبنان، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد محمد بن رشد القرطبي المشهور بابن رشد الحفيد جـ٢/٢٢٧ الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

أحمد، ومن قال إن حقوق العقد تتعلق بالوكيل كما يحكى عن أبي حنيفة يقول: إنها بعد ذلك تنتقل إلى الموكل، ولهذا تنازعوا في المسلم إذا وكل ذمياً في شراء الخمر، فقال الجمهور لايصح لأن الملك يحصل للموكل، والمسلم ليس له أن يملك الخمر، وأبو حنيفة يقول: ملكها الذمي ابتداء ثم دخلت في ملك المسلم ضرورة كالميراث[١]، وعلى كل تقدير فمآل الأمر إلى الموكل.

ومع هذا ففعل الوكيل متميز عن فعل موكله، وكلامه متميز عن كلامه، ليس أحدهم هو الآخر، ففعل المخلوق أشد مباينة لفعل الخالق من مباينة فعل مخلوق لمخلوق، فإذا[٢] كان[٣] مبايعة الوكيل مبايعة للموكل؛ مع تميز الفعلين ، فالتمايز في الخالق أولى، ولو أرسل مُرسل رسولاً إلى شخص ليعاقده عقداً من العقود:[هدنة][٤]، أو نكاحاً أو غير ذلك؛ لكانت معاهدة الرسول معاهدة لمرسله مع تميز أحد الفعلين عن الآخر، ومع كون المرُسل والرسول من جنس واحد، ومع أنه يمكن أن يقيم الموكل وكيله مقَامه في عامة أفعاله ، لأن الوكيل يفعل مثلما يفعله موكله.

١-والصواب أن مالا يجوز للمسلم أن يعقد عليه لايجوز أن يوكل فيه كشراء الخمر، لإن الخمر ليس محلاً للعقد. انظر: المغني للعلامة موفق الدين أبي محمد عبدالله بن قدامة جـ٥/٢٦٣ الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان وبهامشه الشرح الكبير.

٢-في (د) و(ف) و (ح) وإذا.

٣-كذا في جميع النسخ والأولى كانت.

٤-كذا في (د) و في الأصل و (ف) و (ح) وهدنه - بزيادة واو.

وأما الرب-تعالى -فيمتنع أن يفعل أحد مثل فعله ، ويمتنع أن يستخلف أحداً يقوم مقامه في فعله ، فإنه سبحانه خالق فعل ذلك الشخص ، وهو سبحانه شاهد لايغيب.

وهذا موضع غلط فيه طائفة من الناس فظنوا أن الله يستخلف أحداً عن نفسه/؛ [وادعى](١) بعضهم أن آدم خليفة عن الله في الأرض يقوم مقامه وأنه جمع له حقائق(٢) أسمائه الحسنى(٣)، قالوا وهو معنى تعليمه الأسماء كلها، وهذا قول أهل الحلول والاتحاد كابن عربي(٤) صاحب

٨ الرد على من قال: أن آدم خليفة الله يقوم مقامه

١-كذا في (د) و (ف) و(ح) و في الأصل «و الدعى»

٢-(حقائق) سقطت من (د) و (ف)

٣- يدعي هؤلاء بأن لكل اسم من أسماء الله الحسنى خواصاً وأسراراً تتعلق به، وتجاوز بعضهم فزعموا بأن لكل اسم خادماً روحانيا يخدم من يواظب على الذكر به، ويدعون أنهم يكشفون بأسماء الله أسرار المغيبات، والخافي من المكنونات، وزعم بعضهم أن اسم الله الأعظم سر من الأسرار، يُمنح لبعض الأفراد، فيفتحون به المغلقات، ويخرقون به العادات، ويكون لهم به من الخواص ما ليس لغيرهم من الناس. إلى غير ذلك من الدعاوى الباطلة، التى لم يحصل مثلها لرسل الله. وأوليائه من خلقه -سبحانك هذا بهتان عظيم-. وليس لهم دليل من كتاب ولا سنة ولا عقل ولا قول إمام معتبر. وهذه المقولة باب للخرافة والسحر والشعوذة والدجل، وتلاعب الشياطين بالناس -كما بينه المؤلف وسيأتي-. انظر أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة تأليف د.عمر سليمان الأشقر ص٣٩-٤٠ الطبعة الثانية ١٤١٤هـ الناشر دار النفائس عمان الأردن.

٤- ابن عربي : هو محي الدين أبو بكر محمد بن على بن محمد الطائي الحاتمي، نزيل دمشق. يلقب بالشيخ الأكبر، فيلسوف، أنكر عليه أهل مصر -حين نزل بها- شطحات صدرت منه.وهو صاحب التواليف الكثيرة ومن أردئها كتاب الفصوص

--

الفصوص، وأمثاله من أهل الإلحاد.

وهذا جهل وكفر، فإن الله -تعالى- هو الذي يخلق كل شيء؛ ويدبر أمر السماء والأرض ، وهو خالق آدم ، كما هو خالق سائر المخلوقات، وهو شاهد لا يغيب.

والمخلوق يستخلف مخلوقاً عن نفسه لعجزه أو جهله أو مغيبه ، وأفعال الخليفة عن غيره يفعلها بنفسه لا يحدثها الذي استخلفه.

والله -تعالى- على كل شئ قدير وهو بكل شئ عليم، وهو شاهد لا يغيب ، وهو الذي يخلق كل شئ. فالعبد يستخلف ربه كما كان النبي ﷺ يقول إذا سافر: «**اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم اصحبنا في سفرنا ، واخلفنا في أهلنا**»(١)

قال الذهبي عنه: فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر ا.هـ و قد حكى ابن دقيق العيد أنه سمع الشيخ عزالدين ابن عبدالسلام يقول عنه: «شيخ سوءٍ كذاب، يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجا » وهو قدوة القائلين بوحدة الوجود، كفره كثير من علماء المذاهب الأربعة وصنف بعضهم في الرد عليه منهم المصنف في "الرد على الأقوم على مافي فصوص الحكم" والبقاعى في تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي وغيرهم، له غير الفصوص، الفتوحات المكية وغيرها هلك في ربيع الآخر سنة ٦٣٨ هـ .انظر السير جـ٢٣/٤٨ رقم الترجمة ٤٣ ومج جـ٢/٣٦٢ والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي - جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته اعتنى به علي حسن علي عبد الحميد ص١٢ وما بعدها، والأعلام جـ/٢٨١.

١-أخرجه الإمام مسلم أوله في كتاب الحج، باب (ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره) جـ٢/٩٧٨ رقم ١٣٤٢ والترمذي في (كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج مسافراً)جـ٥/٤٩٧-٤٩٨ رقم ٣٤٣٩ وقال حديث حسن صحيح، والأمام

--

فإن المقيم هو الذي[1] يدبر أمر بيته فإذا سافر سأل الله -تعالى[2]- أن يخلفه فيهم .

وكما رُوى أنه سُمع يوم موت[3] النبي ﷺ قائلاً يقول «**إن في الله عزاءً من كل هالك وعوضاً من كل مصيبة ، وخلفاً من كل ما فات فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حُرم الثواب**»[4].

أحمد في المسند جـ٥/٨٣ من حديث عبدالله بن سرجس و اللفظ له، وعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي في السنن (كتاب الاستئذان، باب الدعاء إذا سافر) جـ٢/٥٩٧ رقم ٢٦٧٦ عناية وتعليق د.بدرالدين جنتن آر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون - تونس من حديث عبدالله بن عمر وغيرهم.

١-في هامش (د) : في نسخة (عند أهله)

٢-(تعالى) سقطت من (د) و (ف)

٣-في (د) مات

٤-أخرجه أبوبكر أحمد البيهقي في السنن الكبرى في (كتاب الجنائز، باب ما يقول في التعزية) جـ٤/٦٠ بذيله الجوهر النقي لعلاء الدين بن علي المارديني الشهير بابن التركمان (طبعة دار المعرفة بيروت - لبنان) و قال:رُوى معناه عن جابر، ومن وجه آخر عن أنس و في أسانيده ضعف ا.هـ وابن أبي الدنيا في الهواتف تحقيق مجدي السيد إبراهيم الناشر مكتبة الساعي الرياض -السعودية ص٢٣-٢٤ و لفظ المؤلف أوله من الرواية الثالثة، و أخره من الثانية، عند ابن أبي الدنيا وقال محقق الكتاب مجدي السيد إبراهيم كلها ضعيفة، و أبو نعيم الأصفهاني في دلائل النبوة تحقيق د.محمد رواس وعبدالبر عباس جـ٢/٥٦٥ و زاد أن الرجل هو الخضر، وابن سعد في الطبقات الكبرى جـ٢/٢٧٥ (طبعة ١٣٦٧هـ الناشر دار بيروت ودار صادر بيروت - لبنان) قال ابن كثير في البداية والنهاية جـ٥/٢٦٢: روايات هذا الخبر كلها مرسلة، ماعدا رواية القاسم العامري عن أبيه عن جده و قد ضعفه غير

--

وكذلك العبد يخلف العبد في أهله ،كما قال النبي ﷺ « **من جهز غازياً فقد غزا ومن خَلَفَهُ في أهله بخير فقد غزا**» (١) .

واحد من الأئمة، و تركه بالكلية آخرون ا.هـ. وشذ أبو عبدا لله الحاكم فصحح الخبر في المستدرك على الصحيحين جـ٣/٥٧-٥٨ (طبعة دار الكتاب العربي بيروت - لبنان) وبذيله التلخيص لشمس الدين الذهبي وقد وافق الحاكم في تصحيح الخبر وذكر أن القائل في الرواية الأولى هم الملائكة، أما في الرواية الثانية فذكر أنه الخضر -ولم يصحح سندها- وقال عباد بن عبد الصمد ليس من شرط هذا الكتاب ووافقه الذهبي ولا يخفى تساهل الحاكم في التصحيح. وقد ضعف سند الحاكم البيهقي في السنن جـ٤/٦٠.

وقال زين الدين عبد الرحيم العراقي في تخريج إحياء علوم الدين المسمى المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج مافي الإحياء من الأخبار عناية أشرف عبد المقصود جـ٢/١٢٢١ رقم ٤٤١٢ (الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر مكتبة طبرية الرياض السعودية) قال في تخريج هذا الخبر: لم أجد فيه ذكر اليسع، وأما ذكر الخضر في التعزية فأنكر النووي وجوده في كتب الحديث، وقال: إنما ذكره الأصحاب. قلت (أي العراقي): بل قد رواه الحاكم في المستدرك في حديث أنس ولم يصححه ولا يصح. ثم بين ضعف أسانيد ابن أبي الدنيا ثم قال: كما رواه الشافعي في الأم وليس فيه ذكر الخضر ا.هـ.

وقد ذكر ابن حجر في الزهر النضر في نبأ الخضر ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (الناشر مكتبة طيبة الرياض -السعودية) جـ٢/٢١٦-٢١٩: روايات هذا الخبر وبين ضعفها.

وسيأتي الكلام على الخضر وأنه لايصح شئ في حياته انظر ص ٢٢٧

١ -أخرجه البخاري في (كتاب الجهاد و السير، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير) جـ٢/٨٧٩ رقم٢٨٤٣. ومسلم في (كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله) جـ٣/١٥٠٦ برقم ١٨٩٥. و النسائي في (كتاب الجهاد، باب فضل

--

وقال ﷺ / في قصة ماعز « أو[١] **كلما نفرنا في الغزو خلف أحدهم له نبيب[٢] كنبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة[٣] من اللبن إن الله أمكنني من أحدهم لأجعلنّه نكالاً**»[٤]. ومنه قوله تعالى ﴿ **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض**﴾[سورة الأنعام:١٦٥] أي يخلف بعضكم بعضا، وكما قال تعالى﴿ **وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما أستخلف الذين من قبلهم**﴾[سورة النور:٥٥] وقوله تعالى ﴿**ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون**﴾[سورة يونس:١٤].

٩

وداود -عليه السلام- جعله الله خليفة عمن[٥] كان قبله كما جاءت

من جهز غازياً) جـ٦/٤٦ رقم ٣١٧٨ و اللفظ له .

١-(أو) سقطت من (د)

٢-النبيب: هو صوت التيس عند السفاد انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر تأليف مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي جـ٥/٤ باب النون مع الباء طبعة المكتبة العلمية بيروت - لبنان.

٣-الكثبة من اللبن: أي القليل من اللبن، والكثبة: كل قليل جمعته من طعام أو لبن أو غير ذلك، والجمع كثب. المرجع السابق جـ٤/١٥١ باب الكاف مع الثاء.

٤-أخرجه مسلم في (كتاب الحدود، باب من أعترف بالزنى) جـ٣/١٣١٩ رقم ١٦٩٢ بألفاظ متقاربة و قريبة من لفظ المؤلف. و أبو داود في (كتاب الحدود، باب الرجم) جـ٤/٥٧٧ رقم ٤٤٢٤. و أحمد في المسند جـ٥/٨٦، ٨٧، ١٠٢، ١٠٣ بألفاظ متقاربة .والدارمي في السنن (كتاب الحدود، باب الاعتراف بالزنا) جـ٢/٤٩٦ رقم ٢٣٢١ بلفظ قريب من لفظ المؤلف.

٥-في (د): عن من .

بذلك الآثار، ومنه قوله تعالى ﴿**ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون**﴾ [سورة الزخرف :٦٠] [وقد][1] قيل إنَّ مِنْ هنا للبدل أي بدلاً منكم، كما قالوا في قوله[2] ﴿**قل من يكلئوكم بالليل والنهار من الرحمن**﴾[سورة الأنبياء : ٤٢] أي بدلاً من الرحمن، [وأنشدوا][3]

فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على[طهيان][4]

قالوا[5] معناه بدلاً من ماء زمزم، [وفي حديث أبي سعيد الذي رواه مسلم في صحيحه « **إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»][6].

١-كذا في (د) و (ف) و (ح) وسقطت من (الأصل).

٢-في (د) تعالى.

٣-كذا في (د) و(ف) و(ح) وفي الأصل أنشد.

٤-كذا في (ح) و لسان العرب، و في الأصل (طهان) و في (د) طهيات وفي الهامش في نسخة طهمان وسقطت من (ف)، و هذا البيت نسبه ابن منظور في لسان العرب للأحول الكندي.

وقد ورد : الطهيان ، طَهَيانِ والطهيان: وهي خشبة يبرد عليها الماء. انظر لسان العرب للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور جـ١٥(١٧-١٨) .

٥-في (د) و (ف) وقالوا بزيادة واو.

٦-ما بين المعقوفتين من (د) وسقط من الأصل و (ف) و(ح) والحديث أخرجه مسلم في (كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، و أكثر أهل النار النساء، و بيان الفتنة بالنساء) جـ٤/٢٠٩٨ رقم ٢٧٤٢ و لفظه « ... فينظر كيف تعملون ...»

--

يمتنع أن يقيم الرب أحداً مقامه

والمقصود هنا أن المخلوق يمكن أن يقيم مقامه من يفعل مثل فعله. وأما الرب-سبحانه[١] تعالى- فهذا ممتنع في حقه، ممتنع لذاته أن يكون غير الله مماثلاً له في ذاته أو[٢] صفاته أو أفعاله، فإن المثلين يجوز على أحدهما ما جاز على الآخر، ويجب له ما يجب له، و يمتنع عليه ما يمتنع عليه، والرب حي قيوم غنى صمد واجب بنفسه قديم بنفسه[٣]،

في رواية « .... لينظر كيف ....» وغيره

١- (سبحانه) سقطت من (د) و(ف)

٢-في (د) و (ف) (و او)

٣-(قديم بنفسه) سقطت من (د) وإطلاق القديم على الله -تبارك وتعالى اختلف فيه العلماء: فأطلقه على الله -تعالى- أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة، بل ذهب الجبائى وغيره من المعتزلة إلىأنه أخص وصف لله -تعالى-. انظر الملل والنحل جـ١/٨٣ ليثبتوا به وجود الله قبل كل شئ. ومنعه السلف، قال ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية خرج أحاديثها العلامة ناصر الدين الألباني ص١١٢-١١٣ (الطبعة الثامنة ١٤٠٤هـ الناشر المكتب الإسلامي -بيروت لبنان) قال: ولفظ القديم لم يرد في أسماء الله الحسنى، وإنما وقع استعماله من قبل علماء الكلام، ولا يدل على ما أرادوه ا.هـ ولفظ القديم في لغة الرسول التي جاء بها القرآن خلاف الحديث وإن كان مسبوقاً بغيره كقوله ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾[سورة يس:٣٩] وهو عند أهل الكلام عبارة عما لم يزل أو عما لم يسبقه وجود غيره إن لم يكن مسبوقا بعدم نفسه، ويجعلونه -إذا أريد بها هذا- من باب المجاز، ولفظ "المحدث" في القرآن يقابل للفظ "القديم" انظر مج جـ١/٢٤٥، وقال أيضا في مج جـ٩/٣٠٠-٣٠١ : وعامة النظار يطلقون مالا نص في إطلاقه ولا إجماع كلفظ القديم والذات ونحو ذلك، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعى بها، وبين ما يخبر به عنه للحاجة، فهو سبحانه إنما يدعى بالأسماء الحسنى.

--

مستحق لصفات الكمال بنفسه، ممتنع اتصافه بنقائضها، فإن كماله من لوازم ذاته الواجبة /الوجود بنفسها التي يمتنع[1] عدمها أو عدم شئ من لوازمها، والمخلوق يجب أن يكون معدوما محدثاً فقيراً، فلو تماثلا للزم أن يكون كلاً منهما واجب الوجود واجب العدم؛ قديما محدثاً؛ غنياً بنفسه فقيراً بنفسه، وذلك جمع بين النقيضين، وإذا كان المخلوق الذي

١٠

وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها ونحو ذلك، فقيل في تحقيق الإثبات بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها وقيل ليس بشيء فقيل بل هو شئ فهذا سائغ. وإن كان لايدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها مايدل على مدح ا.هـ. وللتوسع انظر بدائع الفوائد لابن القيم تحقيق بشير محمد عيون جـ١/١٧٩ (الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر مكتبة المؤيد الرياض - السعودية) والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية للشيخ فالح آل مهدي تصحيح د. عبدالرحمن المحمود ص٥٠-٥١ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار الوطن الرياض - السعودية.

وقد استدل بعض السلف بحديث أبي هريرة في الأسماء حيث ورد في بعض رواياته اسم "القديم" عند ابن ماجه والحاكم و لم أجده عند ابن ماجه في ط الأعظمي ولا الحاكم ط دار الكتاب العربي، علماً أن عدد الأسماء عند الحاكم خمسة وتسعون، ولعله يكون في روايات أخرى لهذه الكتب، ولا عند غيرهما من المصادر الأخرى التي خرّجت الحديث، وقال البغوى في شرح السنة جـ٥/٣٥ تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان بعد إيراده لحديث أسماء الله -عزوجل-: و لله -عزوجل- أسماء سوى هذه الأسماء أتى بها كتاب الله ذكر منها "القديم" ا.هـ.

وسيأتي بيان حكم الاستدلال بالحديث، واتفاق أهل العلم أن الأسماء ليست من كلام النبيﷺ بل هي مدرجة انظر ص٢٩٧.

١-في (د) ممتنع.

يرسل من يماثله لايكون فعله هو فعله، فالخالق الذي يرسل بعض عباده أبعد أن يكون فعله هو فعله، حتى تكون نفس بيعة الرسول نفس بيعة المرسل، وإذا كان خالقاً لذلك الفعل وغيره من المخلوقات؛ فهو بهذا[١] الاعتبار لا اختصاص له والله -تعالى- قال: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾ [سورة الفتح:١٠] .

فإن محمداً رسول الله ، وبيعته عن مرسله ليست بيعة لنفسه[٢] والجزاء على مرسله ، ولهذا قال ﴿**ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما**﴾ [سورة الفتح:١٠].

الرد على تفسير البكري لقوله تعالى ﴿وما رميت إذ رميت﴾

وأما استشهاده بقوله تعالى ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ [سورة ألانفال:١٧] فمن هذا الجنس، وهو قد سبقه إلى هذا المعنى الذي توهمه طائفة من الجهال[٣]، وذلك أن الله لم يُضفِ الرمي هنا إلى نفسه؛ لمجرد كونه خالقاً لأفعال العباد، فإن هذا قدر مشترك بين رمي النبي وسائر أفعاله غير الرمي، وبين رمي غيره من الناس وبين أفعالهم، [٤] فأفعال العسكرين يوم بدر خلقها الله كما خلق سائر أفعال الحيوان، ولو / جاز أن يقال إن الله رمى؛ لكونه خلق ١١

١-في (د) : هذا.

٢- في (د) : لنفسي وهو خطأ.

٣-هذه الآية استدل بها الاتحادية على مذهبهم. انظر معجم مصطلحات الصوفية د. عبدالمنعم الحفني ص١٨١ حرف العين.

٤- في (د) فإن.

حركة العبد، لقيل أنه يكر ويفر ويركب ويعدو ويصوم ويطوف، [ونحو ذلك] [١]؛ لكونه يخلق ذلك.

وقد رُوى أن المحاصرين لعثمان -رضي الله عنه- كانوا يرمونه بالحجارة، فقال: لِمَ ترموني بالحجارة [٢]، فقالوا: لم نرمك، ولكن الله رماك، قال كذبتهم، لو رماني الله أصابني، وأنتم ترمونني ولا تصيبوني[٣]، وهو صادق في ذلك، فإن الله لما رمى قوم لوط، وأصحاب الفيل أصابهم، ولكنهم هم رموا عثمان.

والله -تعالى- قال[٤]: ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ [سورة الأنفال:١٧]، لأن النبي ﷺ أخذ حفنة من تراب و[٥] غيره، فرمى بها المشركين فأصابت عيونهم، وهزمهم الله[٦] بها، ولم يكن في قدرة النبي ﷺ ذلك، بل الله -تعالى- أوصل ذلك إليهم، والرمي له طرفان

١- ما بين المعقوفتين من (د) وسقطت من الأصل و (ف) و (ح)

٢- (الحجارة) سقطت من (د)

٣-أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه المسمى تاريخ الأمم والملوك جـ٦٧٢/٢ .(الطبعة الثالثة ١٤١١هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت -لبنان) في خبر استشهاد عثمان -رضي الله عنه- و لفظه « .... لو رمانا الله لم يخطئنا، و أنتم تخطؤننا» قال كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة وذكر الخبر. وقد ذكره المؤلف بصيغة التمريض.

٤-في (د) يقول.

٥-في (د) أو.

٦-في (د) تعالى.

حذف[١] بالمرمي، ووصول إلى العدو ونكاية فيهم، والنبيﷺ فعل الأول، وا لله فعل الثاني، والمعنى ما أوصلت الرمي إذ حذفته[٢]، ولكن ا لله أوصله وهزمهم به ، فالذي أثبته ا لله لنبيه غير الذي نفاه عنه، وقد أثبت له رمياً؛ بقوله: ﴿ إذ رميت﴾، ونفى عنه رمياً بقوله ﴿وما رميت﴾ فكان[٣] هذا غير هذا؛ لئلا يتناقض الكلام[٤].

ولو كان المراد كما ظنه هذا وأمثاله؛ ممن يحتج بهذه الآية، على أن

١-في (د) خذف: ويعني رمى وخص بعضهم به الحصى. لسان العرب لابن منظور جـ٩/٦١.

٢-في (د) (أو خذفته).

٣-في (د) : و كان .

٤-هذه الآية نزلت في يوم بدر، ونحو هذا نُقل عن عكرمة ومجاهد وقتادة وغيرهم. قال ابن جرير الطبري في تفسيره جـ٦/٢٠٢: في قوله تعالى لنبيه عليه السلام ﴿وما رميت إذ رميت ولكن ا لله رمى﴾ فأضاف الرمي إلى نبي ا لله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرميّ به إلى الذين رُمُوا به من المشركين، والمسبب الرمية لرسوله.

فيقال للمنكرين ماذكرنا -أي منكرى القدر-: قد علمتم إضافة ا لله رمى نبيه ﷺ المشركين إلى نفسه، بعد وصف نبيه به، وإضافته إليه، وذلك فعل واحد، كان من ا لله تسبيبه وتسديده، ومن الرسول ﷺ الحذف والإرسال ا.هـ.

انظر تفسير الطبري جـ٦/٢٠٢-٢٠٣ والجامع لأحكام القرآن لأبي عبدا لله القرطبي جـ٧/٣٨٥ (لم يذكر الناشر) تصحيح أحمد البردوني وآخرين الطبعة الثانية. وتفسير ابن كثير جـ٢/٢٩٥.

ا لله[خالق][١] أفعال العباد، ويضحك المعتزلة وغـيرهم مـن القدريـة[٢] /عليه إذا احتج بهذه الآية، [و][٣] لو كان هذا[٤] المراد لساغ أن يقال ١٢ مثل هذا في جميع أفعال العباد، فيقال: ما ركبت إذ ركبـت ولكـن ا لله ركـب ، (ومـاطفت إذ طفـت ولكـن ا لله طـاف)[٥]، ومـا أكلـت إذ أكلت ولكن ا لله أكل. [و][٦](لكان يقال لكل من رمى بقوس ما)[٧] رميت إذ رميـت ولكـن ا لله رمـى، ويقـال للكفـار إذا رمـوا المسـلمين

١-كذا في (د) و (ف) و(ح) وفي الأصل (خَلِقُ) ولايصح رسم الكلمة أو ضبطها.

٢-القدرية : هم نفاة القدر ، وكان أوائلهم أنكروا علم ا لله الســابق، والقدريـة أقـدم من المعتزلة وأول من قال بالقدر هو معبد الجهني، ويقال إن أول من ابتـدع القـول بالقدر رجل نصراني يدعى "سوسن" أسلم ثم تنصر. وقد ظهرت هـذه الفرقـة في آخر عهد الصحابة -رضي ا لله عنهم- ولذا يلقبون أحيانـاً بالقدريـة الأولى، وقـد كان موقف الصحابة منهـم شـديداً، وصـل إلى حـد الـبراءة منهـم، ولكـن القـول بالقدر انتشر على يد المعتزلة، حتى عرفوا بالقدرية. وهم ينفون هذا اللقـب عنهـم لما فيه من الذم، وإنما لزمهم لأنهم يضيفون إلى أنفسهم القدر، ولذلـك قيـل عنهـم مجوس الأمة لقولهم بالأصلين يضيفون الخير إلى ا لله والشر إلى غيره، والقدرية فـرق ، عدها بعض كتاب الفرق سبع فرق. انظر: صحيح مسلم (كتاب الإيمـان، بـاب الإيمان والإسلام والإحسان) جـ١/٣٦ رقـم ٨ والتنبيـه والـرد للملطي ص١٧٦ والملل للشهرستاني جـ١/٤٣ والقضاء والقدر د.عبدالرحمـن المحمـود ص١١٧ ومـا بعدها الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار النشر الدولي الرياض- السعودية.

٣-كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف)

٤- (هذا) سقط من (د)

٥-ما بين القوسين في (د) (وما ظننت إذ ظننت ولكن ا لله ظن)

٦-كذا في (ح) و (ط) و سقطت من الأصل و (ف) و (د)

٧- ما بين القوسين في (د) (يقال لكن من رمى بالقوس وما)

مارميتم ولكن ا لله رمى ، وأشباه هذا ممالا يقوله مسلم، ولا عاقل .

ثم إن ا لله -تعالى- ذكر هذه الآية لبيـان نعمتـه علـى نبيـه[وعلـى](١) المؤمنين يوم بدر، وما أيدهم به من النصر، فلو أريد كونه خالقاً لفعلـه؛ لكان هذا قدراً مشتركاً بين جميع الناس، بل لابد أن يكون لرميه خاصة يعجز عنها الخلق، فعلها ا لله تأييداً لنبيه ونصراً له؛ وإنعامـاً عليـه وعلـى المؤمنين .

فتبين أن هذه الآية حجة عليه لا لـه كـالأولى، وأن ا لله -تعـالى- فـرق بين فعل الخلق وفعل نفسه، و لم ينزل أحداً منزلة نفسه في الأفعال .

أفعال العباد لايمكن أن تُنفي عنهم باتفاق المسلمين

ومما يبين ذلـك أن أفعـال العبـاد لايجـوز أن تُنفـى عنهـم باتفـاق المسلمين، من قال إن ا لله خالقها، ومن قال إن ا لله لم يخلقهـا، لايجـوز أن يقال هذا مـا أكـل ولا شـرب ولا قعـد ولا ركـب ولا طـاف، ولا ركع ولا سجد ولا صام ولا سعى، ولكن ا لله هو الذي أكل وشـرب/ وقعد وركب وطـاف وركـع وسـجد وصـام وسـعى، وسـواء كـانت أفعالاً(٢) محمودة أو مذمومة، وسواء كانت سـبباً لخـرق العـادة أم لا؟ فلا يقال إن موسـى مـا ضـرب بعصـاه البحـر ولا الحجـر؛ ولكـن ا لله ضرب، ولا يقال إن نوحاً ما ركـب السـفينة؛ ولكـن ا لله ركـب، ولا يقال إن المسيح ما ارتفع إلى السماء بل ا لله ارتفع، ولا يقال محمـد ﷺ

١٣

١-كذا في (د) و (ح) و سقطت من الأصل و (ف) .

٢-في (د) الأفعال .

ماركب البراق[١] وأمثال هذا.

فالفعل المختص بالمخلوق لايضاف إلى الله -تعالى-؛ إلا على بيان أن الله خلقه، وجعل صاحبه فاعلاً، كقول الخليل -عليه السلام[٢]- ﴿**رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي**﴾ [سورة ابراهيم:٤٠] وكما قال ﴿**ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك**﴾[سورة البقرة:١٢٨] [وقال تعالى:﴿**وجعلنامنهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾][٣][سورة السجدة:٢٤] (وقال تعالى)[٤] ﴿**وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار**﴾ [سورة القصص:٤١].

ولا يقال إن الله يقيم الصلاة، ويدعو إلى النار، ولا أنه قد أسلم، وقال تعالى ﴿**إن الإنسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا**﴾ [سورة المعارج :١٩-٢١] ولا يوصف الله بالهلع والجزع، وجماع الأمر أن الله لايوصف بمخلوقاته، وهذه هي أدلة السلف وأهل السنة ؛ على أن كلام الله غير مخلوق، قالوا

الله تعالى لايوصف بمخلوقاته.

١-البراق: هي الدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه. وقيل لسرعة حركته شبيه فيها بالبرق. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير جـ١/١٢٠ باب الباء مع الراء.

٢-ما بين الشرطتين سقط من (ف)

٣-ما بين المعقوفتين في (د) و سقطت من الأصل و (ف) و (ح)

٤- ما بين القوسين سقط من (ف) وفي (د) (وقال)

١٤

لأنه -سبحانه- لايوصف بما خلقه في غيره، فإذا خلق في غيره حركة أو طعما [١] أو ريحا أو لونا: السواد والبياض؛ لم يوصف/ بأنه المتحرك بها، ولا بأنه متروح أو أبيض أو أسود، (وإذا خلق في غيره سمعاً وبصراً وحياة أو قدرة لم يوصف بذلك)[٢]، وإذا خلق في غيره كلاماً لم يوصف بأنه هو المتكلم به ، ويُعبرون عن ذلك بأن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل؛ و لم يعد على غيره [واشتق][٣] لذلك المحل منه اسم ولم يشتق لغيره، فإذا خلق في محل حركة أو علماً[٤] أو قدرة كان ذلك المحل هو المتحرك العالم القادر لاالخالق لتلك الصفة فيه .

وأورد المعتزلة نقضاً[٥] على هذا صفات الأفعال، فقالوا: هو عادل بعدلٍ خَلَقَه في غيره.

الفعل غير المفعول عند السلف

فأجاب أئمة السلف وجمهورهم بطرد الدليل بناء على أن الفعل غير المفعول، واستدل الإمام أحمد وغيره بقول النبي ﷺ **«أعوذ بكلمات الله التامات»**[٦] قالوا: وهو لايستعيذ بمخلوق، وطرد هذا قوله «**اللهم**

١- (طعما) سقطت من (د) و (ف)

٢-ما بين القوسين سقط من (د)

٣-كذا في (د) و (ف) و في الأصل و شتق

٤-في (د) : علم

٥-في (د) : نقصاً

٦-أخرجه مسلم في(كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من سوء القضاء) جـ٤/ ٢٠٨٠

--

إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك»[١] فالنبي ﷺ استعاذ بمعافاته كما استعاذ برضاه وبكلماته[٢]، وهذا مذهب جمهور المسلمين، أن الخلق[٣] غير المخلوق وهو

رقم ٢٧٠٨ وأوله «من نزل منزلاً ثم قال:.... الحديث» ، واستدل به البخاري في خلق أفعال العباد والرد على الجهمية ص٨٩ وابن خزيمة في كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب -عزوجل- تحقيق د.عبدالعزيز الشهوان جـ١/٤٠٠ (الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية) والإمام عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية تقديم وتعليق بدر البدر ص١٤٩ (الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر الدار السلفية حولي - الكويت) ولم أجده في الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد تحقيق د.عبدالرحمن عميرة (الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ الناشر دار اللواء الرياض - السعودية) ولكن نقله الخطابي في معالم السنن عن الإمام أحمد.

١-أخرجه مسلم في (كتاب الصلاة، باب مايقال في الركوع والسجود) جـ١/٣٥٢ رقم ٤٨٦ ولفظه «... وأعوذ بك منك ...» والحاكم في المستدرك في كتاب الصلاة (جـ١/٢٨٨) واللفظ له. وفي استدلال السلف بهذا الحديث قالوا: إن النبي ﷺ استعاذ بأفعال الرب وصفاته، فاستعاذ بمعافاته كما استعاذ برضاه، فمعافاته ورضاه غير مخلوقه لأنه استعاذ بهما، والعافية القائمة ببدن العبد مخلوقة فإنها نتيجة معافاته. انظر مج جـ٦/٢٢٩-٢٣٠ وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم تعليق مصطفى أبو النصر الشلبي جـ٢/٢٦٦ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مكتبة السوادي جدة - السعودية.

٢-في (د) (وكلماته) بدون باء.

٣- في (ف) بياض.

المنقول عن السلف والأئمة، كما ذكره البخاري[١] في كتاب خلق الأفعال، وهو الذي ذكره البغوي[٢] / صاحب شرح السنة، وهو الذي ذكره الكلاباذي[٣] أنه اعتقاد

١٥

١-البخاري: هو أبوعبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة البخاري. ولد في شوال سنة ١٩٤هـ. قام برحلة طويلة في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، صنف كتاب الجامع الصحيح. المعروف بصحيح البخاري، والتاريخ "وخلق أفعال العباد". أثنى عليه الأئمة، كان ذا عبادة وذكر وورع وصلاح مات سنة ٢٥٦هـ.
نقل إجماع أهل العلم على أن الخلق غير المخلوق، والفعل غير المفعول في كتابه "خلق أفعال العباد" ص١١٢. انظر السير جـ٢/٣٩١ ترجمة رقم ١٧١ والأعلام جـ٦/٣٤.

٢-البغوي صاحب شرح السنة: هو محي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ويلقب أيضاً بركن الدين، ولد سنة ٤٣٦هـ. كان عالماً زاهداً قانعاً باليسير، وكان أبوه يعمل الفِراءَ ويبيعها، بورك له في تصانيفه، ورزق القبول. منها "شرح السنة ومعالم التنزيل والمصابيح وغيرها". توفي بمرو الرود مدينة من مدائن خراسان (في حدود تركستان الآن)في شوال سنة ٥١٦هـ وقيل ٥١٠هـ وعاش بضعاً وسبعين سنة.
وذكر البغوي في كتابه شرح السنة أن الخلق غير المخلوق في باب أسماء الله سبحانه وتعالى جـ٥/٢٩ تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد زهير الشاويش . انظر السير جـ١٩/٤٣٩ ترجمة رقم ٢٥٨ والأعلام جـ٢/٢٥٩.

٣-الكلاباذى: هو أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذى البخاري، ويقال: محمد بن إبراهيم والأول هو ما ذكره المؤلف في الاستقامة جـ١/٨٢ محدث صوفي توفي سنة ٣٨٠هـ له كتاب بحر الفوائد ويعرف بمعاني الآثار وأشهر كتبه "التعرف لمذهب

--

الصوفية، وهو قول الكرامية[١]، وكثير من المعتزلة، وأصحاب أبي حنيفة[٢]، وجمهور أصحاب مالك والشافعي وأحمد، لامن وافق

أهل التصوف" نشره ارثرجون اربرى، ثم نُشر بتحقيق د.عبدالحليم محمود وطه سرور، ونشره أحمد شمس الدين وضبطه وعلق عليه، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت -وهي الطبعة الموجودة لدي- وذكر ما أشار إليه المؤلف في ص٣٨-٣٩ الباب السابع: ((اختلافهم في أنه لم يزل خالقاً ونصه: والفعل غير المفعول، وكذلك التخليق، والتكوين، ولو كانا جميعا واحدا لكان كوّن المكونات بأنفسها ... ومنع بعضهم من أن يكون فيما لم يزل خالقا)) . انظر: الاستقامة لابن تيميه تحقيق د.محمد رشاد سالم جـ١/٨٢-٨٣ (الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة السنة القاهرة - مصر)، والأعلام جـ٥/٢٩٥ ، ومعجم المؤلفين جـ٨/٢٢٢.

١- الكرامية : هم أصحاب أبي عبدا لله محمد بن كرام، قالوا: ((بأن ا لله -تعالى- جسم، وأن له سبحانه ثقل وأنه خالق رازق بلا خلق ولا رزق ...الخ)) ، وأن الإيمان هو القول باللسان دون المعرفة بالقلب، فمن نطق بلسانه و لم يعترف بقلبه فهو مؤمن، وأن المنافقين مؤمنين بالحقيقة في الدنيا أما الآخرة ففى النار. وقد وافقوا السلف في قولهم إن الخلق غير المخلوق، نقل ذلك عنهم الشهرستاني وغيره.

عد بعض المؤلفين في الفرق فرقهم اثنتي عشرة فرقة، وبعضهم جعلها ثلاث فرق. ولابن كرام ضلالات أخرى في الإيمان والفقه . انظر: الفرق بين الفرق ص٢١٥-٢٢٥ والمقالات جـ١/٢٢٣ والملل والنحل جـ١/١٠٨-١١٣ وعقائد الثلاث وسبعين لليمنى جـ١/٢٧٥ ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق د.محمد رشاد سالم جـ٢/٣٧٩ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر مؤسسة قرطبة ، ومج ٣/١٠٣ .

٢- انظر الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماترديه ص٦٤ وما بعدها، وشرح العقائد النسفية ص٤٧، ومج جـ٦/٢٩٨.

منهم الأشعرى وغيره الذين يقولون: الخلق هو المخلـوق، كمـا اختـاره ابن عقيل[١] وغـيره ، وهو أول قول القـاضى أبـي يعلـى[٢] ثـم رجـع عنه، وهو اختيار [أبي][٣] المعالي الجويني[٤] وغـيره، وهـذا مبسـوط في

١-ابن عقيل: هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغـدادي، الحنبلـي المتكلـم. ولـد سنة ٤٣١هـ شيخ الحنابلة، أخذ العقليات عن أبي على بن الوليد، وأبـي القاسـم بن التبان فانحرف عن السـنة، كـان ذكيـا، بحر معـارف ، وكـنز فضـائل. نهـاه أصحابه الحنابلة عن مجالسة المعتزلـة، وأبـى حتـى وقـع في حبـائلهم. وقـد أظهـر التوبة من الاعتزال. له مصنفات كثيرة منها "الفنون" "ذم التشبيه وإثبات التنزيه" "الرد على الأشاعرة وإثبات الحرف والصوت" وغيرها توفي سـنة ٥١٣هـ. وقـد قال بأن الخلق هو المخلوق كما نقله عنه ابن تيميه في الفتاوى جـ٦/٢٣١. انظر السير جـ١٩/٤٤٣ ترجمة رقم ٢٥٩ الأعلام جـ٤/٣١٣.

٢- القاضي أبو يعلى: هو أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد البغدادي، الحنبلي ابـن الفراء، ولد سنة ٣٨٠هـ. كان عالم العراق في زمانه، وذا عبادة وتهجد وملازمة للتصنيف، ولكنـه قليـل المعرفـة في الحديـث. وكـان متحفظـا، نـزه النفـس. ولي القضاء بدار الخلافة والحريم، مع قضـاء حـران وحلـوان. ألـف كتـاب "أحكـام القرآن" "والمعتمد" "والعدة" وغيرها. توفي سنة ٤٥٨هـ وللقاضي أبي يعلى ثلاثة مواقف من الصفات الفعلية التي هي أساس قضية الخلق والمخلـوق، الأول: وافـق فيها الأشاعرة، والثاني: أثبتها على أنها صفات ذاتية للرب -تعـالى-، والثـالث: وافق السلف وأثبتها وأنها تتعلق بالمشيئة والاختيار في "كتابه إبطـال التـأويلات" وفي الموقف الثالث قال بأن الخلق غـير المخلـوق. انظـر مقدمـة المحقـق في كتـاب مسـائل الإيمـان للقـاضي أبي يعلـى تحقيـق سـعود الخلـف ص٧٦-٩٣ ومـج جـ١٢/٤٣٦ والسيرجـ١٨/٨٩ ترجمه رقم ٤٠ والأعلام جـ٦/٩٩.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (أبو)

٤-الجوينى: هو ضياء الدين أبـو المعـالي عبدالملـك بـن الإمـام أبـي محمـد عبـدا لله بـن

--

غير هذا الموضع [١].

والمقصود هنا أن السلف والأئمة متفقون على أن ا لله لايوصف بالمخلوقات، فلا يوصف بما خلقه في غيره من الصفات وإن كانت صفات كمال، فكيف يوصف بما خلقه في غيره من أفعال العباد، وتُجعل الأفعال القائمة بالمخلوقات صفات له؛ يشتق له منها[٢] أسماء، فهذا مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول؛ مناقض للقواعد والأصول، ولكن بعض من ناظر القدرية في هذا المقام انحرف كما

يوسف بن عبدا لله الجويني ولد سنة٤١٩هـ، تفقه على والده، وتوفي أبوه وله عشرون سنة، فدرس مكانه، حج وجاور أربع سنين يدرس ويفتي، ولذا لقب بإمام الحرمين.

درس بنظامية نيسابور ثلاثين سنة، ومع فرط ذكائه وإمامته لايدري الحديث -كما يليق به- لا متنا ولا سندا. رجح في آخر حياته مذهب السلف في الصفات وأقر به. له كتاب الإرشاد في أصول الدين والنظامية، والشامل في أصول الدين. توفي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٤٧٨هـ. انظر السير جـ١٨/٤٧٦ ترجمه رقم ٤٦٨ والأعلام جـ٤/١٦٠.

١-انظر مج جـ٦/١٤٩،٢٢٩-٢٤٠ ومنهاج السنة جـ٢/٣٧٩ وسبق ذكر بعض هذه المواضع؛كما في ص ٩٠، وقد نصر هذا القول أيضا ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٥/١٥١، وابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي حقق المجلد الأول والثاني العلامة عبد العزيز ابن باز جـ١٣/٥٣٩ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان والسفاريني في لوامع الأنوار جـ١/٢٥٢-٢٥٣ والألوسي في غاية الأماني جـ٢/٣٣٨ وغيرهم.

٢- في (د) منه

انحرفوا، وقابل باطلاً بباطل، ورد بدعة ببدعة.

الطوائف التي تصف الله بمخلوقاته.

و الذين يصفون الله ببعض المخلوقات صنفان : صنف غلطوا في الصفات، وصنف غلطوا في القدر، فالأول الجهمية[1] من المعتزلة وغيرهم[2] الذين يقولون: إن كلام الله مخلوق؛ فوصفوه بما خلقه في غيره،/ وكذلك يقولون: رضاه وغضبه هو [ما يخلقهُ] من الثواب والعقاب، وإرادته خلقها لا في محلّ؛ كما تقوله المعتزلة من البصريين[3] فيصفونه بمخلوقات بائنة عنه.

١٦

١-الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان، وهي فرقة معطلة تنكر أسماء الله وصفاته، وتزعم أن الإنسان مجبور على أفعاله، وأن الجنة والنار تفنيان وأن الإيمان هو المعرفة بالقلب. وهم من الجبرية الخالصة. وقد أخذت الفرق من الجهمية بعض الآراء فلذلك تنقسم الجهمية إلى ثلاث فرق: الجهمية المحضة أو الغالية وهم أشر الجهمية، والجهمية المعتزلة الذين يقرون بالأسماء وينفون الصفات، والجهمية الصفاتيه الذين يعطلون بعض الصفات الخبرية ومنهم الكلابية ويطلق عليهم أحيانا الجهمية الجبرية لقولهم بالجبر. قال ابن المبارك: إنا نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

والمؤلف أراد الفرقة الثانية وهم الجهمية المعتزلة. وكل معتزلي جهمي، وليس كل جهمي معتزلي. انظر التنبيه والرد للملطي ص١١٠ وما بعدها والمقالات جـ٣٣٨/١ والملل والنحل جـ٨٦/١-٨٨، ومج جـ١٨٤/١٣ وعقائد الثلاث والسبعين جـ٢٧١/١ وتاريخ الجهمية والمعتزلة للعلامة جمال الدين القاسمي ص٥٣-٥٥ الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

٢-في الأصل و(ف) (هم) زيادة

٣-المعتزلة البصريون: هم معتزلة البصرة، وينقسم المعتزلة إلى معتزلة البصرة ومعتزلة بغداد، وبينهم خلافات كثيرة ويكفر بعضهم بعضاً، ومعتزلة البصرة هم الأصل

والصنف الثاني الجهمية الجبرية الذين قالوا: إن أفعال العباد نفس فعله، وفعله هو مفعوله، كما يقوله الجهم بن صفوان وأتباعه كالاشعري ومن وافقه، وهؤلاء لم يثبتوا له فعلاً قائماً بنفسه غير المخلوقات المباينة له، فإذا كان خالق أفعال العباد لزم أن تكون هي فعله ولا تكون فعلاً لغيره، وحينئذ فالصفات الفعلّية التي يصفون بها الربّ، مثل كونه خالقاً ورازقا و[1] عادلا؛ إنما تتصف عندهم فيها بمخلوقاته؛ وتتصف أيضاً عندهم بأفعال العباد كلها ، فالجهم بن صفوان أعظم الناس وصفاً له بمخلوقاته في كلامه وأفعال العباد وغير ذلك.

والمعتزلة وافقوه في الكلام ونحوه من الصفات دون أفعال العباد، ووافقوه في فعله لغير أفعال العباد؛ لكون أفعال العباد عندهم ليست فعلاً له، فالجهمية والمعتزلة متفقون على أنه يوصف بمخلوقاته، لكن المعتزلة عندهم هو خلق كلامه ورضاه وغضبه وإرادته فيوصف بها، و لم يخلق أفعال العباد فلا يوصف بها.

و[أما] [2]جهم فعنده أنه خلق الجميع فلزمه أن يوصف بالجميع، والأشعرى وافق جهماً في المخلوقات من أفعال العباد وغيرها؛/ دون ١٧

وعليهم تتلمذ معتزلة بغداد. وما ذكره المصنف هو مذهب الجبائيه من معتزلة البصرة وغيرهم. وقد سبق التعريف بفرقة المعتزلة في ص ٨٨ انظر شرح الأصول الخمسة للقاضى عبدالجبارص ٤٤٠ التنبيه والرد للملطي ص٥٢-٥٤ والملل والنحل .للشهرستاني جـ١/٧٩-٨١.

١-(الواو) سقطت من (د).

٢-كذا في (د) و (ف) و(ح) وسقطت من الأصل.

الكلام والإرادة فإنهما عنده صفات تقوم با لله، لكنه وافقه على أن المخلوق هو الخلق، وهو يصفه بالصفات الفعلية فوافقه على اتصافه بالمخلوق من هذا الوجه، صار[١] هو والمعتزلة متقابلين، هو ينكر عليه قولهم في الكلام والإرادة، وأصاب في إنكاره عليهم، وهم ينكرون عليه قوله في أن أفعال العباد فعله[٢]، وهم وإن أصابوا في[٣] هذا الإنكار؛ لكنهم ينكرون أن تكون مخلوقة لله[٤] وهذا منكر، والأشعري يثبت للعبد قدرة محدثة وكسبا[٥]، ولكن يقول قدرته لاتأثير لها في المقدور،

١-في (ط) (وصار) زيادة واو .

٢-انظر رد الأشاعرة على المعتزلة في الإرادة في شرح المقاصد جـ٤/١٢٨-١٣٠، وفي مسألة الكلام جـ٤/١٤٣-١٥١ من نفس المرجع. ورد المعتزلة عليهم في أفعال العباد في شرح الأصول الخمسة ص٣٣٢.

٣-في (ف) (فهذا).

٤-في (ف) يكون مخلوقه لله و في (د) يكون مخلوق.

٥-الكسب الأشعرى: يقول الأشاعرة: الأفعال مستندة إلى ا لله -تعالى- خلقا وإلى العبد كسبا بإثبات قدرة مقارنة للفعل. ولكن قدرة العبد غير مؤثرة، والمقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة ا لله، لكن الشيء الذي حصل بخلق ا لله وكونه متعلق القدرة الحادثة هو الكسب .

انظر الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي مقابلة وطبع د.عدنان درويش ومحمد المصري ص١٦١-١٦٢ الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

ويقال ثلاثة لايُعلم لها حقيقة: أحوال أبي هاشم وطفرة النظام وكسب الأشعرى، وحقيقة الكسب عند الأشاعرة يقترب من الجبر كما ذكر المؤلف، ويقال : (أوهى

--

وما أثبته من الكسب لايتحقق الفرق بينه وبين الفعل، فكأن حقيقة قوله في أفعال العباد هو معنى قول جهم.

وأما سلف وأئمة الفقهاء وأهل الحديث وجمهور المنتسبين إلى السنة وطوائف من أهل الكلام[1] من المرجئة[2] والكرامية وغيرهم؛

من كسب الأشعرى) ، وأهل السنة أثبتوا للعبد قدرة مؤثرة، وبها يزول الاشكال. والقدرة غير المؤثرة لا تسمى قدرة.

١-أهل الكلام : الكلام هو حقيقة عرفية فيمن يتكلم في الدين بغير طريقة المرسلين، ومتقدميهم كانوا يخلطون ذلك بأصول من الكتاب والسنة والآثار، وأما المتأخرون فلا يذكرون إلا الأصول المبتدعة وأعرضوا عن الكتاب والسنة، وهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والمرجئة والكرامية وغيرهم، وأهل الكلام سبب في تسلط الفلاسفة عليهم وعلى الإسلام، لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا. وقد كثر اضطرابهم وحيرتهم وشكهم، وأقروا بذلك على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم، وكانوا أكثر الناس شكا عند الموت. يوسعون العبارة، ويأتون بكل لفظ غريب ومعنى أغرب من اللفظ. فإذا وصلت لم تجد معك حاصلا طائلا. تسمع جعجعة ولا ترى طحنا. انظر مج جـ١٠/٣٦٦-٣٦٧ جـ١٨/٢٢٤-٢٢٥، ودرء تعارض العقل والنقل جـ١/١٥٨-١٦٦ والأسماء والصفات للأشقر ص٢١٦ وشرح الطحاوية ص٢٠٨-٢١٠ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم جـ٣/٤٥٥ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٢-المرجئة :سموا المرجئة لقولهم بالإرجاء، وله معنيان أحدهما التأخير حيث يؤخرون العمل، والثاني : إعطاء الرجاء ؛ حيث قالوا: ((لايضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة)) ، وقيل معنى ثالث مقابل الشيعة أي وضع علي بن أبي طالب رابع الخلفاء خلافاً للرافضة.

وهم أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة

--

فسلموا من هـذه الأقـوال الفاسـدة ، و لم يصفـوا ا لله بمخلوقاتـه، وإنمـا وصفوه بما يقوم به من صفاته وأفعاله.

وأما الحلولية الذين يصفونه ببعض أفعال المخلوقات، كما تقولـه النصارى في المسيح والغالية في الأئمة والشيوخ[١] والقـائلون بـالحلول العام -كقول ابن عربي- :

وكل كلام في الوجود كلامـه سواء علينا نثره و نظامه[٢]

فهؤلاء فساد قولهم أظهر من هذا كله، وقـول هـذا المتخلـف[٣] يرجـع إلى قول هؤلاء، وإن كان قد لا يلتزمه لو عرف أنه يلزمه.

١٨ وأما الخبر الذي / استشهد به من قوله: «استطعمتك» فلفظـه في الصحيح يقول ا لله -تعالى-:، «**عبـدي جعت فلـم تطعمـني، فيقـول ربِّ كيف أطعمك وأنت ربُّ العالمين؟ فيقول:أما علمـت أن عبـدي**

الخالصة. وقد ذم السلف هذه الفرق. قال الزهري: ما ابتدعـت في الإسـلام بدعـة أضر على أهله من الارجـاء ا.هـ. أنظر التنبيـه والـرد للملطى ص٥٧ والمقـالات جـ١/٢٠٢،٢١١ والفرق بين الفـرق ص٢٥ والملـل والنحـل جـ١/١٣٩ وعقـائد الثلاث والسبعين جـ١/٢٧١-٢٧٤.

١- الغالية في الأئمة : هم غالية الشيعة و قد سبق التعريف بهم وكذلـك، والغاليـة في الشيوخ هم طائفة من الصوفيةص ١٧٨.

٢-هذا البيت لابن عربي ونصه: ألا كل قول في الوجود (البيت) . ويتلوه

يعـم بـه أسمـاع كـل مكـوّن فمنـه إليـه بـدؤه وختامـه

انظر: الفتوحات المكية لابن عربي (جـ٤/١٤) طبعة ١٣٢٩هـ مصطفى الحلبي دار الكتب العربية القاهرة.

٣-أي البكرى.

فلاناً جاع، فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي، عبدي مرضت فلم تعدني، فيقول ربِّ كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلو عدته لوجدتني عنده»[1]، وهذا الخبر ليس فيه فعل للعبد، وإنما فيه جوعه ومرضه، ولكن ظن أن لفظة «استطعمتك»، وأنه جعل استطعام العبد استطعام الرب، وأيضاً فالخبر مقيد لم يطلق الخطاب إطلاقاً، وإنما بيّنَ أن عبده هو الذي مرض، وهو الذي جاع، وقال: «**لو أطعمته لوجدت ذلك عندي**» ولم يقل لوجدتني أكلته، وقال «لو عدته لوجدتني عنده؛ ولم يقل لوجدتني إياه.» والحديث خطاب مفسر مُبين أن الرب ليس هو العبد؛ ولا صفته صفته؛ ولا فعله فعله، أكثر مافيه استعمال لفظ الجوع والمرض مقيداً مبيناً للمراد، فلم يطلق الخطاب إطلاقاً، وأيضا

الرد على احتجاج البكري بالحديث القدسي جعت فلم تطعمني

١- أخرجه مسلم في (كتاب البر والصلة، باب فضل عيادة المريض) رقم(٢٥٦٩)(جـ٤/١٩٩٠) ولفظه «إن الله-عزوجل- يقول يوم القيامة: ياابن آدم مرضت فلم تعدني. قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده. أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده. ياابن .... الحديث». والإمام أحمد في المسند(جـ٢/٤٠٤) ولفظه عن الله-عزوجل- أنه يقول «مرضت فلم يعدني ابن آدم، وظمئت فلم يسقني؟ فقلت: أتمرض يارب! قال: يمرض العبد من عبادي ممن في الأرض فلا يعاد فلو عاده كان مايعوده لي، ويظمأ في الأرض فلا يسقيني فلو سقي كان لي» ولم أجده بسياق المؤلف. قال النووي في شرح مسلم: قال العلماء: إنما أضاف المرض إليه -سبحانه وتعالى-، والمراد تشريفاً للعبد وتقريباً له، قالوا ومعنى «وجدتني عنده» أي وجدت ثوابي وكرامتي، ويدل عليه قوله تعالى في تمام الحديث «لو أطعمته لوجدت ذلك عندي...، لو سقيته لوجدت ذلك عندي» أي ثوابه. والله أعلم. ا.هـ. شرح صحيح مسلم للنووي جـ١٦/٣٦١-٣٦٢.

فقد عِلمَ المخاطب أن الرب لايجوع ولا يمرض، فلم يكن تلبيس لامن جهة السمع؛ ولامن جهة العقل، بل المتكلم بيّن فيه مراده، والمستمع[١] لم يشتبه عليه، بخلاف ما إذا أضيف [الفعل][٢] إلى[٣] العبد الذي يمكن منه الفعل؛ والفعل قد قام به، فإنه إذا جعل فعله فعل الرب لم يعقل هذا؛ إلا إذا أريد أنه خالقه، و[إذا][٤] أريد ذلك فالصواب أن يقال فعل العبد مخلوق للرب / ومفعول له، لايطلق أنه فعله لما فيه من التلبيس؛ ولما فيه من نفى فعل الرب؛ ولما فيه من نفى كون العبد فاعِلاً، ثم إنه لافرق في ذلك [بين المقربين وغير المقربين بهذا الاعتبار][٥].

١٩

لم يفرق ا لله - تعالى - خلق أفعال المقربين وغير المقربين

بل قد قال تعالى ﴿ **إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا**﴾ [سورة مريم :٨٣] كما قال -تعالى- ﴿**إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه**﴾ [سورة نوح:١] ونوح محمود مقرب، والشياطين أعداء لله[٦]. وقال تعالى﴿**بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد**﴾ [سورة الإسراء : ٥] كما قال.تعالى﴿ **بعث في الأميين رسولاً منهم**﴾ [سورة الجمعة : ٢]

١-في (د) (له).

٢-كذا في (د) و(ف) و(ح) وفي الأصل (العقل).

٣-(إلى) سقطت من (د).

٤- كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) (لأنه).

٥-ما بين المعقوفين من (د) و(ح) وفي الأصل و (ف) (هذا الاعتبار بين المقربين).

٦-في (ف) : تعالى.

وقال ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله ﴾[(١)] [سورة النحل:٣٦] كما أنه يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، فيخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن، وقد خلق المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وخلق النبات والدواب كلها طيبها وخبيثها، فجهة الخلق عامة شاملة، فلو كان قوله «**يبايعونك**» وقوله «**ولكن الله رمى**» من الخلق الشامل والقيومية العامة؛ للزم أن يقال مثل ذلك في كل مبايعٍ ورامٍ، وإن كان من الكافرين، ولم يكن في ذلك خاصّة لمحمد ﷺ ولا فضل له على أحدٍ من المخلوقين .

رد احتجاج البكري بحديث الأولياء

وأما حديث الأولياء فليس من هذا الباب بالكلية، وإنما فيه «**فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي**»(٢) ولم يقل أنا أسمع وأنا

١-كذا في (د) و (ت) و الآية سقطت من الأصل و (ف) و(ح).

٢-حديث الأولياء أخرجه البخاري في (كتاب الرقاق، باب التواضع) جـ٤/٢٠٣٩ رقم ٦٥٠٢ والبيهقي في السنن الكبرى، باب الخروج من المظالم والتقرب إلى الله -تعالى- جـ٣/٣٤٦ وفي الزهد الكبير للبيهقي أيضا تحقيق د.تقي الدين الندوى ص٢٩٠ رقم ٦٩٠ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ الناشر دار القلم الكويت، والأسماء والصفات له أيضا تحقيق عمادالدين أحمد حيدر جـ٢/٢٥١ باب ماجاء في التردد الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان، والطبراني في المعجم الكبير جـ٢/١٤٥-١٤٦ رقم ١٢٧١٩ وجـ٨/٢٦٤ رقم٧٨٨ وفي الأوسط كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد جـ١٠/٢٦٩-٢٧٠ وابن أبي الدنيا في الأولياء تحقيق مجدي السيد إبراهيم ص٢٧ الناشر مكتبة القرآن القاهرة ومكتبة الساعي الرياض – السعودية، وأبو نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ١/٤ الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت – لبنان، وهذا اللفظ الذي ذكره المؤلف أعلاه انفرد به الحكيم الترمذي في ختم

--

أبصر، ولاأنا أبطش ولا أنا أمشى، وقد [صرح][1] بالفرق فيه بين الرب والعبد من وجوه متعدده، كقوله: «**من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة**»[2] ففرق بين نفسه ووليه وعدوه ووليه، ثم قال: «**ماتقرب إلى عبدى / بمثل أداءماافترضت عليه**»[3] ففرق بين المتقرب والمتقرب ٢٠

الأولياء تحقيق عثمان إسماعيل يحي ص٣٣٢ (طبعة المطبعة الكاثوليكية بيروت – لبنان) ولم يذكر سنداً للحديث. وسيورد المؤلف أجزاء من الحديث فيما بعد. قال ابن رجب إنه من غرائب الصحيح وقد رُوى من عدة وجوه لاتخلو كلها من مقال ا.هـ. جامع العلوم تحقيق شعيب الارنؤوط وإبراهيم باجس جـ٢/٣٣٠ ومابعدها (الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت لبنان). وقال ابن حجر في فتح الباري جـ١١/٤١٥: إن للحديث طرقاً يدل مجموعها على أنه له أصلا ا.هـ. وقال ابن تيمية في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان تحقيق د.عبدالرحمن اليحي ص٥٠ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار طويق الرياض – السعودية: هذا أصح حديث يروى في الأولياء ا.هـ. وجمع طرق الحديث وتكلم عليها السيوطى في القول الجلي في حديث الولى في كتاب الحاوى للفتاوى لجلال الدين عبدالرحمن السيوطى جـ٢/٩٢-٩٥ طبعة دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

١-كذا في (د) و (ت) و في الأصل و (ف) و (ح) صح

٢-هذا الجزء من الحديث أخرجه البخاري ولفظه «... أذنته بالحرب ...» وبلفظ البخاري أخرجه البيهقي في السنن الكبرى والأسماء والصفات والزهد في الرواية الأولى وفي الرواية للزهد الثانية «... فقد استحل محاربتى ...» والطبرانى في المعجم الكبير عن أبي أمامه «من أهان لي ولياً، فقد بارزني بالمحاربة» وكذا رواية أنس، ولم أجده بهذا السياق عند من خرّج هذا الحديث، ولم يذكر هذا السياق ابن حجر في فتح الباري جـ١١/٤١٦ عند الكلام على روايات الحديث.

٣-أخرج هذا الجزء أبونعيم في الحلية جـ٨/٣١٨-٣١٩ من حديث أنس والحكيم والترمذي في ختم الولاية ص٣٣٢ الفصل السادس، وابن أبي الدنيا قي الأولياء من حديث أنس بن مالك ص٢٧ وغيرهم بألفاظ قريبة من لفظ المؤلف.

إليه،ثم قال:«**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به** .. إلى آخره»(١)، فلم يقل كنت إياه، ولا فيه أن فعل أحدهما هو فعل الآخر، ولكن أخبر أن إحساس العبد وفعله يقع به، لأن العبد إذا صار لله فيما يحبه ويرضاه، ويحب مايحب، ويبغض مايبغض، ويرضى بما يرضى، ويأمر بما يأمر، وينهى بما ينهى صار الإيمان به ومعرفته وتوحيده في قلبه، **فإحساسه وأفعاله [تقع]**(٢) به، وهذا فيما(٣) في القلب نظير قوله فيما

١-**هذا الجزء من الحديث** أخرجه البخاري في (كتاب الرقاق، باب التواضع) جـ٤/٢٠٣٩ رقم ٦٥٠٢ ولفظه «... فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، **وبصره الذي يبصر به**، ويده الذي يبطش بها، ورجله الذي يمشى بها، وإن سألني **لأعطينه، ولئن استعاذني** لأعيذنه، وماترددت في شئ أنا فاعله ترددي عن نفس **المؤمن يكره الموت وأنا** أكره مسائته».

وقال ابن حجر في فتح الباري جـ١١/٤١٩ في شرح الحديث: بعد ذكر أقوال العلماء فيه، قال: وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه؛ من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات يصير في معنى الحق -تعالى الله عن ذلك-، وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه، وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وإن لم تعدم في الخارج، وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث «**ولئن سألنى، ولئن استعاذنى**» فإنه كالصريح في الرد عليهم ا.هـ. وكذلك رد على الاتحادية والحلولية في تمسكهم بهذا الحديث ابن رجب في جامع العلوم والحكم جـ٢/٣٤٧.

٢-كذا في (د) و(ح) و في الأصل و (ف) يقع.

٣- في (د) : ما.

للسان «**أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه**»[١] فقال تحركت بي؛ وإنما تتحرك باسمه، كذلك قوله: فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، أي بما في قلبه من الإيمان بي، وقد يسمى هذا المثال العلمي[٢]، وهذا كثير في الكلام كقول القائل:

ساكن في القلب يعمره لست أنساه فأذكره[٣]

١-أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى﴿لاتحرك به لسانك﴾ وفعل النبي ﷺ حين ينزل عليه الوحي) تعليقا جازماً به (٥/٢٣٥٠) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- ولفظه «قال الله -تعالى- :أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه» وفي رواية الكشميهني -أحد رواة البخاري- «ماذكرني» فتح الباري لابن حجر جـ١٣/٦١١، وأخرجه أيضا أحمد في المسند جـ٢/٥٤٠ موصولا. والبخاري في خلق أفعال العباد ص٨٧ والحاكم في المستدرك جـ١/٤٩٦ في كتاب الدعاء وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي. ووصله ابن حجر وذكر طرقه في تغليق التعليق جـ٥/٣٦٢-٣٦٤ باب قوله -عزوجل- ﴿لاتحرك به لسانك لتعجل به﴾.

٢-والمثال العلمي هو: أن محبة الله تستولي على قلب المُحب بحيث يفنى بها عن غيرها، ويغلب محبوبه على قلبه حتى كأنه يراه ويشاهده، فإن لم يكن عنده معرفة صحيحة بالله وما يجب له وما يستحيل عليه، وإلا طرق باب الحلول إن لم يلجه. والمثال العلمي غير الحقيقة الخارجية وإن كان مطابق لها، فمحله القلب ومحل الحقيقة الخارج.

انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص٢٣طبعة ١٤١٣هـ على نفقة محمد بن صالح بن سلطان ومج جـ٢/٣٨٦ وجامع العلوم والحكم جـ٢/٣٤٦.

٣-هذا البيت نسبه القشيري للجنيد، قيل للجنيد قل: لاإله إلاالله، فقال: مانسيته فأذكره !! وقال:

حاضر في القلب يعمره لست أنساه فأذكره

وقال آخر[١]

ومن عجبي أني أحنُّ إليهـم وأسأل عنهم من لقيت وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي[٢]

وقد يسمى هذا حلولا، لحلول معرفته ومحبته في العارف[٣] المحب، وقد غلط بعض الناس فظن أن ذات المعلوم المحبوب محل، وهذا غلط، كما غلط من قال بحلول ذات الرب في بعض عبيده كالنصارى ومن ضاهاهم من غلاة الشيعة، وجهال الصوفية.

٢١ كلام البكري في شهود القيومية

الوجه الثاني قوله: (فإذا غلب على المقرب شهود القيومية / ورؤية

فهـو مولاي ومعتمـدي ونصيبـي منه أوفـره

انظر: الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم القشيري تحقيق د. عبد الحليم محمود ومحمود الشريف جـ٢/٥٩٦ باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا (طبعة ١٩٧٤) الناشر دار الكتب الحديثة ـ مصر .

١- في (د) : الآخر.

٢-في (ف) : أضلاعي. ولم أجد من ذكر قائل هذين البيتين.

٣-العارف:عند الصوفية قال السمرقندي: هو من أشهد الله على ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، فالمعرفة حال تحدث من شهوده. اصطلاحات الصوفية تأليف كمال الدين عبدالرزاق الكاشي السمرقندي ص٥٤ طبعة سلسلة إشاعة العلو-القاهرة.

وقد جعل الصوفية من صفات العارف: الحيرة ودوام التفكير، حيرة في الله -تعالى- والصمت والخوف ورحمة الناس والغيرة على محارم الله، وزاد ابن عربي اطلاعه على الغيب من غير حجاب.

انظر من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة تأليف د.محمد السيد الجلنيد ص ١٢٧-١٢٩ الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ الناشر دار اللواء الرياض - السعودية. وهذه الصفات منها ماورد ذمه في الشرع كالصمت، وبعضها لايتصف به مسلم كالحيرة في الله، وبعضها كفر بالله -تعالى-.

التوحيد، كما جاء في مقام الإحسان[١] «**أن تعبد الله كأنك تراه**»[٢] نطق برد الأشياء إلى خالقها وغلب ذلك على نطقه).

رد ابن تيمية

فيقال: مشهد[٣] القيومية يشهد فيه أن الله خالق كل شئ، وهذا الشهود العام يتناول مادخل من إيمان وكفر، وأما الإحسان الذي فيه «أن تعبد الله كأنك تراه» فهذا مقام من يميز بين المأمور والمحظور، فإن العبد إذا قدّر[٤] كأنه يشاهد ربه فعل ماأُمر به وترك مانُهى عنه، ووَالى أولياءه وعادى أعداءه، وهذا مشهد الإلهية[٥] الذي دعت إليه الرسل؛ حيث أمروا بعبادة الله وحده وطاعته، وليس هذا هو مشهد القيومية،

١-الإحسان : لغة: فعل ماينبغي أن يفعل من الخير، وفي الشريعة: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك (التعريفات ١٢ باب الألف)

٢-أخرجه البخاري في (كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان) جـ١/٤٠ برقم ٥٠ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وأوله «كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه رجل فقال: ... الحديث» ومسلم في (كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان) جـ١/٣٦ رقم ٨.

٣-في (د) شهدوا.

٤- في (ط) : صار.

٥-مشهد الإلهية: هو شهادة أن لاإله إلا الله، وأن إلهية ماسواه باطل ومحال، كما أن ربوبية ماسواه كذلك، فلا أحد يستحق أن يؤله ويعبد، ويصلى له ويسجد، ويستحق -سبحانه- نهاية الحب مع كمال الذل، فهو المطاع وحده على الحقيقة، والمألوه وحده وله الحكم وحده.

وهذا المشهد هو مشهد الرسل وأتباعهم الحنفاء، وهو أعلى من مشهد الربوبية الذى هو مشهد القيومية، ولذلك فتوحيد الربوبية أعظم دليل على توحيد الإلهية. انظر طريق الهجرتين لابن القيم ص٤٤-٤٥.

ولكن من هو أكبر من هـذا الرجـل غلطـوا في هـذا، -فغلـط مثـل هـذا لأينكر- لاسيما كثير من الشيوخ المعظمين عند هذا وأمثاله[١]، فإنهم لايفرقون بين هذا وهذا؛ بل ويُعدون نهاية العارفين الفناء[٢] في توحيـد

١- مثل ابن عربي وغيره، بل إن أكـثر أهـل الكـلام لايفرقـون بـين توحيـد الألوهيـة وتوحيد الربوبية ولا يعرفون إلا توحيد الربوبية الذى أقر به مشركو العرب.

٢-الفناء: هو سقوط الأوصاف المذمومة كمـا أن البقـاء وجـود الأوصـاف المحمـوده، والفناء: فناءان أحدهما ماذكرنا وهو بكثرة الرياضـة -كمـازعموا- والثـاني عـدم الإحساس بعالم الملك والملكوت، وهـو بالاستغراق في عظمـة البـاري ومشـاهدة الحق. التعريفات للجرجانى١٦٩ باب الفاء.

وقسم ابن تيمية الفناء إلى ثلاثة أقسام، فنـاء عـن عبـادة السِّوَى وهـو: عبـادة الله وحده وهو التوحيد، وفناء عن شهود السِّوَى وهو: الفناء عن شهود ماسوى الله، وهو الاصطلام، والثالث الفناء عن وجود السِّوَى وهو: قول أهل وحدة الوجـود. انظر مج جـ١/ ٣٧٠.

والمؤلف هنا يشير إلى القسم الثاني وهو الفناء عن شهود ماسوى الله، وهو الـذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين ويعدونه غاية، وأصـل هـذا الفنـاء الاستغراق في توحيد الربوبية وهو رؤيـة الله بخلـق الأشـياء، وملكهـا واختراعهـا، وأنـه ليـس في الوجود قط إلا ماشاءه وكونه. فيشهد مااشـتركت فيـه المخلوقـات مـن خلـق الله إياها، ومشيئته لها، وقدرته عليها، وشمول قيوميته وربوبيته لها. ولا يشهدماافترقت فيه من محبة الله لهذا وبغضه لهذا، وأمره بما أمر به، ونهيه عما نهى عنـه، وموالاتـه لأوليائه ومعاداته لأعدائه.

انظر مدراج السالكين لابن القيم جـ١/١٧٣-١٧٨ ولكن توحيد الربوبية لايكفي في النجـاة فضـلاً عـن أن يكـون شـهوده والفنـاء فيـه هـو غايـة الموحديـن ونهايـة مطلبهم، فالغاية التى لاغاية وراءها ولانهاية بعدها هو توحيد الإلهية. انظـر طريـق الهجرتين ص٣٠.

الربوبية وشهود القيومية والاصطلام[1] في شهود القدر الجاري، ويقول أحدهم إن مشاهدة العارف المنتهي في القربة لحكم الله -الذي هو مشهد[2] مشيئته العامة- لم يدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة.

وقد يقول أحدهم هذا العارف يكون الجمع[3] في قلبه مشهودا

١-الاصطلام: في عرف الصوفية هو الوله الغالب على القلب، وهو قريب من الهيمان. وقيل هو غلبات الحق الذى يجعل كلية العبد مغلوبة له بامتحان اللطف في نفي إرادته. انظر: اصطلاحات الصوفية الكاشي السمرقندي ص٥، ومعجم مصطلاحات الصوفية للحفني ص١٧ حرف الألف.

٢-(مشهد) سقطت من (ف).

٣-الجمع في عرف الصوفية هو: شهود الأشياء بالله والتبرى من الحول والقوة إلا بالله. التعريفات للجرجاني ص٧٧ باب الجيم.

وقال عبدالرؤوف المناوي في التوقيف على مهمات التعاريف تحقيق عبدالحميد حمدان ص١٢٩-١٣٠ باب الجيم فصل الألف (الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ الناشر عالم الكتب القاهرة - مصر) : الجمع عند أهل الحقيقة(الصوفية): إشارة إلى حق بلا خلق، وقيل مشاهدة العبودية وقيل الفرق مانسب، والجمع ماسلب عنك، ومعناه: أن مايكون كسبا للعبد من إقامة وظائف العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق، وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وابتداء لطائف وإحسان فهو جمع، ولابد للعبد منهما، من لاتفرق له لاعبودية له ومن لاجمع له لامعرفة له. وجمع الجمع: مقام أتم وأعلى من الجمع ا.هـ.

والصواب أن الجمع ينقسم إلى قسمين: الأول: الجمع ويراد به جمع الوجود وهو يزيل التفرقة بين الرب والعبد، والخالق والمخلوق، والقديم والحديث. وهذا جمع الملاحدة القائلين بوحدة الوجود، وهذا أبطل الباطل.والثاني: الجمع ويراد به الجمع

==

والفرق(١) على لسانه موجودا ومرادهم بالجمع شهود القدر.

وهؤلاء غاية تحقيقهم شهود التوحيد الذي أقر به عباد الأصنام(٢) العرب، كانوا يُقرون بأن / الله خالقُ كل شئ وربّه ومليكه؛ كما أخبر الله عنهم في القرآن في غير موضع، كقوله تعالى ﴿**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون *سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم *سيقولون لله قل أفلا تتقون *قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون *سيقولون لله قل فأنى تسحرون**﴾[سورة المؤمنون :٨٤-٨٩] وقال تعالى ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولُن الله**﴾[سورة لقمان:٢٥] وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم احتجوا في ذلك بقوله(٣) ﴿**سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا**

بين الإرادة والطلب على المراد المطلوب وحده، وهذا هو الجمع الصحيح. مدراج السالكين جـ٣/٤٤٥.

١-الفرق في عرف الصوفية هو: تكثر الواحد بظهوره في المراتب التي هي ظهور شؤون الذات الأحدية. وتلك الشؤون في الحقيقة اعتبارات محضة لاتحقق لها إلا عند بروز الواحد بصورها. التعريفات للجرجاني ص٦٦ باب الفاء.

والصواب أن الفرق ينقسم أيضاً إلى قسمين الأول: الفرق بين القديم والمحدث، وبين الخالق والمخلوق، ويقابل جمع الملاحدة، ويقولون الجمع ماسقط هذا الفرق، وهذا هو الفرق الصحيح. والثاني: الفرق بين الهمة والإرادة، ويقابل الجمع الصحيح أي الجمع بين الإرادة والطلب على المراد المطلوب وحده، وهذا الفرق مذموم. مدراج السالكين جـ٣/٤٤٥.

٢-في (د) فإن عباد الأصنام من العرب.

٣- في (د) تعالى.

ولا ءاباؤنا﴾[سورة الأنعام : ١٤٨] .

ذم المشركين في آية الأنعام لاحتجاجهم بالقدر على إبطال الأمر والنهي

وقد ظن طائفة من المثبتين للقدر أنهم قالوا هذا على سبيل التكذيب بالقدر والاستهزاء به[١]؛ لقوله ﴿**كذلك كذب الذين من قبلهم**﴾ [سورةالأنعام:١٤٨] ، وبهذا أجابوا القدرية لما احتجت[٢] عليهم بهذه الآية، وهذا غلط، فإن العرب كلهم كانوا يثبتون القدر، ويقرون أن الله خالق كل شئ وربه ومليكه فلم يكونوا مكذبين بذلك، ولا ذمهم الله -سبحانه- على التكذيب بالقدر؛ بل على الاحتجاج به على إبطال الأمر والنهي، وقوله ﴿**كذلك كذب الذين من قبلهم**﴾ [سورة الأنعام:١٤٨]، أي كذبوا بالأمر والنهي الذي جاءت به الرسل، فإن هذا هو تكذيب الذين من قبلهم؛ الذين ذكر الله في القرآن، ولهذا قال ﴿**قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا**﴾ [سورة الأنعام:١٤٨] أي فإن المحتج بالقدر لايحتج به إلا إذا لم يكن عنده علم؛ بل يتبع هواه، فإنها حجة متناقضة، إذ لو احتج عليه بالقدر لما/قبل هو ذلك منه[٣]، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.

٢٣

الأقرار بتوحيد الربوبية لا يدخل الإسلام

فمن كان غاية توحيده شهود القيومية والربوبية العامة؛ كان قد شهد ماأقر به المشركون، ولم يكن قد شهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإنما يشهد ذلك من شهد الفرق بين المأمور والمحظور،

١-مثل التفتازاني في شرح المقاصد جـ٤/٢٧٤.

٢-في (د) أحتجحت.

٣-قرر هذا المعنى الذى ذكره المؤلف ابن جرير الطبري انظر تفسير الطبري جـ٥/٣٨٧-٣٨٨ ونقل إجماع أهل التفسير على هذا.

وبين أولياء ا لله وأعدائه، وبـين توحيـده والاشـراك بـه، و[١] عَبَـدَ ا لله كأنه يراه، وهذا شهد الفرق في الجمع؛ فهو مع شهود القيومية؛ يشـهد أنه[٢] الإله المستحق للعبادة دون سواه، ووجوب طاعة رسوله ومـوالاة أوليائـه ومعـاداة أعدائـه، ويستعينه على فعـل مـاأمر و تـرك مـاحظر، وشـهوده أنـه خلـق الملائكـة والشياطين؛ (لايحجبـه عـن أن يشـهد أن الملائكة أولياؤه والشياطين أعداؤه، وكذلـك شـهوده أنـه خـالق أفعـال العباد)[٣]؛ لايحجبه عن أن يشهد [أنه يحب][٤] الإيمان والعمل الصالح، ويرضاه ويكرم أهله ويقربهم إليه،وينهى عن الكفر والفسوق والعصيان ويمقت أهله ويعاقبهم، فمن غلط هذا؛ ظن أن مجرد شهود القيومية هـو شهود[٥] المقربين، وظن أن هذا هو عبادة الرب، كأنه يراه.

و من هـؤلاء (من يظـن)[٦] أن مـن[٧] شـهـد القيوميـة سقـط عنـه المـلام ، ومنهـم مـن يقـول إن الخضـر[٨] سقـط

١-سقطت الواو من (د).

٢-في (د) أن وهو خطأ.

٣-مابين القوسين سقط من (د) و (ح) و بهامش (ف).

٤-ما بين المعقوفين من (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

٥-في (ف) شهد.

٦-مابين القوسين سقط من (ف).

٧-(من) سقطت من (ف).

٨-الخضر هو صاحب موسى -عليهما السلام- اختلف في اسمه، ونسبه، ونبوته، وقد قيل فيه أقوال كثيرة، قال ابن حجر في الزهر النضر في نبأ الخضـر (ضمـن مجموعـة الرسائل المنيرية) جـ١٩٨/٢: كان بعض أكابر العلماء يقول: أول عقـدة تحـل مـن الزندقة اعتقاد كون الخضر نبيا، لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي إلى أن الـولي

--

عنـه المـلام لشهوده[1] القيومية، وهذا كله باطل، وطـرد هـذا القـول

أفضل من النبي .ا.هـ، وقد وردت آثار ضعيفة وموضوعة في تعميره حتـى يكـذب الدجال، وقد تتبع ابن كثير في قصص الأنبياء ص٤٥٩-٤٦٠ الأخبـار الـواردة في حياته ثم قال: وهذه الروايـات والحكايـات هـي عمـدة مـن ذهـب إلى حياتـه إلى اليوم. وكل من الأحاديث المرفوعـة ضعيفـة جـداً لايقـوم بمثلهـا حجـة في الديـن، والحكايات الواردة لا يخلو أكثرها عن ضعف الإسناد، وما كان منها صحيحاً فهو عن غير معصوم، وذهب جماهير العلمـاء إلى أنـه مـات منهـم البخـاري وإبراهيـم الحربي وألف ابن الجوزى كتاب "عجالة المنتظر في شرح حالة الخضـر" ونصـوص الكتاب والسنة تدل على موته .ا.هـ.

وقد استدل الصوفية بقصـة الخضـر في الحقيقـة والشـريعة، وفي طاعـة المريـد لشيخه طاعة مطلقة وغيرهـا ، وأشد وأدهـى تمثـل الشياطين لهـم وأدعائهـا أنهـا الخضر، وسبب ذلك طمع الشياطين بهؤلاء ، قال المؤلـف في مـج جـ٧/٣٩٢: لم يقل أحد قط من الصحابة: أن الخضر أتاه ولا موسى، ولا عيسى، ولا أنه سمع رد النبي ﷺ عليه ا.هـ. ويوجد في بعض بلدان العـالم الإسـلامي مشـاهد يدعـون أنهـا للخضر. انظر: مج جـ٢٧/١٠٠-١٢٠ وكتاب فوائـد حديثيـة تـأليف ابـن القيـم تحقيق مشهور بن حسن وإياد القيسي ص٨١ وما بعدها (الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشـر دار ابـن الجـوزى الدمـام - السـعودية) والبدايـة والنهايـة لابـن كثـير جـ١/٣٣٥ ومـا بعدهـا، والزهـر النضـر في نبـأ الخضـر (ضمـن مجموعـة الرسائل المنيرية) جـ٢/١٩٥ وما بعدها، والخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافـة تـأليف أحمـد الحصـين (الطبعـة الأولى ١٤٠٧هـ الناشـر دار البخـاري بريـدة - السـعودية) وشبهات التصوف تـأليف عمـر قريشـي ص١٧٥ ومـا بعدهـا (الناشـر دار الهـدى القاهرة - مصر) والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية تأليف صـادق سـليم صـادق ص٤٦٥ ومـا بعدهـا الطبعـة الأولى ١٤١٥هـ الناشـر مكتبـة الرشـد الريـاض - السعودية وغيرها كثير.

١-في (د) شهوده.

٢٤

يجر إلى شرٍ من أقوال اليهود[١] والنصارى، فإن اليهود/ والنصارى يميزون في الجملة بين أمور منكرة،كما يميزون بين الصدق والعدل وبين الكذب والظلم، وهؤلاء إذا شهدوا القيومية العامة؛ لم يميزوا بين المعروف والمنكر، ولا بين الصدق والكذب والعدل والظلم، وهم[٢] في هذا النفي لايثبتون ؛ بل يميزون تميزاً طبيعياً لاشرعياً ، فيفرق أحدهم بين مايهواه وبين مالا يهواه، فيطلب هذا وينفر عن هذا ويمدح من وافق غرضه ، ويذم من خالف غرضه، ولهذا كان هؤلاء نهاية سلوكهم هو الفناء والجمع والاصطلام، لايحبون ماأحب الله، ولا يبغضون ماأبغض الله، فإن الإرادة والمحبة والرضا سواء عندهم[٣] ،كما تقول القدرّية من

هل الإرادة تستلزم الرضا والمحبة؟

١-اليهود : هم أمة موسى -عليه السلام-، وكتابهم التوراة، وهم بنو إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب -عليه السلام- وسموا باليهود قيل من هاد أي: رجع وتاب لقول موسى﴿**إنا هدنا إليك**﴾[سورة الأعراف:١٥٦]، وقيل نسبة إلى يهوذا بن يعقوب. ولليهود قصص مع موسى، وانحرافات كثيرة فصلها الله في كتابه. وهم فرق كثيرة. و لم يستقر اليهود على التوحيد بل انحرفوا إلى التجسيم والتعدد وعبادة الأوثان، وإلههم اسمه يهوه وهو ليس معصوما ويأمر بالسرقة، ويضل الطريق، ويسير إمام بني إسرائيل. ويدعون أن هذا الإله لهم خاصة، فهم شعب الله المختار ولهم اعتقادات أخرى. انظر الملل والنحل للشهرستاني جـ١/٢١٠-٢١٩ .

٢-في (د) : فهم.

٣-هل الإرادة تستلزم الرضا والمحبة ؟ الخلاف في هذه المسألة على قولين: القول الأول : أن الإرادة تستلزم الرضا والمحبة، وهذا قول الجهمية والمعتزلة وأغلب الأشاعرة، واختلفوا فيما يقع من الكفر والمعاصى هل هو محبوب لله لكونه مراداً له؟ فقالت المعتزلة القدرية: قد عُلـمَ أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح ولايحب الفساد، ولايرضى الكفر والمعاصى، فلما كان هذا ثابت لزم أن تكون المعاصي ليست

--

المعتزلة وغيرهم.

لكن أولئك قالوا هو[١] لايحب الكفر والفسوق والعصيان فلا يريده، فيكون مايقع من ذلك بدون مشيئته وقدرته، فيكون مالايشاء ويشاء مالايكون.

مقدرة له ولامقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه، وقالت الجهمية ومن اتبعها من الأشاعرة: ماشاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وكل مافي الوجود فهو بمشيئته وقدرته، وهو خالقه، وعلى هذا فالكون كله، قضاؤه وقدره، وطاعته ومعصيته، وخيره وشره، محبوب لله، لأنه مريد له وخالقه وقد حاول بعض الأشاعرة التخفيف من الألفاظ وبعضهم تجنب التصريح بذلك ونهى عنه.

والقول الثاني: أن الإرادة لاتستلزم الرضا والمحبة، وهو قول عامة أهل السنة المثبتين للقدر، قالوا: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدرا، فهو لايحبها ولايرضاها ولايأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها. وأن الإرادة في كتاب الله نوعان إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات فالإرادة الدينية هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل مالا يريده الله، أي لايحبه ولايرضاه ولايأمر به، والإرادة الكونية هي المذكورة في قول المسلمين. ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. انظر الفصل لابن حزم جـ٣/١٧٩-٢٠٠ وشرح الأصول الخمسة ص٤٥٩ وما بعدها، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لأبي المعالي الجويني تحقيق أسعد تميم ص٢١١-٢١٩ (الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت-لبنان) وشرح المقاصد جـ٤/٢٧٤-٢٨١، ومج جـ١١/٣٥٦-٣٥٨ جـ٨/٢٤٠-٢٤١، وشفاء العليل لابن القيم جـ١/١٤١-١٤٢، وشرح الطحاوية ص١١٣-١١٤،٢٥١،٤٤٧ والقضاء والقدر تأليف د.عبدالرحمن المحمود ص١٩٦-٢٠٠.

١-(هو)سقطت من (د).

وقال هؤلاء: هو أراد الكفر والفسوق والعصيان فهو يحب ذلك ويرضاه، وإن كان لايريده[١] دينا؛ بل يريد تنعيم من أطاعه وتعذيب من عصاه.

ثم قال هؤلاء: هذا الفرق يعود إلى حظوظ[٢]أنفسهم، فالعارف الفاني عن حظوظه في شهود قيوميته لايستحسن حسنة ولايستقبح سيئة.

ثم قالوا: والأنبياء والصديقون يقومون بالفرق لأجل العامة، رحمة بهم، وهذا عندهم من التلبيس الذى أمرت به الخاصة /، وهم يبطنون ٢٥ مايظهرون، فإنه يكون الجمع في قلوبهم مشهودا، والفرق في ألسنتهم موجودا، فالقائم بالفرق عندهم لايكون إلا واقفا مع حظه أو ملبّسا[٣] بإيمانه لأجل غيره، إذ لافرق بنسبة إلى ا لله عندهم .

ومن عرف ماجاءت به الرسل من إثبات محبة ا لله ورضاه، وفرحه بتوبة التائبين وسخطه وغضبه ومقته لمن عصاه، وعرف أن الفرق ثابت بالنسبة إلى القدر مع شمول المشيئة لكلّ واقع؛ وصار على ملة ابراهيم الذى اتخذه ا لله خليلا، فأحب ا لله وأحب مايحبه ا لله، كان متابعاً لما أمر ا لله به وأحبّه ورضيه، و لم يكن مع مجرد الإرادة .

فإن هؤلاء دخلوا بإرادة أنفسهم فانتهوا إلى الإرادة الخلقية، ومن دخل بالإرادة التى هي أمر ا لله ونهيه مصدقاً لما أخبر الرسول من الفرق الثابت في كتاب ا لله وأفعاله، كان على دين الإسلام الذى أرسل ا لله

١-في (ف) : يريد وهو خطأ.

٢-حظوظ جمع حظ وهو النصيب . المصباح المنير تأليف أحمد الفيومي المقرئ ص٥٤ الحاء مع الظاء وماثلتهما [كذا بالأصل] الناشر مكتبة لبنان بيروت - لبنان.

٣- في (ف) ملتبساً .

به رسله وأنزل كتبه،على ملة إبراهيم ودين محمد ﷺ؛ ومن لم يقل بالفرق في نفس الأمر فإنه خارج عن حقيقة الإيمان كما أنه خارج عن شريعة الإسلام، فليس معه حقيقة إيمانية، ولاشريعة إسلامية، وإنما معه حقيقة خلقية قدرية أقر بها عباد الأصنام الذين هم مشركون، وذلك أن شهود القيومية بلا جمع ممتنع طبعاً وشرعاً، فمن لم يشهد الفرق الشرعي الإلهي؛ وإلا كان مع الفرق الطبعي النفساني أو مع فرق آخر شيطاني.

اتباع الاتحادية الحلولية وأهل الوحدة للشياطين

فمن لم يعبد الرحمن عبد الشيطان ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين/ * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين**﴾ [سورة الزخرف :٣٦-٣٨] وذكر الرحمن يراد به الذكر الذي أنزله الله ، كما قال تعالى ﴿**فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولايشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال ربِ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**﴾ [سورة طه: ١٢٣-١٢٦] فمن أعرض عن هدى الله الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه؛ فلم يفرق بين ما أمر الله به وما نهى عنه، كان معرضا عن ذكره المنزّل، فيقيض له شيطانا يصده عن سبيل الله؛ فيفرق بمجرد هواه، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، ولو كان مثل هذا ذاكراً لله ولم يشهد إلا القيومية العامة، لم يشهد ما جاء به الكتاب المنزل من الفرق فإنه يكون من أعظم أتباع الشياطين.

٢٦

ولهذا يوجد الشيوخ العباد[1] والزهاد من هؤلاء يتبعون شياطين الإنس والجن، فيكون أحدهم من خفراء الكفار وأعوانهم، ومنهم من يحسن الظن[2] بالكفار وأعوانهم ونظرائهم [فيحسبهم][3] من أولياء الله المتقين؛ لاسيما إن رأى من الأحوال الشيطانية مايغريه، مثل أن يخبره ببعض الغائبات، أو يحصل له نوع من التصرفات فيطير به الشيطان في [الهواء][4]، ويحضر له طعاماً وغير ذلك، كما كان يحصل لعباد الأصنام مع الشياطين، وهذا التوحيد توحيد الربوبية العامة، كان المشركون يقرون به فهو وحده لاينجي من/ نار ولايدخل الجنة[5].

٢٧

بل التوحيد المنجي: شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله، بحيث

التوحيد الذي جاءت به الرسل هو توحيد الألوهية

١-في (د) و (ح) و العباد.

٢-بياض في الأصل و (د) و (ف) و (ح) بمقدار كلمة، وليس في الكلام سقط كما يتضح من السياق.

٣-بياض في الأصل و (د) و (ف) و (ح) بمقدار كلمة ، وما بين المعقوفين يقتضيه السياق ، وكذا في (ط).

٤-كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) (الاهوا) وفي (د) (الهوى).

٥-وقد ذكر المؤلف هذه الأحوال الشيطانية في كثير من كتبه انظر التوسل والوسيلة ص٣٠٠-٣٠٣ والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٣٢٨-٣٣٢ ومج جـ١١/٦١٠-٦١١، وغيرها وذكرها غيره من أهل العلم. مثل: أكام المرجان في عجائب وغرائب الجان تأليف بدر الدين أبي عبدالله الشبلي ص١٢٤ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الناشر المكتبة العصرية بيروت - لبنان، وكتاب عالم الجن والشياطين تأليف عمر سليمان الأشقر ص٨٣ وما بعدها الطبعة الثانية الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، وحقيقة الجن والشياطين تأليف محمد علي السيدابي ص٨٠-٨٣ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار الحارث الخرطوم - السودان.

يُقر بأن الله هو المستحق للعبادة دون ماسواه، وأن محمداً رسوله، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن عصى الرسول فقد عصى الله، فيحل ماحلله الله ورسوله، ويحرم ماحرمه الله ورسوله ويأمر بما أمر الله به ورسوله، وينهى عما نهى الله عنه ورسوله[1].

---

[1] -معرفة الناس لربهم من لوازم خلقهم، وآيات الكتاب العزيز والسنة وأقوال العرب وأشعارهم في الجاهلية، تدل على أن الإنس والجن مقرون بالخالق معترفون به، ضروري فيهم وإن قدرَ أن الإقرار بالرب -تعالى- أنه يحصل بسبب يعرض للإنسان في حياته فهو في الحقيقة يظهر بذلك ويبرز، وأصل الإقرار با لله -تعالى- والاعتراف به ربا مستقر في قلوب جميع الإنس والجن، وهذا وا لله أعلم -هو الإقرار والشهادة المذكورة في قول ا لله تعالى﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا**﴾[سورة الأعراف:١٧٢] وغيرها من الآيات التى ذكر الله فيها إقرار العرب بربوبية الله، ولهذا صار الإقرار بوجود الله -تعالى- مما لايحتاج إلى برهان، فإن الفطر الإنسانية السليمة تشهد بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها على خالق حكيم، قادر عليم ﴿**أفي الله شك فاطر السموات والأرض**﴾[سورة إبراهيم:١٠] انظر: أول واجب على المكلف للشيخ عبدا لله الغنيمان ص ١٦-١٨ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر مكتبة لينة دمنهور مصر، وشرح الطحاوية ص٧٩.

وقد غلط أهل الكلام غلطاً فاحشاً في قولهم إن أول مايجب على المكلف النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوثِ العالم.انظر الإرشاد للجويني ص٢٥ وتابعهم في ذلك بعض الصوفية وغيرهم، ولذلك لايهتمون بالتوحيد الأعظم توحيد الألوهية ولا يوجد له ذكر في كتبهم، ولعل هذا هو السر في انخراط كثير منهم - وبالذات الأشاعرة- في بدع التصوف،وإقرارهم للوسائل الشركية التى ترتكب عند أضرحة المشايخ المقبورين. انظر دعوة التوحيد تأليف د.محمد خليل هراس ص٢٣١ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، وأشهر من عُرف

....

تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقناً به في الباطن، والمادية الحديثة التي كفرت بفكرتها ولعنت أصنامها.

ولذلك لم يرد في القرآن الكريم الاستدلال على وجود الخالق -سبحانه وتعالى-. ومن تاب من أهل الكلام أنكر عليهم إقامة البراهين على وجود ا لله -تعالى-.

قال محمد بن عبدالكريم الشهرستاني في نهاية الإقدام ص١٢٣-١٢٤ (طبعة الفردجيوم الناشر مكتبة المتنبي القاهرة - مصر): أما تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد ولا أعرف عليه صاحب مقالة إلا مانقل عن شرذمة قليلة من الدهرية أنهم قالوا العالم كان في الأزل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة واصطكت اتفاقاً فحصل عنها العالم ... ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع بل هو معترف به لكنه يحيل سبب وجود العالم على البحث والاتفاق احترازاً من التعليل، فما عددت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان فإن الفطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبدهية فكرتها على صانع حكيم عالم قدير **﴿أفي ا لله شك فاطر السموات والأرض﴾** ... ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشرك «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله» ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين الخلق التوحيد .... ا.هـ.

والتوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب ؛ هو توحيد الإلهية، وهو يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات قال تعالى **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا ا لله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى ا لله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾**[سورة النحل:٣٦] وهو الذي جاء في السنة وعن السلف و هوالعلة في خلق الخلق . انظر تفسير قوله تعالى **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**[سورة الذاريات:٥٦] عند ابن جرير الطبري في تفسيره جـ١١/٤٧٥-٤٧٦ وابن كثير في تفسير القرآن العظيم جـ٤/٢٣٨ والأدلة على هذه المسألة

--

وهذا المقام غلط فيه كثير من السالكين، لم يميزوا بين الأول والثاني[١] ولو طردوا قولهم لخرجوا من الدين كما تخرج الشعرة من العجين.

طرد قول الصوفية في التوحيد خروج من الدين

وإنما طرده حذاق الملحدين منهم[٢] الذين يقولون: السالك يشهد أولاً طاعة ومعصية، ثم ثانياً يشهد طاعة بلا معصية؛ وهو شهود القيومية،

كثيرة وما خفيت هذه المسألة على بعض الناس إلا لتركهم منهج المرسلين، وبعدهم عن الآثار النبوية.

وللتوسع: انظر كتاب التوحيد لابن منده ص٧١ وما بعدها ، وهداية المريد لتحصيل معاني كتاب تجريد التوحيد المفيد لتقي الدين المقريزي تعليق وضبط أحمد طاحون ص١٠ وما بعدها (طبعة ١٤١٤هـ الناشر مكتبة التراث الإسلامي القاهرة - مصر) ورسالة في وجوب توحيد الله للعلامة محمد علي الشوكاني تحقيق د.محمد ربيع مدخلي ص٥٩ وما بعدها (الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار المنار القاهرة - مصر) والعلم الشامخ في تفضيل الحق على الأباء والمشايخ للعلامة صالح المقبلي ص٨ وما بعدها وبهامشه كتاب الأرواح والنوافح له أيضا (الناشر مكتبة لبنان دمشق - سوريا) ودعوة التوحيد تأليف د.محمد خليل هراس ص٢٩ وما بعدها، والقضاء والقدر في الإسلام تأليف د.فاروق الدسوقي جـ١/٨٧ ومابعدها (الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان) والقول الرشيد في حقيقة التوحيد تأليف سليمان العلوان ص١٩ ومابعدها (الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار المنار - الرياض - السعودية) وكتب كثير من العلماء المحققين طافحة ببيان توحيد الألوهية وأهميته مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأئمة الدعوة السلفية في نجد، والشيخ محمد رشيد رضا والسهسواني وغيرهم كثير تركنا ذكرهم للاختصار.

١-في (د) (من توحيد الربوبية و توحيد الألهية) وهو تفسير الأول و الثاني.

٢-كابن عربي وابن الفارض والفاجر التلمساني وابن سبعين وغيرهم.

ثم لاتبقي لاطاعة ولامعصية وهو مشهد الوحده[١] عندهم، ولهذا يقول بعض شيوخ هؤلاء: أنا كافر برب يعصى، ويقول: لو قتلت سبعين نبيا ماكنت مخطئا.

ويقول الآخر وهو ابن عربي :

الربُّ حقٌّ و العبدُ حقٌّ	**ياليت شعرى من المكلّف**
إن قلت عبدٌ فذاك مَيْتٌ	**أو قلت ربٌّ أنّى يكلّف**[٢]

والكلام (على هذا)[٣] مبسوط في غير هذا الموضع وإنما الغرض التنبيه على موضع الغلط والاشتباه.

كلام البكري في المقرب إذا شهد مشهد القيامة

الوجه الثالث: قوله (إن المقرب إذا غلب عليه هذا، نطق برد الأشياء إلى خالقها وغلب ذلك على نطقه).

رد ابن تيمية

فيقال: سيد المقربين محمد ﷺ وهو الذى قاتل الكفار وكان يأمر بقطع [يد][٤] السارق ورجم الزاني وجلد الشارب، ويأمر بالمعروف

١-في (ف) : الوحد، ومشهد الوحدة هو: في عرف الصوفية أن لايشهد فيه رباً وعبداً، وخالقا ومخلوقا، وآمرا ومأمورا، وطاعة ومعصية بل الأمر كله واحد فيكون السالك عندهم في بدايته يشهد طاعة ومعصية، ثم يرتفع عن هذا الفرق بكشف عندهم حتى يشهد الأفعال كلها طاعة لله لامعصية فيها، وهذا ناقص عندهم أيضاً إذ هو متضمن للفرق، ثم يرتفع عندهم إلى مشهد الوحدة وما ثم غير. طريق الهجرتين لابن القيم ص ٢٦٠وانظر أيضا ص٢٤٤/١١ .

٢-الفتوحات المكية لابن عربي جـ٤٢/١ تحقيق د.عثمان يحي طبعة ١٣٩٢هـ الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣-ما بين القوسين سقط من (د).

٤-كذا في (د) و(ح) و سقطت من الأصل و (ف).

وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث؛ فلو غلب عليه مشهد القيومية / وأن الأشياء جميعها مخلوقة لله؛ و لم يشهد مافيها من الفرق؛ لَمَا كان ينبغي أن يأمر أحداً، ولاينهى أحداً، ولايقتل أحداً، ولكان ينبغي أن يرد كفر الكافرين وفسق الفاسقين إلى الخالق، كما قال[1] [في][2] قوله «**ولكن الله حملكم**»[3]، وبين أن يقال -والعياذ بالله- ولكن الله كفر وزنا وسرق وشرب الخمر، فهل يقول هذا مؤمن أو عاقل؟ وقوله ﷺ «**ولكن الله حملكم**» سنذكره إن شاء الله .

٢٨

وإلا مشهد القيومية شامل لجميع الفعل، وإن فرق بين خلق الله لحملهم وكلامهم ولفعلهم ولتكذيب[4] المكذبين.

أفترى الرسول ﷺ ماكان ليشهد القيومية في بعض الأشياء، وهو أعلم الخلق بالله، ومشركو العرب كانوا مقرين بأن الله رب كل شئ، وهم يقرون بمشهد القيومية.

الوجه الرابع: أن يقال له: مَنْ مِن المقربين كان يقف عند مشهد

١-بياض في الأصل و(ف) بمقدار سطر وفي هامش الأصل(بياض في الأصل). وفي الجملة سقط. وكذلك الجملة التي بعدها.

٢-مابين المعقوفتين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٣- هذا جزء من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه-، أخرجه البخاري في (كتاب الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين) جـ٢/٩٦٥ رقم ٣١٣٣ بلفظه. وسيأتي تخريج الخبر كاملا في ص٢٥٠.

٤-في (ف) والتكذيب -بزيادة ألف-.

القيومية، فيرد جميع الأفعال إلى [الخالق][١] من غير أن يشهد أنها أفعال لفاعليها يستحقون عليها المدح والذم، والثواب والعقاب.

سادات المقربين يفرقون بين الأمر والنهي

وهذا القرآن ينطق عن جميع الأنبياء والمرسلين - وهم سادات المقربين- بأنهم كانوا يفرقون بين المعروف والمنكر، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، ويأمرون بعبادة ا لله وحده، وينهون عن عبادة ماسواه، ولو لم يشهدوا إلا القيومية التى ترد فيها الأفعال إلى خالقها، لم يأمروا و لم ينهوا و لم يمدحوا ويذموا ، فإن العبد لايأمر ا لله ولاينهاه ولايذمه ولايعاقبه.

٢٩

والأ/نبياء كلهم على شهود الفرق، ومدح المحسن وذم المسيء، وإن كانوا مقرين بأن ا لله خالق كل شيء وربه ومليكه، فشهود القيومية العامة لايناقض؛ أن يفعلوا ماأُمروا به، وأن يأمروا الخلق بعبادة ا لله وحده، وينهونهم عن عبادة ماسواه.

بل عامة بني آدم من المسلمين والكفار يقرون بالقدر وبهذه القيومية، وهم مع هذا يثبتون الفرق بين المطلوب والمرغوب، ويمدحون من فعل مايوافق مرادهم، ويذمون من خالف ذلك، ولايرون الإقرار بالقيومية مناقضاً لذلك.

كلام البكري في الاستدلال بالبيعة على جواز الاستغاثة

الوجه الخامس: قوله: (فيكون المعنى حينئذ كما وردت الآية أن البيعة وإن كانت له في الصورة فهي مع ربه في المعنى، وكذا ماكان من الرّمي فكأنه يقول: الاستغاثة وإن وقعت بي فإني لست المستغاث به في

١-كذا في (ت) و(ط) وفي الأصل و(د) و(ف) و(ح) "الخلق" وهو خطأ.

المعنى، إنما المستغاث به ا لله -عزوجل-).

رد ابن تيمية

فيقال: قد تقدم بيان فساد أصل[١] هذا الكلام، ثم نقول قوله : (هي مع ربّه في المعنى) أتريد به أن ا لله هو المرسل الذى أمره أن يبايعهم على الجهاد، وأمرهم بالجهاد، وهو الذى ثبتهم على الوفاء؟ أم تريد[٢] أن ا لله هو الذى خلق البيعة ؟ فإنه خالق كل شيء، والقيومية شاملة لكل شيء، أم تريد[٣] به معنى ثالثاً؟ فإن أردت الأول فهو صحيح؛ ولكن يناقض قولك ، فإن هذا مختص بمن يأمر بما أمر ا لله به، وينهى عما نهى ا لله عنه،[و] [٤] لم ينزل ا لله أحداً منزلة نفسه في الأفعال، ولاجعل ا لله أفعال محمد كصومه وصلاته وحجه واعتماره وجهاده ونكاحه وأكله وشربه ودعائه وتضرعه فعلاً له، ولا جعل نفس مبايعته للمؤمنين/ فعلاً له، بل جعل الُمبايِع له إنما يُبايع مُرسِله والجزاء عليه، كما جعل من أطاعه فقد أطاع ا لله ، فهذا فعل[٥] خاص ؛ ليس عاماً في كل أفعاله.

وأيضا فلم يجعل هذا الفعل فعل ا لله؛ بل أخبر أن محمداً رسول ا لله يبايع عنه والمبايعةُ لمرُسِلِه في الأصل، كما[٦] أن الطاعة طاعة لمرسله في الأصل، وكما أن معاملة الوكيل معاملة مع موكله، وليس في

١- في (ف) : أهل ، وقد تقدم في ص١٧٩.

٢-في (د) تريدون.

٣-في (د) تريدون.

٤-كذا في (ف) وسقطت من الأصل و(د) و(ح).

٥-(فعل) سقطت من (د).

٦-في (ف) (وكما).

هذا إسقاط فعل الوكيل[١] عن أن يكون وكيلا، وإنما فيه إثبات النيابة له عن غيره، وإن أردت أن ا لله خالق بيعته فهذا المعنى صحيح عند أهل السنة المثبتة للقدر، الذى هو خلق ا لله خلافاً لنُفاته.

ولكن إذا فسرت الآية بهذا سويت بين الأنبياء والشياطين، وبين آدم وإبليس، وموسى وفرعون، وبين أولياء ا لله وأعدائه، ولزمك أن تقول كفر الكافرين في الصورة ولربهم في المعنى، ولعنه[٢] للكفار هو للكفار في الصورة ولربهم في المعنى، وأيضا فيقال لك المبايعة فيها فعل من الرسول وفعل من الصحابة؛ فعلى هذا التقدير يلزمك : (أن يكون ا لله بايع في المعنى، لأنه خالق للأفعال كلها، وإلا فإذا جاز أن يقول البيعة له في الصورة ولربه في المعنى، لكون ا لله خالقه وخلق [٣] فعله؛ لزمك)[٤] أن تقول :بيعته لهم بيعه لله[٥] في المعنى، لأن ا لله خلقهم وخلق أفعالهم.

ويلزمك على هذا التقدير أن تقول : إن الذين بايعتهم إنما بايعت ا لله، وطرده أن من قاتل شخصاً فإنما قاتل ا لله، ومن بايعه فإنما بايع ا لله، بل يلزمهم أقبح من هذا وهو أن من لامه أو جامعه أو ضاجعه فإنما يفعل ذلك مع ا لله،/فإن أصل هذا القول أن ا لله لما كان خالقاً لأفعال العباد، ٣١ كان الفعل لهم في الصورة وله في المعنى، وهذا عام في كل الأفعال في

١-في (د): عنه -زياده-.

٢-في (د) (أو لعنته).

٣- في (د) في (.خالق) .

٤-ما بين القوسين سقط من (ف).

٥-في (د) (ا لله).

الخير والشر، وإن أردت معنى ثالثا فبيّنه.

كلام البكري في الصورة والمعنى

الوجه السادس قوله: (البيعة وإن كانت في الصورة له فهي مع ربه، إذا لم يرد معنى الإرسال والتبليغ المختص بالأمر والنهي، كان مقتضاه أن الرسول لم يفعل شيئاً ولابايع، ولكن الرب هو الذى فعل ذلك في المعنى). وهذا إن أُريد به خلق الأفعال، فقد تقدم بطلان إرادة ذلك هنا، وإن أريد[1] به الحلول بأن يكون الرب -سبحانه- هو المتكلم على لسان الرسول، كما أن الجنّي يتكلم على لسان المصروع، (فالكلام في الصورة للمصروع)[2] وفي الباطن للجنى فهذا هو الكفر الصريح، وهذا مذهب النصارى، وهؤلاء يشبهون النصارى في كثير من أمورهم، ولهذا سُلط عليهم النصارى، يُهينونهم كما أهانوا أهل هذا الشخص وأمثاله.

رد ابن تيمية

وكنت أقول لهم: إن الله وعد بنصره المؤمنين على الكافرين، وأنتم مشابهون للنصارى، وفيهم من هو أكفر من النصارى وأعظم إلحاداً ونفاقا من النصارى، وكثير مَنْ بُغْضُهم للنصارى إنما هو لهوى وحظ كونهم لهم في الدنيا رياسة ومال أكثر[3] منهم، لايبغضونه لأجل كفرهم ودينهم ، إذ كانوا مشاركين لهم في كثيرٍ منه[4]، وبعضهم أشد كفراً ونفاقا من النصارى، وبعض النصارى أكفر منهم. وطائفة من شيوخهم يميلون إلى النصاري أكثر من المسلمين، ويأمرونهم

١-(أريد)سقطت من (ف).

٢-ما بين القوسين سقط من (د).

٣-في (د) و(ح) كثير.

٤-في (د) مهم.

٣٢ بالبقاء على دينهم، ويقولون إذا صرتم محققين/ على طريقتنا فلا حاجة بكم إلى الإسلام، بل دوموا على النصرانية.

ثم إن الآية يمتنع أن يراد بها الحلول فإنه قال ﴿**يد ا لله فوق أيديهم**﴾[سورة الفتح:١٠] ويد النبي ﷺ كانت مع أيديهم لافوقها، فلم تكن يده يداً لله، ولأنه قال ﴿**ومن أوفى بما عاهد عليه ا لله فسيؤتيه أجراً عظيما**﴾ [سورة الفتح:١٠]، ولم يقل فإنك تؤتيه، وقال ﴿**لقد رضي ا لله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم**﴾ [سورة الفتح:١٨] ولم يقل أنك أنت علمت مافي قلوبهم، ولا أنزلت السكينة عليهم.

تفسير البكري حديث لايستغاث بي

الوجه السابع قوله: (فكأنه يقول الاستغاثة وإن وقعت بي فإني لست المستغاث به في المعنى إنما[1] المستغاث به ا لله).

فيقال: إنه لم يقل لم تستغيثوا بي؛ وإنما استغثتم با لله، ولكن قال «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث با لله»[2] وهذا نفي للمستقبل لالماضي[3].

الوجه الثامن : أن يقال هذا الرجل فسر الاستغاثة بالتوسل[4]

١-في (د) وإنما -بزيادة واو-

٢-هذه قطعة من حديث عبادة بن الصامت وسيأتي نصه كاملاً ص ٢٩٤ .

٣-في (د) للماضي.

٤-التوسل في اللغة: الوسيلة هي: المنزلة عند الملك. وسل فلان إلي ا لله إذا عمل عملاً تقرب به إلى ا لله. والواسل الراغب إلى ا لله. لسان العرب لابن منظور جـ١١/٧٢٤-٧٢٥ وتوسل إلى ربه بوسيلة تقرب إليه بعمل. المصباح المنير ص٢٥٣ مادة وسل.

....

وقال ابن تيميه : لفظ الوسيلة مذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى﴿**ياأيها الذين آمنوا اتقوا ا لله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾[سورة المائدة:٣٥] وفي قوله تعالى﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب**﴾[سورة الإسراء:٥٧] فالوسيلة التي أمر ا لله أن تبتغى إليه، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي مايتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات. وجماع الوسيلة التي أمرا لله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ماجاء به الرسول، لاوسيلة لأحد إلى ا لله إلا بذلك.

ولفظ الوسيلة في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ «**سلوا ا لله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لاتنبغي إلا لعبد من عباد ا لله، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد. فمن سأل ا لله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة**» أخرجه مسلم في(كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبيﷺ ثم يسأل ا لله له الوسيلة) جـ١/٢٨٨-٢٨٩ رقم ٣٨٤. فهذه الوسيلة للنبيﷺ خاصة.وقد أمرنا أن نسأل ا لله له هذه الوسيلة.

وأخبر أن من سأل له هذه الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة لأن الجزاء من جنس العمل، فلما دعوا للنبي ﷺ استحقوا أن يدعو هو لهم. فإن الشفاعة نوع من الدعاء.

وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته.والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به، كما يقسمون ويسألون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح. والخلاصة: أن التوسل يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنة. الأول: التوسل بطاعته والإيمان به وهو أصل الإيمان والإسلام. والثاني: التوسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته لابذاته، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة. والثالث: التوسل بمعنى الأقسام على ا لله بذاته والسؤال بذاته.وهذا لم يفعله الصحابة لافي حياته

--

به[١] كما تقدم قوله : (إن كل من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربة فقد استغاث به، سواء كان[٢] بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو غيره) وقال: (قول القائل أتوسل إليك برسولك[٣] (واستغيث برسولك)[٤] عندك أن تغفر لي، استغاث بالرسول حقيقة في لغة جميع[٥] الأمة).

وهذا الكلام وإن كان باطلاً كما تقدم[٦]؛

ولا بعد مماته ولا عند قبره ولاغير قبره. وينقل فيه أحاديث ضَعيفة.ا.هـ. باختصار انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٧٩-٨٢.

١-سقطت من (د).

٢-في (د) كانت.

٣-في(د) : عندك.

٤-مابين القوسين سقط من (ف).

٥-في (ف) جمع.

٦-يشير المؤلف هنا إلى الجزء المفقود من الكتاب،وسيتعرض له المؤلف مرة أخرى وقد ذكر الملخص ماأشار إليه المؤلف في التلخيص ص٨١-٨٣ قال: وقوله من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربه أو استغاث به سواء كان ذلك بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو غيرهما مما هو في معناهما فهذا القول لم يقله أحد من الأمم، بل هو مما اختلقه هذا المفتري وإلا فلينقل ذلك عن أحد من الناس،وما زلت أتعجب من هذا القول وكيف يقوله عاقل؟ والفرق واضح بين السؤال بالشخص والاستغاثة به.

وأريد أن اعرف من أين دخل اللبس على هؤلاء الجهال فإن معرفة المرض وسببه يعين على مداواته وعلاجه. ومن لم يعرف أسباب المقالات وإن كانت باطلة لم يتمكن من مداواة أصحابها وإزالة شبهاتهم. فوقع لي أن سبب هذا الضلال والاشتباه عليهم أنهم عرفوا أن يقال سألت الله بكذا... . فظنوا أن قول القائل استغثت بفلان كقوله سألت بفلان، والتوسل إلى الله بغائب أو ميت تارة يقول أتوسل إليك بفلان وتارة يقول أسألك بفلان فإذا قيل ذلك بلفظ الاستغاثة فأما أن يقول أستغيثك بفلان. أو أستغيث إليك بفلان. ومعلوم أن كلا هذين القولين ليس من كلام العرب.

وأصل الشبهة على هذا التقدير أنهم لم يفرقوا بين الباء في استغثت به التي يكون المضاف بها مستغاثاً مدعوا مسئولا مطلوبا منه وبالاستغاثة المحضة من الإغاثة التي

--

فالمقصود[١] هنا أنه جعل الذى يسأل ا لله به مستغيثاً به، وهنا قد جعل الاستغاثة بسؤاله فقد جعل المستغيث به مستغيثاً با لله في المعنى، وهذا[٢] لايصح إذا أريد به السؤال به[٣]، فإن ا لله هو مسئول لامسئول به.

وحينئذ فما قال في الاستغاثة به هنا يناقض ماتقدم؛ إلا أن / يجعل الاستغاثة تعم النوعين، ويلزمه أن يجعل كل من سأل النبي -ﷺ [٤]- شيئاً فإنما سأل ا لله،ويلزمه ذلك في غيره، وحينئذ فيسأل المخلوق كما يسأل الخالق، وهذا لايقوله عاقل فضلا عن مسلم.

٣٣

الوجه التاسع: أنه لو صح[٥] هذا النفي والإثبات باعتبار

يكون المضاف بها مطلوبا به لامطلوبا منه. فإذا قيل توسلت به أو سألت به أو توجهت به فهي الاستغاثة كما تقول كتبت بالقلم.وهم يقولون استغيثه واستغثت به من الإغاثة كما يقولون استغثت ا لله واستغثت به من الغوث، فا لله في كلا الموضعين مسؤول مطلوب منه. وإذا قالوا استغثته واستغثت به من الغوث كان المخلوق مسئولا وقد لايكون مطلوبا منه، وأما إذا قالوا استغثت به من الإغاثة فقد يكون مسئولا وقد لايكون مسئولا وكذلك استنصرته واستنصرت به فإن المستنصر يكون مسئولا مطلوبا وأما المستنصر به فقد يكون مسئولا وقد لايكون مسئولا.

فلفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به، وقول القائل استغثت فلانا واستغثت به معنى طلبت منه الاغاثة لابمعنى توسلت به فلا يجوز للإنسان الاستغاثة بغير ا لله فيما لايقدر عليه إلا ا لله.

١-في (د) والمقصود.

٢-(وهذا) سقطت من (د).

٣-(به) سقطت من (ف).

٤-مابين الشرطتين سقط من (ف).

٥-في (د) : توضح.

القيومية، لقيل هذا لكل من كان كذلك، فيقال: لمن بايع الناس كلهم وواجرهم وشاركهم إنك إنما بايعت الله وواجرت الله وشاركت الله، ويقال للذي استغاث بموسى الذى قال الله فيه ﴿**فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه**﴾ [سورة القصص:١٥] أنه لم يستغث بموسى وإنما استغاث الله ، ويقال لمن استنصر المؤمنين الذين[١]قال الله فيهم ﴿**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر**﴾ [سورة الأنفال:٧٢] إنما استنصروا الله والنصر على الله، ويقال في قوله[٢] ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾[٣] [سورة المائدة:٢] [إنما استعانوا الله] [٤] والله يُعين.

وقد خاطبني مرة شيخ من شيوخ هؤلاء الضلال، لما قدم التتار[٥] -آخر

١-(الذين) سقطت من (ف).

٢-في (د) تعالى.

٣-في (ط) : أضاف للآية ﴿واتقوا الله﴾وإكمال الاية ﴿ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله﴾ الآية.

٤-كذا يتطلبه السياق كما في (ط) ، وفي الأصل و(ف) و(د) و(ح) و(ت) واتقوا .

٥-التتار هم بدو الترك ويطلق عليهم المغول. وتختلف لغتهم عن لغة الترك ويعرفون بالصينية (تاتا) موطنهم منغوليا جنوب شرق سيبريا على حدود الصين. وبلادهم اليوم من جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً، اجتاحوا العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري، في اجتياح لم يسبق مثله في التاريخ، ونشروا الرعب والقتل والتدمير في كل بلد يدخلونه. ثم هداهم الله للإسلام فيما بعد، وبعد حروب كثيرة، وللمؤلف -رحمه الله- مواقف مشرفة في جهادهم. وقد كان للصوفية والرافضة مواقف مخزية قال أحدهم لشيخ الإسلام ابن تيميه: نحن ماينفق حالنا إلاعند التتر، وأما عند الشرع فلا. وقال الشيخ عبدالرحمن دمشقيه: العلاقة بين التتار والرفاعية عار وليست كرامة. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم جـ١/٣٧٤

--

قدماتهم- وكنت أُحرض الناس على جهادهم، فقال لي هذا الشيخ: أُقاتل الله فقلت له: هؤلاء التتار هُمُ الله، وهم من شر الخلق؟ [١] إنما هم عباد الله خارجون عن دين الله، وإن قدّر أنهم كما يقولون فالذى يقاتلهم هو الله، ويكون الله يقاتل الله، وقول هذا الشيخ لازم لهذا وأمثاله.

الوجه العاشر: أن يقال إذا كان الآمر كما ذكرته من شهود القيومّية فأي مدح في هذا لرسول الله -صلى الله عليه/ وسلم- وأي فائدة في هذا القول ، أو ترى الصدّيق والصحابة ماكانوا يقرون بأن الله رب كل شئ ومليكه وأن العبد لايمكنه أن يفعل شيئاً إلا بمشيئة الله -تعالى[٢]- وقدرته.

٣٤

الوجه الحادي عشر : أن ماكان من هذا الباب لايجوز فيه نفي الفعل عن العبد، فإنه مكابرة للحس ولو على مذهب الجبرية، بل إذا أريد نفي فلابد من قرينة تبين المراد والحديث مطلق ليس فيه قرينة.

شرح حديث ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم

الوجه الثاني عشر: أما حديث أبي موسى الأشعري وقوله «ماأنا حملتكم ولكن الله حملكم»[٣] لم يُرد به النبي

والبداية والنهاية جـ١٣/٩٨ ومابعدها و جـ١٤/٥١ ودائرة المعارف الإسلامية ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرين جـ٤/٥٧٦ مادة تتر والرفاعية تأليف عبدالرحمن دمشقيه ص١١٠ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١-في (د): هؤلاء

٢-(تعالى) سقطت من (د)

٣-سيأتي نص الحديث كاملاً وتخريجه ص ٢٥٠ .

ﷺ كون الله خالق أفعال العباد؛ فإن هذا يتناول هذا الفعل وغيره من الأفعال.

ومعلوم أن الله لم يقل لم أركب ولكن الله ركب، ولم يقل ماجاهدت في سبيل الله ولكن الله جاهد، ولم أسافر[١] ولكن الله سافر ونحو ذلك.

بل النبي ﷺ لما سألوه أن يحملهم ، قال: والله ماأحملكم، وما عندى ماأحملكم عليه، فلما ذهب أبو موسى، بُعث إلى رسول الله ﷺ بنهب[٢] إبل فأمر فبعث إلينا بخمس ذود غُرّ الذرى[٣]، فقلنا تغفلنا رسول الله ﷺ يمينه لانفلح أبدا، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال «ماأنا حملتكم ولكن الله حملكم» فلما لم يكن منه لاقصد ولاقدرة، صح أن يقول ماحملتكم لأني لم يكن عندي ماأحملكم عليه، ولكن الله حملكم بما يسره من الحمولة التى أتى بها بغير فعل مني، فنفي الحمل عن

١-في (د) ولاسافرت

٢-(بنهب) سقطت من (ف).

والنهب هو: الغارة والسلب«فإني بنهب» أي غنيمة. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الاثير (جـ٥/١٣٣) باب النون مع الهاء.

٣-ذود غُر الذرى: الذود من الإبل هي مابين الثنتين إلى التسع، وقيل مابين الثلاث إلى العشر وقال أبو عبيد:((الذود من الإناث دون الذكور، والحديث عام فيهما)) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير جـ٢/١٧١ باب الذال مع الواو. غر الذرى:أي بيض الأسنمة سمانها، والذرى جمع ذروة وهي أعلى سنام البعير،وذروة كل شئ أعلاه. النهاية في غريب الحديث والأثر جـ٢/١٥٩ باب الذال مع الراء.

٣٥

نفسه وأضافه إلى الله ، لأنه أراد به تيسير الحمولة / ولم يكن له في هذا فعل، ثم قال «**وإني والله لاأحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها ، إلا أتيت الذى هو خير وتحللتها**» [١] وقال لهم هذا لما قالوا: إنك حلفت أن لاتحملنا، وكان قد قال «**ماعندى ماأحملكم عليه**»، فبين لهم أني حلفت للعسرة والعجز ، وأن الله يسر بالحمولة، فهو الذى

١-هذا الحديث أخرجه البخارى في مواضع كثيرة من صحيحه، بألفاظ متقاربة، فقد ورد بالأرقام التالية: ٣١٣٣، ٤٣٨٥، ٤٤١٥، ٥٥١٨، ٦٦٢٣، ٦٦٤٩، ٦٦٧٨، ٦٦٨٠، ٦٧١٨، ٧٥٥٥، وأقرب لفظ إلى لفظ المؤلف هو ماأخرجه في (كتاب التوحيد، باب قوله تعالى﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ جـ٥/٢٣٦٢) رقم ٧٥٥٥ ولفظه: عن زهدم قال: كان بين هذا الحي من جُرمٍ وبين الأشعريين ود وإخاء، فكنا عند أبي موسى الأشعري، فقرب إليه الطعام فيه لحم دجاج، وعنده رجل من بني تيم الله ، كأنه من الموالي، فدعاه إليه فقال: إني رأيته يأكل شيئاً فقذرته، فحلفت: لا آكله، فقال: هلم فلأحدثك عن ذاك، إني أتيت النبي ﷺ في نفر من الأشعريين نستحمله، فقال: «**والله لاأحملكم وما عندي ما أحملكم عليه**» فأتى النبي بنهب إبل فسأل عنا فقال: «أين النفر الأشعريون» فأمر لنا بخمس ذود غر الذرى ، ثم انطلقنا، قلنا: ماصنعنا؟ حلف رسول الله ﷺ لايحملنا، وما عنده مايحملنا، ثم حملنا، تغفلنا رسول الله ﷺ يمينه، والله لانفلح أبداً، فرجعنا إليه فقلنا له، فقال: «**لست أنا أحملكم ولكن الله حملكم، إني والله لاأحلف على يمين، فأرى غيرها خيراً منها، إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها**» وأخرجه مسلم أيضاً بألفاظ متقاربة في(كتاب الإيمان، باب ندب من حلف يمينا، فرأى غيرها خير منها) جـ٣/١٢٦٨) رقم ١٦٤٩.

قال النووي -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: قال الماردوي: معناه أن الله -تعالى- أتاني ماحملتكم عليه ولولا ذلك لم يكن عندي ماأحملكم عليه. شرح مسلم للنووي جـ١١/١٢١.

حملكم، ومع هذا فإني أحنث في يميني للمصلحة الراجحة، وأكفّر.

وهذا الكلام يتضمن[١] جوابين من النبي ﷺ كل منهما مستقل، وأما الجواب بأحدهما كأنه يقول: أنا ماحملتكم وإن كنت حملتكم فأنا أكفّر، وعلى الأول يقول: الحمل الذى طلبتموه ماحصل مني بل من الله، والحمل الذي حلفت عليه أكفّر عنه.

عودة إلى حديث لايستغاث بي

الوجه الثالث عشر: قوله: (فإن صح هذا الحديث[٢] لايكون كما قال، من جعل الصديق بتأويله مخطئا من غير ضرورة، بل يكون الحديث حثا على الاستغاثة به ﷺ).

فيقال: **أنت الذى جعلته مخطئاً**، حيث قال: إنه [يستغيث] [٣] **بالنبي ﷺ فنفى النبي ماأثبته**، وقال: ليس هذا استغاثة بي؛ بل با لله، بل قولكم يستلزم تخطئة الرسول حيث جعلتم[٤] من طلب من مخلوق حاجة لم يطلبها منه، بل إنما[٥] يطلبها من ا لله، وهذا مكابرة للحس والشرع والعقل، وعلى ماقاله يجوز أن يقال لمن سأل كافراً حاجة واستغاث به ماسألته ولا استغثت به، ويكون من قال إنه سأل كافرا مخطئا، وهذا كما أنه تخطئة منهم للصديق، فهي تخطئة / لجميع عقلاء

٣٦

١-في جميع النسخ إما ويظهر أنها زيادة ، وليس لها معنى .

٢-الحديث ضعيف وسيأتي تخريجه ص ٢٩٤.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل : لايستغيث.

٤-في (ف) جعلت.

٥-في (د) وإنما.

بنى آدم من المسلمين والكفار، وأيضاً فإنه لايلزم على ماذكر المجيب تخطئة أبي بكر الصديق، فإن الصديق قد يعتقد عند النبي ﷺ في دفع ذلك المنافق بعض الأمور التي يقدر عليها البشر فبين له النبي ﷺ أنه ليس عندى في دفعه حيلة، بل يستغاث الله في أمره. ومن المعلوم أن المطلوب من النبي ﷺ تارة يقدر عليه، وتارة لايقدر عليه ، وقد يظن السائل أنه يقدر عليه، ولايكون قادراً. وكان نساؤه يسألنه النفقة أحياناً وليس عنده ماينفق عليهن[١].

وسألته الأعراب حتى اضطروه إلى سمرة[٢] فخطفت رداءه فقال «**ردوا علي ردائي فوالذى نفسي بيده لو أن عندى عدد هذه العضاه**

١-يشير المؤلف إلى حديث جابر بن عبدا لله وغيره قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول ا لله ﷺ فوجد الناس جلوساً لم يؤذن لأحدٍ منهم. قال: فأذن لأبي بكر. فدخل. ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له. فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه. واجماً ساكتا. قال فقال: لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ. فقال: يارسول ا لله لو رأيت، بنت خارجة ! سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك رسول ا لله ﷺ وقال «هن حولي كماترى يسألنني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها. فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول ا لله ﷺ ماليس عنده، فقلن: وا لله لانسأل رسول ا لله ﷺ شيئاً أبدا ليس عنده. ثم اعتزلهن شهرا أو تسعاً وعشرين يوماً. ثم نزلت هذه الآية: ياأيها النبي قل لأزواجك ..... «الآية» أخرجه مسلم في(كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لايكون طلاقا إلا بالنية) جـ٢/١١٠٤-١١٠٥ رقم ١٤٧٨.

٢-سمرة : هي نوع من شجر الطلح، وجمعها سَمُرٌ. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير(جـ٢/٣٩٩) باب السين مع الميم.

نعماً لقسمتها بينكم ثم لاتجدوني بخيلاً ولا جبانا ولا كذابا»[١].

وحقيقة قوله لايستغاث بي وإن كان مراده الاستغاثة الكلية[٢]، كما يقال: لايستغاث بي ولايتوكل علي، ولا أُدعى ولا أُسأل ونحو ذلك، فمراده النهي عن الطلب الذى لايفعله إلا الله، كما نهى عن السجود له[٣]، وكما نهى أن يقال ماشاء الله وشاء محمد، وقال لمن

١-الحديث أخرجه البخاري في (كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن) جـ٢/٨٧٣ رقم ٢٨٢١ وطرفه ٣١٤٨ والنسائي في(كتاب الهبة، باب هبة المشاع) جـ٦/٢٦٣ رقم ٣٦٨٦ وأحمد في المسند جـ٢/١٨٤ وجـ٤/٨٢،٨٤، ومالك في الموطأ في(كتاب الجهاد، باب ماجاء في الغلول) جـ٢/٤٥٧ تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي الطبعة الثانية١٤١٣هـ الناشر دار سحنون تونس والطبراني في المعجم الكبير جـ٢/١٣٠ رقم ١٥٥١،١٥٥٢، ١٥٥٣،١٥٥٤، ١٥٥٥ وعبد الرزاق الصنعاني في المصنف جـ٥/٢٤٣ رقم ٩٤٩٧ تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ الناشر المجلس العلمي بحيدر أباد وغيرهم، وجميعهم بألفاظ قريبة من لفظ المؤلف.

٢-الاستغاثة الكلية هي: سؤال المستغاث به على اعتقاد أنه قادر بقدرة مؤثرة على جلب نفع له أو دفع مضرة عنه. انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق تأليف سليمان بن عبدالله ص٣٠٣.

٣-يشير المؤلف إلى حديث معاذ -رضي الله عنه-، عن عبدالله بن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبيﷺ قال: «**ما هذا يامعاذ ؟**» قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم. فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله ﷺ «**لاتفعلوا، فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها** ....الحديث»أخرجه ابن ماجه في(أبواب النكاح، باب حق الزوج على المرأة) جـ١/٣٤١ رقم ١٨٥٨ وأبو داود في (كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة) جـ٢/٦٠٤ رقم ٢١٤٩، والحاكم في المستدرك

--

قال ماشاء الله وشاء محمد ماروي عن ابن عباس قال: قال رجل للنبي ﷺ «ماشاء الله وشئت» فقال: **«أجعلتني لله ندا قل ماشاء الله وحده»**[1] رواه النسائي وابن ماجه ، ورواه الامام أحمد ولفظه

جـ٢/١٨٧ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى(باب ماجاء في عظم حق الزوج على المرأة)(جـ٧/٢٩١)، وأحمد في المسند(جـ٥/٢٢٧) وغيرهم. قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٤/٣٠٩: رواه بتمامه البزار وأحمد باختصار ورجاله رجال الصحيح.ا.هـ.

١-أخرجه الامام أحمد في المسند ص ٣ / ٩٦ رقم ٤٠- ١٩٦ (شرح أحمد شاكر) واللفظ له وابن ماجه في(أبواب الكفارات، باب النهي أن يقال ماشاء الله وشئت) جـ١/٣٩٢ رقم ٢١٣٠ ولفظه: **«إذا حلف أحدكم فلا يقل ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت»**. قال شهاب الدين البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه دراسة وتقديم كمال الحوت جـ١/٣٦٣ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار الجنان: في إسناده الأجلح مختلف فيه ضعفه أحمد وأبو حاتم وغيرهم، ووثقه ابن معين والعجلي وباقي رجال الإسناد ثقات ا.هـ. وقال العلامة أحمد شاكر في شرح المسند للإمام أحمد جـ٣/٩٦ رقم ١٩٦٤ الطبعة الرابعة ١٣٧٣هـ الناشر دار المعارف مصر: صحيح الإسناد ا.هـ. والنسائي في عمل اليوم والليلة. (النهي أن يقال ماشاء الله وشئت) ص٥٤٣ رقم ٩٨٨ ولفظه «... عدلا ....» تحقيق د.فاروق حمادة الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان: وفيه الاجلح. وحسنه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ١/٢١٦-٢١٧ رقم ١٣٩ (الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت لبنان) وقال جاسم الدوسري في النهج السديد في تخريج احاديث تيسير العزيز الحميد (الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت) ص٤٧ رقم ٨٢ إسناده محتمل التحسين ا.هـ. وأخرجه غيرهم.

«أجعلتني لله عدلا بل ماشاء الله وحده»[1].

٣٧ / الوجه الرابع عشر: أنه إذا كان هذا حثاً على الاستغاثة به، بناء على ماذكرت من شهود[2] القيومية وتوحيد الربوبية، وهذا عام لكل المخلوقات، فينبغى أن يحث على سؤال المخلوقين والرغبة إليهم، لأن السائل لهم عنده لايسألهم؛ إنما يسأل الله كما أن المستغيث بمخلوق لايستغيث به؛ إنما يستغيث بالله على زعمكم.

الكلام على الإسماعيلية الاتحادية

وهذا كثيراً مايقع فيه هؤلاء الإسماعيلية الاتحادية[3]، وأعرف

١-أخرجه الأمام أحمد جـ١/٢٨٣،٣٤٧،٢١٤ وقال الشيخ أحمد شاكر: في شرح المسند جـ٣/٢٥٣ رقم ١٨٣٩ «صحيح الإسناد وما وجدت هذا الحديث في غير هذا المسند»، وصححه شعيب وعبدالقادر الارنؤوط في حاشية زاد المعاد جـ٢/٣٥٣ (بتحقيقهما الطبعة الخامسة والعشرون ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة ومكتبة المنار الكويت)، وحسنه العلامة ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ١/٢١٦ رقم ١٣٩ وقال جـ١/٢١٧: وفي هذه الأحاديث أن قول الرجل لغيره «ماشاء الله وشئت» يعتبر شركاً في نظر الشارع، وهو من شرك الألفاظ، لإنه يوهم أن مشيئة العبد في درجة مشيئة الرب -سبحانه وتعالى- ا.هـ. وانظر تخريج اللفظ السابق للحديث.

٢-في (ف) :مشهد.

٣-الإسماعيلية: فرقة باطنية، انتسبت إلى إسماعيل بن جعفر، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم شرائع الإسلام، تشعبت فرقها، منهم القرامطة والعبيديين - المسمون الفاطميين -، والحشاشية، والنزارية، والبهرة، والاغاخانية، والواقفة، وبعض هذه الفرق تشعبت إلى فرق أخرى.

--

منهم شخصاً كان معظماً؛ وكان له حاجة إلى نصراني، فذهب إليه وخضع له، وقبّل يده ورجله، وربما قبل نعله، حتى قضى حاجته، ثم جعل يقول مارأيت إلا الله، وماكان ذلك الخضوع والتقبيل إلا لله.

وهؤلاء يصرحون في كتبهم بأن عُبّاد العجل ماعبدوا إلا الله، وعُبّاد الأصنام ماعبدوا إلا الله، وعُبّاد المسيح ماعبدوا إلا الله، وعندهم من عبد كل معبود كان محققاً موحداً، وإنما المقصر [عندهم](1) من عبد بعض

ومرت الحركة الإسماعيلية بعدة أدوار: دور الستر من بعد موت إسماعيل. وبدايه الظهور: بظهور داعيتهم ابن حوشب الذي أسس دولة الإسماعلية باليمن سنة ٢٦٦هـ و دور الظهور، بظهور مؤسس الدولة العبيدية.

وهناك شكوك كثيرة حول ارتباط أئمة الإسماعيلية بإسماعيل بن جعفر في دعواهم أنهم من نسله، فإنه لم يعقب أحداً،إلا أنهم قالوا بنظريات التبني الروحي. وقد تبنت هذه الحركة مبادئ الفلسفة اليونانية وبعض المذاهب الشرقية، ومزجتها ببعض التصورات الإسلامية، وربطت هذا كله بنظرية الإمامة عند الرافضة. و تبنوا نظرية الفيض الافلوطينية حول ذات الله -تعالى- وصفاته، وقالوا بعصمة الأئمة وإن فسقوا وكفروا، وأن الرب -تعالى- يتحد مع الأئمة أو يحل بهم، لذا قال المؤلف الإسماعيلية الاتحادية، وأستحلوا الحرمات والمحارم، وقد أطال اليمني في عقائد الثلاث والسبعين في ذكرهم جـ٢/٤٨٩ ومابعدها. انظر الفرق بين الفرق ص٢٨١ والملل والنحل جـ١/١٩١ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة اصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ الناشر الندوة ص٤٥-٥٢، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين تأليف د.أحمد جلي ص٢٦٥ ومابعدها الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ الناشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض - المملكة العربية السعودية.

١-كذا في(د) وسقطت من الأصل و(ف) و(ح) .

[المظاهر](١) دون بعض، كالنصارى وعُبّاد العجل واللات والعزى، وفي كلام ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله من هذا ألوان(٢)، لكن هذا الرجل وأمثاله لم يصلوا إلى الاتحاد بل وقفوا عند القدر وهو شهود القيومية(٣)، ولكن إذا جعلوا من استغاث بمخلوق فإنما استغاث بـا لله

١-كذا في(د) و(ح) وفي الأصل و(ف) الظاهر.

٢-وإليك بعض الأمثلة: حط من شأن نبي ا لله نوح -عليه السلام- وصوب قومه في عدم إجابة دعوته.انظر: فصوص الحكم لمحي الدين ابن عربي تحقيق أبو العلا عفيفي ص٧٠ فص حكمة سبوحية في كلمة نوحية طبعة دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.

وصوب السامري وعباد العجل من اليهود وخطأ هارون -عليه السلام- في إنكاره عليهم انظر ص١٩٢،١٩٤ فص حكمة إمامية في كلمة هارونية. ويقول أيضا في الفصوص ص٢٢٦ فص حكمة فردية في كلمة محمدية: ((إلا أن صاحب المعبود الخاص جاهل بلا شك في ذلك لاعتراضه على غيره فيما اعتقد في ا لله، إذ لو عرف ماقال الجنيد لون الماء لون إنائه لسلّم لكل ذى اعتقاد مااعتقده، وعرف ا لله في كل صوره، وكل مُعتقد فهو ظان ليس بعالم ولذلك «أنا عند ظن عبدي بي» لاأظهر إلا في صورة معتقده فإن شاء أطلق وإن شاء قيد)) وتابعه في هذا الضلال الجيلي في الإنسان الكامل، وابن الفارض في تائيته. انظر: الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني تحقيق محمد ربيع المدخلي ص١٢٣ وما (بعدها الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار الحرير القاهرة - مصر) و هذه هي الصوفية تأليف عبدالرحمن الوكيل ص٩٥-٩٧ (الطبعة الرابعة ١٩٨٤م الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.)

٣-هذه شهادة من ابن تيمية للبكري، وتبرئة له من القول بالاتحاد، وهذا من عدله وصدقه -رحمه ا لله-مع مافي رد البكري من التكفير والتشنيع، ومع مايلزم البكري من اللوازم الباطلة التي ذكرها المؤلف فيما بعد. علماً أن البكري كفر ابن عربي في

--

لأجل توحيد الربوبية وشهود القيومية؛ لزمهم أن من سجد لمخلوق لم يسجد إلا لله، ومن عبد مخلوقاً إنما[1] عبد الله، ومن سأل مخلوقاً إنما سأل الله.

٣٨ فإن قالوا: الأعمال بالنيات، قيل لهم: والذين قالوا / نستغيث بالنبي لم يذكروا أنهم قصدوا غيره، وأنتم جعلتم ذلك بمجرده استغاثة بالله لشهود[2] القيومية، فيلزمكم أن يكون [الله][3] ورسوله أمر بسؤال المخلوق، والاستغاثة بالمخلوق، وعبادة المخلوق؛ بالسجود للمخلوق[4]؛ والخوف من المخلوق لأجل القيومية، فيلزم أن يكون كل شرك حرمه الله ورسوله ؛ قد أمر الله به ورسوله باعتبار القيومية، لأن كل ماعُبد من دون الله فالقيومية تتناوله، فإذا كان اعتبار مسّوغا لأن يعامل المخلوق معاملة الخالق، لزم أن يعامل[5] المخلوقات كلها معاملة الخالق، من دعاء وسؤال، و[6]يصلى لها ويسجد لها ويعبد.

نهى النبي ﷺ عن سؤال الناس

الوجه الخامس عشر: أن النبي ﷺ قد نهى عن سؤال المخلوقين لغير ضرورة، ومدح من لم يسأل الناس شيئا، فقال: « **من سأل**

فتواه التي نقلها الفاسي. انظر: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته للإمام تقي الدين الفاسي ص٣٤،٣٥.

١-في (ف) : فإنما.

٢-(لشهود) سقطت من (د).

٣-كذا في (ح) و(ط) وفي الأصل و(ف) و(د) : أصل.

٤-في(د) :لمخلوق والأولى أن تكون (وبالسجود للمخلوق).

٥-كذا في جميع النسخ والأولى (تعامل).

٦-(الواو) سقطت من (د).

الناس شيئاً[١] وله ما يغنيه جاءت مسألته كدوشاً أو خدوشاً في وجهه يوم القيامة[٢]»[٣] (وقال : «لاتزال المسألة

١-(شيئا) سقطت من (د) و (ف) و(ح).

٢-وفي (ف) زاد «ليس في وجهه مزعة لحم».

٣-أخرجه الترمذي في (كتاب الزكاة، باب من تحل له الزكاة) جـ٣/٤٠ رقم٦٥٠ وحسنه، والنسائي في (كتاب الزكاة، باب حد الغنى جـ٥/٩٧ رقم٢٥٩٠ وأبو داود في (كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى) جـ٢/٢٧٧ رقم١٦٢٦ وزاد قال يحي: فقال عبدا الله بن عثمان لسفيان: حفظي أن شعبة لا يروي عن حكيم بن جبير، فقال سفيان: فقد حدثناه زبيد عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، وابن ماجه في (أبواب الزكاة، باب من سأل عن ظهر غنى) جـ١/٣٣٩ رقم١٨٤٥ وأحمد في المسند جـ١/٣٨٨،٤٤١ والدارمي في (كتاب الزكاة، باب من تحل له الصدقة) جـ١/٣٢٥ رقم١٦٤٧ والحاكم في المستدرك جـ١/٤٠٧ في كتاب الزكاة، والبيهقي في السنن جـ٧/٢٤ وأبو يعلى في المسند جـ٩/١٣٨ رقم(٥٢١٧) جميعهم بألفاظ قريبة من لفظ المؤلف. وضعفوا الحديث للعلة التي ذكرها يحي بن آدم وهي أن شعبة لايروي عن حكيم بن جبير، وحكيم ضعيف. انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة شمس الحق العظيم آبادي مع شرح ابن قيم الجوزية تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان جـ٥/٢٩-٣٠ (الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ الناشر المكتبة السلفية المدينة المنورة - السعودية) وقال ابن حجر في فتح الباري جـ٣/٤٣٥((وقد نص الإمام أحمد في علل الخلال على أن رواية زبيد موقوفة.)) وروى المنذرى عن الإمام أحمد: قيل له -أي سفيان- قال حدثني زبيد عن محمد بن عبدالرحمن، ولم يزد، قال أحمد: كأنه أرسله، أو كره أن يحدث به، أما يعرف الرجل كلاما نحو ذا؟. انظر مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ومعالم السنن للخطابي وتهذيب ابن القيم تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد فقي جـ٢/٢٢٦-٢٢٧ (طبعة دار المعرفة بيروت - لبنان)

--

بأحدكم[١] حتى يأتي يوم القيامة)[٢] ليس في وجهه مزعة لحم»[٣]
وقال « لاتحل المسألة إلا لذى غرم مفظع أو دم موجع أو فقر

وروى عبدا لله بن الإمام أحمد عن أبيه هذه الحكاية و لم يذكر كلام الإمام أحمد على رواية زُبيد. انظر: كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبدا لله تحقيق د.وصيا لله محمد عباس جـ١/٢٤١-٢٤٢ رقم ٣١٧ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان، ودار الخاني الرياض - السعودية. قلت: ومرادهم أن سفيان قال: حدثناه زبيد عن محمد بن عبدالرحمن بن يزيد، و لم يكمل الإسناد، وكأن الحديث موقوف على محمد بن عبدالرحمن أو أنه أرسله، و لم أجد في الروايات أن سفيان ذكر بقية الإسناد بعد محمد عبدالرحمن ،ولكن يظهر لي ـ وا لله أعلم ـ أن سفيان ذكر ذلك من باب المذاكرة على أن بقية رجال الإسناد معروفين ، وهذا كثيراً ما يحدث، وقد صحح الحديث الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند جـ٥/٢٤٨ رقم٣٦٧٥ من طريق زبيد اليامي، والعلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ١/٨١٨ رقم ٤٩٩ وقال: (حكيم بن جبير ضعيف، لكن متابعة زُبيد وهو ابن الحارث الكوفي تقوي الحديث فإنه ثقة ثبت، وكذلك سائر الرواة ثقات، فالإسناد صحيح من طريق زبيد) . وا لله - تعالى- اعلم .

١-في (د): بأحدهم.

٢-ما بين القوسين سقط من (ف) وفي (د) سقط قوله «يوم القيامة».

٣-أخرجه البخاري في (كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثرا) جـ١/٤٤٠) رقم ١٤٧٤ ومسلم في(كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة) جـ٢/٧٣٠ رقم ١٠٤٠ والنسائي في (كتاب الزكاة، باب المسألة) جـ٥/٩٤ رقم ٢٥٨٤ وأحمد في المسند جـ٢/١٥ بألفاظ متقاربة وقريبة من لفظ المؤلف.

مدقع»[١] وقال[٢] أيضاً في حديث قبيصة بن مخارق **«إن المسألة لاتحل إلا لثلاثة[٣] الغارم، والذى أصابته جائحة اجتاحت ماله، والذى أصابته فاقة حتى يشهد ثلاثة من ذوي/ الحجا من قومه لقد أصابت فلان فاقة»**[٤]. ٣٩

وقال في صفة السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب **«هم**

١-أخرجه أبو داود في (كتاب الزكاة، باب متجوز فيه المسألة) جـ٢/٢٩٢-٢٩٤ رقم١٦٤١ من حديث طويل. قال الترمذي في الجامع جـ٣/٥٢٢: هذا حديث حسن لانعرفه إلا من حديث الأخضر بن عجلان وعبدا لله الحنفي الذي روى عن أنس. والترمذي في(كتاب الزكاة، باب من لاتحل له الصدقة) جـ٢/١٥ رقم ٢٢١٦، وأحمد في المسند جـ٣/١٢٧بألفاظ متقاربة وقريبة من لفظ المؤلف والاختلاف في تقديم بعض ألفاظ الحديث وتأخرها عند المؤلف.

٢- في (د) : فقال.

٣-في (ف) : وذكر هؤلاء الثلاثة .

٤-أخرجه مسلم في (كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة) جـ٢/٧٢٢ رقم ١٠٤٤ ولفظه عن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة. فأتيت رسول ا لله ﷺ أسأله فيها، فقال: **«أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها»** قال ثم قال: **«يا قبيصة إن المسألة لاتحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش (أو قال سداداً من عيش) ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا .... الحديث»** وقد أخرجه أبو داود في (كتاب الزكاة، باب ماتجوز فيه المسألة) جـ٢/٢٩٠ رقم ١٦٤٠ والنسائي في (كتاب الزكاة، باب الصدقة لمن تحمل حمالة) جـ٥/٨٩ رقم ٢٥٧٨ والدارمي في السنن (كتاب الزكاة، باب من تحل له الصدقة) جـ١/٣٣٣ رقم ١٦٨٥وغيرهم.

الذين لايَسْتَرْقون ولايكتوون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»[١] وحديثهم في الصحيحين فمدحهم على ترك الاسترقاء، وقد روي في بعض ألفاظه لايرقون ولم يذكره البخارى فإنه لايثبت وإن رواه مسلم.

ومعلوم أن المسترقي يقول: لغيره أرقني، فيطلب من غيره الرقية، فإن[٢] كان مشهد[٣] القيومية معتبراً في سؤال الخلق، وجب أن يكون المسترقي إنما سأل الله، وكان يكون مأموراً بالاستغاثة بالخلق باعتبار مشهد القيومية.

وقد قال الله-تعالى-﴿**فإذا فرغت فانصب *وإلى ربك فارغب**﴾[سورة الشرح:٧-٨] فإن كان مشهد القيومية معتبراً في هذا الباب؛ كان كل من سأل مخلوقا فإنما رغب إلى الله فلا يُنهى عن ذلك، بل يؤمر بالرغبة

١-أخرجه البخاري في(كتاب الطب، باب أكتوى أو كوى غيره) جـ٤/١٨٢٥ رقم٥٧٠٥ وطرفه رقم٥٧٥٢ ومسلم في (كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب) جـ١/١٩٨-٢٠٠ رقم٢١٨ بألفاظ متقاربة وخالفهم المؤلف في تقديم لفظة «ولا يكتوون» وزاد مسلم في الرواية الثانية عنده «لايرقون».

وقال ابن القيم في حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح تحقيق على الشربجي وقاسم نوري ص١٧٦-١٧٧ (الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان) قال شيخنا -أي ابن تيمية- وهو الصواب وهذه اللفظة -أي لايرقون- وقعت مقحمة في الحديث، وهو غلط من بعض الرواة، فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذى استحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب، وهو تحقيق التوحيد وتجريده، فلا يسألون غيره أن يرقيهم. ا.هـ وانظر مج جـ١/١٨٢.

٢-في (د) و(ح) (وإن).

٣-في (د) مشهود.

إلى الخلق.

وا لله-تعالى-قد وصف الفقراء الممدوحين بأنهم لايسألون الناس إلحافا، وسواء كان المعنى أنهم لايسألون الناس؛ أو يسألون الناس ولايلحفون، فإن كان مشهد القيومية معتبراً هنا، وجب أن يؤمر بسؤال الخلق والإلحاح في مسألتهم، فإنهم إنما يلحفون في مسألة ا لله-تعالى- وا لله يحب الملحين في الدعاء وهذا باب واسع.

مدح النبي لمن لا يسأله

الوجه السادس عشر: أن النبي قد مدح من لايسأله، وفضله على من سأله، بل ذم كثيراً ممن [سأله][1] فقال: « **من سألنا أعطيناه ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا**»[2] وقال:«**يسألني/ أحدهم المسألة**

٤٠

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل «لمسئله».

٢-أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة والتعفف تحقيق مجدي السيد إبراهيم ص٧٤ رقم ٧٦ طبعة مكتبة القران - القاهرة. ولفظه «من يستعف يعفه ا لله، ومن يستغن يغنه ا لله، ومن سألنا شيئا فوجدناه أعطيناه، وواسيناه، ومن استعف عنا واستغنى فهو أحب الينا ممن سألنا».

وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين بيان تحريم السؤال من غير ضروره جـ١٣/٩٨ (طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية سنة ١٣٥٦هـ) من حديث أبي سعيد الخدري ولفظه «... ومن استغنى اغناه ا لله ومن لم يسألنا ...». قال العراقي في تخريج الاحياء جـ١٣/٩٨ رقم ٣٩٧٦: رواه ابن أبي الدنيا في القناعة والحارث بن أبي أسامة في مسنده وفيه حصين بن هلال ولم أر من تكلم فيه، وباقيهم ثقات ا.هـ. قلت: في القناعة هلال بن حصن وقال أشرف عبدالمقصود في حاشية تخريج الإحياء: في الإتحاف ٩/٣٠٥ حصين بن هلال ا.هـ، ولم أجده في زوائد مسند الحارث.

ويخرج بها يتأبطها نارا.قالوا: يارسول الله فلم تعطهم؟ فقال:يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل»[١]وقال: «والذى نفسي بيده مامن أحد يسألني شيئا فتخرج له المسأله مالم أكن أريد[٢] أعطيه فيبارك له

وقال محمد بن طاهر الهندي في تذكرة الموضوعات ص٦١ (وبذيلها قانون الموضوعات والضعفاء طبعة ١٣٩٩ الناشر دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان) سنده جيد ا.هـ. وقال الحداد في المستخرج تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: وله شواهد. انظر: المستخرج تخريج أحاديث إحياء علوم الدين تأليف أبي عبدالله محمود محمد الحداد جـ٥/٢٢٦٥-٢٢٦٦ رقم ٣٥٩٦ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

١-أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ٣/١٦ ولفظه:« إن أحدهم ليسألني المسألة فأعطيها إياه فيخرج بها يتأبطها وما هي إلا نارا قال عمر ....» قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٣/٩٤: ورجال أحمد رجال الصحيح ا.هـ. وابن حبان في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان تأليف علاء الدين علي بن بلبان تحقيق شعيب الارنؤوط في (كتاب الزكاة، باب المسألة والأخذ) جـ٨/٢٠٢ رقم ٣٤١٤ (الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان) من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ولفظه «أن عمر قال: يارسول الله رأيت فلانا قد أعطيته دينارين، فقال النبي لكن فلانا قد أعطيته مابين العشرة إلى المئة، فما يشكره ولا يقوله: إن أحدكم ليخرج من عندي بحاجته متأبطها وماهي إلا نار قال: قلت يارسول الله: ....»الحديث. قال شعيب الارنؤوط في حاشية الإحسان جـ٨/٢٠٢: إسناده قوي ا.هـ. والحاكم في المستدرك جـ١/٤٦ وقال صحيح على شرط الشيخين. من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وأبو يعلى في مسنده جـ٢/٤٩٠ رقم ١٣٢٧ ولفظه «إن أحدهم يسألني فينطلق بمسئلته متأبطها وما هي إلا نار فقال عمر ...».

٢-(أريد) سقطت من (د).

فيه»[١] أوكما قال لحكيم بن حزام في الحديث الصحيح الذى أخرجاه في الصحيحين قال: سألت رسول الله فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم قال: «**ياحكيم ماأنكر**[٢]**مسألتك إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذى يأكل ولايشبع**» قال حكيم: فقلت يارسول الله والذى بعثك بالحق لاأرزأ احداً بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا.

هذا لفظ رواية البخارى،وفي روايه :**ولاتكون يد أحد من العرب فوق يدي**.فكان أبوبكر وعمر يعطيانه حقه من بيت المال فلا يأخذه[٣].

١-أخرجه مسلم في (كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة) جـ٢/٧١٨ رقم ١٠٣٨ ولفظه «لاتلحفوا في المسألة، فوالله لايسألني أحد منكم شيئا، فتخرج له مسألته مني شيئا وأنا له كاره، فيبارك له فيما أعطيته» والنسائي في (كتاب الزكاة، باب الالحاف في المسألة) جـ٥/٩٧ رقم٢٥٩١، وأبو يعلى في مسنده جـ٩/٤٧٨ رقم ٥٦٢٨ والطبراني في المعجم الكبير جـ١٩/٣٤٨ رقم ٨٠٨ والبيهقي في السنن الكبرى جـ٤/١٩٦ بألفاظ متقاربة وقريبة من لفظ مسلم.

٢-في (ح) ما أكثر .

٣-أخرجه البخاري في (كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة) جـ١/٤٣٩ رقم ١٤٧٢ وأطرافه رقم ٢٧٥٠،٣١٤٣،٦٤٤١ واللفظ للبخاري كما ذكر المؤلف، إلا قوله (ماأنكر مسألتك) -لم ترد في الصحيحين-، وأخرج الحديث بهذه اللفظة ابن أبي الدنيا في القناعة ص١٩ بلفظه، والإمام أحمد في المسند جـ٣/٤٠٣ ولفظه (ماأكثر مسألتك) كما ورد في نسخة (ح)، وأما الرواية فقال ابن حجر في فتح الباري جـ٣/٤٢٩ وفي رواية لإسحاق ولفظه «قلت فوالله لاتكون يدي بعدك تحت يد من أيدي العرب» وأخرج الحديث مسلم في (كتاب الزكاة، باب بيان اليد العليا خير من اليد السفلى) جـ٢/٧١٧ رقم ١٠٣٥ وغيرهم.

فإن كان النبي على زعم هذا قد جعل من استغاث به فإنما استغاث با لله، وقد حضه على ذلك، (فمن سأله فإنما)[١] سأل ا لله، فيلزم أن يحض الناس على سؤاله، والأمر بالعكس، بل مدح من لم يسأله وذم كثيراً ممن سأله.

عودة إلى كلام البكري في حديث لايستغاث بي

وأما الوجه الثالث[٢]: قوله (إنه يصح أن يراد أنه لايستغاث بي على وجه التأثير والاقتدار، وإنما ذلك لله، وفائدة التنبيه على ذلك أن لايتعلق به [أحد][٣] في الانتصار/ به من جهة السببية الظاهرة، كما يتعلق الناس بالأسباب على الغفلة، بل يكون تعلقهم للنظر إلى جانب الربوبية فيه، ومكانته عند ربه، فيكون ذلك كما قال: «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس .... الخبر[٤]).

٤١

رد ابن تيمية

فالجواب عنه من وجوه: أحدها: أن هذا الذي ذكره موافق[٥] في المعنى لما ذكره المجيب، فإنه لاريب أنه يجوز أن يُسأل النبي أموراً؛ ويستغاث به في أشياء، بل يجوز هذا في غير حق النبي ، وقد قال في أول الجواب:أجمع المسلمون على أن

١-ما بين القوسين في (د) كمن.

٢-كذا في جميع النسخ ، ولعل مراده الوجه الثالث عشر، لإنه تكلم فيه على نفس الموضوع انظر ص٢٥١.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل "واحد" بزيادة واو.

٤-هذا الخبر عن ابن مسعود -رضي الله عنه- وسيأتي بتمامه ص ٢٧٦ .

٥-في (د): موافقه.

النبيَّ يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة(١).

١-الشفاعة: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه. التعريفات الجرجاني ص١٧٢. وهذا التعريف قريب من التعريف اللغوي وحقيقتها: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود.

والشفاعة نوعان، شفاعة منفية في القرآن، وهي الشفاعة للكافر والمشرك، والنوع الثاني: الشفاعة التي أثبتها القرآن الكريم، وهي خالصة لأهل الإيمان وقيدها تعالى بأمرين (الأول) إذنه للشافع أن يشفع، لقوله تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾[سورة البقرة:٢٥٥] والثاني رضا الله عمن أذن للشافع أن يشفع فيه كما قال تعالى ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾[سورة الأنبياء:٢٨] انظر: قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن الحنبلي تحقيق بشير عيون ص٩٧ الطبعة الأولى ١٤١١هـ الناشر مكتبة المؤيد الطائف - السعودية ومكتبة دار البيان دمشق - سوريا، ومعارج القبول بشرح سُلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد تأليف الشيخ حافظ الحكمي ضبط وتعليق عمر بن محمود جـ١/ ٨٦٦ الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار ابن القيم الدمام - السعودية.

والشفاعة المثبتة أنواع: الأولى وهي العظمى، الخاصة بنبينا محمد من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وهي التي أشار إليها المؤلف بقوله «يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك» كما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال «كنا مع النبي في دعوة فرفعت إليه الذراع - وكانت تعجبه- فنهس منها نهسة،وقال:«**أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون بم؟ يجمع الله الأولين والأخرين في صعيد واحد،فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون ماأنتم فيه، إلى مابلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم،فيقول بعض الناس:أبوكم آدم،فيأتونه .. حتى**

--

ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ماتفقت عليه الصحابة واستفاضت به السنن من أنه يشفع لأهل الكبائر من أمته[١]، ويشفع أيضاً لعموم الخلق، وأجمعوا على أن الصحابة كانوا يستغيثون به ويتوسلون به في حياته بحضرته كما في حديث عمر «اللهم إنا كنا نتوسل إليك[٢] بنبينا فتسقينا»[٣] والذى ذكره عمر قد جاء مفسراً في

يأتون محمداً ... فيأتوني فأسجد تحت العرش، فيقال: يامحمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه» أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله -عزوجل- ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ جـ٢/١٠٢٦-١٠٢٧رقم ٣٣٤٠ وهذه الشفاعة في أن يفصل سبحانه بين الناس. والثانية: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب. كما في حديث السبعين ألفاً وسبق تخريجه. والثالثة : شفاعته في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة. والرابعة: الشفاعة في أقوام أمر بهم إلى النار لايدخلوها، وفي إخراج الموحدين من النار. والخامسة: الشفاعة في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ماكان يقتضيه ثواب أعمالهم، وهذا الذي وافقت عليه المعتزلة ونفت ماسواه. والسادسة: شفاعته في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب.انظر: شرح الطحاوية ص٢٢٩-٢٣٣، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني جـ٢/٢٠٤ وما بعدها، وللتوسع انظر كتاب الشفاعة تاليف عبد الرحمن بن مقبل بن هادي الوادعي ص١٧-١٥٨ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ الناشر مكتبة دار الارقم - الكويت.

١-يشير المؤلف -رحمه الله- إلى النوع الرابع من الشفاعة -كما في الفقرة السابقة- وقد تواترت الأدلة الشرعية على ثبوته منها ماأخرجه البخاري عن النبي قال «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد يسمون الجهنميين» (كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار) جـ٤/٢٠٣٥ رقم ٦٥٦٦.

٢-(إليك) سقطت من (د).

٣-أخرجه البخاري في (كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا) جـ١/٣٠٢ رقم ١٠١٠وطرفه ٣٧١٠ وسيأتي الحديث بتمامه ص٢٩١ .

سائر أحاديث الاستسقاء، وهو من جنس الاستشفاع به، وهو أن يطلب منه الدعاء والشفاعة، ويطلب من الله أن يقبل دعاءه وشفاعته فينا، وأن يقدم بين أيدينا شافعاً وسائلاً بأبي هو وأمي فقد بين أنه يجوز سؤاله والطلب منه وهو الاستغاثة.

ومعلوم أن هذا من جملة الأسباب التى تفعل على جهة التسبب/مع التوكل على الله- عزوجل-، لايطلب من مخلوق شئ على جهة أنه مستقل بالقدرة والتأثير، فإن الاستقلال[1] من خصائص الرب -تعالى-. ٤٢

وإذا كان هذا الوجه متفقاً عليه فَحَمْلُ الحديث عليه لايضر، وحينئذ فالمطلوب منه إما أن يكون قادراً عليه، وإما أن لايكون قادراً، فإن كان قادراً طُلب على هذا الوجه، وإن لم يكن قادراً عليه طُلب من الله، ولامنافاة بين المعنيين، لكن ظاهر لفظ الحديث -إن صح[2]- يقتضي أنه لم يكن قادراً على دفع ضرر ذلك المنافق، وأنه أمرهم أن يستغيثوا فيه بالله -تعالى-.

الاستغاثة بالمخلوق ليست من الأسباب المشروعة

الوجه الثاني: أن يقال: الأسباب المخلوقة والمشروعة لاتنكر، والأسباب المشروعة تفعل مع التوكل على الله ، لكن لم قلتم: إن الاستغاثة بالمخلوق فيما لايقدر عليه إلا الخالق هو من الأسباب المشروعة،

١-في (د) الاشتغال.

٢-الحديث ضعيف وسيأتي تخريجه والكلام عليه. وسبق الكلام عليه في المقدمة ، وسيكرر المؤلف نفس العبارة بعد صفحات ص ٢٧٣ ، وانظر تخريج الحديث في ص ٢٩٤.

والكلام إنما هو في هذا، وهذا هو الذى نهى عنه.

عدم قدرة النبي على قضاء بعض الحاجات

فالجواب حيث قيل: فأما مـالايقدر عليـه إلا الله فـلا يجـوز أن يطلب إلا من الله، لايطلب ذلك مـن الملائكـة ولا مـن غـيرهم، فـلا يجوز أن يقال لغير الله: اغفر لنا، واسقنا الغيث، وانصرنا علـى القـوم الكافرين، أو اهد قلوبنا ونحو ذلك. ثم ذكر الحديث المذكور فبين أن المنهي عنه أن يطلب من المخلوق مالا يقدر عليه إلا الخالق، والطالب من النبي قد يظن[1] أنه يقدر على قضاء حاجته ولا يكون كذلك، كما كان سأله الناس؛ إما نساؤه وإما غيرهن ماليس عنده، وكما كـان يأتونـه في غـزوة تبـوك[2] ليحملهـم فـلا يجـد مـا يحملهـم عليـه/ قـال تعـالى﴿**ولاعلـى الذيـن إذا مـاأتوك لتحملهـم قلـت لاأجـد مـاأحملكم عليـه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ماينفقون**﴾ [سورة

٤٣

١-(يظن) سقطت من (د).

٢-تبوك: بالفتح ثم الضم، و واو ساكنة وكاف. موضـع بـين وادي القـرى والشـام، وقبل بركة لأبناء سعد من بني عذره، وهو حصن به عين ونخل ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بُعث إليهم شعيب -عليه السلام- كانوا فيه، غزاها النـبي في سـنة تسع للهجرة -وهي آخر غزواته- لتجمع الروم وعاملة ولخم وجذام، فوجدهم قد تفرقوا و لم يلق كيدا، ونزلوا على عين فأمرهم رسول الله أن لاأحد يمس مائهـا فسبق إليها رجلان، وركز النبي عنزته فيها ثلاث ركزات فهاشت ثلاث أعين. وهي الآن مدينة كبيرة في شمـال المملكـة العربيـة السـعودية انظـر: معجـم البلـدان جـ٢/١٧ رقم ٢٤٤٥.

التوبه:٩٢]، وكما سأله أبو موسى الأشعرى وأصحابه الأشعريون[1] أن يحملهم فقال: «**وا لله ماأحملكم وما عندى ماأحملكم عليه**» وكان هؤلاء الأشعريون من خيار الصحابة؛ ظنوه قادراً على حاجتهم ولم يكن كذلك.

وفي الصحيحين أن فاطمة ابنته جاءت تسأله خادما فأتاها بعد أن نامت هي وعلي -رضى ا لله عنهما- فعلّمها أن تُسبح وتُحمد وتُكبر، وقال: «**ذلك خير لك من خادم**» ولم يعطها الخادم[2].

١-الأشعريون: بطن من كهلان، من القحطانية. وهم بنو الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. وهم قبيلة مشهورة في اليمن. وقيل له الأشعر لأن أمه ولدته والشعر على بطنه، منهم أبو موسى الأشعري . قدموا على النبي ﷺ وأثنى عليهم. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب تأليف عز الدين أبي الحسن ابن الأثير جـ١/٥٠ طبعة ١٣٥٧هـ الناشر مكتبة القدسي القاهرة - مصر، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب تأليف أبي العباس القلقشندي تحقيق إبراهيم الإبياري ص ١٦٨ الطبعة الأولى ١٩٥٩م الناشر الشركة العربية للطباعة القاهرة، ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة تأليف عمر رضا كحالة جـ١/٣٠ الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

٢-أخرجه البخاري في(كتاب النفقات، باب عمل المرأة في بيت زوجها) جـ٤/١٧٢٧ رقم ٥٣٦١ ولفظه: حدثنا علي «**أن فاطمة -عليهما السلام- أتت النبي ﷺ تشكو إليه ماتلقى في يدها من الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيق، فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته عائشة، قال : فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال عَلَى مكانكما» فجاء فقعد بيني وبينها، حتى وجدت برد قدميه على بطني، فقال:« ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما، أو أويتما إلى فراشكما، فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خيرلكما من خادم**» وطرفه رقم ٥٣٦٢

--

وقد قال تعالى﴿**وءات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا * وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسورا**﴾ [سورة الأسراء:٢٦-٢٨]، فأمره[1] تعالى إذا لم يجد مايعطي السائل أن يقول له قولاً ميسورا، وفي صفته أنه ﷺ كان إذا آتاه طالب حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول[2]،وقد قال -تعالى-﴿ **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى**﴾ [سورة البقرة:٢٦٣]، وقال -تعالى-﴿**فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر**﴾ [سورة الضحى:٩-١٠] ولما قدم عليه وفد هوازن مسلمين سألوه أن يرد عليهم السبي والمال، فقال:«**أحب الحديث إليّ أصدقه ومعي من ترون، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال**»[3]،فهو تارة يسأل ما يقدر عليه، وتارة مالايقدر عليه.

ومسلم في(كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم) جـ٤/٢٠٩١-٢٠٩٢ رقم ٢٧٢٧ ورقم ٢٧٢٨.

١-في (د) فأمر

٢-أخرج البخاري في(كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل) جـ/٤١٩٠٧ رقم ٦٠٣٤ عن ابن المنكدر قال: «سمعت جابراً -رضى الله عنه- يقول: ماسُئِلَ رسول الله ﷺ عن شيءٍ قط فقال: لا».

٣-أخرجه البخاري في (كتاب فرض الخُمس، باب ومن الدليل على أن الخُمس لنوائب المسلمين) جـ٢/٩٦٤ برقم ٣١٣١-٣١٣٢ من حديث مروان بن الحكم و المسور بن مخرمة. وأوله «أن رسول الله ﷺ قال حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال رسول الله ﷺ أحب الحديث ... الحديث» وطرفه رقم ٤٣١٨،٤٣١٩.

٤٤ فهذا الحديث -إن كان صحيحاً- فقد سأله بعض / أصحابه أن يدفع عنهم ضرر ذلك المنافق، فأخبرهم أنه لايقدر عليه بل يطلب ذلك من الله، كما أن عمر بن الخطاب[١] كتب إليه أبو عبيدة بن الجراح[٢] عام اليرموك يستنصره على الكفار، ويخبره أنه قد نزل بهم جموع لاطاقة لهم بها، فلما وصل كتابه بكى الناس، (وكان من أشدهم عبد الرحمن بن عوف وأشار على عمر أن يخرج بالناس)[٣]، فرأى عمر أن ذلك لايمكن، وكتب إليه[٤] «مهما ينزل بامرئ مسلم من شدة فينزلها بالله يجعل الله[٥] له فرجاً ومخرجا، فإذا جاءك كتابي هذا فاستعن بالله وقاتلهم»[٦] فأخبره أنه لايمكنه أن يعاونه في هذه القضية، وأمره أن

١-في (د) و(ف) رضى الله عنه.

٢-في (د) و(ف) رضى الله عنه.

٣-ما بين القوسين سقط من (ف)

٤-في هامش (د) وفي نسخه "إلى أبو عبيدة" هكذا.

٥-لفظ الجلاله سقط من (ف).

٦-أخرجه الإمام مالك في الموطأ في (كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد) جـ٢/٤٤٦ رقم٦ ولفظه « ... ومخرجا، وأنه لن يغلب عسر يسرين، وإن الله -تعالى- يقول في كتابه **﴿ياأيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطو واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾** [سورة آل عمران: ٢٠٠]»، وقد أعله ابن حجر في فتح البارى جـ٨/٩٢٣ بالانقطاع، وأنه موقوف على عمر. وأخرج الإمام أحمد عن عياض الأشعري قال: كتبنا إلى عمر أنه جاش إلينا الموت واستمددناه، فكتب إلينا إنه قد جائني كتابكم تستمدوني، وإني أدلكم على من هو أعز نصراً وأحضر جندا، فاستنصروه، فإن محمداً ﷺ قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني». الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد ترتيب

--

يستعين با لله، وإن كان قد كان يمكنه أن يعينه.

الوجه الثالث[١]: أنه لو أريد هذا المعنى لقيل مايدل على هذا المعنى مثل أن يقال: توكلوا عليّ وأنا أغيثكم[٢]، ولم يقل إنه لايستغاث بي، وإنما يستغاث با لله، فإنه قد نفى وأثبت بكلام مطلق وليس في الباب مايدل على ماذكر.

فهم الصحابة لحديث لايستغاث بي

ويظهر هذا بالوجه الرابع: وهو أن أبابكر وغيره من الصحابة أعلم بـا لله من أن يظنوا أن يستقل بالإبداع والاختراع. فمن حمل الحديث على هذا فقد نسب الصديق إلى غاية الضلال، أين من ينزه الصديق من الخطأ وينسبه إلى هذا ؟. والنبي ﷺ نفى وأثبت؛ وإن كان مانفاه لم يخطر بقلوبهم فأي حاجة إلى نفيه؟ وإن قيل إنهم ظنوه فذلك بهتان عظيم، بخلاف ظنهم أنه يقدر على دفع المكروه، فإن هذا الظن قد كان يقع منهم كثيراً، أو قد يكون الأمر كما يظنه الظّان، فليس فيه قدح لافي الصحابة ولافي/ الرسول ﷺ، بخلاف من يقول: لاتعتقدوا فيّ أني مثل ا لله؛ أقدر وأستقل بالتأثير كما يفعل ا لله، فإن هذا المعنى لايظنه به من هو دون الصحابة، فكيف يظنونه هم، ومن أراد أن يأمر غيره بالتوكل مع السبب المأمور به، لاينهاه عن السبب، بل يقول له

٤٥

أحمد عبدالرحمن البنا جـ٢٣/٨٢ رقم ١٩٠ الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ الناشر دار الشهاب القاهرة مصر، وقال البنا: صحيح الإسناد ا.هـ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٦/٢١٣: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ا.هـ. وله شواهد.

١-في (ف) (عشر) زياده.

٢-في (ف) أعينكم.

كما قال: «**اعقلها وتوكل**»[1]، وكما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «**احرص على ماينفعك واستعن با لله ولاتعجز**»[2]وكما قال -تعالى- ﴿**فإذا عزمت فتوكل على ا لله**﴾ [سورة آل عمران:١٥٩] وكما كان النبي ﷺ يقول لمن يبعثه في السرايا: «**ادعهم إلى الإسلام ثم الهجرة وإلا فالجزية فإن أجابوك وإلا فاستعن با لله وقاتلهم**»[3] لايقال

١-أخرجه الترمذي في (كتاب صفة القيامة، باب ١٠) جـ٤/٦٦٨ رقم ٢٥١٧ من حديث أنس بن مالك ولفظه «قال رجل يارسول ا لله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ ...» قال أبو عيسى: وهذا حديث غريب من حديث أنس لانعرفه إلا من هذا الوجه. وقد روى عن عمرو بن أمية عن النبي ﷺ نحوا هذا وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ١٠/٣٠٣:رواه الطبراني عن عمرو بن أمية من طرق رجال أحدها رجال الصحيح غير يعقوب بن عبدا لله بن عمرو بن أمية وهو ثقة ا.هـ ولم أجده في معاجم الطبراني الثلاثة وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته جـ١/٢٤٢ رقم ١٠٦٨.

٢-أخرجه مسلم في (كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة با لله) جـ٤/٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤ من حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه وأوله «المؤمن القوى خير وأحب إلى ا لله ... الحديث».

٣-هذا الخبر ذكره المصنف مختصراً، وقد أخرجه مسلم في (كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو) جـ٣/١٣٥٧ رقم١٧٣١ ولفظه «كان رسول ا لله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى ا لله ومن معه من المسلمين خيراً. ثم قال «**اغزوا باسم ا لله في سبيل ا لله قاتلوا من كفر با لله.اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال** (أو خلال) **فأيهن ماأجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام** (سقطت ثم من روايات الحديث عند غير مسلم) **فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من**

--

في مثل هذه لاتقاتل ولاتحرص على ماينفعك.

الوجه الخامس: أن الحديث الذى ذكره حجة عليه، وهو حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «من[نزلت][1] به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها با لله أوشك لـه بـالغنى،. إما بموت عاجل، أو غنى عاجل»[2] رواه أبو داود والترمذى وصححه.

فإنزال الفاقة بالناس أن يشكو إليهم ويترك الشكوى إلى ا لله، فلو كانت الاستغاثة بالمخلوق جائزة لجاز إنزالها بالناس، وقد قال يعقوب -عليه السلام- ﴿إنما أشكوا بثي وحزني إلى ا لله﴾ [سورة

دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك، فلهم ماللمهاجرين وعليهم ماعلى المهاجرين. فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم ا لله الذى يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة شئ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فاستعن با لله وقاتلهم ... الحديث» أخرجه الترمذي في (كتاب السير، باب ماجاء في وصيته ﷺ في القتال) جـ٤/١٦٢ رقم ١٦١٧ وابن ماجه في (أبواب الجهاد، باب وصية الإمام) جـ٢/١٤٧ رقم٢٨٨٧ والإمام أحمد في المسند جـ٥/٣٥٢،٣٥٨ وغيرهم.

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (نزل)

٢-أخرجه الترمذي في(كتاب الزهد، باب ما جاء في الهم في الدنيا وحبها) جـ٤/٥٦٣ رقم ٢٣٢٦ ولفظه « ... **ومن نزلت به فاقة فأنزلها با لله فيوشك ا لله له برزق عاجل أو آجل**» وقال حديث حسن صحيح غريب، وأبو داود في(كتاب الزكاة، باب الاستعفاف) جـ٢/٢٩٦ رقم١٦٤٥ ولفظه «من أصابته .....» وأحمد في المسند جـ١/٤٠٧،٤٤٢ والحاكم في المستدرك جـ١/٤٠٨ في كتاب الزكاة وقال صحيح الإسناد وتابعه الذهبي ورواه غيرهم.

يوسف:٨٦]، وقال تعالى﴿**فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب**﴾ [سورة الشرح:٧-٨] وقال النبي ﷺ لابن عباس «**إذا سألت فاسأل الله**[١] **وإذا استعنت فاستعن بالله**»[٢] ورأى الفضيل بن عياض[٣] رجلا يشكو إلى رجل فقال: ياهذا / أتشكو من يرحمك إلى من لايرحمك، وقال بعضهم: ذكر الله الصبر الجميل والهجر[٤] الجميل

٤٦

١-لفظ الجلالة سقطت من (ف).

٢-أخرجه الترمذي في (كتاب صفة القيامة، باب ٥٩) جـ٤/٦٦٧ رقم ٢٥١٦ واللفظ له وقال حديث حسن صحيح، وأوله عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «**ياغلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسال الله** .... الحديث». وتكلم على الحديث وشرحه ابن رجب فقال في جامع العلوم والحكم جـ١/٤٦٢: ذكر العقيلي أن أسانيد الحديث كلها لينة، وبعضها أصلح من بعض، وبكل حال، فطريق حنش التى خرجها الترمذي حسنة جيدة ا.هـ.. وأخرجه الإمام أحمد في المسند جـ١/٢٩٣ والحاكم في المستدرك جـ٣/٥٤١-٥٤٢ كتاب معرفة الصحابة، وأبو يعلى في مسنده جـ٤/٤٣٠ رقم ٢٥٥٦ والطبراني في المعجم الكبير جـ١١/١٢٣ رقم ١١٢٤٣، جـ١١/١٧٨ رقم ١١٤١٦، جـ١١/٢٢٣ رقم ١١٥٦٠ وغيرهم.

٣-الفضيل بن عياض هو: أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الخراساني. ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم. كان يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، فتاب، وجاور البيت الحرام. كان فاضلاً عابداً ورعاً، وكان ثقة صدوقا، كانت له مواعظ، وقدم في التقوى راسخ، قال الذهبي في السير ج٨ / ٤٣٩: قال الأصمعي: نظر الفضيل إلى رجل يشكو إلى رجل فقال أتشكو من يرحمك إلى من لايرحمك. مات سنة ١٨٧هـ. انظر السير جـ٨/٤٢١ ترجمة رقم ١١٤ الأعلام جـ٥/١٥٣.

٤-في (د) الصفح.

(والصفح[١] الجميل، فالصبر الجميل الذى ليس فيه شكوى إلى المخلوق)[٢]، والهجر الجميل الذى ليس فيه أذى، والصفح الجميل الذى ليس فيه عتاب.

شرح البكري حديث من نزلت به فاقة

وأما قوله (المراد بالخبر التنبيه على[٣] الرجوع إلى الله -تعالى- بالقلب لاترك السبب، بل[أن] [٤] يذكر الله في ذلك السبب).

رد ابن تيمية وبيان حكم سؤال الناس

فيقال: الأسباب نوعان: سبب مأمور به، فهذا طاعة وعبادة لله، كطلب الرزق؛ بالصناعة والتجارة، وكدفع العدو بالقتال، والأكل عند الجوع، واللباس عند البرد، فهذا ليس فيه إنزال الفاقة بهم ولاشكوى إليهم، وأما نفس سؤال الناس؛ فسؤالهم في الأصل محرم بالنصوص المحرمة له، وإنما يباح عند الضرورة[٥].

وتنازع العلماء هل يجب سؤالهم عند الضرورة؟ فالمنصوص عن أحمد أنه لايجب سؤال الخلق[٦]، مع إيجابه مع غيره من الأئمة الأربعة وغيرهم

١-في (د) الهجر.

٢-ما بين القوسين سقط من (ف). وشرح المصنف الصبر الجميل والهجر الجميل والصفح الجميل في مج جـ١٠/٦٦٦.

٣-(على)سقطت من (د).

٤- كذا في(ف) و (د) و (ح) وسقطت من الأصل ،وسيذكر المؤلف النص مرة أخرى ويثبتها . انظر ص ٢٨٤

٥-انظر شرح مسلم للنووي جـ٧/١٣٣ فقد نقل اتفاق العلماء على منع السؤال . وانظر فتح الباري لابن حجر جـ٣/٤٢٨.

٦-حكى الأثرم عن أحمد بن حنبل وقد سُئِلَ عن المسألة ... قيل لأبي عبدالله: فإن اضطر إلى المسألة؟ قال: هي مباحة إذا اضطر. قيل له: فإن تعفف؟ قال: ذلك خير

--

الأكل من الميتة عند الضرورة [١]، فإن الله لم يوجب سؤال الخلق، بل قد وصى النبي ﷺ طائفة من أصحابه أن لايسألوا الناس شيئا فكان[٢] أحدهم إذا سقط سوطه لايقول لأحد ناولني إياه، منهم أبوبكر الصديق -رضى الله عنه-[٣].

له. ثم قال: ماأظن أحداً يموت من الجوع ! الله يأتيه بالرزق. انظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله القرطبي جـ٣/٣٤٤. ونص العلامة منصور البهوتي في كشاف القناع عن متن الإقناع جـ٦/١٩٦ (راجعه هلال مصيلحي هلال طبعة ١٤٠٢هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان) على أنه يجب تقدم السؤال على أكل الحرام.

١-قال ابن قدامة: وجوب الأكل من الميتة هو قول مسروق وظاهر كلام الأئمة الأربعة وغيرهم. وخالف بعضهم فقالوا الأكل من الميتة رخصة فلا تجب عليه كسائر الرخص، وقال النووى والأصح وجوب الأكل. انظر: المغنى وبهامشه الشرح جـ١١/٧٤ وروضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي إشراف زهير الشاويش الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت جـ٣/٢٨٢ وحاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع جمع عبدالرحمن بن قاسم النجدي جـ٧/٤٣٢ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٢-في (د) (وكان).

٣-يشير المؤلف -رحمه الله- إلى حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال «ألا تبايعون رسول الله؟» وكنا حديث عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يارسول الله ثم قال «ألا تبايعون رسول الله؟» فقلنا قد بايعناك يارسول الله، ثم قال «ألا تبايعون رسول الله؟» قال: فبسطنا أيدينا، وقلنا: قد بايعناك يارسول الله فعلام نبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا الله لاتشركوا به شيئا،والصلوات الخمس، وتطيعوا (وأسر كلمة خفية) ولا تسألوا الناس شيئا» فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحداً يناوله إياه.أخرجه مسلم في (كتاب الزكاة، باب كراهية سؤال الناس) جـ٢/٧٢١ رقم ١٠٤٣. وعن ابن أبي مليكة قال: ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق

--

وصاحب الفاقة إذا[1] سأل الله -تعالى-[2] [أنزلها بالغني المليّ العليم القدير][3]

وقيل: يجب السؤال[4]، وهذا منقول عن الثوري[5] وهو اختيار أبي الفرج ابن الجوزى[6] وعلى هذا قال قائل : يسأل الناس مايجب عليهم

-رضى الله عنه- فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه، قال فقالوا له: لو أمرتنا نناولكه، فقال إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني أن لاأسأل الناس شيئا» أخرجه الإمام أحمد أنظر الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد جـ٦٦/٢٣ رقم ١٤٨ وقال أحمد البنا: ابن أبي مليكة تابعي ثقة لم يدرك أبا بكر فإسناده ضعيف للانقطاع . ا.هـ. وهو كذلك. إلا أن له شواهد صحيحه.

١-في الأصل و(ف) (سأل) زيادة.

٢-في(د) و(ف) (إذا أنزلها با لله -تعالى-).

٣-ما بين المعقوفتين من (د) و(ت) وسقط من الأصل و(ف) و(ح).

٤-وزاد بعض أهل العلم قولهم: يجب حال الاضطرار في العري والجوع. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود جـ٤٩/٥.

٥-الثوري: هو أبو عبدالله، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ولد سنة ٩٧هـ قال عنه الذهبي: هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، مصنف كتاب الجامع، أثنى عليه الأئمة، قال شعبة وابن عيينة و أبو عاصم ويحي بن معين وغيرهم سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث، كان رأساً في الزهد، والتأله والخوف، والحفظ، ومعرفة الآثار ا.هـ. له من الكتب "الجامع الكبير" و "الجامع الصغير" كلاهما من الحديث. توفي سنة ١٦١هـ. انظر السير جـ٢٢٩/٧ ترجمة رقم ٨٢ والأعلام جـ١٠٤/٣.

٦-أبو الفرج ابن الجوزي: هو جمال الدين، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي، البغدادي، الحنبلي يرجع نسبه إلى محمد بن أبي بكر الصديق -رضى الله عنه- ولد سنة ٥٠٩هـ أو ٥١٠هـ انتفع في الحديث بملازمة ابن ناصر، كان رأسا في التذكير والوعظ، وبحراً في التفسير صاحب التصانيف الكثيرة منها "زاد المسير"

--

أن يعطوه إياه؛ إما من الزكاة وإما من غيرها، فإن إطعام الجائع فرض على الكفاية من الناس / كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ٤٧ «**عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العاني**»[١] وقد جاء في الحديث«**لو صدق السائل ماأفلح من رده**»[٢].

"وتذكرة الأريب" "وفنون الأفنان" وغيرها. نالته محنة في أواخر عمره، ووشوا به إلى الخليفة الناصر بأمر اختلف في حقيقته توفي بين العشائين الثالث عشر من رمضان سنة ٥٩٧هـ، أنكر عليه بعض العلماء كلمات يخالف فيها السنة. انظر السير جـ٢١/٣٦٥ ترجمة رقم ١٩٢ والأعلام جـ٣/٣١٦.

١-أخرجه البخاري في (كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير) جـ٢/٩٣٧ برقم ٣٠٤٦ وأطرافه بالأرقام ٥١٧٤،٥٣٧٣،٥٦٤٩،٧١٧٣ وهذا اللفظ أخرجه أبو يعلى في المسند جـ١٣/٣٠٩-٣١٠ رقم ٧٣٢٥ من حديث أبي موسى -رضى الله عنه- و أخرجه غيرهم.

٢-أخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـ٨/٢٩٤ رقم ٧٩٦٧ ورقم٧٩٦٨ ولفظه «لو أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم»وأعله الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٣/١٠٢ بجعفر بن الزبير وقال: ضعيف .ا.هـ. وذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص٨٢ تحقيق محمد محي الدين الأصفر (الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت، ودار الإشراق بيروت لبنان): بلفظ المصنف وقال ليس له أصل.ا.هـ. وذكر روايات الخبر ابن الجوزى في الموضوعات تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان جـ٢/١٥٥ الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ المكتبة السلفية المدينة المنورة- السعودية وبين ضعفها ونقل عن العقيلي قوله: لايصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شئ ا.هـ.

قلت: وما يروى عن الإمام أحمد أنه قال : أربعة أحاديث تدور عن رسول الله ﷺ في الأسواق ليس لها أصل ذكر منها «**للسائل حق وإن جاء على فرس**» قال العراقي: لايصح هذا الكلام عن الإمام أحمد فإنه أخرج هذا الحديث في المسند ثم ذكر العراقي طرق الحديث وأعلها.

--

ونقل المروذي[1] عن أحمد أنه إذا عَلم صدق السائل وجب أن يعطيه، قال تعالى﴿ **والذين في أموالهم حق معلوم* للسائل والمحروم**﴾[سورة المعارج:٢٤-٢٥]، وإذا كان يسألهم ماأوجب الله عليهم كان بمنزلة أن يسأل ذا السلطان أن يعطيه حقه الذى جعل الله له في المال، وسؤال ذي السلطان جائز[2]، كمن سأل المودع أن يرد عليه

انظر: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح تأليف زين الدين العراقي تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان الناشر المكتبة السلفية المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.

١-في (د) (المروزي) والصواب المروذي نسبة إلى مرو الروذ ، والروذ بالذال المعجمة بالفارسية : النهر ، من مدن خراسان . انظر معجم البلدان ج٥ /١٣٢ رقم (١١١٦٧). وهو: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي، صاحب الإمام أحمد، كان ذكياً، يقدمه أحمد على جميع أصحابه، ويأنس به، ويبعثه في الحاجة، قال له الإمام أحمد: كل ماقلت عني فهو على لساني وأنا قلته. نقل عن أحمد مسائل كثيرة، وهو الذى أغمض الإمام أحمد، وكان فيمن غسله روى جزءاً فيه كلام الإمام أحمد في علل الحديث ومعرفة الرجال حققه صبحي البدري السامرائي الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض. توفي عام ٢٧٥هـ. أنظر البداية والنهاية جـ١١/٥٨ والأعلام جـ١/٢٠٥.

٢-(جائز) سقطت من (ف). وقد اختلف العلماء في سؤال السلطان وقبول عطيته على ثلاثة أقوال:

أولها: يحرم قبول عطية السلطان.

الثاني: يكره قبول عطية السلطان.

الثالث: الإباحة وهو الأصل، إذا كان ماله حلالا، وتحرم إذا كان حراما، ومن شك فالاحتياط رده وهو الورع، وأصحاب هذا القول حملوا القول الأول على أنه إذا كان السلطان جائرا، والثاني على الورع وهو المشهور عن السلف. واستدلوا

--

وديعته، وأن يعطيه حقه من الميراث والمغنم ونحو ذلك.

وعلى هذا فليس للسائل أن يسأل من لافضل عنده، وليس له أن يتعدى في السؤال على الناس، وليس له أن يجزع ويعدل عن الصبر الجميل، وعليه أن يرغب إلى الله ويتوكل عليه، وحينئذ فلايكون قد أنزلها بالناس مع أن القول الأول وهو عدم وجوب السؤال أظهر، فإن النصوص تقتضي أن ترك سؤال الخلق أفضل مطلقا[1]، ولهذا فإن النبي ﷺ في صفة السبعين ألفا **«هم الذين لا يسترقون»**[2] والمسترقي يطلب الدعاء[3] من الراقي، و قد قال -تعالى- **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾** [سورة الطلاق:٢-٣] فقد بين أنه كافي من توكل عليه، وأنه لابد أن يرزق

بحديث سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن المسألة كد يكد بها الرجل وجهه إلا أن يسأل الرجل سلطانا، أو في أمر لابد منه»** اخرجه الترمذي في السنن (المسمى جامع الترمذي) في (كتاب الزكاة، باب ماجاء في النهي عن المسألة) جـ٣/٦٤ رقم ٦٨١ وقال:هذا حديث حسن صحيح ا.هـ. وأبو داود في (كتاب الزكاة، باب ماتجوز فيه المسألة) جـ٢/٢٨٩ رقم ١٦٣٩ والامام أحمد في المسند جـ٥/١٠، ١٩، ٢٢ وابن أبي الدنيا في القناعة والتعفف ص٢٤ رقم ٢٠ وغيرهم. وللتوسع انظر شرح مسلم جـ٧/١٤١ وفتح الباري جـ٣/٤٣١.

١-وهذا هو الراجح انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٣/٣٤٤ وشرح مسلم جـ٧/١٣٣ وفتح الباري جـ٣/٣٤٢.

٢-سبق تخريج الحديث.

٣-في هامش (د) :رقيه ، وفي (ط) : الرقية.

المتقي من حيث لايحتسب[1]، والميتة رزق ساقه الله إليه عند الضرورة فليس له أن يمتنع من أكله فيعين على قتل نفسه، ولو أتاه مال من غير مسألة ولا إشراف نفس أخذه[2]، وهذا/ كله يدل على أن سؤال الخلق والاستغاثة بهم حرام في الأصل؛ لايباح إلا لضرورة، وهو في الاظهر أشد تحريماً من الميتة. ٤٨

فكيف يقال إنه مأمور به فيما لايقدر عليه الخلق؟ وهل قال أحد أن سؤال المخلوق والاستغاثة به فيما لايقدر عليه إلا الله -تعالى- مأمور به أو مباح، ومن هنا يظهر الوجه السادس: قوله (والمراد به التنبيه على الرجوع إلى الله -تعالى- بالقلب لابترك السبب، بل أن يذكرا لله في ذلك السبب).

الاستغاثة بالمخلوق ليست من الأسباب المشروعة

فيقال له: هذا إنما يصح إذا كان السبب مشروعا، فإن السبب المشروع

١-في (ف) (قف على قوله لابدّ أن يرزق المتقي من حيث لايحتسب) .ا.هـ. وهذه الجملة من باب التصديق بكلام الله -تعالى- والثقة بما عنده، وأنه لابد أن يرزق المتقي من حيث لايحتسب، وهي من جنس قوله في معركة شقحب لما حلف للأمراء والناس أنهم منصورون في هذه الكره، فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله، فيقول تحقيقاً لاتعليقا، وكان يتأول أشياء من كتاب الله، منها قوله تعالى ﴿ثم بغى عليه لينصرنه الله﴾[سورة الحج:٦٠] انظر: البداية والنهاية جـ١٤/٢٦.

٢-يشير المؤلف إلى حديث ابن عمر -رضي الله عنه- قال:سمعت عمر يقول: كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء، فأقول: أعطه من هو أفقر إليه مني. فقال: «خذه، إذا جاءك من هذا المال شئ، وأنت غير مشرف ولا سائل، فخذه، ومالا فلا تتبعه نفسك» أخرجه البخاري في (كتاب الزكاة، باب من أعطاه الله شيئا من غير مسألة ولا إشراف نفس) جـ١/٤٤٠ رقم ١٤٧٣.

لاينافي التوكل، والكلام هنا في من يستغيث بالخلق فيما لايقدر عليه إلا الله، كما قيل في الجـواب، فأمـا مـالا يقـدر عليـه إلاا لله فـلا يجـوز أن يطلب إلا من ا لله ، لايطلب ذلك من الملائكـة ولامـن الأنبيـاء ولامـن غيرهـم.

ومعلوم أن سؤال الخلق(١) مثل هـذا بـاطل شـرعاً وعقـلا، فمـن الـذى جعل هذا من الأسباب الشرعية؟ ومن قال إن النبي ﷺ إذا لم يكن عنده شئ يعطيه فينبغي للإنسان أن يسأله ويسـتغيث بـه؟ وإذا لم يمكنـه دفـع العدو ينبغي للإنسـان أن يسـأله ويستغيث بـه في ذلـك؟ وقـد تقدمـت النصوص عن النبي ﷺ بأنه كان يمـدح مـن لايسـأله مطلقـاً، ويـذمّ مـن يسأله مالايحب أن يعطيه، ويذمّ من يسأله مالايقدر عليه.

النهي عن سؤال النبي ﷺ مطلقا

فسؤاله والاستغاثة به(٢) في ذلك أذى وعدوان عليـه، يحـرم فعلـه معه ﷺ، أعظم مما يحرم أذى غيره والعدوان عليه، مع مافيه مـن الشـرك والجزع، وقد كان الصحابـة -رضـوان ا لله عليهـم- نُهـوا أن يسـألوه/ كما ثبت في الصحيح عن أنس -رضي ا لله عنه- قال: «**نهينا أن نسـأل رسول ا لله ﷺ فكان يعجبنا أن يجـئ الرجـل مـن أهـل الباديـة -العـاقل- فيسأله ونحن نسمع**»(٣) وقد قال تعالى﴿**ياأيها الذين أمنوا لاتسـألوا عـن**

٤٩

١-في (د) (سؤال) زياده.

٢- (به) سقطت من (د).

٣-أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام) جـ١/٤١ برقـم ١٢ ولفظه « ... رسول ا لله ﷺ عن شئ ... » والنسائي في (كتاب الصيام، باب وجوب الصيام) جـ٤/١٢١ رقم ٢٠٨٩ وغيرهم.

أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ [سورة المائده:١٠١] هذا وإن كان في سؤال العلم أحياناً، فسؤال الدنيا أولى.

وقد ذُم من كان يسأل الرسل الآيات، قال تعالى **﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل﴾** [سورة البقرة:١٠٨] وقال تعالى **﴿يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا ا لله جهرة﴾** [سورة النساء:١٥٣] ولوكان يجوز السؤال له[١] والاستغاثة به في كل مايُسأل ا لله ويستغاث به فيه، -كما قال هؤلاء المفترون إنه تجوز الاستغاثة به وبغيره من الصالحين في كل مايستغاث ا لله فيه-، لم يحرم من مسألته إلامايحرم من مسألة ا لله ، والعبد يجوز أن يسأل ا لله الرزق والعافية والنصر على الأعداء والهداية، والنبي ﷺ لايجوز أن يسأله أحد كل ما[٢] يقدر، فضلاً عن أن يسأله مالا يقدر عليه؛ لما في ذلك من الأذى والعدوان عليه، وهو أحق بالتعزير والتوقير من غيره، فإذا كان يحرم أذى غيره بذلك؛ فأذاه أولى[٣] بالتحريم، بل أذاه كفر، وأذى المؤمنين ذنب قال تعالى﴿ **إن الذين يؤذون ا لله ورسوله لعنهم ا لله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهينا * والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير مااكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثماً مبينا﴾** [سورة الأحزاب:٥٧-٥٨].

١-(له) سقطت من (د)

٢-في (ف) و(د) كما وفي (ط) مما.

٣-(أولى) سقطت من (د).

فصــــل

قال (وكثيراً ماتنفى الأشياء في النصوص الشرعية إشارة إلى التوحيد/، ويثبتها البارى -سبحانه[١]- في مواضع أخر[٢] اعتباراً بالأسباب، وإثباتاً لبساط الحكمة، فيأتي هذا المبتدع[٣] فيخلط في الحقائق ويلحد في الآيات، كما قال في الإغاثة والنصرة وغيرهما أنها لاتصح في الخلق ولايسألونها ولاتضاف إليهم، وأخطأ في ذلك، فإن هذه الحقائق ثبتت للمخلوقات حقيقة لغوية بإجماع العلماء ونصوص الكتاب والسنة اعتباراً بالسبب والحكمة، وتنفى عن الخلق إشارة للتوحيد وانفراد الباري بخلقها، كما انفرد بخلق غيرها ، كما قال سبحانه[٤] من بساط التوحيد﴿**وماالنصر إلا من عند الله**﴾[سورة آل عمرن:١٢٦] وقال عزوجل ﴿**إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء**﴾[٥] [سورة القصص:٥٦] وقال ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾[سورةالفاتحه:٥] ثم قال لنبيه ﴿**وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم**﴾[سورة الشورى:٥٢] وقال ﴿**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر**﴾[سورةالأنفال:٧٢][٦]وفي الصحيح«**انصر أخاك ظالماً أو**

٥٠ كلام البكري في الرد على ابن تيمية

١-في (د) تعالى.

٢-الأولى (أخرى).

٣-في هامش الأصل : ((يشير إلى شيخ الإسلام - رحمة الله ـ وهو المبتدع ... ثم ثلاث كلمات غير واضحه).

٤-في (د) تعالى.

٥-قوله تعالى﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ سقط من (د).

٦-في (ف) وقال في.

مظلوماً»[١] وقال تعالى﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة**﴾[سورة البقرة:٤٥] وقال تعالى[٢]﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾[سورة المائده:٢] وفي الصحيح «**وا لله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه**»[٣] و«**أعني على نفسك بكثرة**[٤] **السجود**»[٥] وجمع الوجهين في قوله تعالى﴿**ومارميت إذ رميت ولكن ا لله رمى**﴾ [سورة الأنفال:١٧]).

رد ابن تيمية

الوجه الأول: إثبات شفاعة النبي ﷺ في الآخرة

فيقال:في هذا الكلام من الكذب والافتراء والظلم والاعتداء والجهل والضلال مايظهر عند التأمل، وجوابه من وجوه: الأول: أن لفظ المذكور جواب المسألة التي سألها، واعترض بعد جوابها ، [وصورة السؤال: المسئول من السادة العلماء أئمة الدين، أن يبينوا مايجوز وما لايجوز من الاستشفاع والتوسل بالأنبياء والصالحين. وصورة

١-أخرجه البخاري في (كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوما) جـ٢/٧٣٢ رقم ٢٤٤٣ بلفظه من حديث أنس بن مالك وطرفه رقم ٦٥٥٢.

٢-(تعالى) سقطت من (د).

٣-أخرجه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر) جـ٤/٢٠٧٤ رقم ٢٦٩٩ من حديث أبي هريرة -رضى ا لله عنه- وأوله «من نفس عن مؤمن ... الحديث».

٤-في (د) بكثر.

٥-أخرجه مسلم في (كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه) جـ١/٣٥٣ رقم ٤٨٩ من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي وأوله «كنت أبيت مع رسول ا لله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي «سل» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال ..... الحديث».

الجواب](1): قد ثبت بالسنة المستفيضة [بل](2) المتواترة واتفاق(3) الأمه أن النبي ﷺ الشافع / المشفع، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به ، ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم - عز وجل - وأنه يشفع لهم ، ثم اتفق أهل السنة والجماعة أنه

٥١

١-بياض في الأصل و(د) و(ف) و(ح) و(ط). وما أثبت أعلاه من كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيميه ض٢٤٤، من كلام المؤلف عن هذه الرسالة و من هنا تبدأ رسالة «الاستغاثة» لشيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً خرج أحاديثها محمود إمام منصور وسبق الإشارة إليها في الدراسة، وسيشير المؤلف بعد انتهائه من نقل أجراء من الرسالة أنه ذكر السؤال والجواب عليه كما في ص ٣٠٢ ، ولم أُثبت السؤال من رسالة الاستغاثة لأنه لايستقيم معه الكلام . وقد قارنت الرسالة بهذا النص وتبين وجود سقط وتحريف بها ، لعل الله ييسر إخراجها .

٢-كذا في (ف) وسقطت من الأصل و(د) و(ح). والسنة المستفيضة: هي السنة المشهورة عند المحدثين وجماعة من الفقهاء. وسميت بذلك لاشتهارها وتطلق على مااشتهر على الألسنة، فتشمل ماله إسناد واحد فصاعدا، بل مالا يوجد له إسناد أصلا. شرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني تعليق محمد الصباغ ص١٤ (الطبعة الثانية ١٤١٠هـ الناشر مكتبة الغزالي-دمشق). وقال بعضهم: هو ماكان من الآحاد في الأصل، ثم اشتهر فصار ينقله قوم عن قوم لايتصور تواطؤهم على الكذب، فيكون كالمتواتر بعد القرن الأول. التعريفات ص٢١٤.

والمتواترة هي: ما رواها جمع عن جمع بلا حصر عدد معين بحيث تكون العادة قد أحالت تواطؤهم على الكذب وهي ما أفادت العلم اليقيني. انظر نخبة الفكرص٨-١٠.وكذلك خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقيني.شرح الطحاوية ص٣٥٥ وينقسم المتواتر إلى: تواتر لفظى وتواتر بالمعنى، وأحاديث الشفاعة متواترة معنى. انظر مج جـ١٨/١٦.

٣-في (د) باتفاق.

يشفع في أهل الكبائر وأنه لايخلد في النار من أهل التوحيد أحد.

وأما الخوارج[1] والمعتزلة فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر، و لم ينكروا شفاعته للمؤمنين؛ إلاما يحكى عن طائفة قليلة منهم وهؤلاء مبتدعة ضلال وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل.ومن أنكر ماثبت بالتواتر والإجماع فهو كافر بعد قيام الحجة عليه.

وسواء سمى هذا المعنى استغاثة أو لم يسمّه، وكذلك من أقر بشفاعته في الآخرة؛ وأنكر ماكان الصحابة يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به؛ كما رواه البخارى في صحيحه عن أنس أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كانوا إذا قحطوا استسقوا بالعباس بن

١-الخوارج: سموا بذلك لخروجهم على علي بن أبي طالب -رضى الله عنه- بعد التحكيم، ويسمون الحرورية والنواصب والشراة. والوعيدية داخلة في الخوارج. ويجمع الخوارج القول بالتبرى من عثمان وعلي -رضى الله عنهما- ويقدمون ذلك على كل طاعة، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً.

ومن فرقهم: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجارده، والثعالبة، والصفرية، والأباضية. ويرفض الأباضية من الخوارج اليوم نسبتهم إلى الخوارج، ويدعون أنهم أحد المذاهب الإسلامية، وأن قولهم بكفر مخالفيهم يقصدون كفر النعمة، وأنهم لم يستحلوا سلاح وخيل وأموال مخالفيهم، وهم الآن في دولة سلطنة عمان وشمال أفريقيا انظر التنبيه والرد للملطى:٦٢، والمقالات جـ١/١٦٧ والملل والنحل جـ١/١١٤-١١٥ وما بعدها، والفرق بين الفرق ص٧٢-٧٥ ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين تأليف د.أحمد جلى ص٩٠-٩١.

عبدالمطلب[١] وقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون»[٢]، وفي سنن أبي داود وغيره أن أعرابيا قال للنبي ﷺجهدت الأنفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، فسبح رسول الله ﷺ حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، وقال: «**ويحك إن الله لايستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك**»[٣] وذكر تمام الحديث.

١-في (د) بالعباس رضى الله عنه.

٢-أخرجه البخاري في (كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا) جـ٢/٣٠٢ رقم ١٠١٠ ولفظه «... استسقى ...... قال: فيسقون» وطرفه رقم ٣٧١٠.

٣-أخرجه أبو داود في(كتاب السنه، باب في الجهمية والمعتزلة) جـ٥/٩٥ رقم ٤٧٢٦ والدارمي في الرد على الجهمية تخريج وتعليق بدر البدر ص٤١ رقم ٧١ (الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر الدار السلفية حولي الكويت)، والدارقطني في كتاب الصفات تدقيق وتعليق عبدالله الغنيمان ص٣١ (الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ الناشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة)، وابن خزيمة في التوحيد وإثبات صفات الرب -عزوجل- دراسة وتحقيق د.عبدالعزيز الشهوان جـ١/٢٣٩ (الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق د.أحمد سعد حمدان جـ٣/٣٩٤ رقم ٦٥٦ (الطبعة الثانية ١٤١١هـ الناشر دار طيبة الرياض - السعودية)،والطبراني في المعجم الكبير جـ٢/١٣٣ رقم ١٥٤٧، وابن عبد البر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تحقيق عبدالله صديق جـ٧/١٤١، والبغوي في شرح السنة(جـ١/١٧٥) رقم (٩٢) وغيرهم. بألفاظ قريبة من لفظ المؤلف. ويعرف بحديث أطيط العرش.

وقد اختلف فيه فرواه علي بن المديني ويحي بن معين وأحمد بن سعيد وأبو الأزهر ومحمد بن يزيد وعبدالله بن محمد عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن إسحاق

....

عن يعقوب بن عتبه عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده، وخالفهم عبدالأعلى النرسي ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار فرووه عن وهب عن أبيه عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد عن أبيه عن جده، وقد رجح الحفاظ الرواية الأولى، فقال أبوداود في السنن جـ٥/٩٦: والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح (أي: الإسناد الأول) ا.هـ وقال الدار قطني في كتاب الصفات ص٣١:ومن قال فيه عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد فقد وهم. وقال الذهبي في العلو للعلي الغفار تصحيح محمد رشيد رضا ص٥٠ (طبعة ١٣٣٢هـ الناشر محمد أفندي نصيف) الأول أصح ا.هـ فإذا ترجحت الرواية الأولى، فابن إسحاق مدلس وقد صرح بالعنعة، قال ابن حجر في كتابه تعريف أهل التقديس بمراتب الموصفين بالتدليس تحقيق د.أحمد المباركي ص٦٨ (الطبعة الثانية ١٤١٤هـ): صدوق مشهور بالتدليس ا.هـ وجعله من الطبقة الرابعة التى اتفق على أنه لايحتج بشئ من حديثهم انظر ص٦٣، وجبير بن محمد مجهول لم يوثقه سوى ابن حبان. انظر النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص٢٧٥ رقم ٥٩٢ وقال ابن حجر في التقريب جـ١/١٥٧ رقم ٩٠٤: جبير بن محمد بن جبير بن مطعم مقبول. أي مقبول حيث يتابع وإلا فلين الحديث ا.هـ. وقد استغرب الحديث ابن كثير في تفسيره جـ١/٣١٠ وضعفه الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب في بعض نسخ كتاب التوحيد، وصنف ابن عساكر جزءاً ضعفه فيه. انظر الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد تأليف صالح العصيمي ص١٧٧ (الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار ابن خزيمة الرياض - السعودية)، وقال حمدى السلفي في حاشية المعجم الكبير للطبراني جـ٢/١٣٣: لم يصح في أطيط العرش حديث ا.هـ. وقال شعيب الأرنؤوط في حاشية شرح السنة جـ١/١٧٥: الحديث ضعيف لاتقوم به حجة ا.هـ وضعفه الألباني في مختصر العلو للذهبي ص٩٢ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ الناشر المكتب الاسلامي بيروت - لبنان. وقال ابن تيميه في مج جـ١٦/٤٣٥ ولفظ "الأطيط" قد جاء في حديث جبير بن مطعم الذى رواه أبو

فأنكر قوله «نستشفع با لله عليك» ولم ينكر قوله «نستشفع بك على ا لله» بل أقره عليه فعُلم جوازه، فمن أنكر هذا فهو مخطئ ضال مبتدع؛ وفي كفره نزاع وتفصيل.

٥٢ وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع من / شفاعته والتوسل به ونحو ذلك، ولكن قال : إنه لايدعى إلا ا لله وأن الامور التى لايقدر عليها إلا ا لله فلا تطلب إلا منه، مثل : غفران الذنوب؛ وهداية القلوب، وإنزال المطر، وإنبات النبات ونحو ذلك، فهذا مصيب في ذلك،بل هذا مما لانزاع فيه بين المسلمين أيضا، كما قال تعالى﴿**ومن يغفر الذنوب إلا ا لله**﴾[سورة آل عمران:١٣٥] وقال[1]﴿**إنك لاتهدي من أحببت ولكن ا لله يهدى من يشاء**﴾[سورة القصص:٥٦] وكما قال تعالى[2]﴿**ياأيها الناس اذكروا نعمة ا لله عليكم هل من خالق غير ا لله يرزقكم من السماء والأرض**﴾[سورة فاطر:٣] وكما قال تعالى﴿**وما**

داود في السنن. وابن عساكر عمل فيه جزءاً، وجعل عمدة الطعن في ابن إسحاق. والحديث قد رواه علماء السنة كأحمد وأبي داود وغيرهما، وليس فيه إلا ماله شاهد في رواية أخرى، ولفظ الأطيط قد جاء في غيره ا.هـ. وأجاب ابن القيم عن علل الحديث على لسان المثبتين له وأطال في ذلك انظر: عون المعبود جـ١٣/١١ وما بعدها وتابعه فريح البهلال في كتابه تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد ص١٢٥ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر دار الأثر الرياض – السعودية.

مما سبق يتبين أن الحديث ضعيف، وقد استدل به أهل السنة على إثبات العلو مع الأدلة الكثيرة التى استدلوا بها، وشنع عليه المبتدعه.

١-في (د) تعالى.

٢-(تعالى) سقطت من (د).

جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وماالنصر إلامن عند الله﴾[سورة آل عمران:١٢٦] وقال﴿**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا**﴾ [سورة التوبة:٤٠].

فالمعاني الثابتة بالكتاب والسنة يجب إثباتها، والمعاني المنفيه بالكتاب والسنة يجب نفيها، والعبارة الدالة على المعاني نفياً وإثباتاً، إن وجدت في كلام[١] الله[٢] ورسوله وجب إقرارها، وإن وجدت في كلام أحد فظهر مراده من ذلك؛ رتب عليه حكمه؛ وإلا رجع إليه فيه، وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح، لكن بعض الناس يفهم من تلك العبارة[٣] غير مراد الله ورسوله، فهذا يُرد عليه فهمه، كما روى الطبراني في معجمه الكبير أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق [يؤذى][٤] المؤمنين فقال أبوبكر الصديق: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ: «/**إنه لايستغاث بي ؛ إنما يستغاث با لله**[٥]»[٦] فهذا إنما أراد به النبي ﷺ

٥٣ شرح حديث إنه لا يستغاث بي

١-في (د) كتاب

٢-في (د) تعالى وفي (ط) زاد (وكلام).

٣-(العبارة) سقطت من (ف)

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (يؤى)

٥-في (د) عز وجل

٦-أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن عبادة بن الصامت -كما في مجمع الزوائد جـ١٠/١٥٩- (ومسند عبادة من القسم المفقود من المعجم) وأحمد في المسند جـ١/٣١٧ ولفظه « .. **لايقام لي ولكن يقام لله**» وابن سعد في الطبقات الكبرى

....

جـ١/٣٧٨ بلفظ الإمام أحمد. قال الهيثمي في مجمع الزوائد في إسناد الطبراني جـ١٠/١٥٩: رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعه وهو حسن الحديث ا.هـ. وقال في إسناد الإمام أحمد جـ٤/٨٠: فيه راو لم يسم وابن لهيعة وهو حسن الحديث ا.هـ قال ربيع المدخلي في حاشية التوسل والوسيلة لابن تيميه ص٢٦٤: وفي هذا الإسناد ابن لهيعة وهو ضعيف، والراوي عنه ليس من العبادلة وليس ممن روى عنه قبل الاختلاط. وفيه الرجل المجهول الراوى عن عبادة، وما قاله من أن الهيثمي في إسناد الطبراني فيه نظر ا.هـ.. وقال ابن كثير في تفسيره جـ٣/١٧٣: هذا الحديث غريب جدا. ا.هـ.

وفي تلخيص الاستغاثة ص١٥٣-١٥٤: هذا الخبر لم يذكر للاعتماد عليه بل ذكر ضمن غيره ليتبين أن معناه موافق للمعاني المعلومة بالكتاب والسنة، كما أنه إذا ذكر حكم بدليل معلوم ذكر مايوافقه من الآثار والمراسيل وأقوال العلماء وغير ذلك لما فيه من الاعتضاد والمعاونة لا لأن الواحد من ذلك يعتمد عليه في حكم شرعي. وهذا الخبر مما يصلح للاعتضاد به. وقد روى الناس هذا الحديث من أكثر من خمسمائة سنة إن كان ضعيفا، وإلا فهو مروي من زمان النبي ﷺ ومازال العلماء يقرؤون ذلك ويسمعونه في المجالس الكبار والصغار،ولم يقل أحد إن إطلاق القول أنه لايستغاث بالنبي ﷺ كفر ولا حرام. ا.هـ وفيما نقله الملخص عن ابن تيميه في التلخيص نظر، لأن ابن تيمية قال عن الحديث في ص٢٦٩: ((إن صح)) وأيضا ص٢٧٣ واستدل به في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة في ص٢٦٤ ولم يتكلم عليه. وقال في الفتاوى عن ابن لهيعة جـ١٨/٢٦: ((إنه من أكابر علماء المسلمين وكان قاضيا بمصر، كثير الحديث، لكن احترقت كتبه فصار يحدث من حفظه، فوقع في حديثه غلط كثير مع أن الغالب على حديثه الصحة. قال أحمد: اكتب حديث الرجل للاعتبار به مثل ابن لهيعة)) وبهذا يتضح أن تضعيف الحديث في التلخيص غالبه زيادة من الملخص ، بناء على ما سبق يتضح أن الحديث ضعيف،

--

المعنى الثاني، وهو أن يطلب منه مالا يقدر عليه إلا ا لله، وإلا فالصحابة -رضوان ا لله عليهم- كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به كما في صحيح البخارى عن ابن عمرقال «ربما ذكرت قول الشاعر،[وأنا][١] انظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقي فما ينزل حتى يجيش له الميزاب .

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثِمَال اليتامى عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب»[٢].ولهذا قال المصنفون في أسماء ا لله -تعالى- : يجب على كل مكلف أن يعلم أن لاغياث ولامغيث على الإطلاق إلا ا لله[٣]، وإن كل غوث فمن عنده، وإن كان جعل ذلك على يد غيره؛ فالحقيقة له سبحانه[٤]، ولغيره مجازا. قالوا: ومن أسمائه المغيث والغياث، وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة[٥] ، قالوا:

من أسماء ا لله المغيث والغياث

ولكن كما قال الذهبي في السير جـ٨/١٤ عن ابن لهيعة «وبعضهم يبالغ في وهنه، ولا ينبغي إهداره، وتتجنب تلك المناكير، فإنه عدل في نفسه ا.هـ وا لله اعلم».

١-كذا في (ح) و(ط) وفي الأصل و(ف) و(د) إنما

٢-أخرجه البخاري في (كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام إذا قحطوا) جـ١/٣٠٢ رقم ١٠٠٩ ولفظه « ... كل ميزاب ...» وطرفه ١٠٠٨ والبيت من قصيدة أبي طالب -عم النبيﷺ- قالها في استعطاف قريش ومدح النبي ﷺ ومطلعها:

ولما رأيت القوم لاود فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل.

انظر : سيرة ابن هشام جـ١/٢٧٢ وثِمَال اليتامى: غياثهم، وفلان ثِمالِ بنى فلان أي عمادهم وغياث لهم يقوم بأمرهم. لسان العرب جـ١١/٩٤ مادة ثمل.

٣-في (د) تعالى.

٤-في (د) تعالى وفي الأصل و(ف) (لذلك) وهي زيادة.

٥-في (د) رضي ا لله عنه.يشير المؤلف إلى حديث أبي هريرة -رضيا لله عنه- ولفظه «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة هوا لله الذى لاإله إلاهو الرحمن

. . . .

الرحيم ... » الذى ورد فيه سرد أسماء الله -عز وجل- وقد أخرجه الترمذى في (كتاب الدعوات، باب ٨٢) جـ٥/٥٣٠-٥٣٢ وابن ماجه في (أبواب الدعاء، باب أسماء الله -عزوجل-) جـ٢/٣٤٨ رقم ٣٩٠٧ والحاكم في المستدرك جـ١/١٦ وابن حبان في الإحسان جـ٣/٨٨١ رقم ٨٠٨ والبيهقي في السنن الكبرى جـ١٠/٢٧ وفي الأسماء والصفات جـ١/٢٩ تحقيق عمادالدين أحمد حيدر والبغوي في شرح السنة جـ٥/٣٢ رقم ١٢٥٧ ورد الإمام عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص١٢-١٣ تصحيح محمد الفقى (ط الأولى ١٣٥٨هـ دار الكتب العلمية بيروت) وابن منده في التوحيد ومعرفة أسماء الله -عزوجل- وصفاته على الاتفاق والتفرد تحقيق د.علي الفقيهي (الطبعة الثانية ١٤١٤هـ الناشر مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة - السعودية) جـ٢/٢٠٥-٢٠٦ ورقم ٣٣٦ وغيرهم.

وقد ورد اسم «المغيث» المعجمة والمثلثة بدل «المقيت» بالقاف والمثناة عند البيهقي وابن منده من طريق موسى بن أيوب عن الوليد. فتح الباري لابن حجر جـ١١/٢٥٨ ، فأخرجه ابن منده في التوحيد جـ٢/٢٠٦ والبيهقي في الأسماء والصفات جـ١/٢٩، والمغيث لم يرد في القرآن الكريم أو السنة وكثير ممن ألف في أسماء الله -تعالى- لم يذكره. مثل: تفسير أسماء الله لأبي إسحاق الزجاج، وشأن الدعاء لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، وشرح أسماء الله الحسنى تأليف فخر الدين الرازي، وصفات الله-عزوجل- تأليف علوى بن عبدالرحمن السقاف وغيرهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتاوى جـ٦/٣٧٩-٣٨٠ -بعد أن ذكر رواية الترمذى وابن ماجه لهذا الحديث-: وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كل منهما من كلام السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسراً في بعض طرق الحديث ا.هـ.، وقال ابن حجر في فتح الباري جـ١١/٢٥٧-٢٦٠: واختلف العلماء في سرد

--

وأجمعت الأمة على ذلك، وقال أبو عبدا لله الحليمي[١] : الغياث هو المغيث ، وأكثر مايقال غياث المستغيثين، ومعناه المدرك عبادة في الشدائد إذا دعوه، ومريحهم [٢]ومخلصهم. وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين : «**اللهم أغثنا اللهم أغثنا**»[٣] ، يقال أغاثة إغاثة وغياثاً وغوثاً، وهذا الاسم في هذا المعنى [المجيب][٤]

الأسماء هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة، فمشى بعضهم على الأول واستدلوا به على جواز تسمية ا لله -تعالى- بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم، لأن كثيراً من هذه الأسماء كذلك. وذهب الآخرون إلى أن التعيين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه، ونُقل عن أكثر العلماء، والعلة في الحديث ليست تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه ا.هـ.

١-أبو عبيدا لله الحليمي: هو أبو عبدا لله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي. ولد سنة ٣٣٨هـ ونشأ ببخارى، أحد الأذكياء، سيال الذهن، من أهل الحديث، طويل الباع في الأدب والبيان. له كتاب "المنهاج في شعب الإيمان" له طبعه قديمة كثيرة الأخطاء وهو مصنف نفيس، يكثر النقل منه اعتنى به تلميذه أبو بكر البيهقي. توفي سنة ٤٠٣هـ. انظر السير جـ١٧/٢٣١ ترجمة رقم ١٣٨ طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير الدمشقي تحقيق د.أحمد عمر هاشم ود.محمد زنيهم جـ١/٣٥٠ طبعة مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد - مصر، والأعلام جـ٢/٢٣٥.

٢-في رسالة الاستغاثة : ومجيبهم ، وهي من إضافات الناشر .

٣-أخرجه البخاري في(كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة) جـ١/٣٠٣ رقم ١٠١٤ من حديث أنس بن مالك وأوله «أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة .....الحديث».

٤-ما بين المعقوفتين من رسالة الاستعاثة ص٥١ وكتاب الدر النضيد للإمام الشوكاني، وقد نقل قطعة من هذا الكتاب، وفي جميع النسخ مجيب بدون (ال) التعريف ولا يستقيم المعنى. وفي (ط) (مجيب المجيب والمستجيب).

--

والمستجيب، قال تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾ [سورة الانفال:٩]، إلا أن الإغاثة أحق بالأفعال، والاستجابة أحق بالأقوال، وقد يقع كل منهما موقع الآخر. قالوا: والفرق بين المستغيث والداعي، أن المستغيث ينادي بالغوث، والداعي ينادي بالمدعو، وقد تقدم حكاية هذا إلى آخره فليس هذا موضع استقصائه[1].

٥٤ — طلب ما يليق بمنصب الرسول لا ينازع فيه

وفيه: والاستغاثة بالرسول بمعنى أن / يطلب من الرسول ماهو اللائق بمنصبه لاينازع فيها مسلم، كما أنه يستغاث بغيره بمعنى أن يطلب منه ما يليق به، ومن نازع في هذا المعنى فهو[إما][2] كافر إن أنكر ما يكفر به ؛ وإما مخطئ ضال، وأما بالمعنى الذى نفاه الرسول ﷺ فهي[3] أيضا مما يجب نفيها، ومن أثبت لغير الله مالايكون إلا لله فهو أيضاً كافر إذا قامت عليه الحجة[التى][4] يكفر تاركها.

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي[5]: استغاثة المخلوق بالمخلوق

انظر: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للإمام الشوكاني تحقيق أبو عبدالله الحلبي ص١١ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار ابن خزيمة الرياض.

١-هنا ترك المؤلف ثمانية عشر سطرا من رسالة الاستغاثة لابن تيمية.

٢- كذا في هامش (د) ورسالة الاستغاثة ص١٨ وسقطت من الأصل و(ف)وآصل (د) و (ح)

٣-كذا في جميع النسخ و (ط)، والضمير يعود على الاستغاثة ، وفي رسالة الاستغاثة ص١٩، والدر النضيد للشوكاني ص١٣ (فهو) .

٤- كذا في (ح) و(ط) وفي الأصل و(د) و(ف) الذى.

٥-في (د) رحمه الله وهو: أبو يزيد، طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، يسميه ابن عربي أبا يزيد الأكبر. أحد الزهاد، كان جده مجوسياً فأسلم،يحكى عنه الشطح في أشياء، منها مالا يصح، أو يكون مقولا عليه، وأشياء مشكلة لامساغ لها، إذ

--

كاستغاثة الغريق بالغريق، وقول الشيخ أبي عبدا لله القرشي[1] -الشيخ المشهور بالديار المصرية وغيرها-: " استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون".

وفي دعاء موسى -عليه السلام- «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولاحول ولاقوة إلا با لله»[2]، ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الإطلاق، صح

ظاهرها إلحاد مثل سبحاني وما في الجبة إلا ا لله وغيرها. توفي سنة ٢٦١هـ. انظر السير جـ٨٦/١٣ ترجمة رقم ٤٩ والأعلام جـ٢٣٥/٣.

١-هو أبو عبدا لله محمد سعيد القرشي له كتاب في شرح التوحيد نقل عنه أبو نعيم في حلية الأولياء بعض الأقوال. انظر: حلية الأولياء جـ٣٧٧/١٠ ترجمة رقم ٦١٠ وذكره الكلاباذي بأبي عبدا لله هيكل القرشي وقال أحمد شمس الدين لم أجد له ترجمة: أنظر التعرف ص٢٨،وذكره صفي الدين الحسين الأنصاري في سير الأولياء في القرن السابع تحقيق مأمون محمود ياسين وعفت وصال ص٤٩ وما بعدها (الطبعة الأولى الناشر دار العالم بيروت - لبنان) ولم يذكر له نسبا ولا مولدا ولاتاريخ وفاة، وذكر مايُقطع بكذبه فيه وظن أنه كرامة له، وكذلك الشعراني في الطبقات الكبرى مثل قولهم إنه كان أجذم أبرص أعمى وعند زواجه بينت أحد أتباعه غير شكله إلى شاب جميل وسيم. وانظر الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار لعبدالوهاب الشعراني جـ١٥٩/١ (الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الناشر دار الجيل بيروت، وبالهامش الأنوار القدسية).

٢-أخرجه البيهقي في الدعوات الكبير تحقيق بدر البدرص١٧١ رقم ٢٣٣ من حديث ابن مسعود ولفظه: قال رسول ا لله ﷺ: «ألا أعلمك الكلمات التى قالهن موسى -عليه السلام- حين انفلق البحر، قلت بلى، قال: قل:« ... وبك المستغاث وأنت المستعان ...» قال أبوبكر: تفرد به عبدا لله بن نافع وليس بالقوي وقال بدر البدر في حاشية الدعوات ص١٧١: إسناده ضعيف لضعف عبدا لله بن نافع ا.هـ

--

إطلاق نفيها عما سوى ا لله -عزوجل- ولهذا لايُعرف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جوز مطلق الاستغاثة بغير ا لله ، ولا أنكرعلى من نفى مطلق الاستغاثة عن غير ا لله.

الاستعانة منها ما لا يصلح إلا لله ومنها غير ذلك

وكذلك [الاستعانة](1) أيضاً منها مالا يصلح إلا لله وهتي المشار إليها بقوله ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ [سورة الفاتحة:٥]، فإنه لايعين على العبادة الإعانة المطلقة إلا ا لله، وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه كما قال تعالى ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ [سورة المائدة:٢].

وكذلك الاستنصار قال(2) تعالى ﴿**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر**﴾ [سورة الأنفال:٧٢] والنصر المطلق ؛ وهو خلق مابه يغلب

والطبراني في المعجم الصغير جـ١/١٢٢ وقال: لم يروه عن الأعمش إلا وكيع، ولا عن وكيع إلا زكريا بن فروخ، تفرد به جعفر بن النضر. قال الهيثمي في المجمع جـ١٠/١٨٣ رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم. وقال المنذرى في الترغيب والترهيب ضبط وتعليق مصطفى عمارة جـ٢/٦١٨ (طبعة ١٤٠١هـ الناشر دار الفكر بيروت – لبنان): ((ورواه الطبراني في الصغير بإسناد جيد)). وقال ربيع المدخلي في حاشية التوسل والوسيلة ص٢٦٤: ولقد بحثت كثيراً عن ترجمة جعفر بن النضر فلم أقف له على ترجمة مما يؤيد قول الهيثمي ا.هـ. وأخرجه أيضا محمد بن جعفر المعروف بالخرائطي في فضيلة الشكر لله على نعمته تحقيق محمد مطيع ود.عبدالكريم اليافي ص٣٧ رقم ١١ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ الناشر دار الفكر بيروت – لبنان.

١-كذا في (د) و(ت) وفي الأصل و(ف) الاستغاثة وسقطت من (ح) ، لإن ماسبق عن الاستغاثة.

٢-في (د) وقال – بزيادة واو.

٥٥

العدو لايقدر عليه إلا الله[١]، فهذه ألفاظ جواب السؤال/ الذى طلب جوابه ؛كما تقدم ذكر سؤاله[٢] والجواب.

كذب البكري على ابن تيمية

وقد ذهب إليه الجواب ووقف عليه، وزعم أنه يرد عليه فافترى على المجيب بقوله (إنه يخلط في الحقائق ويلحد في الآيات كما قال في الإغاثة والنصرة وغيرهما، أنها لاتصح من الخلق ولايُسألونها؛ ولاتضاف إليهم، وأخطأ في ذلك فإن هذه الحقائق ثبتت للمخلوقات حقيقة لغوية بإجماع العلماء، ونصوص الكتاب والسنة، اعتباراً بالسبب والحكمة، وتنفى عن الخلق إشارة إلى التوحيد، وانفراد الباري -عزوجل- بخلقها، كما انفرد بخلق غيرها ،كما قال تعالى من بساط التوحيد ﴿**ومالنصر إلا من عند الله**﴾ [سورة آل عمران:١٢٦] وقال ﴿**إنك لاتهدي من أحببت**﴾ [سورة القصص:٥٦] وقال ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ [سورة الفاتحة:٥] وقال لنبيه ﷺ ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ [سورة الشورى:٥٢] وقال ﴿**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر**﴾ [سورة الأنفال:٧٢] وقال تعالى ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ [سورة المائده:٢]).

١-في (د) تعالى ، و إلى هنا انتهى النقل من رسالة الاستغاثة للمؤلف و قد ترك منها أسطراً قليلة عن حكم من أخطأ على علم أو اجتهد فأخطأ.

٢- يشير المؤلف -رحمه الله- إلى الإجابة المتقدمة، وأما السؤال فلم أجده في جميع النسخ الموجودة لدى وفي بداية الجواب المسمى -رسالة الاستغاثة- بياض في جميع النسخ، وقد أوردت السؤال كما ذكره المؤلف في كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٥٩.

جواب ابن تيمية

فيقال[١]: المجيب لم ينفها عن الخلق مطلقاً كما ذكرت، بل قال: ((وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه كما قال تعالى﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [سورة المائدة:٢] وكذلك الاستنصار قال تعالى ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ [سورة الأنفال:٧٢]))[٢] فقد ذكر هاتين الآيتين قبلك وفرق بين[٣] [مايضاف إلى المخلوق وما يضاف إلى الخالق ؛ من النصر والإعانة كما فرق بين][٤] هذا وهذا في الإغاثة، فنقلك عنه النفي العام كذب بيّن، ولكن هو فصّل فجعل ما يخص به الله الذي لايضاف إلى غيره وهو المطلق، وإنما يضاف إلى المخلوق مايليق به، وأنت تريد أن تجعل المخلوق عدل الخالق، يضاف إليه جميع ما يضاف إلى الرب -عزوجل- مضاهاة للحلولية والنصارى والمشركين، الذين أنت وأمثالك من طلائع جيوشهم/، وأبواب مدائنهم، وهم دعاة إلى مذهبهم في الحقيقة، وإن كانوا لايعلمون لوازم قولهم، وهذا بيّن يكشف ضلال هؤلاء.

٥٦ قول البكري فيه مضاهاة للحلولية والنصارى

ونقول في الوجه الثاني: قوله :(وكثيراً ماتنفى الأشياء في النصوص الشرعية إشارة إلى التوحيد، [و][٥] يثبتها الباري -سبحانه-

---

١-هذا هو الوجه الأول، لأن المؤلف سيذكر الوجه الثاني فيما بعد.

٢-انظر الصفحة السابقة الاستغاثة تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تعليق وتخريج محمود إمام منصور ص ١٩.

٣- (بين) سقطت من (د).

٤-مابين المعقوفتين من (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل

٥-كذا في (د) و(ف) و(ح) وسقطت الواو من الأصل.

في مواضع أخر(١) اعتباراً بالأسباب وإثباتاً لبساط الحكمة).

ا لله تعالى لاينفي الشيء ويثبته

هو كلام باطل فإن ا لله -سبحانه- لاينفي شيئاً ويثبته إذ الجمع بين نفيه وإثباته تناقض، وكلام ا لله منزه عن التناقض قال ا لله -تعالى- ﴿ولو كان من عند غير ا لله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا﴾ [سورة النساء:٨٢]، ولكن المنفي غير المثبت، فالذي ينفيه في موضع ليس هو الذي يثبته في موضع آخر، ولكن هؤلاء الضلال يجعلون المنفي عين المثبت، فيكون مايضاف إلى الرب بطريق التوحيد؛ يضاف إلى غيره بطريق السبب والحكمة، ولهذا قالوا: إن كل مايطلب من ا لله؛ يُطلب من غيره(بهذا الطريق)(٢).

فأشركوا في ربوبية ا لله ، وفي دعاء ا لله وعبادته، حيث جعلوا مايضاف إلى المخلوق يضاف إليه تعالى، فصار حقيقة قولهم أن المخلوق تضاف إليه مفعولات ا لله كلها، ويطلب منه مقدورات الرب كلها؛ لما في الخلق من السبب والحكمة، و لم يعلم هؤلاء الجهال أن السبب لايستقل بالتأثير، بل تأثيره متوقف على سبب آخر وله موانع؛ وحينئذ فلا يجوز تخصيصه بالإضافة إليه، وإن كان سبباً، وأيضا فالأسباب التى نعرفها مضبوطة، وأكثر مافعله ا لله ويفعله لانعرف نحن أسبابه، وأيضا أثبتوا أسباباً في خلقه وأمره ونهيه ماأنزل ا لله بها من سلطان، بل إثباتها /مخالف للشرع والعقل، فضلوا في إثبات أسباب لاحقيقة لها، وفي[الإضافة](٣) إليها، وفي تعليق الحوادث كلها[بسبب](٤)

٥٧

١-كذا في جميع النسخ والصواب أخرى.

٢-مابين القوسين في (ف) (بطريق) وبعدها بياض بقدار كلمة ، وفي (د) بياض بمقدار كلمة ، وفي (ح) بياض بمقدار كلمتين، وليس في الكلام سقط.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل إضافة

٤-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) سبب

واحد(١).

١-السبب: في اللغة اسم لما يتوصل به إلى المقصود، وفي الشـريعة: عبـارة عمـا يكـون طريقا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه. التعريفات للشـريف الجرجـاني ص١١٧.
وقد اختلف المسلمون في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب.
الأول: الفلاسفة والمعتزلة، والذين اعتمدوا علـى الأسـباب، فالمعتزلـة مثـلا جعلـوا العمل الصالح سببا للثواب، والفلاسفة جعلوا العلة سبباً في وجود المعلول.
الثاني: الجهمية ومـن تـابعهم مـن الأشـاعرة والماتريديـة والذيـن أنكـروا الأسـباب والحكمة والعلل والغايـات، وأشـهر مـن أنكـر الأسـباب أبـو حـامد الغـزالي، فـلا يقولون بتأثير الأسباب ولا بالتعليل، فلا مؤثر في الوجود إلا ا لله، والتأثير إنمـا هـو عند الأسباب لابها.
وعلى هذا زعم بعضهم: أن أحدهم إذا طلب شيئاً من نبي أو ولي فا لله هو المعطـي لمن سأل عند الطلب، ومن أسند التأثير لغـير ا لله فقـد أشـرك. وانطلاقـاً مـن هـذا زعموا أن النار ليست سببا في الإحراق، والأكل ليس سببا في الشبع وغير ذلك.
الثالث: مذهب السلف فقـالوا: الالتفـات إلى الأسـباب شـرك في التوحيـد، ومحـو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل، والإعراض عن الأسـباب بالكليـة قـدح في الشرع.
وا لله -سبحانه- ربـط الأسـباب بمسبباتها شرعاً وقـدرا، والشـرع كلـه أسـباب ومسببات، وهو سبحانه الذى جعـل هـذا سـببا لهـذا، ومجرد الأسباب لايوجـب حصول المسبب، فلابد من تمام الشروط، وزوال الموانـع، وكـل ذلـك بقضـاء ا لله وقدرة. انظر شرح الأصول الخمسة ص٦١٤ وتهافت الفلاسفة للغـزالي تحقيـق د. سليمان دنيا ص٢٣٩-٢٥١ (الطبعة السادسة الناشر دار المعارف القاهرة – مصر) والحجة في بيان المحجة وشرح عقيـدة أهـل السنة إمـلاء قـوام السنة أبـي القاسـم الأصبهـاني تحقيـق محمـد ربيع المدخلي جـ٢/٥٢-٥٥ الطبعـة الأولى ١٤١١هـ الناشـر دار الرايـة – الريـاض السـعودية ومـج جـ٨/٧٠، ١٧٥، ٤٦٦، وشـرح الطحاوية ص٤٦٠ وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/٦٢٨.

--

وقد حدثني بعض الثقات عن هذا الشخص[١] أنه كان يقول: إن النبي ﷺ علم مفاتيح الغيب التى قال فيها النبي ﷺ[٢] «**خمس لايعلمها إلا ا لله: إن ا لله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم مافي الأرحام، وماتدري نفس ماذا تكسب غدا، وماتدري نفس بأي أرض تموت**»[٣] وأظنه ذكر عنه أنه قال «علمها بعد أن أخبر أنه لايعلمها إلا ا لله».

دعوى الشاذلي

وآخر من جنسه يباشر التدريس ويُنسب إليه ألفتيا كان يقول: (إن النبي ﷺ يعلم مايعلمه ا لله[٤]، ويقدر على مايقدر عليه ا لله،

وعلى كل فإن مسألة الأسباب سواء قلنا فيها بقول السلف أم غيرهم لاتعلق لها مع الدعاء والعبادة، فإن ذلك من خصائص ا لله -تعالى- باتفاق العقلاء وأهل المعرفة، كما أن الأشاعرة القائلين بعدم تأثير الأسباب لايقولون بجواز عبادة غير ا لله، فلا يسجد لغير ا لله، ولا يذبح لغير ا لله، ولا ينذر لغير ا لله، ولا يحلف بغير ا لله، ولا يستغاث بغير ا لله. انظر غاية الأماني في الرد على النبهاني جـ٢/٣٥٥.

قلت : ولكن بعضهم وبالذات متأخريهم وقعوا في هوة الشرك أو وسائله .

١-أي البكري.

٢-في هامش (د) في نسخه «تكذيباً لقوله ولقول غيره ورداً عليهم».

٣-أخرجه البخاري في(كتاب الاستسقاء، باب لايدري متى يجيئ المطر إلا ا لله) جـ١/٣١٠ رقم ١٠٣٩. ومسلم في (كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام ولإحسان) جـ١/٣٩ رقم ٩ واللفظ له. وهو قطعة من حديث جبريل عن أبي هريرة -رضي ا لله عنه- وأوله «كان رسول ا لله ﷺ بارزاً يوماً للناس ... الحديث ».

٤-يدّعِي زنادقة الصوفية هذه الدعوى ليس حباً للنبي ﷺ أو تعظيماً له كما يدعون،بل ليثبتوا بها أمراً آخر خاصًّا بهم يقول الشعراني:اعلم أن رسول ا لله ﷺ أُعطي القرآن مجملاً قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور، فقيل له لاتعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل فتلقيه على الأمة مجملا فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله ﴿**وقل**

--

وأن السر انتقل بعده إلى الحسن ثم انتقل في ذرية الحسن إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي)[1] وقالوا هذا مقام القطب الغوث الفرد

ربي زدني علماً﴾ أي بتفصيل ماأجمل من المعاني في التوحيد والأحكام.... ويقول ما بقي للأولياء إلا وحي الإلهام على لسان ملك مغيب لايشاهد فيعلمهم بصحة حديث قيل بتضعيفه أو عكسه من طريق الإلهام من غير شهود للملك إذ لايجمع بين شهود الملك والجاحدين ا.هـ. الكبريت الأحمر بهامش اليواقيت والجواهر لعبدالوهاب الشعراني ص٦ طبعة ١٣٧٨هـ الناشر شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

وقال: وقد أخبرنا ﷺ بأنه أوتي علم الأولين والآخرين، ونحن الآخرين بلا شك، وقد عمم محمد ﷺ الحكم في العلم الذى أوتيه فيشمل كل علم منقول ومعقول ومفهوم وموهوب ا.هـ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر لعبدالوهاب الشعراني جـ٢/٣٩ طبعة ١٣٧٨هـ الناشر شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وبهامشه الكبريت الأحمر.قلت (كذب الشعراني لم يخبرﷺ بشيء من ذلك) وقال إنه ﷺ تعرف نبوته قبل خلق آدم.ا.هـ اليواقيت والجواهر جـ٢/١٨. هذا كلام الصوفية من كتبهم التى ذكر مؤلفها أنها في عقائدهم .

١- هو أبو الحسن علي بن عبدا لله بن عبدالجبار الشاذلي المغربي، نسبه أتباعه ومريدوه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب -رضيا لله عنه- كعادة أهل كل طريقة صوفية، ينسبون إمامهم إلى آل البيت ولو كان من غير العرب أصلاً. واختلف مريدوه في أسماء أبائه، فالبعض ينسبه إلى إدريس بن عبدا لله وبعضهم إلى غيره، بل نسبه الجامي في نفحات الأنس إلى الحسين، لا الحسن -رضيا لله عنهما- و لم يذكر الشعراني وهو من المتعصبين له والغلاة فيه هذا النسب المدعى، وا لله أعلم بحقيقة الحال. خلف عدداً من الأحزاب منها حزب البر، والبحر وغيرها. ادعى لنفسه مرتبة القطب الغوث الجامع ووصفه بها اتباعه.

ألف عبدالحليم محمود في ترجمته وطريقته بعد أن أتبعها فبالغ في المديح والإطراء وزاد على النصارى في غلوهم وضلالهم، وادعى له كرمات (ظنها كذلك) لايليق

--

الجامع[1].

بمسلم أن يتكلم بها فضلاً عن أن يدعيها. انظر: الطبقات الكبرى وبهامشها الأنوار القدسية كلاهما للشعراني جـ٢/٤ وما بعدها الطبعة الأولى ١٣٤٣هـ والأعلام جـ٤/٣٠٥ والمدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي تأليف د.عبدالحليم محمود ص٢٠ طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة – مصر وما بعدها ودائرة المعارف الإسلامية ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرين (جـ١٣/٥٦) مادة الشاذلي ودراسات في التصوف تأليف إحسان إلهي ظهير ص٢٣٥ وما بعدها.

ونقل عن أبي الحسن الشاذلي دعوى هذا العلم المزعوم تلميذه أحمد أبو العباس المرسي قال وكان يقول –أي أبو الحسن–: وا لله ما كان اثنان من أصحاب هذا العلم في زمن واحد قط إلا واحداً بعد واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب –رضي ا لله عنه– وكان يقول لاأعلم أحداً اليوم يتكلم في هذا العلم غيري على وجه الأرض ا.هـ. الطبقات الكبرى للشعراني جـ٢/١٣.

١–القطب الغوث الفرد الجامع: القطب عرفه الصوفية: بأنه عبارة عن رجل واحد هو موضع نظر ا لله –تعالى– من العلم في كل زمان، يسمى غوثاً أيضاً باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو خلق على قلب محمد ﷺ ويسمى بقطب الأقطاب، وقطب العالم، والقطب الأكبر، وقطب الإرشاد، وقطب المدار. انظر معجم مصطلاحات الصوفية تأليف د. عبدالمنعم الحفنى ص٢١٧ حرف القاف.

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى جـ٢٧/٩٦ عن (القطب الغوث الفرد الجامع): فهذا يقوله طوائف من الناس ، ويفسرونه بأمور باطله في دين الإسلام مثل تفسير بعضهم أن «الغوث» هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم، وهذا من جنس قول النصارى في المسيح –عليه السلام– والغالية في علي وهذا كفر صريح، يستتاب منه صاحبه فإن تاب وإلا قتل .ا.هـ. وقال عبدالرحمن الوكيل في "هذه هي الصوفية" ص١٢٤: القطب وأعوانه أسطورة خرافية، تنزع إلى تجريد ا لله من الربوبية والألهية، وخلعها على كل وهم باطل سمى في الفلسفة: "العقل الأول" وفي النصرانية "الكلمة" وفي الصوفية "القطب".

ذكر بعض مقولات الصوفية

وكان شيخ آخر معظم عند أتباعه يدّعي هذه المنزلة ؛ ويقول: إنه المهدى الذى بشّر به النبي ﷺ وأنه يزوج عيسى بابنته، وأن نواصي الملوك والأولياء بيده، يولي من يشاء ويعزل من يشاء، وأن الرب يناجيه دائماً، وأنه هو الذى يمد حملة العرش وحيتان البحر، وقد عزرته تعزيراً بليغاً في يوم مشهود بحضرة من أهل المسجد الجامع يوم الجمعة بالقاهرة، فعرفه الناس وانكسر بسببه أشباهه من الدجاجلة.

٥٨

ومن هؤلاء من يقول في قوله تعالى ﴿**إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا * لتؤمنوا با لله ورسوله/ وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا**﴾ [سورة الفتح:٨-٩][1] إن الرسول هو الذى يسبح بكرة وأصيلا[2]. ومنهم من يقول أسقط الربوبية وقل في الرسول ماشئت:

دع مادعَتْـهُ النصارى في نبيهم	**واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم**
فإن فضلَ رسول ا لله ليس له	**حدٌّ فيعربُ عنه ناطقٌ بفم**[3]
وانسبْ إلى ذاته ماشئت من شرف	**وانسب إلى قدره ماشئت من عظم**
لوناسبت قدره آياته عِظَماً	**أحيا اسْمُه حين يُدعى دارسَ الرمم**[4]

١-في (د) يقول وهي زيادة.

٢-ومرادهم يسبحون للرسول بكرة وأصيلا، وقد اجمع أهل التأويل على بطلان ذلك. قال ابن جرير في تفسيره جـ١١/٣٣٨: وقوله ﴿**وتسبحوه بكرة وأصيلا**﴾ يقول تصلوا لله بالغدوات والعشيات، والهاء في قوله ﴿**وتسبحوه**﴾ من ذكر ا لله وحده دون الرسول. وقد ذُكر ذلك في بعض القراءات:«وتسبحوا ا لله بكرة وأصيلا» وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

٣ -في(ف) بقم وهو خطأ.

٤-هذه الأبيات من قصيدة محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري، المعروفة "بالبردة" والتى مطلعها:

--

ومنهم من يقول : نحن نعبد الله ورسوله فيجعلون الرسول معبودا.

ومنهم من يأتي قبر الميت الرجل أو المرأة -الذى يحسن به الظن لنفسه- فيقول اغفر لي وارحمني، [ولاتوقعني][1] على زلة ، [ولاتوقفني على خطيئة] [2]، ونحو هذا الكلام يرد إلى أمثال هذه الأمور التى تتخذ(المخلوق إلها)[3]، ولما استقر في نفوس عامتهم تجد أحدهم إذا

أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعا جرى مع مقلة بدم

وفيها تقدم البيت الثالث على الثاني انظر ديوان البوصيري تحقيق محمد سيد كيلاني ص١٩٣الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ الناشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

ولا يخفى مافي هذا الكلام من الغلو، فإن من جملة معجزاته ﷺ القرآن العظيم، وهو كلام الله، منه بدأ وإليه يعود، فكيف يحل لمسلم أن يقول: إن القرآن لايناسب قدر النبي ﷺ بل هو منحط عن قدره، وهو كلام الله -تعالى- صفة من صفات الرب تعالى، ثم إن اسم الله الأعظم وسائر أسمائه الحسنى إذا ذكرها الذاكر لم تحي دارس الرمم. وقد ذهب المتعصبون للناظم في كل واد من أودية التأويل. وقد أنكر أهل العلم على الشاعر منذ عصره إلى اليوم. انظر غاية الأماني في الرد على النبهاني جـ٢/٣٥٠ والتوضيح عن توحيد الخلاق ص٣٢٠ والعقيدة السلفية تأليف محمد عبدالرحمن المغراوى القسم الخامس الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار المنار الرياض ص ١٣٩ وما بعدها.

وقائل هذه القصيدة شاعر وليس من أهل الفقه أو العلم، وأيضاً فقد كان يمدح ذوي السلطان فمدح المماليك مدحاً فيه غلو كبير، وهجا العرب هجاء مرا. انظر مقدمة ديوان البوصيري تحقيق محمد سيد كيلاني ص٥-١١.

١-كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) لاتوقعني.

٢-مابين المعوقتين من (د) و سقط من الأصل و(ف) و(ح).

٣-في (د) المخلوق فيها إلها..

سئل عمن[١] ينهاهم عن هذا، مايقول هذا؟ فيقول: فلان عنده ماثَمَّ إلا الله لِمَا استقر في نفوسهم، (أنهم يجعلون معه آلهة أخرى)[٢] وهذا كله وأمثاله وقع ونحن بمصر. (وآخر يقول هذا معظماً لمن ينهى عن هذه الأمور حيث إنه عنده ما ثم إلا الله)[٣] وآخر يقول معظماً لمن يدعو إلى التوحيد، قد جعل الآلهة إلهاً واحدا.

والمقصود هنا أن نبين خطأه فيما ذكر عن الله -تعالى-[٤] من أنه ينفي الأشياء إشارة إلى التوحيد، ويثبتها اعتباراً بالأسباب. ونبين أنه سبحانه لاينفي ما يثبته ولايثبت مانفاه.

النصر الذي أثبته الله لنفسه لم يثبته لغيره قط

أما قوله تعالى ﴿**وما النصر إلا من عند الله**﴾[سورة آل عمران:١٢٦] فهذا النصر المنفي في هذه الآية عن غير الله لم يثبته الله لغيره / قط، والذى ذكره في قوله ﴿**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر**﴾ [سورة الأنفال:٧٢] ليس هذا هو ذاك، يبيّن هذا أنه قال ﴿**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة ءالاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة ءالاف من الملائكة مسومين * وما جعله الله إلا بشرى لكم**

٥٩

١-في (ف) عن من.

٢-مابين القوسين سقط من (د).

٣-ما بين القوسين سقط من (د).

٤-(تعالى)سقطت من (د).

ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند ا لله العزيز الحكيم﴾(١) [سورة آل عمران:١٢٤-١٢٦] وقال تعالى **﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين * وما جعله ا لله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند ا لله إن ا لله عزيز حكيم﴾** (٢) [سورة الأنفال :٩-١٠]، فهو سبحانه قد أمدهم بالملائكة، ومعلوم أن نصر الملائكة لهم أعظم من [النصر](٣) الذى أُمروا به في قوله **﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾** [سورة الأنفال:٧٢] فإن هؤلاء غاية مايفعلونه دون ماتفعله الملائكة، ثم بيّن أنه وإن نزلت الملائكة وقاتلت ؛ فالنصر لايحصل بمجرد هذا؛ إن لم يحدث ا لله مابه ينتصر المؤمنون؛ وذلك لأن المقاتل من الملائكة والبشر غاية قدرته نفسه، وأما مايتولد عن ذلك فهو لايستقل به.

نزاع الناس في المتولدات

والناس متنازعون في هذا، فكثير من النظار المثبتين للقدر يقولون: إن جميع المتولدات فعل ا لله، ليست فعلاً للعباد، مثل الشبع والري وانقطاع العضو، وخروج السهم من القوس(٤).

١-الآية (١٢٥) من (ح) وسقطت من الأصل و(ف) وفي (د) **﴿بلى إن تصبروا وتتقوا﴾** إلى أن قال **﴿وما النصر إلا من عند ا لله العزيز الحكيم﴾**.

٢-الآية سقطت من (ف).

٣-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (نصر).

٤-مذهب الأشاعرة ومن وافقهم في هذه القضية ينبني على مذهبهم في خلق أفعال العباد، فإذا كان عندهم أن فعل العبد فعل ا لله حقيقة وللعبد مجازا، فمن باب أولى الفعل المتولد ولذلك جعلوا الفعل المتولد فعلا لله -تعالى- وردوا على المعتزلة.

وأما القـدرية فيقول أكثرهم إنها مفعـول[فاعل][١] السبب، ويقسمون الأفعال إلى مباشر ومتولد؛ لكنهم مع هذا يعلمون أن الفعل لايتم بمجرد قدرة العبد، بل بأمور خارجة عن قدرته [٢].

وقالت الطائفة الثالثة: إن هذه المتولدات حادثة بفعل العبد وبالأسباب الأخرى، فالعبد مشارك فيها؛ لم ينفوا أثره كما نفاه الأولون، ولا جعلوه فاعلاً/ كالأخرين، بل جعلوه مشاركاً فيها، وهذا ٦٠ أعدل الأقوال[٣]. ولهذا فرّق الله -تعالى- بين الأعمال المباشرة والمتولدة في قوله -تعالى- **﴿ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولانصب ولامخمصة في سبيل الله ولايطئون موطئاً يغيظ الكفار ولاينالون من عدوّ**

انظر: الإرشاد للجويني ص٢٠٦ والمواقف في علم الكلام للإيجي ص٣١٦ طبعة عالم الكتب بيروت - لبنان وشرح المقاصد جـ٤/٢٧١-٢٧٣.

١-كذا في(د) وفي الأصل و(ف) و(ح) وفاعل بزيادة واو.

٢-أختلف المعتزلة في المتولدات فمنهم من علقها بالطبع كالجاحظ (أي بطبع الإنسان)، ومنهم من قال إنها تحدث في الجمادات تحصل فيها بطبع المحل وذهب إليه النظام ومعمر (أي بإيجاب الخلقة)، وقال ثمامة أفعال التولد لامحدث لها عدا الإرادة. وأكثر المعتزلة قسموا أفعال التولد إلى قسمين:

القسم الأول : ماتولد من غير الحي كحرق النار واختلفوا فيه فقال بعضهم فعل الله وقال آخرون فعل الطبيعة وقال فريق ثالث أفعال لافاعل لها.

القسم الثاني: ماتولد من الحي فقالوا من فعل الإنسان. انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص٣٨٧-٣٩٠ والملل والنحل جـ١/٧١، والمعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها تأليف عواد المعتق ص ١٨٤ وما بعدها النشرة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

٣-انظر الفصل لابن حزم جـ٣/١٣٦.

نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ الآية[١] ثم قال ﴿ **ولاينفقون نفقة صغيرة ولاكبيرة ولايقطعون وادياً إلا كتب لهم﴾** [سورة التوبة:١٢٠-١٢١] فلما كان الإنفاق والسير عملاً مباشراً قال فيه ﴿**كتب لهم**﴾، وتلك الأمور من النصب والجوع وغيظ الكفار والنيل من العدو[ليس][٢] مباشراً، بل هو مما يسمى متولداً، فلهذا قال فيه ﴿**إلا كتب لهم به عمل صالح**﴾ لأنهم مشاركون في حصول هذه الآثار، وحصول هذه الآثار لابد فيه من الأسباب التى يخلقها ا لله، ومن دفع الموانع، فلا تجوز أن تجعل مفعولة لسبب معين، بل هي مفعولة لله – تعالى–، وانتصار المؤمنين على الكفار هو أعظم من النيل الذى ينال من العدو، فإذا لم يكن هذا مفعولاً لمخلوق فكيف يكون النصر .

وهب أن الملائكة نزلت بقذف الرعب في قلوب الكفار كما قال – تعالى– ﴿**إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب**﴾ [سورة الأنفال:١٢]، وأيضا فهب أن الملائكة حضروا فمن الذى يخلق القدرة فيهم وفي المؤمنين، والقدرة التي بها يكون الفعل أكثر؛[لاتكون][٣] إلا مع الفعل، وهب أن القدرة حصلت فمن يخلق الأسباب الخارجة؛ كقبول الجلود للجرح؛وحصول الزهوق بعد الجرح والهزيمة المستمرة إذ يمكن أن الكفار يفرون ويكرون، ويمكن أنهم يقاتلون حتى يقتلوا؛ فلا

١–تكملة الآية ﴿**إن ا لله لا يضيع أجر المحسنين**﴾.

٢–كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) وليس بزيادة (واو).

٣–كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) لايكون.

٦١ يقتل منهم واحد / حتى يقتل غيره.

فالنصر الذي قال الله -تعالى- فيه ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ [سورة آل عمران:١٢٦] لايقدر عليه ملك مقرب ولانبي مرسل، ولايقدر عليه إلا الله ، ليس في الموجودات سبب يحصل به هذا النصر ولاموجب له إلا مشيئة الله، فماشاء كان وما لم يشاء لم يكن، فإن كل مايكون لسبب فلابد من حصول سبب آخر، ومن رفع موانع ثم خلق الأسباب.

ورفع الموانع لابد أن يُحدِثَ هو سبحانه ذلك الأثر بفعل منه، على أصح قولي الجمهور الذين يقولون: إن الخلق غير المخلوق، فإن هؤلاء لهم قولان: [هل][1] يخلق بفعل واحد قديم يوجد جميع الموجودات؟ أم هو يوجد به المفعولات بأفعال متعاقبة، كما قال -تعالى- ﴿خلقاً من بعد خلق﴾ [سورة الزمر : ٦] على قولين[2] ومن قال بالثاني قال:إن

الخلق هل هو بفعل واحد قديم أم بأفعال متعاقبة

١-كذا في (د) وسقطت من الأصل و(ف) و(ح)

٢-سبق الكلام على أصل هذه المسألة في الهامش رقم ١٧٥ وهي مسألة طويلة، وفيها اضطربت رؤوس أهل النظر والفلسفة والكلام.

وكما سبق بيانه فإن المتكلمين لما استدلوا بدليلهم على حدوث العالم، اقتضى نفي صفات الفعل عن الله -تعالى-، وأن التسلسل ممتنع، وبنوا عليه أصلاً آخر وهو القول بامتناع حوادث لا أول لها، واحتجوا على ذلك بدليل لهم سموه: برهان التطبيق.

وبناء على ذلك قالوا: إن الله -تعالى- لم يكن قادراً على الفعل في الأزل ثم صار قادرا، أو بمعنى آخر قالوا: إن الفعل كان ممتنعاً عليه ثم صار ممكنا، ولجأوا إلى هذا ليسلم لهم القول بحدوث العالم، لأنه لو قيل بجواز أن يكون قادراً على الفعل قبل يكون الصانع موجباً بذاته وعلة أزلية مستلزمة لمعلولها،ومع قوله أن كل مالا يسبق

....

ذلك؛ لأدى ذلك إلى صحة القول بقدم العالم، لأنه مامن زمن يفترض فيه خلق العالم إلا وجائز أن يقع قبله، لأن الله أزلي وهذا ممتنع.

واختلف أهل الكلام في التسلسل في الآثار مع إجماعهم على منعه في الماضي، على قولين:

أحدهما: منعه في الماضي والمستقبل، وهذا قول الجهم والعلاف.

الثاني: منعه في الماضي وتجويزه في المستقبل، وهذا قول أكثر أهل الكلام.

وذهب أهل السنة والحديث إلى جوازه فيهما، أي في الماضي والمستقبل واعترض على المتكلمين في قولهم بجواز دوام في المستقبل دون الماضي، بأنه لادليل على التفريق بينهما ، وقد اعترض الفلاسفة على المتكلمين وغيرهم باعتراضين:

الأول: إن القول: بأنه تعالى لم يكن قادرا ثم صار قادرا، ترجيحا لأحد طرفي الممكن بلا مرجح، والترجيح لابد له من مرجح تام يجب به، كما أن القول بوجود سبب يقتضي الترجيح يحتاج إلى سبب آخر وهكذا إلى غير نهاية فليزم التسلسل وهو ممتنع عندكم.

وأجاب أهل الكلام عن اعتراض الفلاسفة بإجابات غير مفيده وبعضها متناقض فقالوا: إن المرجح عندهم هو الإرادة القديمة أو القدرة، أو العلم القديم، أو إمكان الحدوث أو غير ذلك.

الاعتراض الثاني: أن المؤثر التام يستلزم أثره، والعلة التامة تستلزم معلولها، ولذا قال الفلاسفة بقدم العالم لأن العلة التامة الأزلية يجب أن يقارنها معلولها، وهذه من أعظم أدلتهم على قدم العالم.

وأجاب أهل الكلام بأن المؤثر التام يجوز وقد يجب أن يتراخى عنه أثره، وهذا باطل لأنه يلزم منه أن يصير المؤثر مؤثراً تاما بعد أن لم يكن مؤثرا تاما بدون سبب حادث، وأن الحوادث تحدث بدون سبب حادث وأن الممكن يترجح وجوده على عدمه بدون المرجح التام أو غير ذلك وكله باطل.

....

وبسبب هذه الاجوبة الضعيفة من المتكلمين تسلط عليهم الدهرية القائلون بقدم العالم.

وكما سبق بيانه فإن دليل المتكلمين على الحدوث أدى بهم إلى هذه الشناعات.

أما موقف أهل السنة والحديث فقالوا:

١ـ القول الحق في مسألة التسلسل في الآثار هو جوازه في الماضي والمستقبل وهو مذهب أهل السنة وأئمة السلف، وإن وافقهم الفلاسفة فيتميز مذهب أهل السنة عنهم بما يلي:

أ- أن أهل السنة يصفون الله بصفات الكمال، أما الفلاسفة فينكرون الصفات جميعها، ولذلك آلت أقوالهم في التسلسل إلى القول بقدم العالم.

ب- أن أهل السنة يفرقون بين النوع والآحاد من المفعولات، فالفلاسفة قالوا بقدم الآحاد، وأهل السنة قالوا بقدم النوع أو الجنس، ومعنى قدم النوع أو الجنس أن الله لم يزل فاعلا، خالقا، متكلما، إذا شاء متى شاء.

٢ـ أن قول أهل الكلام في العلة التامة بأنه يجب أن يتراخى عنها معلولها غير صحيح، وكذلك قول الفلاسفة أن العلة التامة يجب أن يقارنها معلولها، والصواب مذهب أهل السنة وهو أن التأثير التام من المؤثر يستلزم الأثر فيكون عقبه، ولا مقارنا له، ولا متراخيا عنه، كما يقال: كسرت الإناء فانكسر، وكما قال تعالى ﴿كن فيكون﴾ [سورة:يس:٨٢] فإذا كان كون شيئاً كان عقب تكوين الرب له، لايكون مع تكوينه ولا متراخيا عنه. ا. هـ . من كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة ج٣/٩٩٦

والخلاصة: أن من سلك الطرق النبوية السامية علم أن العقل الصريح مطابق للنقل الصحيح، وقال بموجب العقل في هذا وهذا، وأثبت ماأثبتته الرسل من خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأن الله خالق كل شئ وربه ومليكه، ولم يجعل شيئا سوى الله قديما معه، بل كل ماسواه محدث كائن بعد أن لم يكن، مع قوله إن ترجيح أحد المتماثلين على الآخر لايكون إلا بمرجح،ولافرق في ذلك بين مرجح ومرجح، ومع قوله ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن،ومع إثباته حدوث

--

المؤثر التام يستلزم الأثر التام، وإلا لزم الترجيح بلا مرجح فإن الفاعل إذا كان قبل حدوث المفعول وحين حدوثه على حال واحدة؛ كان تخصيص أحد الحالين بحدوث المفعول ترجيحاً لأحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح، وهذا ممتنع في صريح العقل.

كل ماسوى الله بالبرهان العقلي الصريح الذى لايحتاج معه إلي تعجيز الله في الأزل عن الفعل، وإلى أن يقول إنه لم يكن الفعل ممكنا ثم صار ممكنا من غير حدوث شئ ومن غير أن يحتاج إلى أن يجعل الحوادث تحدث بلا سبب أصلا، ومع إبطاله أن الحوادث من الممكنات فإنه لايكون إلا حادث بها لامتناع دوام الحوادث، بل لامتناع صدور المحدثات، وما لايتقدم عن موجب بالذات، وإذا بطل الموجب بالذات لزم حدوث كل ممكن، فإن قدم شئ من الممكنات لايكون إلا إذا كان له موجب تام أزلي، وإذا امتنع شرط القدم لشيء من الممكنات امتنع قدم شئ من الممكنات. والله أعلم.

انظر: تهافت الفلاسفة ص٩٦ وما بعدها، ودرء التعارض جـ١/٣٢٠-٣٢٢، جـ٣/٦٣-٦٤، وجـ٨/٢٧٠، ٣٤٥-٣٤٦، جـ٩/١٤٧-١٤٨،١٨٥، والصدفية لابن تيمية تحقيق د.محمد رشاد سالم جـ١/١٠-١١، ٢٢-٢٧،٥٠ الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومج جـ١٢/٤٥، وشرح حديث عمران بن الحصين - مج١٨/٢٢٤-٢٢٥، وغاية السول في شرح مناهج الأصول للقاضي البيضاوي تأليف جمال الدين الاسنوي ومعه حواشيه المسماة "سلم الوصول لشرح نهاية السول" تأليف الشيخ محمد بخيت مطيع مفتى الديار المصرية سابقا جـ٢/١٠٣ (طبعة دار عالم الكتب بيروت - لبنان) وقد نصروا القول بحوادث لاأول لها، والتسلسل في الآثار، وهم من كبار علماء المتكلمين، وابن تيمية السلفي تأليف الشيخ محمد خليل هراس ص١٥٣-١٦٨ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/٩٩٦ وما بعدها، ودفع الشبه الغوية عن شيخ الإسلام ابن تيمية تأليف مراد شكري ص٢٢ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

فالأثر لايوجد إلا إذا حصل مؤثره التام، فإنه بدون تمامه لايكون مؤثراً، فلا يحصل الأثر، وإذا تم وجب حصول الأثر، إذ لو لم يجب لأمكن وجوده؛ وأمكن عدمه، فكان [١] يتوقف على حدوث شيء آخر فلا يكون المؤثر تاماً، وهؤلاء يقولون: [إن][٢] القدرة مع الفعل،[وكذلك الإرادة، وسائر مايتوقف عليه الفعل][٣]، وإن كان بعض ذلك قد يتقدم عليه ويبقى إلى حين حصوله، لكن لابد من وجوده معه؛ وهذا الفعل[الذي هو][٤] تكوين الرب ، خارج عن جميع الأسباب المخلوقة.

٦٢

الهداية المنفية ليست هي الهداية المثبتة

وأما قوله ﴿**إنك لاتهدى من/ أحببت**﴾ [سورة القصص:٥٦] مع قوله ﴿**وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم**﴾ [سورة الشورى:٥٢]، فقد اتفق المسلمون عل أن تلك الهداية المنفية ليست هي الهداية المثبتة له، لانزاع في هذا بين أهل السنة والقدرية.

وأما الهداية الثابتة[٥] فهي الدعوة والبيان وهذا[٦] يشترك فيه من يحبه ومن لايحبه، فإن عليه البلاغ المبين، وقد بلّغ ﷺ البلاغ المبين، وقال في آخر عمره في حجة الوداع «**اللهم هل بلغت**» قالوا:نعم، قال«**اللهم**

١-كذا في جميع النسخ والصواب (فإن كان).

٢-كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٣-مابين المعقوفتين من (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

٤-ما بين المعقوفتين من (د) وسقط من الأصل و(ف) و(ح).

٥-في (ط) (المثبتة).

٦-كذا الأصل و(ف) و(ح) وفي (د) وهذه.

اشهد»[١]، ونظير هذا قوله تعالى ﴿**وأما ثمود فهديناهم**﴾ [سورة فصلت:١٧] وقوله ﴿**فقالوا أبشر يهدوننا**﴾ [سورة التغابن:٦] وقال تعالى ﴿**ولكل قوم هاد**﴾ [سورة الرعد:٧]، والهداية[٢] هي الدلالة والإرشاد، بكلامه وبعلمه وأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه، وأما حصول الهدى في القلب فهذا لايقدر عليه [إلا الله][٣]، باتفاق المسلمين سنيهم وقدريهم[٤].

أقوال الفرق في هدى القلب

أما أهل السنة فيقولون: إن الاهتداء الذى في القلب لايقدر عليه إلا الله، ولكن العبد يقدر على أسبابه وهو المطلوب منه بقوله تعالى ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ [سورة الفاتحة:٦]، وهو المنفي [عن][٥] الرسول بقوله ﴿**إنك لاتهدي من أحببت**﴾ [سورة القصص:٥٦] وقوله ﴿**إن تحرص على هداهم فإن الله لايهدى من يضل**﴾

١-أخرجه البخاري في (كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى) جـ١/٥١٣ رقم ١٧٣٩ وطرفه ٧٠٧٨ ومسلم في (كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال) جـ٣/١٣٠٥ رقم ١٦٧٩ وأبو داود في (كتاب الخراج والإمارة، باب في كراهية الاقتراض في آخر الزمان) جـ٣/٣٦٢-٣٦٣ رقم ٢٩٥٨ و اللفظ له من حديث ذو الزوائد من أصحاب النبي ﷺ وأوله «سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع ...الحديث».

٢-في (ف) فالهداية، وفي (د) و(ح) فإن الهداية.

٣-كذا في (ف) وفي (د) أحد، وتأخر في الأصل عن هذا الموضع إلى نهاية الجملة، وسقط من (ح).

٤-في الأصل (إلا الله) وفي هامش (د) وأصل (ط) : (لإن أحداً لايستطيع أن يهدى القلوب، ويخلق الهدى فيها غير الله).

٥-كذا في (ح) و(ط) وفي الأصل و(ف) و(د) من.

[سورة النحل:٣٧]، وقوله ﴿**ليس عليك هداهم ولكن ا لله يهدى من يشاء**﴾ [سورة البقرة :٢٧٣]. وأما القدرية فيقولون: إن ذلك مقدور للعبد(١).

١- الهداية عند أهل السنة أربعة أقسام: الأول: الهداية إلى مصالح الدنيا، وهذا مشترك بين الحيوان والإنسان والمؤمن والكافر.

الثاني: الهدى بمعنى دعاء الخلق إلى الدين الحق وهذا القسم هو الذى ذكره المؤلف أعلاه.

الثالث: هدى التوفيق والإلهام، الذى هو جعل الهدى في القلوب وهذا القسم أخص من القسم السابق، وهذا القسم ضل فيه المعتزلة من القدرية وكذلك الجبرية. فقد فسر القدرية هذا القسم بالقسم الثاني هدى البيان العام والتمكن من الطاعة والاقتدار عليها، وقالوا لو أفرد المؤمنين بتوفيق وقع به الإيمان منهم والكفار بخذلان امتنع به الإيمان لكان عندهم ذلك ظلماً ومحاباة. وأثبتوا القدرة السابقة للفعل، وهي الاستطاعة المشروطة في التكليف و لم يعرفوا غيرها ولذلك عندهم العبد يهدي نفسه.

وقابلهم الجبرية ببدعة أخرى فأنكروا الأسباب والقوى وأنكروا فعل العبد وأن يكون له تأثير في الفعل ألبتة، وأثبتوا قدرة واحدة مقارنة للفعل. وهدى ا لله أهل السنة للحق فأثبتوا كلا النوعين من الاستطاعة، الاستطاعة الأولى التي قبل الفعل، والثانية المقارنة للفعل. وهذا القسم يستلزم أمرين: أحدهما فعل الرب -تعالى- وهو الهدى، والثاني فعل العبد وهو الاهتداء، وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادي والعبد المهتدي.

والرابع: الهدى في الآخرة كما قال تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾[سورة يونس:٩] وغيرها من الآيات وهذا الهدى ثواب الاهتداء في الدنيا، كما أن ضلال الآخرة جزاء ضلال الدنيا.انظر مج (جـ١٨/١٧١) وشفاء العليل لأبن القيم (جـ١/١٨١) وما بعدها ولوامع الأنوار البهية للسفاريني جـ١/٣٣٤ والإرشاد للجويني ص٢٣٣.

ولهذا تنازعوا في العلم الحاصل في القلب عقب الاستدلال،فقالت القدرية: هو فعل العبد. وقالت المثبتة: هو مفعول الله كسب للعبد.[١] وتنازعوا في النظر هل هو متضمن له مستلزم له أو مقترن اقترانا / عادياً؟ على قولين مشهورين[٢]، والتحقيق أنه من جملة الأمور التي تسمى المتولدات كالشبع والري والرؤية في العين والسمع في الأذن،

٦٣

١-في جميع النسخ (ونظيره) ويظهر أنها زيادة، ولا يستقيم المعنى بها .

٢-تنازع الناس في حصول العلم في القلب عقب النظر في الدليل: فقالت القدرية: ذلك على سبيل التولد. وقال الأشاعرة: ذلك فعل الله وهم ينكرون التولد وقال الفلاسفة: ذلك يحصل بطريق الفيض من العقل الفعال عند استعداد النفس لقبول الفيض. وقد يزعمون أن العقل الفعال هو «جبريل»

والصواب: أن قول القائلين إن ذلك بفعل الله فهو صحيح بناء على أن الله هو معلم كل علم وخالق كل شئ؛ لكن هذا كلام مجمل ليس فيه بيان لنفس السبب الخاص، وأما قول القائلين بالتولد فبعضه حق وبعضه باطل، فإن كان دعواهم أن العلم المتولد هو حاصل بمجرد قدرة العبد، فذلك باطل قطعا، ولكن هو حاصل بأمرين قدرة العبد ولسبب آخر، كالقوة التي في السهم والقبول الذى في المحل. ولا ريب أن النظر هو بسبب، ولكن الشأن فيما يتم به حصول العلم. وأما قول الفلاسفة إنه بالعقل الفعال: فمن الخرافات التى لادليل عليها. انظر مج جـ٤/ ٣٤-٣٥ ومحصل أفكار المتقدمين للرازي ص٦٦ والمواقف للايجي ص٢٣.

وتنازعوا في النظر هل هو متضمن للعلم مستلزم له أو مقترن اقترانا عادياً ؟ فقال المعتزلة: إنه متولد. وقال الأشاعرة: النظر متضمن للعلم أو موجب له. وقال السلف إذا كان النظر في دليل هادٍ -كالقرآن والسنة- وسلم من معارضات الشيطان تضمن ذلك النظر العلم والهدى. فالناظر في الدليل بمنزلة المترائي للهلال، قد يراه وقد لايراه لعشى في بصره، وكذلك أعمى القلب. أنظر محصل أفكار المتقدمين ص٦٦ والمواقف ص٢٧ومج جـ٤/٣٦-٣٧.

فهي حاصلة بفعل العبد المقدور له[١]، وبأسباب خارجة عن قدرته، ولهذا يثاب عليه لما له في حصوله من التسبب والاكتساب.

الاستعانة لم يثبتها الله لغيره

وكذلك قوله تعالى[٢] ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ [سورة الفاتحة:٥]، فإن هذه الاستعانة[٣] التى يختص بها الله -تبارك وتعالى- لم يثبتها لغيره أبداً، كما أن العبادة له لم يثبتها لغيره أبداً وقوله تعالى ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ [سورة المائدة:٢] ليس ذلك التعاون هو هذه الإعانة المطلوبة من الله، فإن إعانة الله لعبده على عبادته تكون بأمور لايقدر عليها غيره، مثل جعل العلم والهدى في القلب، وجعل الإرادة والطلب في القلب، وخلق القوى الباطنة والظاهرة[٤]، موضع[٥] بناء الأسباب المنفصلة التى [بها][٦] تحصل العبادة. ومعونة الإنسان لغيره إنما هي بفعله القائم في محل قدرته، وهي شئ لايخرج [عنه، وما خرج][٧] عن محل قدرته فقد تقدم الكلام فيه، وغايته أن يكون له فيه شرك.

المعونة التي تطلب من العبد

والمقصود أن ماأمر الخلق به وجعله فعلاً هو الذى نفاه عن غيره، وبيّن أنه يختص به.

١-(له) سقطت من (د).

٢-(تعالى) سقطت من (د).

٣-في(ف) الاستغاثة وفي هامش (د) في نسخة الاستغاثة.

٤-في (ف) الظاهرة الباطنة.

٥-في (د) موضع ومصححه في الهامش (خلق).

٦-كذا في (د) وسقطت من الأصل و(ف) و(ح).

٧-ما بين المعقوفتين من (د) وسقط من الأصل و(ف) و(ح).

وأما قوله ﴿**وما رميت إذ رميت**﴾ [سورة الأنفال:١٧] فقد تقدم الكلام عليها[١]، وبينا غلط من ظن أن الرمي المنفي عن الرسول هو [عين][٢] المثبت له، وبينا أن المنفي هو وصول الرمي إلى الكفار وتأثيره فيهم، والمثبت هو الحذف الذى يقدر[٣] عليه الرسول ﷺ.

وقوله -ﷺ- [٤] «**انصر أخاك [ظالماً أو مظلوماً]**[٥]»[٦] هو من جنس قوله ﴿**وإن استنصروكم / في الدين فعليكم النصر**﴾ [سورة الأنفال:٧٢]، وأما قوله تعالى[٧] ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة**﴾ [سورة البقرة:٤٥] فالمستعان به فعل يفعله العبد، والمعنى اصبروا وصلوا فإن ذلك يعينكم على المطلوب.

٦٤

والأعمال الصالحة بينها تصادق وتلازم كما قال النبي ﷺ «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، ولايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا**[٨]، **وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله**

١-انظر ص١٩٩ .

٢-ما بين المعقوفتين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٣-(يقدر) سقطت من (د)، وفي (ح) و(ط) فعله.

٤-ما بين الشرطتين سقط من (د).

٥-ما بين المعقوفتين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٦-سبق تخريجه.

٧-(تعالى) سقطت من (د).

٨-في (د) (وكذلك الأعمال السيئة بينها تصادق وتلازم، كما قال في نفس الحديث).

كذابا »[١] أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود -رضي ا لله[٢] عنه-، و هداية الصدق مثل إعانة الصبر والصلاة، وليس ذلك هو [ما][٣] أثبته ا لله لنفسه و نفاه عن غيره، سبحانه وتعالى أن يكون تأثيره مثل تأثير الأعراض[٤].

وقول النبي ﷺ «[وا لله][٥] في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[٦] هو من جنس قوله تعالى[٧] ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ [سورة المائدة:٢] فقد تبين أن جميع ما ذكره من النصوص ليس فيه أن مانفاه عن غيره أثبته لغيره في موضع آخر، بل الذى أثبته لغيره غير الذى نفاه عن غيره.

الرد على احتجاج البكري باللغة

الوجه الثالث: قوله (إن هذه الحقائق تثبت للمخلوقين حقيقة

١-أخرجه البخاري في (كتاب الأدب، باب ﴿**يأيها الذين أمنوا اتقوا ا لله وكونوا مع الصادقين**﴾) جـ٤/١٩٢٣ رقم ٦٠٩٤، ومسلم في (كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله) جـ٤/٢٠١٣ رقم ٢٦٠٧ واللفظ له.

٢-في (د) تعالى.

٣- (ما) من (د) و(ح) وسقطت من الأصل وفي (ف) الذى.

٤-الأعراض: جمع عرض وهي ما يعرض في الجوهر مثل الألوان والطعوم والذوق واللمس وغيره مما يستحيل بقاؤه بعد وجوده.

انظر: التعريفات للجرجاني ١٤٩ باب العين. وقال أبو البقاء العرض بفتحتين: عبارة عن معنى زائد على الذات، أي ذات الجوهر. الكليات لأبي البقاء ص٦٢٤.

٥-كذا في (د) و(ح) وسقطت الواو من الأصل و(ف) وما أثبت ا لله أعلاه هو الصواب حسب نص الحديث السابق .

٦-سبق تخريجه.

٧-(تعالى) سقطت من (ف).

لغوية بإجماع العلماء) غايته أن قول العرب مات زيد وتحركت الشجرة وهبت الرياح ونحو ذلك، يسمى في لغتهم حقيقة، وهذا لاينفعه لأن المضاف إلى المخلوق ليس هو الذى نفاه الرب عن غيره، فإنه يقال: أماته الله، والإماته التى اختص الله بها لاتثبت لغيره، وإن قيل إن فلاناً أماته فالمراد أنه فعل فعلاً خلق الله الموت فيه مع أسباب أُخر هو من/ ٦٥ جملتها، وهو المضاف إلى العبد، وليس هو الذي نفاه الرب عن غيره، فما يضاف إلى السبب لم ينفه الله عن غيره، ومانفاه لايضاف إلى السبب، وأيضاً فهب أن هذه حقيقة لغوية أي قاعدة في هذا، والكلام[١] هنا في الحقائق العقلية والأحكام الشرعية، لافي استعمال الألفاظ، وليس كل من أضيف إليه الفعل لغة يترتب على ذلك الأحكام الشرعية التي للفاعلين[٢].

١-في (د) الكلام بدون واو.

٢-يقسم الأصوليون الحقيقة إلى ثلاثة أقسام: الأول حقيقة لغوية وهي: اللفظ المستعمل فيما وضع له لغة. والثاني حقيقة عرفيه وهي: اللفظ الذى وضع لغة لمعنى ولكن استعمله أهل العرف في غير هذا المعنى وشاع حتى صار لايفهم منه إلا هذا المعنى. وبعضهم جعل الحقيقة العرفية قسمين عرفية عامة وعرفية خاصة، والثالث حقيقة شرعية وهي: ألفاظ استعملها الشارع في معانٍ لم تضعها العرب لها، إما لمناسبة بينها وبين المعاني اللغوية وإما لغير مناسبة.

واختلف العلماء هل الأصل الحقيقة الشرعية أم الحقيقة اللغوية على ثلاثة مذاهب: الأول: أن الحقيقة الشرعية هي في الأصل غير موجودة، والأصل الحقيقة اللغوية، وغاية الأمر أن الشارع شرط شروطاً لايكون معتبراً بدونها. لأنه لو كانت الحقائق الشرعية أصلاً بذاتها لكانت غير عربية لأن العرب لم تضعها لتلك المعاني.وقال به أبوبكر الباقلاني وغيره. والثاني الحقائق الشرعية موجودة مطلقاً بمعنى أنها أصل

الرد على قول البكري في الأسباب والحكمة

الوجه الرابع: قوله (اعتباراً بالأسباب وإثباتاً لبساط الحكمة) ماذا تعنى به؟ فإن الناس يتنازعون في ذلك فمنهم من يقول ليس في الوجود سبب له تأثير وحكمة يُفعل لإجلها، بل[1] محض مشيئة الرب قرنت بين الشيئين قراناً عاديا، فإن تقدم سمي سبباً، وإن تأخر سمي حكمة، من غير أن يكون للمتقدم تأثير في اقتضاء الفعل، ولاللفعل تأثير في إقتضاء الحكمة، وليس عند هؤلاء في القران لام تعليل في فعل ا لله، وهذا قول الجهم[2] بن صفوان وكثير من النظار المنتسبين إلى القدر كالأشعري وأتباعه ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي

بذاتها، لأن الشارع أتى بمعان لم تكن معروفة عند العرب وهذا قول المعتزلة.
والثالث: الألفاظ الشرعية مستعملة في معانيها الشرعية لمناسبة بينها وبين المعاني اللغوية، فهي ابتداء مجازات باعتبار اللغة، ولما كثر استعمالها في هذه المعاني كانت حقائق شرعية. انظر: أصول الفقه تأليف د.محمود أبو النور زهير جـ٢/٥٢-٥٩ طبعة ١٤١٢هـ الناشر المكتبة الأزهرية للتراث-القاهرة.

ولما كان الكلام هنا في المعاني الشرعية وجب حمل الألفاظ على الحقيقة الشرعية وليس على الحقيقة اللغوية. قال موفق الدين ابن قدامة وإطلاق الألفاظ في لسان الشرع، وكلام الفقهاء، يجب حمله على الحقيقة الشرعية، دون اللغة ولا يكون مجملا، لأن عادة الشارع استعمال هذه الأسامي على عرف الشارع لبيان الأحكام الشرعية.ا.هـ روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد تأليف موفق الدين عبدا لله بن أحمد بن قدامة المقدسي تحقيق عبدالكريم النملة جـ٢/٥٥٢ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

و لذلك ألفاظ النصرة و الإغاثة و الاستعانة يجب حملها على ألفاظ الشرع.

١-في (د) بلا.

٢-في (د) جهم.

وأحمد،[١] ولايقولون: إن هذا الشخص[٢] ينسب إليهم، فعلى قولهم لاسبب ولا حكمة[٣].

ومن الناس من أثبت حكمة منفصلة عن الرب يفعل لأجلها، وهو قول المعتزلة ونحوهم من الجهمية، ثم القدرية من هؤلاء يثبتون التأثير لأفعال الحيوان، ولايثبتون تأثيراً لغير ذلك[٤].

وأما الفقهاء وأهل الحديث والصوفية (وكثير من)[٥] أهل الكلام كالكرامية وغيرهم فإنهم يثبتون السبب والحكمة، لكن كثير من هؤلاء يتناقض، فيتكلم في الفقه بلون، وفي أصول الفقه بلون، وفي أصول الدين بألوان، ففي الفقه يُثبت/ الأسباب والحِكَم، وفي أصول الفقه يسمي العلل الشرعية أمارات[٦]، خلاف مايقوله في الفقه، وفي أصول الدين ينفي الحكمة والتعليل بالكلية، لظنه أن قول القدرية لايمكن إبطاله إلا بذلك، والقليل من هؤلاء هو الذى يحقق الحكمة ويُبين رجوعها إلى الفاعل الحكيم؛ مع حصول موجبها في مخلوقاته[٧].

٦٦

١-في (د) بل.

٢-أي: الجهم بن صفوان.

٣-انظر: المواقف في علم الكلام تأليف عضد الدين الأيجي ص٣٣١-٣٣٢ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى تأليف د.محمد ربيع المدخلي ص٦٢ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة لينة دمنهور.

٤-انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٥٢٥.

٥-مابين القوسين سقط من (د).

٦-أمارات جمع أمارة بالفتح وهي العلامة. الكليات لأبي البقاء ص١٨٧.

٧-وقد أبان هذا التناقض ـ عند الأشاعرة ومن وافقهم ـ ابن المرتضى اليماني في إيثار الحق على الخلق ص٢٠٠-٢٠١ (طبعة مكتبة ابن تيمية القاهرة – مصر، ومكتبة

وهذه المسائل من أشرف العلم، وقد بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضع(١).

العلم بجدة): فقد نقل عن ابن الحاجب اتفاق العلماء على أن أفعال الله -تعالى- في الشرائع معلله ... ثم قال وجميع الأشعرية يتابعونه على ذلك في أصول الفقه كالرازي في المحصول والغزالي في المستصفى ... ثم قال فالزنجاني والذهبي وابن كثير من أئمة الأثر والشافعية وأهل السنة وقد تطابقوا على تعليل أفعال الله بالحكمة من غير حكاية خلاف في ذلك ا.هـ. وقد أطال في ذلك.

وقال العلامة صالح المقبلي اليمني في العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ ص١٨٨ وبهامشه كتاب الأرواح النوافخ له أيضا (طبعة مكتبة دار البيان دمشق): قال جماعة من متأخري المتكلمين منهم (أي الأشاعرة) يستحيل تعليل أفعال الباري -تعالى- وظهر هذا المذهب وغلب حتى يظن من لم يكثر مطالعة كتبهم أنهم مجمعون عليه، وأما المكثر فيجد القائل بهذه المقالة هم الأقل في المتأخرين فضلاً عن المتقدمين ويرشدك إلى هذا إطباق فقهاء الأشاعرة على تعليل الأحكام ا.هـ.

١-انظر أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى جـ٨/٨١ وما بعدها. وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل تأليف ابن قيم الجوزية تخريج وتعليق مصطفى الشلبي ط ١٤١٢هـ الناشر مكتبة السوادي جده المملكة العربية السعودية جـ٢/ ١٢٧-٢٥٦. والحكمة والتعليل في أفعال الله -تعالى- تأليف د.محمد هادي ربيع المدخلي ص١٣ -٧٥، ص١٩٥-٢١٠. وخلاصة مذهب السلف في الحكمة والتعليل، أن الله -تعالى- حكيم، والحكمة صفة من صفاته شأنها شأن صفاته الأخرى، وحكمته سبحانه تتجلى في أفعاله وأوامره ومخلوقاته. وفعله وأمره لحكمة وغاية حميدة، والحكم والمصالح تعود على الخلق، ويعود له سبحانه من الحكمة حبه لها ورضاه بها، ولا يلزم من كونه يفعل لحكمة أن يكون مستكملاً بغيره؛ لأن حكمته ليست غيراً له.

--

والمقصود هنا أن[1] ماذكره هذا الشخص[2] من النصوص ليس فيه إثبات الأسباب والحكم لأفعال الرب التى نفاها عن غيره، وبيان ذلك أن الأسباب عند من يقول بإثباتها هي من جملة الحوادث[3]؛ التى يكون الرب -عزوجل- فاعلاً لها، فالقول في إحداثه للسبب والحكمة كالقول في إحداثه مابينهما، يمتنع أن يكون شئ من ذلك محدثاً لغيره، بل هو مُحدث جميع[4] المحدثات، وليس في ذلك مايوجب كون الأسباب محدثة، وأيضاً فهذه الآيات التى ذكر ليس فيها إثبات حكم شئ من المحدثات كقوله ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ [سورة الشورى:٥٢] ﴿**فعليكم النصر**﴾[5] [سورة الأنفال:٧٢]، بل ولا فيها إثبات نسبة الفعل إلى الرب، بل فيها إثبات بعض أفعال العباد؛ كهدايته وإعانته، وأفعال العباد لاتختص بكونها أسباباً دون غيرها من الحوادث، فكلام هذا الرجل كلام من لم يتصور صحيحاً ولا عبر فصيحاً.

الأستغاثة بالمخلوق ليست سببا في حصول مالا يقدر عليه إلا ا لله

الوجه الخامس: أن يقال: نحن لاننازع في إثبات ماأثبته ا لله من

ولا يسمون الحكمة غرضا؛ لأنهم يتقيدون بألفاظ الشرع، ولأن لفظ الغرض يوهم نقصا. انظر الحكمة والتعليل في أفعال ا لله -تعالى- ص٤٣.

١- (أن) سقطت من (د).

٢-أي البكري.

٣-الحوادث: جمع حادث وهو مايكون مسبوقاً بالعدم، ويسمى حدوثاً زمنيا، وقد يعبر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير ويسمى حدوثاً ذاتيا التعريفات ص٨١ باب الحاء.

٤-في (د) لجميع.

٥-الآية في جميع النسخ ﴿وعليكم النصر﴾ ولم ترد الآية بالواو بالقرآن الكريم، ويظهر أنه خطأ من الناسخ لأنه سبق ذكر الآية صحيحة.

الأسباب والحكم، لكن من هو الذى جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سبباً في الأمور التى لايقدر عليها إلا الله ومن الذى قال / إنك إذا استغثت بميت أو غائب من البشر نبياً كان أو غير نبي كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لايقدر عليه إلا الله؟ ومن الذى شرع ذلك وأمر به؟ ومن الذى فعل ذلك من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم بإحسان[إلى يوم الدين][1] ؟.

٦٧

فإن هذا المقام يحتاج إلى مقدمتين أحدهما: أن هذه أسباب[2] لحصول المطالب التى لايقدر عليها إلا الله.

والثانية: أن هذه الأسباب مشروعة لايحرم فعلها، فإنه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه، فإن قتل المسافر قد يكون سبباً لأخذ ماله؛ وكلاهما محرم، والدخول في دين النصارى قد يكون سبباً لمال يعطونه؛ وهو محرم، وشهادة الزور قد تكون سبباً لما يؤخذ من المشهود له؛ وهو حرام، وكثير من الفواحش والظلم قد يكون سبباً لنيل مطالب؛ وهو محرم، والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب؛ وهو محرم، وكذلك الشرك مثل دعوة الكواكب والشياطين، وعبادة البشر قد يكون سبباً لبعض المطالب وهو محرم، فإن الله -تعالى- حرم من الأسباب ماكانت مفسدته راجحة على مصلحته، وإن كان يحصل به بعض الأغراض أحياناً، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمراً، فإنهم مطالبون بالأدلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه أن يسألوا ميتاً

١-مابين المعقوفتين من (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٢-في(د) الأسباب.

أو غائباً، أو[1] يستغيثوا به، سواء كان ذلك عند قبره أو لم يكن عند قبره[2]، وهم لايقدرون على ذلك.

سؤال الميت حرام باتفاق المسلمين

٦٨

بل نقول في الوجه السادس: سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غيره من المحرمات المنكرة؛ بإتفا/ق أئمة المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله، ولافعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحسنه أحد من أئمة المسلمين. وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين[3]، فإن أحداً منهم ماكان يقول -إذا نزلت به تِرة[4] أو عرضت له حاجة- لميت ياسيدى فلان أنا في حسبك، أو اقض حاجتي!!.

كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين،ولا أحداً من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته؛ ولابغيره من الأنبياء لاعند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها!! [وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال،ويشتد البأس بهم ويظنون الظنون، ومع هذا لم يستغث أحد منهم بنبي ولاغيره من المخلوقين] [5]، بل ولا أقسموا بمخلوق على الله أصلاً، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور

١-في (د) وأن.

٢-في (د) (والله تعالى حي عالم قادر لايغيب كفى به شهيداً وكفى به عليما).

٣-في (ف) : الإسلام.

٤-في (ف) مضرة وفي (ح) شدة. ترَة أي النقص ويقال وتره حقه وماله: نقصه إياه. لسان العرب لابن منظور جـ٥/٢٧٤ مادة وتر وفي لغة تميم الكسر والفتح في لغة الحجاز. المصباح المنير ص ٢٤٨ مادة وتر.

٥-مابين المعقوفتين من (د) وسقط من الأصل و(ف) و(ح).

الأنبياء، ولا الصلاة عندها.

وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه، وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف(١).

١-قال بهذا المتقدمون من الصحابة والتابعين وغيرهم، نقل ابن فرحون عن ابن عساكر قال: قال ابن عساكر والذى بلغنا عن ابن عمر -رضيا الله عنهما- وغيره من السلف الأولين الاختصار والإيجاز في السلام جدا. انظر إرشاد السالك إلى أفعال المناسك تأليف ابن فرحون المالكي تحقيق محمد بن الهادى أبو الأجفان (الطبعة الثلاثية الرابعة لسنة ١٩٨٨م الناشر وزارة الثقافة والإعلام بتونس).

وروى عبدالرزاق في مصنفه جـ٣/٥٧٦ رقم ٦٧٢٤ عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال السلام عليك يارسول الله، السلام عليك يا أبابكر السلام عليك ياأبتاه، وأخبرناه عبدا لله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: فذكرت ذلك لعبيدا لله بن عمر فقال: مانعلم أحداً من أصحابه ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر. والسند صحيح.

وفي مصنف ابن أبي شيبة جـ٣/٢٨ رقم ١١٧٩٢ سئل هشام: أكان عروة يأتي قبر النبي ﷺ ؟ فقال: لا.

وتابع الإمام مالك السلف -ابن عمر وغيره- في ترك التطويل قال مالك: لاأرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن يسلم ويمضى، وقال القاضى أبو الوليد الباجي: عندي أنه يدعو للنبي ﷺ بلفظ الصلاة ولأبي بكر وعمر: انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض تحقيق محمد أمين وآخرين جـ٢/١١٩-١٢٠ (ط مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن دمشق - سوريا) وقال أبوبكر الطرطوشي في كتاب الحوادث والبدع تحقيق على حسن عبدالحميد ص١٥٦ (الطبعة الأولى ١٤١١هـ الناشر دار ابن الجوزى الدمام - السعودية)يسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبلاً القبلة يوليه ظهره وقيل لايوليه ا.هـ.

وأما مايروى عن بعضهم أنه قال قبر معروف[1] الترياق المجرب،

وقال ابن تيمية في الرد على الاخنائي ص٢٦٩ بهامش الرد على البكري (طبعة ١٣٤٦هـ): وروى أبو الحسن القزويني بسنده إلى إبراهيم بن عبدالرحمن الزهري قال: مارأيت أبي قط يأتي إلى قبر النبي ﷺ ، وكان يكره إتيانه.

وإبراهيم بن سعد من أكابر علماء المدينة وأكثرهم علماً وأوثقهم، وأبوه سعد من أفضل أهل المدينة في زمن التابعين وأصلحهم وأعبدهم، وكان قاضى المدينة في زمن التابعين، وقد أدرك الصحابة أكابر التابعين والفقهاء السبعة، ومعلوم أنه لم يكن ليخالفهم فيما اتفقوا عليه، ومانقل عنه ابنه يقتضي أنه كان لايأتيه لاعند السفر ولا غيره بل يكره إتيانه مطلقا كما كان جمهور الصحابة على ذلك، لما فهموا من نهيه ﷺ عن ذلك.

وأبو الحسن على بن عمر القزويني وغيره من أهل العلم والدين ذكروا هذه الآثار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم ليبينوا للناس كيف كان السلف يفعلون مثل ذلك ا.هـ باختصار.

١-هو أبو محفوظ معروف بن فيروز، وقيل فيرزان البغدادي المعروف بالكرخي، ولد في كرخ بغداد ونشأ في بغداد وتوفي فيها، كان والداه نصارى فأسلما، اشتهر بالصلاح والزهد، ونسب إليه الصوفية أقوال كثيرة وهو من أعلامهم توفي سنة ٢٠٠هـ وقيل ٢٠٤هـ قال الذهبي: وقد حكى السلمي شيئا غير صحيح، وهو أن معروفاً الكرخي كان يحجب علي بن موسى الرضى، قال: فكسروا ضلع معروف فمات، فلعل الرضى كان حاجبه اسمه معروف، فوافق اسمه اسم زاهد العراق. انظر السير جـ٩/٣٣٩ ترجمة رقم ١١١ والاعلام جـ٧/٢٦٩.

ومقالة: قبر معروف الترياق المجرب تروى عن إبراهيم الحربي كما في السير جـ٩/٣٤٣ وهذا الكلام لايسلم لقائله، فقد ورد النهي عن الدعاء عند قبر أفضل الخلق ﷺ وإطالة الوقوف، فغيره أولى، وليس لهذا الكلام دليل من الكتاب والسنة أو نقل عن سلف الأمة.

--

وقال بعضهم فلان يدعى عند قبره، وقول بعض الشيوخ [لمريده][(١)]: إذا كانت لك حاجة إلى الله[(٢)]، فاستغث بي أو قال: استغث عند قبري ونحو ذلك، فإن هذا وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم، وكثير من هؤلاء إذا استغاث بالشيخ رأى صورته؛ وربما قضى بعض حاجته فيظن أنه الشيخ نفسه، أو أنه ملك تصور على صورته؛ أو أن[(٣)] هذا من كراماته، [فيزداد به شركاً ومغالاة][(٤)]، ولايعلم أن هذا من جنس ماتفعله الشياطين بعُبّاد الأوثان، حيث تتراءى أحياناً لمن تعبدها، وتخاطبهم ببعض الأمور الغائبة، وتقضي لهم بعض الطلبات، ولكن هذه الأمور / كلها بدع محدثة في الإسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة.

وقوع كثير من المتأخرين في الاستغاثة بالمقبور وفتنة الشياطين لهم

٦٩

وكذلك المساجد المبنية على القبور التى تسمى المشاهد محدثة في الإسلام، والسفر إليها محدث في الإسلام لم يكن بُني من ذلك [شئ][(٥)]

بناء المساجد على القبور محدث في الإسلام

ومثل هذه المقالة وسيلة للشرك، فإنه وسيلة لدعاء المقبور، كما يحدث اليوم، وإجابة الدعاء عند قبر معين لاتدل على المشروعية، فإن الدعاء يستجاب أحيانا من كافر عند الاصنام.

وقد ورد عن بعض السلف أن الترياق المجرب هو الدعاء، دعاء الله -عزوجل-. انظر: المستغيثين بالله لابن بشكوال ص٩٥.

١-كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٢-في (د) إلى الله حاجة.

٣-في (د) (وأن).

٤-مابين المعقوفتين من (د) وسقط من الأصل و(ف) و(ح).

٥-كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

في القرون الثلاثة المفضلة(١).

بل ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذّر مافعلوا، قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يُتخذ مسجدا(٢). وثبت في الصحيح عنه أنه

١-وقال المصنف في الفتاوى جـ٤٦٦/٢٧: وكان ظهور المشاهد وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة، وكثر فيهم الزنادقة الملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة. فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب، ثم جاءوا إلى أرض مصر. وقريباً من ذلك ظهر بنو بويه، وكان في كثير منهم زندقة وبدع قويه ا.هـ.

وقد اشتد نكير السلف في القرون الثلاثة المفضلة على زخرفة المساجد وكتابة القرآن على جدرانها ووضع المحاريب وغيرها مما هي دون بناء المشاهد ودفن الموتى فيها، ولو كانت موجودة لنقل عنهم إنكارها. انظر: كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي ص١٠٣ والباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة تحقيق عادل عبدالمنعم ص٤٠ (الناشر مكتبة الساعي الرياض - السعودية)، والأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي تحقيق مصطفى عاشور ص٥٢ وما بعدها (الناشر مكتبة القرآن القاهرة - مصر)، وإصلاح المساجد من البدع والعوائد للعلامة محمد جمال الدين القاسمي تخريج وتعليق الألباني ص١٦٤ الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان، والمساجد بين الاتباع والابتداع تأليف محمد القيسي ص٣٩ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار عمار عمان - الأردن.

٢-أخرجه البخاري في (كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور) جـ٣٩٥/١ رقم ١٣٣٠ واللفظ له وأطرافه (٤٣٥، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤١، ٤٤٤٣، ٥٨١٥) ومسلم في (كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها) جـ٣٧٦/١ رقم ٥٢٩.

قال -قبل أن يموت بخمس-: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»[١]، وقد تقدم في الجواب أن عمر بن الخطاب -رضىا الله عنه- لما أجدبوا استسقى بالعباس وقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون[٢]» فلم يذهبوا إلى القبور ولا توسلوا بميت ولاغائب، بل توسلوا بالعباس كما كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ[٣] وكان توسلهم بدعائه كالإمام مع المأموم، وهذا تعذر بموته.

فأما قول القائل عند ميت من الأنبياء والصالحين: اللهم إني أسألك بفلان أو بجاه فلان أوبحرمة فلان، فهذا لم يُنقل عن النبي ﷺ ولاعن الصحابة ولاعن التابعين، وقد نص غير واحد من العلماء أنه لايجوز، ونُقل عن بعضهم جوازه[٤]، فكيف يقول القائل للميت أنا

١-أخرجه مسلم في (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها) ،ج١/٣٧٦ رقم ٥٢٩

٢-(فيسقون) سقطت من (د) والحديث سبق تخريجه ص ٢٩١.

٣-(ﷺ) سقطت من (د).

٤-سؤال ا لله -تعالى- بجاه فلان أو حرمته أو حقه أو غير ذلك، منعه أبو حنيفة وأبو يوسف وغيرهما من أئمة الحنفية فقد جاء في الفتاوى الهندية: ويكره أن يقول في دعائه بحق فلان وكذا بحق أنبيائك وأوليائك أو بحق رسلك أو بحق البيت أو المشعر الحرام لأنه لاحق للمخلوق على ا لله -تعالى- كذا في التبيين ا.هـ.

انظر: الفتاوى الهندية المسماة الفتاوى العالمكيرية لفخر الدين حسن بن منصور الحنفي وبهامشها فتاوى قاضيخان البزازية جـ٥/٣١٨ الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ

--

أستغيث بك، وأستجير بك، أو أنا(١) في حسبك، أو سل لي ا لله،

الناشر دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان، وفتح القدير تأليف كمال الدين محمد بن عبدالواحد وبهامشه شرح العناية على الهداية جـ٨/٤٩٨ طبعة دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان.

ونقل المنع عن جمع من علماء الحنفية السهسواني الهندي في صيانة الأنسان عن وسوسة دحلان ص٢٠٥ الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم بجدة: وانظر جهود علماء الحنفية ج٢/ ١١٢٣ وما بعدها

واتفق أئمة الدعوة السلفية على أنه بدعة محرمة مذمومة انظر: الصواعق المرسلة الشهابية ص١٤ ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص٢٦٨-٢٦٩ ومنعه الشيخ مبارك بن محمد الميلي أمين مال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في رسالة الشرك ومظاهره ص٢١٣ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة الإيمان الاسكندرية - مصر وهي إجماع من علماء الجمعية كما في تقديم الأمين العام في ص٧ .

وقال بجوازه بعض العلماء من المالكية والشافعية ومتأخري الحنفية ومتقدمي الحنابلة.

انظر الموسوعة الفقهية إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ طبعة ذات السلاسل - الكويت.وأماالأئمة المتقدمون كالإمام مالك والشافعي وأحمد واصحابهم فكلامهم في هذه المسائل قليل لأنها لم تكن في زمنهم ، وإنما حدثت بعد ذلك .

وقال العلامة الشيخ سليمان بن عبدا لله في التوضيح عن توحيد الخلاق ص٢٤٠: ومن المحال أن دعاء الموتى والدعاء بهم والدعاء عندهم وسيلة مشروعة وعملٌ صالح مأمور [في الأصل بالنصب] به، وتصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة ...... هل يمكن لبشر [في الأصل بشراً] على وجه الأرض أن يأتى عن أحدهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم كانوا إذا كانت لهم حاجة قصدوا القبور. ا.هـ.

١-في (د) وأنا.

ونحوذلك، فتبين أن هـذا ليس من الأسباب المشروعة؛ ولو[١] قُدّر أن[٢] له تأثيرا، فكيف إذا لم يكن له تأثير صالح بل مفسدته راجحة على مصلحته كأمثاله من دعاء غير ا لله.

٧٠ وذلك أن من الناس الذين يستغيثون / بغائب أو[٣] ميت تتمثل له الشياطين، وربما كانت على صورة ذلك الغائب، وربما كلمته، وربما قضت له أحياناً بعضَ حوائجه، كما تفعل شياطين الأصنام، وهـذا مما قد جرى لغير واحد فينبغي أن يُعرف.

سؤال الميت أذى له أعظم من ايذائه لو كان حيًا

ومن هؤلاء من يؤذى الميت بسؤاله إياه؛ أعظم مما يؤذيه لو كان حيّا، وربما قضيت حاجته مع ذم يلحقه، كما كان الرجل يسأل النبي ﷺ أحياناً[٤] فيعطيه ويقول «**إن أحدكم[٥] يسألني المسألة فيخرج بها يتأبطها نارا**»[٦] ومن هذا الحكاية المذكورة في الذي جاء إلى قبر النبي ﷺ وطلب منه سكباجا[٧] فأتاه بعض أهل المدينة فأطعمه سكباجاً

١-في (ف) لو بدون (واو)

٢- في هامش (د) في «نسخه لما يقولونه تأثيراً فليس هو من الأسبابَ المشروعة ولا له تأثير صالح»

٣- (أو) سقطت من (د)

٤-(أحيانا) سقطت من (د).

٥-في (د) و(ح) أحدهم.

٦-سبق تخريجه . ص ٢٦٣.

٧-السِكباج بالكسر طعام معرب وهو لحم يطبخ بخل. القاموس المحيط للفيروز آبادي تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ص٢٤٨ الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان .

وأمره بالخروج من المدينة وقال: إنه رأى النبي ﷺ فأمره أن يطعمه وأن يخرجه، وقال: من يقيم بالمدينة لايتمنى ذلك[١] أوكما قال ولاريب أن النبي ﷺ بل ومن هو دونه حيّ يسمع كلام الناس، وكما قال ﷺ: **«مامن رجل يسلم علي إلا ردا الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»**[٢]، [« **وما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم**

١-وانظر قصة قريبة منها في وفاء الوفاء في أخبار دار المصطفى لنور الدين السمهودي تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد جـ٤/١٣٨٤ (الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ الناشر مكتبة محمد المدنى المدينة المنورة - السعودية)، وعمدة أدلة القائلين بالاستغاثة مثل هذه الحكايات والمنامات وهذه حكايات ترد زعمهم.

٢-أخرجه أبو داود في(كتاب المناسك، باب زيارة القبور)جـ٢/٥٣٤ رقم ٢٠٤١ ولفظه «مامن أحد يسلم ...» وأحمد في المسند جـ٢/٥٢٧ والبيهقي في السنن الكبرى جـ٥/٢٤٥ باب زيارة النبي ﷺ وغيرهم. وقد صححه المصنف وقال على شرط مسلم في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم تحقيق د.ناصر العقل جـ٢/٦٦٣ (الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية)جـ٢/٦٦٣ وابن القيم في عون المعبود جـ٦/٢٦ وقال ابن عبدالهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي تحقيق أبي عبدالرحمن السلفي ص١٨٨-١٩٧ (الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة الرياض بيروت - لبنان): واعلم أن هذا هو الذى اعتمد عليه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما من الأئمة في مسألة الزيارة، وهو أجود ما استُدل به في هذا الباب، ومع هذا فإنه لايسلم من مقال في إسناده، ونزاع في دلالته أما المقال في إسناده فمن جهة تفرد أبي صخر في روايته عن ابن قسيط عن أبي هريرة، ولم يتابع ابن قسيط أحد في روايته عن أبي هريرة،ولم يتابع أباصخر أحد في روايته عن قسيط. وأما النزاع في دلالته فمن جهة احتمال لفظه، فإن قوله «مامن أحد يسلم علي» يحتمل أن يكون المراد به عند قبره، كما فهمه جماعة من الأئمة، ويحتمل أن يكون معناه على العموم،وأنه لافرق في ذلك بين

....

القريب والبعيد، وهذا هو ظاهر الحديث وهو الموافق للأحاديث المشهورة التي فيها فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم.ا.هـ باختصار. وحسن الحديث الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ٥/٣٣٨ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض.

واختلف العلماء في سماع الأموات على قولين:

الأول: قال بعض العلماء إنهم يسمعون. منهم قوام السنة الأصبهاني وابن عبدالبر والبيهقي، ويقول القبورية بهذا ويستدلون به على الاستغاثة بالأموات.

الثاني: عدم سماع الأموات، وبه قالت عائشة -رضى الله عنها- وطائفة من أهل العلم منهم الألوسي والألباني وغيرهم، وتعضد هذا القول الآيات والأحاديث الصحيحة.

وبما أن هذه المسألة من الغيب الذى لايعرف إلا بالنصوص، فبعض الأحاديث التى ذكرها مثبتو السماع صحيحة ثابته ويمكن الجمع بينها وبين الآيات الكريمة النافية للسماع، وبعضها الآخر اختلف العلماء في تصحيحها.

فالراجح أن الأموات يسمعون في حالات خاصة.

أما سماع النبي ﷺ فقد ثبت له بطريقين: الأولى: رد الروح إليه، الثانية: تبليغه السلام من قبل ملك أوكلت إليه هذه المهمة. وحياته ﷺ في القبر حياة برزخية خاصة أكمل من حياة الشهداء، فهو كالنائم، والنائم لايسمع حتى ينتبه، فالمراد أنه إذا سمع الصلاة والسلام بواسطة أو بدونها تيقظ ورد. انظر: حياة الأنبياء بعد وفاتهم للبيهقي ص٦١،٦٩ وما بعدها، والفصل لابن حزم جـ٤/١١٩-١٢٠، والحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة جـ١/٣٠٩ وما بعدها ومج جـ٢٤/٢٦٤ والروح لابن القيم تحقيق د.بسام العموش جـ١/١٤٠-١٤٤،١٦٧ وما بعدها (الطبعة الثانية ١٤١٢هـ الناشر دار ابن تيمية الرياض - السعودية)، والآيات البينات في عدم سماع الأموات للعلامة نعمان الألوسي تحقيق الألباني

--

عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه»[1] رواه ابن عبد البر

ص٢١ وما بعدها، وص٦٧ وما بعدها (الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان).

وهنا مسألة هامة وهي أن بعض أهل البدع يقولون: إن النبي ﷺ حي حياة حقيقية، فيجوز أن يدعى ويستغاث به، وأيضاً الأموات مادام أنهم يسمعون، فيجوز أن يدعون من دون الله، وهذا لايصح فالدعاء والطلب شئ آخر ولا يلزم من سماعهم جواز الطلب منهم ودعائهم.

وأصل هذه البدعة بدعة أخرى وهي: أن بعض الأشاعرة لما قالوا: العرض لايبقى زمانين، والروح عرض، قالوا: إن روح النبي ﷺ قد فنيت وبطلت، ولا روح له، وأما جسده ففي قبره ميت فبطلت نبوته الآن، فهرباً من ذلك، قالوا: النبي ﷺ حي حياة حقيقة، فدعاه من جاء بعدهم. انظر: الفصل لابن حزم جـ١/١٦٢-١٦٣، ومقدمة حياة الأنبياء بعد وفاتهم للبيهقي للدكتور أحمد الغامدي ص٥٠-٥١، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٢/٥٩٤ والإغاثة بأدلة الاستغاثة للسقاف ص٤-٥.

١-أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار تحقيق علي النجدي ناصف جـ١/٢٣٤ (طبعة إحياء التراث الإسلامي - الجمهورية العربية المتحدة) باب جامع في الوضوء من حديث ابن عباس -رضي الله عنه- ولفظه «مامن أحد مر بقبر أخيه المؤمن كان ... إلا عرفه ورد عليه السلام» ونقل المؤلف تصحيح عبدالحق الأشبيلي صاحب الأحكام في الفتاوى جـ٢٤/٣٣١ وأخرجه أيضا الخطيب البغدادى في تاريخ بغداد جـ٦/١٣٧ ترجمة رقم ٣١٧٥ (الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة والمكتبة العربية - بغداد) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- ولفظه «... إلا عرفه ورد عليه السلام» وفيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم.

وذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب تحقيق السعيد بسيوني زغلول جـ٤/١٩ رقم ٦٠٥٥ (الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار الكتب بيروت -لبنان) عن عائشة -رضي الله عنها- ولفظه «... يزور قبر حميمه فيسلم عليه ويقعد عنده إلا

....

رد عليه السلام وآنس به حتى يقوم من عنده» وفيه عبدا لله بن سمعان، وأخرجه ولي الدين العراقي في جزء منتقى من حديثه تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ص٢٢٦-٢٢٧ مجلة الحكمة العدد الخامس في شهر شوال ١٤١٥هـ وفيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة وضعفه.

قال العراقي في تخريج الإحياء جـ٢/١٢٢٩ رقم ٤٤٣٥ في حديث عائشة: رواه ابن أبي الدنيا في "القبور" وفيه عبدا لله بن سمعان و لم أقف على حاله، ورواه ابن عبدالبر في "التمهيد" من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبدالحق الأشبيلي ا.هـ.

وقال ابن رجب في أهوال القبور في أحوال أهلها إلى النشور ص٧٣ (الطبعة ١٣٥٧هـ مطبعة أم القرى مكة المكرمة): أخرجه ابن عبدالبر وقال عبدالحق الأشبيلي إسناده صحيح يشير إلى أن رواته كلهم ثقات وهو كذلك إلا أنه غريب بل منكر، وقال في حديث أبي هريرة: عبدالرحمن بن زيد ضعيف وقد خولف في إسناده من رواية هاشم بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة موقوفا. وقال في حديث عائشة رواه عبدا لله عن [كذا في المطبوع] ابن سمعان وهو متروك ا.هـ.

ونقل ابن عبدالهادي في الصارم المنكي ص٢٢٥: أن الأشبيلي صححه في العاقبة ا.هـ.

قلت: ذكره عبدالحق الاشبيلي في كتاب العاقبة ص١٢٠ تحقيق أبي عبدالرحمن المصري الأثري عدة طبعات، و لم أجد تصحيحه، وأما عبدا لله بن سمعان فهو عبدا لله بن زياد بن سليمان بن سمعان وهو متروك، اتهمه أبو داود بالكذب. انظر تقريب التهذيب جـ١/٤٩٣ رقم ٣٣٣٧.

وأما حديث ابن عباس ففي إسناده عبيد بن عمير واختلفوا فيه فقال بعضهم عبيد بن عمير مولى ابن عباس وهو مجهول كما في تقريب التهذيب جـ١/٦٤٦ رقم ٤٤٠٢، وقال السقاف في الإغاثة ص٣٩: بل هو عبيد بن عمير من رجال الستة ا.هـ.

--

وصححه][1].

لكن في مسألتهم أنواع من المفاسد منها إيذاؤهم له بالسؤال، ومنها إفضاء ذلك إلى الشرك، وهذه المفسدة توجد مع الموت دون الحياة، فإن أحداً من الأنبياء والصالحين لم يُعبد في حياته، إذ هو ينهى عن ذلك، وأما بعد الموت فهو لاينهى، فيفضي ذلك إلى اتخاذ قبره وثناً يعبد ولهذا قال النبي ﷺ «**لاتتخذوا قبري عيداً**»[2] وقال «**اللهم لاتجعل**

قلت: يريد عبيد بن عمير بن قتادة الليثي من كبار التابعين ثقة كما في التقريب جـ١/٦٤٥ رقم ٤٤٠١. والراجح أنه الليثي لأن عبيداً مولى ابن عباس تفرد عنه ابن أبي ذئب كما ذكر الذهبي في الميزان

وفيه فاطمة بنت ريان المخزومي المسلمي لاذكر لها في كتب الرجال، وشيخ ابن عبدالبر عبيد بن محمد لم يوثقه أحد. انظر العدد (٥) من مجلة الحكمة حاشية جزء ولي الدين العراقي ص٢٢٧ وقد ضعف الحديث ابن الجوزي والمناوي. انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير تأليف عبدالرؤوف المناوي جـ٥/٤٨٧ (الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ الناشر المكتبة التجارية - مصر).

وضعف طرق الحديث ابن عبدالهادي في الصارم المنكي ص٢٢٤-٢٢٥ ماعدا حديث ابن عباس سكت عنه، وضعفه العلامة الألباني في حاشية الآيات البينات ص٧٠، وضعف بعض طرق الحديث الذهبي في السير جـ١٢/٥٩٠ ومما سبق يتبين أن الحديث ضعيف والله اعلم.

١-مابين المعقوفين من (د) وسقط من الأصل و(ف) و(ح).

٢-أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه جـ٢/١٥٠ رقم ٧٥٤٢ من حديث علي بن حسين عن أبيه عن جده ولفظه «لاتتخذوا ... ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث ماكنتم» ورقم ٧٥٤٣ وعبدالرزاق في مصنفه باب السلام على قبر النبي ﷺ جـ٣/٥٧٧ رقم ٦٧٢٦ وأبو يعلى في مسنده جـ١/٣٦١-٣٦٢ رقم ٤٦٩.

--

قبري وثناً يعبد»(١) وقال غير واحد من السلف في قوله تعالى

و أخرجه أبو داود في (كتاب المناسك، باب زيارة القبور) جـ٢/٥٣٤ رقم ٢٠٤٢ ولفظه «لاتجعلوا ...» وصحح النووى حديث أبي داود في الأذكار ص١٧٢ تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط (الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ دار الهدى الرياض)وأخرجه أيضاً أحمد في المسند جـ٢/٣٦٧ والقاضي في فضائل الصلاة على النبي ص٣٦ رقم ٢٠ كلاهما بلفظ أبي داود. وسعيد بن منصور في سننه -كما في اقتضاء الصراط (جـ٢/٣٠٢)- و لم أجده في المطبوع منها- وقال المصنف في اقتضاء الصراط جـ٢/٦٥٩-٦٦٠ في حديث أبي داود: وهذا إسناده حسن، فإن رواته كلهم ثقات مشاهير، لكن عبدا لله بن نافع الصائغ الفقيه المدني صاحب مالك فيه لين لا يقدح في حديثه. و كل جملة من هذا الحديث رويت عن النبي ﷺ بأسانيد معروفة .ا.هـ. وقال أيضاً في جـ٢/٦٦٢ عن الإسناد المرسل لهذا الحديث: وهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لاسيما وقد احتج به من أرسله وذلك يقتضي ثبوته عنده ا.هـ. وقد أطال الكلام على هذا الحديث، وقال شمس الدين السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص١٥٥ (الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ المكتبة العلمية المدينة المنورة): حديث حسن وله شاهد ا.هـ. وقال العلامة الألباني في حاشية كتاب فضائل الصلاة على النبي للإمام إسماعيل القاضي المالكي ص٣٦ الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

١-أخرجه الإمام مالك في الموطأ مرسلا في(كتاب قصر الصلاة في السفر) جـ١/١٧٢ والحميدي في مسنده، باب الجنائز جـ٢/٤٤٥ رقم ١٠٢٥ ولفظه «... وثنا، لعن ا لله قوماً اتخذوا أو (جعلوا) قبور أنبيائهم مساجد» تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي طبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، وأحمد في المسند جـ٢/٢٤٦ وعبدالرزاق في مصنفه مرسلا جـ١/٤٠٦ رقم ١٥٨٧ ولفظه « ... وثنا يصلى إليه فإنه اشتد غضب ا لله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وكذا ابن أبي شيبه جـ٢/١٥٠ رقم ٧٥٤٤ وأبو سعيد المفضل المكي في فضائل المدينة تحقيق محمد الحافظ وغزوة

--

﴿وقالوا لاتذرُن آلهتكم ولاتذرُن وداً ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا﴾ [سورة نوح:٢٣] إن هؤلاء كانوا قوماً صالحين في/ قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم[١]، ولهذا المعنى لعن النبي ﷺ الذين اتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وأما النبي والصالح إذا[٢] بنى له مسجداً في حياته يصلي فيه معه فهذا من أفضل الأعمال. فحكم الحياة يفارق حكم الممات، وذلك كما جاءت السنة بذلك.

٧١

الشرك في قوم نوح

فصل

كلام البكري في أن تخصيص النبي بالنفي تنقص له

قال (ثم اعلم أنه من نفى الحقائق نفياً عاماً يفهم به الإشارة

بدير ص٣٩ رقم ٥٢ (الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر دار الفكر دمشق سوريا) وأبو يعلى في مسنده جـ١٢/٣٣-٣٤ رقم ٦٦٨١ ولفظه «لاتجعلن قبري وثنا، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وابن سعد في الطبقات جـ٢/٢٤١-٢٤٢ وغيرهم. وصححه ابن عبدالبر في التمهيد جـ٥/٤٢.

١-أخرجه البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال «صارت الأوثان التى كانت في قوم نوح في العرب بعدُ، أما ود: فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع: كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني عطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق: فكانت لهمدان، وأما نسر: فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم:أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت» (كتاب التفسير،باب تفسير سورة نوح) جـ٣/١٥٧٢ رقم ٤٩٢٠. وأنظر أقوال السلف في تفسير الطبري في تفسير هذه الآية جـ١٢/٢٥٣-٢٥٤.

٢-في (د) (إذ).

للتوحيد وإفراد الباري بـالقدرة عددنـاه مـن المنزهين، و لم نجعـل ذلـك إبطالاً للحكمة إذ الألفاظ يعتبر حكمها بما تفهم العقول منهـا بمقتضى الأوضاع والقرائن، ومن خص الرسـول أو[1] الملائكـة بنفـي خـاص، يُفهم منه طرح رتبتهم وعدم صلاحيتهم للأسباب فقد نقصهم بعبارتـه؛ وإن نوى معاني التوحيد، و لم يجعل ا لله لأحد تنقيص الرسـول، وأجمع الخلف والسلف على وجوب تعظيمهم في الاعتقاد والأقوال والأفعال).

رد ابن تيمية

والجواب من وجوه أحدها: أن الجواب المذكور ليـس فيـه تخصيص النبي ﷺ **بالذكر** بل قد صرح فيه بالعموم، وقيل فيه: مـن قـال لايدعى إلا ا لله، وأن الأمور التى لايقدر عليهـا إلا ا لله فـلا تطلـب إلا منه، مثل غفران الذنوب، وهداية القلوب وإنزال المطر، وإنبات النبـات ونحو ذلك، **فهذا مصيب**، ولذلك حيث ذكر هذا فلم يذكـره إلا على وجه التعميم، فدعـوى المدعـي أن النبـي ﷺ والملائكـة خصـوا بـالذكر كذب لايحتاج إلى جواب.

الوجـه الثـاني: أن يقـال التحقيـق في هـذا البـاب؛ أنـه إذا كـان المنفي[2] لايصلح لمخلوق؛ فذكرت الأنبياء والملائكة على سبيل تحقيـق النفي العام، كان هذا من أحسن الكلام، وكان هـذا مـن بـاب التنبيـه، كمـا يقـال لاتجـوز العبـادة إلا / لله -تعـالى- لاملـك مقـرب ولا نـبي مرسل،فينبه بنفيها عن الأعلـى علـى انتفائهـا عمـن هـو دونهـم بطريـق الأولى، وكذلك إذا كان المخصوص بالذكر ممن قـد حصـل فيـه غلـو،

٧٢

١-في (ف) (واو).

٢-في (د) النفي.

كما يقال ليس في الصحابة معصوم، لاعليّ ولاغيره، وليس في النبيين إله لاالمسيح ولاغيره، فهذا أحسن.

فالمخصص إذا كان فيه فائدة مطلوبة كان حسنا، ومنه قوله تعالى ﴿**أفرأيتم اللات والعزى*ومناة الثالثة الأخرى* ألكم الذكر وله الأنثى* تلك إذاً قسمة ضيزى * إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى * أم للإنسان ماتمنى* فللّه الآخرة والأولى * وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾ [سورة النجم:١٩-٢٦]، فنفى سبحانه أن تغنى شفاعة الملائكة الذين في السماء إلا من بعد إذنه، تنبيهاً بذلك على [أن][1] من دونهم أولى أن لاتغني شفاعتهم، فإن المشركين كانوا يقولون عن الأصنام إنها تشفع لهم قال تعالى ﴿**ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لايعلم في السموات ولافي الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾ [سورة يونس:١٨] ولايجوز أن يكون الكلام تنقيصاً بالملائكة، ولذلك قال تعالى ﴿**ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فأمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافي السموات ومافي الأرض وكفى بالله وكيلا * لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائِكة المقربون ومن**

شروط الشفاعة

١-كذا في (ف) و(ح) و(ط) وسقطت من الأصل و(د).

٧٣ **يستنكف عن عبادته ويستكبر/ فسيحشرهم إليه جميعا﴾** [سورة النساء:١٧١-١٧٢]، فإنه لما كان الكلام في إثبات توحيد ا لله -تعالى- والنهي عن الغلو في الدين الذى فيه تشبيه المخلوق بالخالق، قال **﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾** بعد أن قال **﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول ا لله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾** وقال في الآية الأخرى **﴿ماالمسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾** [سورة المائدة:٧٥] فنسبه إلى أمه وهذا قد جرى في القرآن في غير موضع، فنسبه إلى أمه لينفي نسبته إلى غيرها، فلا ينسب إلى ا لله أنه ابنه؛ ولا إلى أب من البشر؛ كما زعمت النصارى الغالية فيه، ولا كما زعمت اليهود الكافرة به(١).

استطراد في اعتقاد النصارى في المسيح

وأبلغ من هذا قوله تعالى **﴿لقد كفر الذين قالوا إن ا لله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من ا لله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا﴾** [سورة المائدة:١٧] فذكر أهل الأرض جميعا؛ وخص المسيح وأمه بالذكر؛ من أنه إن أراد إهلاكهم لن يملك أحد لهم

---

١ -زعم اليهود أن عيسى -عليه السلام- ولد زنا، واتهموا أمه بزكريا وأنه كاذب في دعوى نبوته ولذلك لقي جزاءه بالقتل، وقابلهم النصارى بزعم آخر وهو أنه إله أو ابن إله واختلفوا في طبيعته، وهدى ا لله المسلمين للحق بإذنه فشهدوا بأن عيسى عبد ا لله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

انظر : تاريخ الطبري (جـ١/٣٥٣) وقصص الأنبياء لابن كثير ص٥٧٥ والمسيحية تأليف د.أحمد شلبي ص٥٣ الطبعة الثامنة ١٩٨٤م الناشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة - مصر.

منه شيئاً، لأن المسيح وأمه اُتخِذَا آلهين كما قال تعالى ﴿**وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي آلهين من دون الله**﴾ [سورة المائدة:١١٦]، فكان التخصيص بالذكر لنفي هذا الشرك والغلو الذى وقع في المسيح وأمه، و لم يكن ذلك من باب التنقيص بالمسيح وأمه، بل كان التخصيص لأجل أن الكلام وقع في ذلك المعين.

فالتخصيص للحاجة إلى ذكر المخصوص والعلم به؛ أو لأجل التنبيه به على ماسواه، ولهذا لايكون التخصيص في هذا[١] مفهومه مخالفة، بنفي نقيض الحكم عن ما سواه، وهو الذى يسمى دليل الخطاب للتخصيص[٢]، لم يكن للاختصاص بالحكم، وقال تعالى ﴿**ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم / والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيّن بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيّن أرباباً أيأمركم بالكفر**

٧٤

١-في (د) هذه.

٢-دليل الخطاب هو: إثبات نقيض خكم المنطوق به للمسكوت عنه. وأما نوع التخصيص الذى ذكره المؤلف هنا فهو فحوى الخطاب ويسمى تنبيه الخطاب، ومفهوم الموافقه. وهو نوعان: تنبيه بالأقل على الأكثر كقوله تعالى ﴿**فلا تقل لهما أف**﴾[سورة: الإسراء الآية ٢٣] فإنه نبه بالنهي عن قول أف على النهي عن الشتم والضرب وغير ذلك،والنوع الآخر تنبيه بالأكثر على الأقل مثل ماذكره المؤلف. انظر: تقريب الوصول إلى علم الأصول تأليف أبي القاسم محمد الغرناطي المالكي تحقيق د.محمد المختار الشنقيطي ص١٦٨-١٦٩ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم بجدة، والأحكام في أصول الأحكام للآمدى تعليق عبدالرزاق عفيفي -رحمه الله- جـ٤/٣ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت-لبنان.

تخصيص الأنبياء والملائكة بالذكر تنبيه على من دونهم

بعد إذ أنتم مسلمون﴾ [سورة آل عمران من ٧٩- ٨٠] فتخصيص الملائكة والنبيين بالذكر تنبيه على [من] (١) دونهم ، فإنه(٢) لا يأمر باتخاذ الصالحين أرباباً بطريق الأولى.

ومن هذا الباب قوله ﷺ في الحديث الصحيح «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل: ولاأنت يارسول ا لله قال: ولاأنا، إلا أن يتغمدني ا لله برحمةٍ منه وفضل**»(٣) فكان تخصيصه بالذكر لتحقيق العموم، وأن هذا النفي يتناول أفضل الخلق ، فلايظن أحدٌ غيره أنه يدخل الجنة بعمله.

وكذلك قوله في الحديث الصحيح «**مامنكم من أحدٍ إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن قالوا : وإياك يارسول ا لله. قال : وإياي، إلا أن ا لله أعانني عليه فأسلم**»(٤).

ومنه قوله تعالى**﴿وقالواتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم**

١-كذا في (ف)و(د)و(ح) وفي الأصل (ما).

٢-في (د) أن.

٣-أخرجه البخاري في (كتاب المرضى، باب نهي تمني المريض الموت) جـ٤/١٨١٦ رقم ٥٦٧٣ ولفظه « .... بفضل ورحمه» وطرفه ٦٤٦٧ ومسلم في(كتاب صفات المنافقين، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله) جـ٤/٢١٦٩ رقم ٢٨١٦ بألفاظ متقاربه. وأحمد في المسند جـ٢/٤٧٣ واللفظ له .

٤-أخرجه مسلم في(كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان) جـ٤/٢١٨٦ رقم ٢٨١٤، وأحمد في المسند جـ١/٤٠١ واللفظ له من حديث ابن مسعود -رضيا لله عنه- وأخرجه غيرهم.

ولايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم وكذلك نجزي الظالمين﴾[سورة الأنبياء :٢٦-٢٩] فذكر هذا الوعيد في الملائكة، وخصهم بالذكر ، تنبيهاً على أن دعوى الإلهية لاتجوز لأحدٍ من المخلوقين لاملك ولاغيره، وإنه لو قدر وقوع ذلك من ملك من الملائكة لكان جزاؤه جهنم، فكيف من دونهم ! وهذا[١] التخصيص إفراد الله بالآلهية ومنه قوله تعالى في الأنبياء ﴿**ومن أبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا/ لحبط عنهم ماكانوا يعملون**﴾ [سورة الأنعام:٨٧-٨٨].

٧٥

المشرك يحبط عمله كائناً من كان

والأنبياء معصومون من الشرك والكفر[٢]، ولكن المقصود بيان أن الشرك لو صدر من أفضل الخلق لأحبط عمله، فكيف بغيره؟.

وكذلك قوله تعالى[٣] لنبيه -ﷺ-[٤] ﴿**لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**﴾ [سورة الزمر :٦٥] مع أن الشرك منه ممتنع لكن بيّن بذلك أنه إذا قدر وجوده كان مستلزماً لحبوط عمل المشرك وخسرانه كائناً من كان، وخوطب بذلك أفضل الخلق لبيان عظم هذا[٥] الذنب ، لانقص[٦] قدر المخاطب كما قال تعالى﴿**ولو تَقَوَّل**

١-(وهذا) سقطت من (ف).

٢-(والكفر) سقطت من (ف).

٣- (تعالى) سقطت من (د).

٤-مابين الشرطتين (عليه الصلاة والسلام) في (ف) و(د) و(ح).

٥-(لا لنقص)سقطت من (د).

٦-في (ف) لغض.

علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾[سورة الحاقه:٤٤-٤٧]، ليبين سبحانه أنه ينتقم ممن يكذب في الرسالة كائناً من كان ، وأنه لو قدر أنه غيّر الرسالة لانتقم منه، والمقصود نفى هذا التقدير[1] لانتفاء لازمه.

وكذلك قوله تعالى **﴿أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾**[سورة الشورى:٢٤] (ثم قال)[2] **﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته﴾**[سورة الشورى:٢٤] وفي الحديث المعروف **«إن الله لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم»**[3] فهذا من بيان عدل الرب وإحسانه وتقصير الخلق عن واجب حقه؛ حتى الملائكة والأنبياء

١-بياض في الأصل و(ف) بمقدار ثلاث كلمات وفي (د) و(ح) بمقدار كلمتين وليس في الجملة سقط.

٢-مابين القوسين سقط من (ف) و(د).

٣-أخرجه أبو داود في(كتاب السنة، باب في القدر) جـ٥/٧٥ رقم ٤٦٩٩ بلفظ قريب وأوله «قال ابن الديلمى اتيت أُبي بن كعب فقلت له وقع في نفسي شئ من القدر ،... الحديث» وابن ماجه في المقدمة، باب القدر) جـ١/١٦-١٧ رقم٦٥ وأحمد في المسند جـ٥/١٨٢،١٨٥،١٨٩ وغيرهم بألفاظ متقاربة وقريبة من لفظ المؤلف، وفي سند الحديث سعيد بن سنان البُرْجمي الشيباني قال فيه ابن حجر في التقريب جـ١/٣٥٦ رقم ٢٣٣٩ صدوق له أوهام. ا.هـ، وقال المنذري في اسناده أبو سنان سعيد بن سنان الشيباني وثقه يحي بن معين وغيره وتكلم فيه أحمد وغيره. انظر مختصر سنن أبي داود(جـ٧/٦٩) تحقيق محمد حامد الفقى الناشر دار المعرفة بيروت لبنان، وقد صححه الالباني في حاشية مشكاة المصابيح(جـ١/١١٧) الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت.

وغيرهم، وأنه لو عذبهم لم يكن ظالماً لهم، فكيف بمن دونهم؟ وهذا باب واسع.

الاستدلال بالأعلى على الأدنى

فمن غلا في طائفة من الناس؛ فإنه يُذكر له من هو أعلى منه ويبين أنه لايجوز هذا الغلو فيه، فكيف يجوز الغلو في الأدنى؟ كما قال بعض الشيعة لبعض شيوخ أهل[1] السنة: تقول[2] إن مولانا أمير المؤمنين علياً ماكان معصوماً، فقال أبوبكر وعمر عندنا أفضل / منه وماكانا معصومين.

٧٦

وكما يقال لمن يعظم شيخه أو أميره بأنه يطاع في كل شئ، وأنه لاتنبغي مخالفته، [فيقال] [3] له: أبوبكر أفضل منه، وقد قال «أطيعوني ماأطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني»[4]وكما ظن الغالي أن الصالحين لايؤذيهم عدوهم، [ولا يجرحون] [5] لاعتقاده أن ذلك

١-(أهل) سقطت من (ف) و(د).

٢-في (ف) نقول.

٣-كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) (فقال) وفي هامش الأصل (لعله فيقال).

٤-أخرج ابن جرير أول الاثر عن أبي بكر -رضي الله عنه- في تاريخه جـ٢/٤٥٠ وكذلك ابن كثير في تاريخه جـ٦/٢٩٤ وقال ابن كثير هذا إسناد صحيح، وآخره عند ابن جرير في جـ٢/٤٦٩ من قوله «إنما أنا متبع ولست بمبتدع ...» وعند ابن كثير جـ٦/٢٩٦.

٥-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) يخرجون، وما أثبت أعلاه هو الصواب للسياق.

نقص فيهم، وأنهم[١] قادرون على دفع كل أذى، فيقال: أفضل الخلق محمد ﷺ قد أوذي وقد جرح يوم أحد[٢]، وذلك كرامة من الله -تعالى- ليعظم أجره ويزيده[٣] رفعة بالصبر على الأذى في الله.

فهم الغلاة للشفاعة

[وكذلك] [٤] لو حلف حالف بشيخه، فقيل له لاتحلف بغير الله؛ فمن حلف بغير الله فقد أشرك[٥]. وكذلك إذا اعتقد معتقد

١-في الأصل كرر أنهم.

٢-في هامش (د) وكسرت رباعيته، ويشير المؤلف رحمه الله إلى ماأخرجه البخاري عن سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول الله ﷺ، فقال «أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ...(إلى أن قال) وكسرت رباعيته يومئذ، وجرح وجهه، وكسرت البيضة على رأسه» (كتاب المغازي، باب ماأصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد) جـ٣/١٢٤٣ رقم ٤٠٧٥.

٣-في هامش (د) الله بذلك.

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل لذلك.

٥-هذا لفظ حديث أخرجه أبو داود في(كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالأباء) جـ٣/٥٧٠ رقم ٣٢٥١ والترمذي في (كتاب النذور والأيمان، باب ماجاء في كراهة الحلف بغير الله) جـ٤/١١٠ رقم ١٥٣٥ وزاد «... كفر أو أشرك» وقال حديث حسن. وأحمد في المسند جـ٢/٩٦،١٢٥ من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- واللفظ له. وصححه الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند جـ٧/٢٢٩ والحاكم في المستدرك جـ١/١٨ ولفظه «كل يمين يحلف بها دون الله شرك» وقال على شرط مسلم وأقره الذهبي وصححه جاسم الدوسري في النهج السديد ص٢٢٣ رقم ٤٦٤ وقد أعله البيهقي بالانقطاع وقال وهذا مما لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر. السنن الكبرى جـ١٠/٢٩ باب كراهية الحلف بغير الله، ويرد عليه تصريح سعد بن عبيدة بالسماع من ابن عمر في المسند جـ٢/٥٨،٦٠ وفي صحيح ابن حبان جـ١٠/١٩٩ رقم ٤٣٥٨ الإحسان في

--

بشيخه أنه يشفع لمريديه[١]. وأن له راية في الآخرة يُدْخِلُ تحتها مريديه[٢] الجنة، فيقال له: المرسلون أفضل منه، وسيد ولد آدم ﷺ إذا جاء يشفع يسجد بين يدي الله -عزوجل- ويحمد ربه بمحامد. فيقال له «**ارفع رأسك وقل يسمع[٣] وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يارب أمتي فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة**»[٤].

فهو ﷺ لايشفع إلا أن بعد يؤذن له بل يبدأ[٥] بالسجود لله والثناء عليه، ثم إذا أذن له في الشفاعة وشفع حد له حداً يدخلهم الجنة، فليست الشفاعة مطلقة[٦] في حقه، ولا يشفع إلا بإذن الله، فكيف يكون الشيخ إن كانت له شفاعة ؟.

تقريب صحيح ابن حبان تحقيق شعيب الارنؤوط وقال شعيب إسناده صحيح على شرط مسلم. حاشية الإحسان جـ١٠/٢٠٠ وقد رد دعوى الانقطاع المباركفوري في تحفة الأحوذي تصحيح عبدالرحمن محمد عثمان جـ٥/١٣٦ (الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ مطبعة الفجالة الجديدة مصر) ، والدوسري في النهج السديد ص٢٢٣ وغيرهم.

١-في هامش (د) يوم القيامة.

٢- في (ح) (مريده)

٣-في (د) لك.

٤-أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب قوله -عزوجل- ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ جـ٥/٢٣١٢ رقم ٧٤١٠ وطرفاه: ٣٣٤٠، ٤٧١٢، ٣٣٦١ ومسلم في (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) جـ١/١٨٣ رقم ١٩٣ واللفظ لمسلم.

٥-في هامش (د) أولا.

٦-في (د) له مطلقا.

مالا يصح للأنبياء فغيرهم أولى

وكذلك إذا قيل عن بعض الشيوخ إن قبره ترياق مجرب (أو أنه) [١]، قيل له : إذا كانت قبور الأنبياء -عليهم السلام- ليست ترياقاً مجربا فكيف تكون قبور الشيوخ؟.

٧٧

وكذلك إذا قيل إن الشيخ الميت يستسقى عند/ قبره، ويقسم به على الله، ويعرّف عنده عشية عرفه[٢] ونحو ذلك، قيل له: إذا كان النبي ﷺ سيد الخلق لم تستسقِ الصحابة -رضوان الله عليهم- عند قبره، ولا أقسموا به على الله، ولا عرّفوا عند قبره. فكيف غيره ؟.

وكذلك إذا قيل : إنه يسجد لقبر الشيخ أو يستلم ويُقبل، قيل: إذا كان قبر النبي ﷺ لايسجد له ولا يستلم ولا يقبل باتفاق الأئمة[٣]. فكيف بقبر غيره ؟.

وكذلك إذا قيل الموضع الذى كان الشيخ يصلي فيه، لايصلي فيه غيره احتراماً له، قيل له[٤]: إذا كان الصحابة صلوا في الموضع الذى

١-هكذا في الأصل. ولعلها زائدة.

٢-التعريف: هو اجتماع الناس عشية يوم عرفة في غير عرفة يفعلون مايفعله الحاج يوم عرفة من الدعاء والثناء. انظر الباعث على إنكار البدع والحوادث للعلامة أبي شامة الشافعي تحقيق عادل عبد المنعم ص٤٨ وسيأتي بيان هذه البدعة والكلام عنها ص٤٦٨.

٣- نقل هذا الإجماع الإمام النووي في الإيضاح في المناسك ص ١٦٠ - ١٦١ الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ وقال الغزالي في إحياء علوم الدين جـ١٠٣/٣ : مس وتقبيل المشاهد من عادات اليهود والنصارى. ا.هـ. وقد ذكره غيرهم.

٤-سقط من (ف) و(د).

كان النبي ﷺ يصلي فيه، فكيف لايصلى في موضع مصلى غيره ؟ وهو أحق بالاحترام من كل أحد.

وكذلك إذا قيل إن الشيخ الميت يدعى ويسأل ويستغاث به، قيل له[١]: إذا كان الأنبياء بعد موتهم لايدعون ولا يسألون ولا يستغاث بهم. فكيف [بمن دونهم][٢] ؟.

النبي ﷺ لا يقدر على كل ما يطلب منه

وإذا قيل يُطلب من الشيخ كل شيء ، فقيل مالا يقدر عليه إلا الله؛ لايطلب من الأنبياء، فكيف يطلب ممن دونهم ؟.

وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، فيقول: يارسول الله أغثني، فأقول[٣]: لاأملك لك شيئا قد أبلغتك[٤]. لاألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة، فيقول: يارسول الله: أغثني فأقول لاأملك لك شيئا قد أبلغتك[٥]»[٦] أخرجاه.

١- سقط من (ف) و(د).

٢- كذا في (ف)و(د)و(ح) وفي الأصل بغيرهم وعليها إشارة للهامش وليس فيه شئ.

٣-في (ف) (قد أبلغتك) وهي زيادة على نص البخاري.

٤- في (د) و(ح) قد أبلغتك لاأملك لك من الله شيئا.

٥-في (د) و(ح) قد أبلغتك لاأملك لك من الله شيئا.

٦-أخرجه البخاري في(كتاب الجهاد والسير، باب الغلول) جـ٢/٩٤٤ رقم٣٠٧٣ واللفظ له ومسلم في (كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول) جـ٣/١٤٦١ رقم ١٨٣١.

فقد أخبر أنه يستغيث به أهل الغلول يوم القيامة فلا يغيثهم، بل يقول [قد أبلغتكم][١] لاأملك لكم من ا لله شيئا.

كما قال «يا فاطمة بنت محمد لاأغني عنك من ا لله شيئاً، ياصفية عمة رسول ا لله لاأغني عنك من ا لله شيئاً، ياعباس عم رسول ا لله لاأغني / عنك من ا لله شيئا[٢]»[٣].

٧٨

وهذا النوع من الكلام يقال على وجه [العموم][٤]، (تارة يقال: السجود لايصلح إلا لله لالنبي ولا لغيره)[٥]، وتارة يقال السجود لايصلح للأنبياء، فكيف بمن دونهم، وتارة يقول السائل: هل أسجد للشيخ ؟ فيقال له: الرسول لايسجد له، فكيف يسجد للشيخ ؟ فتارة يذكر الاسم العام ويخص الأفضل بالذكر تحقيقاً للعموم؛ وأنه لايستثنى من هذا العموم أحدٌ؛ وإن كان أفضل.

كما يقال مات الناس حتى الأنبياء.وتارة يذكر الأفضل ويعطف عليه غيره تحقيقاً للعموم، وتارة يختص الأفضل بالذكر تنبيها على من

١-كذا في (د)، وفي (ح) (أبلغتكم) وفي الأصل و(ف) (أبلغتك).

٢-في (ف) سقط قوله «ياعباس عم رسول ا لله لاأغني عنك من ا لله شيئا».

٣-أخرجه البخاري في (كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء و الأولاد في الأقارب) جـ٨٤٧/٢ برقم ٢٧٥٣ وطرفه رقم ٣٥٢٧. وأخرجه مسلم في (كتاب الإيمان، باب قول ا لله تعالى﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾) جـ١٩٢/١ برقم ٢٠٦ بألفاظ متقاربة وقريبة من لفظ المؤلف.

٤-ما بين المعقوفتين ليس في جميع النسخ وفي (ح) بياض بمقدار كلمة، وقد أخذتها من تكرار المصنف لنفس المعنى في الكلام الذى بعدها بأسطر.

٥-ما بين القوسين سقط من (د).

سواه، فهذا النمط من الكلام حيث ذكر الافضل فيه فإنه لايراد اختصاصه بالحكم، بل يراد به العموم؛ وتحقيق العموم، وأن هذا الحكم ثابت في حق الأفضل، فكيف من[1] دونه؟.

وحينئذ فإذا قدر أن سائلاً سأل هل يستغاث بميت من الأنبياء والصالحين؟ فقيل له: لا[تستغث][2] بأحد منهم لانبي ولا غيره، أو قيل لايستغاث بالنبي فكيف بمن دونه!! أو قيل أفضل الخلق لايستغاث به، أو نحو ذلك من العبارات التى يفهم منها عموم النفي، وأنه ذُكر الأفضل تحقيقاً للعموم، كان هذا من أحسن الكلام كما تقدم. [3]

يذكر الأفضل تحقيقاً للعموم

كما إذا قيل لايُسجد لقبره ولا يتمسح به ولا يقبل، ولا يتخذ وثناً يعبد ونحو ذلك.

وكذلك لوكان الخطاب ابتداءً في سياق التوحيد ونفي خصائص الرب عن العبد، فقيل: مالا يقدر عليه إلا الله لايطلب إلا منه لامن نبي ولا غيره، أو قيل لايستغاث فيه بالنبي، فكيف من دونه أو نحو هذا الكلام كان حسناً.

/ فالاستغاثة المنفية نوعان أحدهما: الاستغاثة بالميت مطلقا في كل شئ. والثاني[4]: الاستغاثة بالمخلوق فيما لايقدر عليه إلا الخالق، فليس لأحد ان يسأل غير الله مالا يقدر عليه إلا الله لانبياً ولا غيره،

٧٩ أقسام الاستغاثة المنفية

١-في (د) بمن.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (يتغيث).

٣-في ص ٣٥١

٤-في (د) الثانية.

ولا يستغيث بمخلوق فيما لايقدر عليه إلا الخالق، وليس لأحد أن يسأل ميتاً؛ أو يستغيث به في شئ من الأشياء؛ سواء كان نبياً أو غيره، وإذا كان كذلك فجميع ماوقع هو من هذا الباب، ولم يفهم أحد من الخلق شيئاً إلا هذا.

دعوى البكري أن من خص الرسول والملائكة بنفي خاص فقد نقصهم بعبارته

الوجه الثالث: قوله (من نفى الحقائق نفياً عاماً يفهم به الإشارة للتوحيد، وإفراد الباري بالقدرة، عددناه من المنزهين؛ ولم[1] يجعل ذلك إبطالاً للحكمة، ومن خص الرسول أو الملائكة بنفي خاص، يفهم من طرح رتبتهم وعدم صلاحيتهم للأسباب، فقد نقصهم بعبارته وإن نوى معاني التوحيد).

رد ابن تيمية الوجه الأول

يقال له: أولاً قولك: عددناه من المنزهين، عبارة في غير موضعها، بل حقه أن يقال من الموحدين، فإن التنزيه نفي النقائص عن الله -عزوجل-، وأما[2] الإشارة إلى التوحيد وإفراده بالقدرة فيسمى توحيدا.

الوجه الثاني الرد على عدم صلاحية الأنبياء للأسباب

ويقال له: قولك (خصهم بنفي خاص يفهم منه طرح رتبتهم وعدم صلاحيتهم للأسباب) كلام مجمل؛ فماذا تريد به؟ أتريد به عدم صلاحيتهم للأسباب التى أثبتها الله -تعالى[3]- لهم، مثل عدم صلاحية الملائكة للنزول بالوحي والعذاب وتدبير[4] العالم، وعدم صلاحية

١-في (د) فلم.

٢-في (ف) (فأما).

٣-(تعالى) سقطت من (د).

٤-في (ف) (تدبّر).

الرسول لتبليغ رسالة [١] الله ونحو ذلك، مما أثبته الله لهم.

أو عدم صلاحيتهم لما اختص الرب -تبارك وتعالى- [به][٢] مثل أن يطلب منهم الأمور التى لايقدر عليها غيره، وعدم صلاحيتهم لكونهم يُسألون/ ويدعون بعد موتهم، أو يطلب منهم كما يطلب من الله [٣]. ٨٠

فإن عنيت الأول فقائله أعظم جرماً من أن يقال نقصهم بعبارته، إذ قد يكون كافرا، مثل أن يتضمن نفيه جحد رسالة الرسول، أو جحد نزول الملائكة عليه بالوحي، أو جحد ما يدخل في الإيمان من الإيمان بالملائكة، ولكن مانحن فيه ليس من هذا الباب.

وإن أردت الثاني فليس في نفي خصائص الربوبية عن المخلوق نقص له يجب تنزيهه عنه، فضلاً [عن][٤] أن يجب نفيه عنه، فمن قال: لاإله إلا الله لم يكن قد نقص الملائكة والأنبياء بنفي الآلهية عنهم، (ومن قال إن الملائكة والأنبياء)[٥] ليسوا أربابا ولا آلهة ولايعبدون ولا يطلب منهم مالا يقدر عليه إلا الله ، كان[٦] قد نفى عنهم ما يختص به الرب -تبارك وتعالى- ولم ينف عنهم (ماهم أسباب فيه)[٧]، وإنما يكون نافياً للأسباب إذا قال: لاشفاعة لهم ولا يشفعون لأحد ولا يدعون

١-في (ف) و(د) و(ح) رسالات.

٢-كذا في (د) وسقطت من الأصل و(ف) وفي (ح) لم تظهر في الصورة.

٣-في (د) تعالى.

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٥-ما بين القوسين سقط من (د) وعليه إشارة للهامش وليس فيه شئ.

٦-في (ف) (كما).

٧-مابين القوسين سقط من (د) وفي (ط) الأسباب.

لأحد، أو دعاؤهم لاينفع أحداً، فهذا[١] باطل بل كفر، أو قال إنه لايتوسل إلى الله بالإيمان بهم ومحبتهم وطاعتهم، أو لايتوسل إليه بدعائهم وشفاعتهم فهذا باطل بل كفر.

جعل البكري المستغيث بالنبي والصالحين مستعينا بالله

وهذا المفتري لما قال إنه يجوز أن يستغاث بالنبي ﷺ في كل ما يستغاث بالله فيه؛ وأن ذلك صحيح في حق النبي والصالحين، وقال: (إن كل من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربة؛ فقد استغاث به سواء كان حياً أو ميتاً، وإن من سأله وطلب منه فقد استغاث به، فاقتضى ذلك أنه يطلب منه حياً وميتا كل شئ كما[٢] يطلب من الله[٣]،(ويطلب بالتوسل/ به حياً وميتا كل[٤] مايطلب من الله، وأن ذلك ثابت للصالحين أيضا)، اقتضى كلامه أنه يطلب من المخلوق حياً وميتا كل ما يطلب من الخالق -سبحانه وتعالى-)[٥].

٨١

ومعلوم[٦] أن هذا الذى قاله لو كان حقاً لم يجز نفي الاستغاثة به بوجه من الوجوه، كما لايجوز نفي شفاعته التى أثبتها الله، ونفى استشفاع الناس به يوم القيامة كما نطقت به[٧] النصوص، ونفى توسل الصحابة بشفاعته ودعائه في الدنيا.

١-في (د) فهو.

٢-في (د) (ما) بدون (كاف) وفي الهامش ((ويطلب بالتوسل به حياً وميتا)).

٣-في (د) الخالق سبحانه وتعالى.

٤-في (ف) (شئ) عليها أثر شطب خفيف.

٥-ما بين القوسين سقط من (د).

٦-بياض في (ف) بمقدار كلمتين.

٧-في (د) إشارة للهامش وفيه «وأن ذلك ثابت للصالحين أيضاً» ثم كلمة غير واضحة.

فمن قال: إن النبي ﷺ لايشفع لأحد ولا يستشفع به، وإنه لم تكن الصحابة يستشفعون به فهو مفتر كذاب؛ بل هو كافر بعد قيام الحجة عليه.

وإما من قال: إنه لايطلب منه مالا يقدر عليه إلا الله ، أو قال إنه لايسأل بعد موته كما كان يسأل في حياته فهذا قد أصاب؛ فأين هذا من هذا !! وأما من قال إنه لايقسم على الله بمخلوق ولا يتوسل بميت ولا يُسأل بذات مخلوق، فإن الصحابة إنما توسلوا بدعائه وشفاعته، ولما مات لم(١) يتوسلوا بدعائه وشفاعته ولم يتوسلوا بذاته، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه توسل إلى الله بميت [في دعائه](٢)، ولا أقسم به عليه.

وهكذا قد قال أبو حنيفة وأبو يوسف(٣) وغيرهما:إنه لايجوز أن يقال: أسألك بحق الأنبياء، وكذلك قال أبو محمد ابن عبدالسلام(٤):إنه

١-(لم)سقط من (ف) و(د) و(ح).

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بدعائه).

٣-أبو يوسف هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى الكوفي، البغدادي. ولد سنة ١١٣هـ، صاحب أبي حنيفة وتلميذه. قال الإمام أحمد: أول ماكتبت الحديث اختلفت إلى أبي يوسف، وكان أميل إلى المحدثين من أبي حنيفة ومحمد. وثقه أهل الحديث. وكان صاحب حديث وسنه تولى القضاء، ولقب بقاضي القضاة صنف "الخراج" "والآثار" وغيرهما ، وهو الذى استتاب بشراً المريسي توفى يوم الخميس الخامس من ربيع الأول سنة ١٨٢هـ. وعاش ٦٩ سنة. انظر السير جـ٨/٥٣٥ ترجمه رقم ٢٤٩ والأعلام جـ٨/١٩٣ وقد سبق الكلام على هذه المسألة. في ص ٣٣٧

٤-أبو محمد ابن عبدالسلام: هو عزالدين أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، ولد سنة ٥٧٧هـ، في دمشق،

لايقسم عليه بحق الأنبياء وتوقف في نبينا ﷺ لظنه أن ذلك خير يخصه، وليس كذلك.

فهذا وإن كان مصيباً ففيه نزاع؛ فقد نقل عن بعض العلماء أنه لايجوز أن يتوسل به بعد موته، ونُقل ذلك[1] في منسك الحج الذي نقله المروذي[2] عن الإمام أحمد، وقد تنازع العلماء في القسم به هل/ ينعقد به على قولين أشهرهما: أنه لاينعقد اليمين به وهو مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحد[3] القولين في مذهب أحمد، والثاني تنعقد به اليمين وهو الرواية الأخرى عن أحمد اختارها طائفة من أصحابه، وعلى هذه الرواية فهل الحلف يختص به؛ أو يُحلف بسائر الأنبياء؟ على وجهين أشهرهما الأول والثاني ذكره ابن عقيل وغيره. فقد يقال: إن

٨٢ نزاع العلماء في القسم بالنبي ﷺ

فقيه شافعي تولى الخطابة والتدريس بالجامع الأموي، ثم في مصر، كان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، غضب عليه الصالح بن إسماعيل، لإنكاره عليه؛ تسليم قلعة «صفد» للفرنجه. انتهت إليه رئاسة الشافعية. له "القواعد الكبرى والصغرى" "وكتاب الصلاة"، "والفتاوى الموصلية" وغيرها توفي ٦٦٠هـ. انظر البداية والنهاية جـ١٣/٢٦٤ والأعلام جـ٤/٢١.

ونص فتواه قال «لما ذكر حديث الأعمى (وسيأتي تخريجه والكلام عليه) وهذا الحديث إن صح فينبغي أن يكون مقصوراً على رسول الله ﷺ لأنه سيد ولد آدم، وأن لايقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء.ا.هـ فتاوى العز بن عبدالسلام خرج أحاديثه عبد الرحمن عبد الفتاح ص١٢٦-١٢٧ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان.

١-(ذلك)سقطت من (د).

٢-في (د) المروزي والصواب المروذى بالذال وسبق التعريف به في ص ٢٨٢ .

٣-كذا في جميع النسخ وفي الأصل «أحدى» وهو خطأ.

التوسل به والإقسام على الله به [هو] [١] من جنس الحلف به، فيكون النزاع في هذا كالنزاع في هذا[٢].

والصواب ماعليه الجمهور من أنه لاتنعقد اليمين بمخلوق لاالنبي -ﷺ-[٣] ولاغيره[٤].

١-كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٢-فرق المؤلف -رحمه الله- بين التوسل والإقسام، فقال: إن السائل متضرع ذليل يسأل بسبب يناسب الإجابة، والمقسم أعلى من هذا فإنه طالب مؤكد طلبه بالقسم. انظر التوسل والوسيلة ص١١٥.

٣-مابين الشرطتين سقط من (د).

٤-وإليك أقوال العلماء من المذاهب الأربعة:

قال ابن قدامة المقدسى من الحنابلة في المغني جـ٢٠٩/١١ وبهامشه الشرح الكبير: ولا تنعقد اليمين بالحلف بمخلوق كالكعبة والأنبياء وسائر المخلوقات ولا تجب الكفارة بالحنث فيها، وقال أصحابنا الحلف برسول الله ﷺ يمين موجبة الكفارة، ورُوي ذلك عن أحمد ورجح ابن قدامة الأول للأدلة الواردة ولأنه ليس بمنصوص عليه ولا في معنى المنصوص، ولا يصح قياس اسم غير الله على اسمه، وحمل كلام الإمام على الاستحباب دون الايجاب.ا.هـ.

وقال القدوري من الحنفية: ومن حلف بغير الله لم يكن حالفاً كالنبي والقرآن والكعبة. انظر اللباب في شرح الكتاب تأليف عبدالغنى الحنفي تحقيق محمود أمين النواوي جـ٤/٥ طبعة دار الحديث، والاختبار لتعليل المختار تأليف عبدالله الموصلي الحنفي تعليق الشيخ محمود أبو دقيقه جـ٤/٥١ الطبعة الثالثة ١٣٩٥هـ الناشر دار المعرفة.

وقال أبو عمر من المالكية في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تحقيق عبدالله صديق جـ٣٦٧/١٤-٣٦٨ : أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهي عنها لايجوز الحلف بها لأحد واختلفوا في الكفارة هل تجب على من حلف

سبب خطأ البكري في مسألة الاستغاثة

ولكن لم يسم[١] أحـد مـن الأمـم هـذا استغاثة، فإن الاستغاثة به[٢] طلب منه لاطلب بـه، وهـذا اعتقـد جـواز هـذا بالإجمـاع وسمـاه استغاثة، فلزم جواز الاستغاثة به بعد موته بالإجماع[٣]، فإذا[٤] جاز أن يتوسل به في كل شئ جاز أن يستغاث به في كل شئ، ثم إنه لم يجعل هذا وحده معنى الاستغاثة؛ بل جعل الاستغاثة الطلب منه أيضاً، وكـان لايميز[٥] بين هذا المعنى وهذا المعنى، بل يجوز عنده أن يستغيث بـه في كل مايستغاث الله فيه؛ على معنى أنه وسيلة من وسـائل الله في طلـب الغوث، وهذا عنده ثابت للصالحين.

بغير الله فحنث، فأوجبها بعضهم بعضهم في أشياء يطول ذكرها، وأبى بعضهم في إيجـاب الكفارة على من حنث في يمينه بغير الله وهو الصواب عندنا والحمد لله.ا.هـ.

وقال ابن حجر من الشافعية في فتح الباري جـ٦٥١/١١-٦٥٢: وأما اليمين بغير الله وصفاته فقد ثبت المنع فيها وهل المنع للتحريم؟ قولان للمالكية، كذا قال ابـن دقيق العيد والمشهور عندهم الكراهة، والخلاف أيضا عند الحنابلة لكـن المشـهور عندهم التحريم، وبه جزم الظاهرية، وقال ابـن عبدالبر: لايجوز الحلـف بغـير الله بالإجماع، ومراده بنفي الجـواز، والكراهـة أعـم مـن التحريـم والتنزيـه، والخـلاف موجود عند الشافعية. وقال إمام الحرمين القطع بالكراهة ا.هـ.

١-في (ف) (يسمه) وفي (د) فوق السطر (يسمى).

٢- (به)سقطت من (ف).

٣-من هنا يبدأ فراغ في السطر في (ف) بمقدار ثلاث كلمات تقريباً، وليس في الكلام سقط.

٤-في (ف) وإذا.

٥-هنا انتهى الفراغ في أسطر (ف).

والاستغاثة طلب الغوث [كالاستعانة][1] والانتصار، وذلك ثابت في حياته، وهو ثابت عند هذا الضال بعد موته[2] بثبوتها في حياته، لأنه عند الله في مزيد دائم لاينقص جاهه.فدخل عليه الخطأ من وجوه[3]: / منها: أنه جعل المتوسِّل به بعد موته في الدعاء مستغيثاً به، وهذا لايعرف في لغة أحد من الأمم لاحقيقة ولا مجازا؛ مع دعواه الإجماع على ذلك، وأن المستغاث به هو المسئول المطلوب منه لاالمسئول به.

٨٣

والثاني: ظنه أن توسل الصحابه به في حياته كان توسلاً بذاته لابدعائه وشفاعته؛ فيكون التوسل به بعد موته كذلك، وهذا غلط يوافقه عليه طائفة من الناس بخلاف ؛ الأول فإني ماعلمت أحداً وافقه عليه.

الثالث: أنه أدرج سؤاله أيضاً في الاستغاثة وهذا صحيح جائز في حياته، وهو قد سوى في ذلك بين محياه ومماته، وهنا أصاب في لفظ الاستغاثة؛ لكنه أخطأ في التسوية بين المحيا والممات، وهذا ماعلمته ينقل عن أحد[4] من العلماء؛ لكنه موجود في كلام بعض الناس مثل

١-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) كالاستغاثة.

٢-في (د): موتها.

٣-في هامش الأصل: (جاعلها في الأصل الخطاب ولا أظن ذلك) قلت: لعله يقصد كلمة خطأ.

٤-(أحد)سقطت من (د).

العلماء الذين يوخذ بقولهم في شرائع الإسلام

الشيخ يحي الصرصري(١) ففي شعره قطعة منه، والشيخ محمد بن النعمان(٢) كان له كتاب "المستغيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام"، وهذا

١-الشيخ يحي الصرصري: هو أبو زكريا، جمال الدين يحي بن يوسف بن يحي الأنصاري، من أهل صرصر (قرية قرب بغداد) سكن بغداد. وكان ضريراً وشاعراً، له ديوان شعر، ومنظومات في الفقه والعقيدة وغيرها منها "المنتقى في مدائح الرسول ﷺ" "وعقيدة" وغيرها. قاتل التتار يوم دخلوا بغداد بعكازه، فقتلوه. وحمل إلى صرصر فدفن فيها سنة ٦٥٦هـ. انظر البداية والنهاية جـ٢٣٩/١٣ الأعلام جـ١٧٧/٨ ومن شعره الذى أشار له شيخ الإسلام ابن تيمية قوله في قصيدته اللامية:

يا رسول ا لله يامن مدحه ... من القوافي أقوم الألفاظ قيلا

مسنى ضرعناه ثابت ... من ذنوب غادرت قلبي كليلا

وقوله:

لأنت إلى الرحمن أقوى وسيلة ... إليه بها في الحادثات تنصل

إلى غير ذلك مما قاله، وقد استشهد بشعره النبهاني في كتابه شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، وغيره من القائلين بالاستغاثة بالمخلوق، كما سبقهم إلى ذلك البكري كما أشار المؤلف. وقد أول بعضهم بعض أقواله. لكن بعض شعره تأويله مشكل. انظر: غاية الأماني في الرد على النبهاني للألوسي جـ٣٤٢/٢-٣٤٥.

ومهما يكن فإن الصرصري ليس من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام وله شعر كثير وجيد في توحيد ا لله وإخلاص العمل والرد على الفرق المخالفة، فيحمل متشابه قوله على محكمه، وقد وصفه ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة جـ٢٦٣/٢ فقال: كان صالحاً قدوه، عظيم الاجتهاد، كثير التلاوة عفيفاً صبوراً قنوعا، محباً لطريقة الفقراء ومخالطتهم، وكان يحضر معهم السماع ويرخص في ذلك ا.هـ. فلم يصفه بالعلم.

٢-انظر المقدمة ص ٦٦.

الرجل قد نقل [منـه][1] فيمـا يغلـب علـى ظـني، وهـؤلاء لهـم صـلاح ودين؛ لكنهم ليسوا مــن أهـل العلـم العـالمين بمـدارك الأحكـام؛ الذيـن يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام ومعرفة الحـلال والحـرام، وليـس معهـم دليل شرعي؛ ولا نقل عن عـالم مرضـي، بـل عـادة جـروا عليهـا كمـا جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه.

وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولـه فضـل وعلـم وزهـد؛ إذا نـزل بـه أمـر خطـا إلى جهـة الشـيخ عبدالقـادر[2] خطـوات معــدودة واستغاث به، وهذا يفعله كثير/ من الناس وأكبر منـه.[ومنهـم][3] مـن ٨٤

١-كذا في (ف) و(د) وفي الأصل (فيه) وفي (ح) (عنه).

٢-الشيخ عبدالقادر هو: محي الدين أبو محمد، عبدالقـادر بـن أبـي صـالح عبـدا لله بـن جنكي دوست الجيلى أو الجيلاني، ولد بجيلان سـنة ٤٧١هـ، قـدم بغـداد شـاباً ، نسبه أتباعه للحسن بن علي بن أبي طالب واختلفـوا في أسمـاء أبائـه، وأنكـر هـذا آخرون ونسبوه إلى قبيلة من العجم وقد كان كبير الشأن، وعليـه مـأخذ في بعـض أقواله، ودعاواه، وبعـض ذلـك مكـذوب عليـه. وتنتسـب إليـه الطريقـة القادريـة، تصدر التدريس والافتاء في بغداد سنة ٥٢٨هــ، لـه "الغنيـة لطـالب طريـق الحـق" "والفيوضات الربانية" وغيرها. عاش تسعين ســنة وتـوفي في بغـداد سـنة ٥٦١هــ. انظر السير جـ٢٠/٤٣٩ ترجمة رقم ٢٨٦ والاعلام جـ٤/٤٧.

وانظر هذه الحكايـات الباطلـة في((بهجـة الأسـرار ومعـدن الأنـوار)) لنورالديـن الشنوطي ت٧١٣هـ نقلاً عـن دراسـات في التصـوف تـأليف إحسـان إلهي ظهير ص٢٤٩ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر إدارة ترجمــان السـنة لاهـور – باكستان.

٣-بياض في جميع النسخ بمقدار كلمتين . وفي هامش الأصـل : (بيـاض في الأصـل) وما بين المعقوفين من (ط)

يأتي إلى قبر الشيخ يدعوه ،[ويدعو به][1] ويدعون[2] عنده، وهؤلاء ليس لهم مستند شرعي من كتاب أو سنة أو قول عن الصحابة والأئمة، وهؤلاء ليس عندهم إلا قول طائفة من الشيوخ: إذا كانت لكم حاجة فاستغيثوا [بي][3]، وتعالوا إلى قبري ونحو ذلك؛ مما فيه تصويبه لأصحابه بالاستغاثة به حياً وميتا، ومعهم قول طائفة أخرى: قبر معروف[4] أو غيره ترياق مجرب، والدعاء عند قبر الشيخ [5]مجاب ونحو ذلك، ومعهم أن طائفة من الناس استغاثوا بحي أو ميت فرأوه قد أتى في الهواء وقضى بعض تلك الحوائج وأخبر ببعض ماسئل عنه.

إضلال الشياطين لمن يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين

وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء.أو[6] الصالحين أو[7] الكواكب والأوثان، فإن الشياطين كثيراً ماتتمثل لهم فيرونها قد تخاطب أحدهم ولا يراها.

ولو ذكرت ماأعلم من الوقائع الموجودة في زماننا من هذا لطال [هذا][8] المقام، وكلما كان القوم أعظم جهلاً وضلالا كانت هذه

١-كذا في (ف) وفي (د) و(ح) (ويدعوا) وفي الأصل (ويدعونه) وفي الهامش : لعله (ويدعوا به)

٢- في (ف) و(د) و(ح) يدعوا.

٣- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) به وفي هامش الأصل لعله «فاستغيثوا بي».

٤-هو معروف الكرخي وسبق التعريف به.

٥-في (ط) زاد الناسخ كلمة (فلان) وجعلها بين معقوفين ، وهي شرح للمعني .

٦-(أو)في (د) و(ح) واو.

٧-(أو)في (د) واو.

٨-كذا في (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

الأحوال الشيطانية عندهم أكثر، وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو غير ذلك، وهو لايرى أحداً أتاه به، فيحسب ذلك كرامة(١)؛ وإنما هي من الشيطان، وسببه شركه با لله وخروجه عن

١-الكرامة عند المتكلمين: هي أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لايكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح، يكون استدراجاً، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة. التعريفات للجرجاني ص١٨٤ باب الكاف، وزاد المناوى عن الأمر الخارق. وقد يكون من الشيطان. انظر التوقيف على مهمات التعريف ص٢٨١ باب الكاف فصل الراء.

وعلى هذا التعريف بعض الانتقادات منها:أن بعض معجزات النبي ﷺ غير مقرونة بالتحدي، كما أن بعض كرامات الأولياء مقرونة بالتحدي مثل ماروي عن خالد بن الوليد -رضى ا لله عنه- في شرب السم كما في السير جـ٣٧٦/١ قال الذهبي: قلت هذه وا لله الكرامة. ا.هـ وغيرها كثير، ثانيها: عدم التفريق بين الكرامة والخارقة الشيطانية.يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى جـ٣١١/١١: اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد ابن حنبل وغيره، ويسمونها الآيات، لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة.ا.هـ

و للتوسع انظر: النبوات لابن تيمية ص٣٠٦-٣٠٧ طبعة ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان والكرامة تأليف عبدا لله العنقري رسالة ماجستير قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية جامعة الملك سعود ص١٧-٢٥، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ١٣٨٠/٣-١٣٨٢ وأولياء ا لله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي تأليف عبدالرحمن دمشقية ص١١٦-١١٧ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي الرياض - السعودية.

وهذه الأحوال ليست دليلاً على صحة مذهبهم فإنها تقع للكفار والوثنيين وغيرهم يقول محمد فريد وجدى: أما مايروى عن أتباعه -أي الرفاعي- من أكل النار والجلوس عليها وغير ذلك فيظهر أنه صحيح وهو أثر من آثار سلطة الروح على

--

طاعة الله ورسوله إلى طاعة [الشياطين][1] فأضلتهم الشياطين[2] بذلك كما كانت تضل عُباد الأصنام، ومثل هذه الأحوال لاتكون من كرامات أولياء الله المتقين.

الجسم وإشراقها عليه بسلطانها حين يدخل الإنسان في حالة غير اعتياديه سواء أكانت بالذكر أم التنويم المغناطيسى وقد روت مجلة المجلات الفرنسية عن الأستاذ الانجليزي الكيماوي كروكس رئيس الجمعية الملكية العلمية الإنجليزية سابقاً أنه وضع جذوة في يد فتاة نومها نوماً مغناطيسياً فلم تتأثر به مطلقا فأعلن عن هذه الحادثة وقال باعتباره كيماوياً إنه لايعرف أي مادة كيماوية تحمي الجلد من الإحتراق مطلقاً. وكتبت مجلة المجلات الفرنسية سنة ١٨٩٦م فصلاً تحت عنوان (الكهان الذين لايحترقون) أثبتت فيه أن لدى الوثنيين سكان جزائر فيجي وغيرها حوادث من هذا القبيل فيدخل كهانهم إلى النيران المستعرة دون أن يمسهم ضرر وقد حصل ذلك بمرأى من بعض علماء أوروبا ا.هـ. وقد ذكر حوادث كثيرة. ثم قال: إن الكافر قد تحصل على يديه الخوارق بواسطة الرياضات والمجاهدات النفسية ا.هـ. انظر دائرة معارف القرن العشرين جـ٤/٢٦٦-٢٦٨ الطبعة الثانية ١٣٤١هـ مطبعة دائرة القرن العشرين.

وللتوسع في الكلام على الأحوال الشيطانية انظر قطر الولي للشوكاني ص ٢٥٣ تحقيق إبراهيم هلال طبعة دار الكتب الحديث القاهرة - مصر، وعالم الجن والشياطين للأشقر الفصل الرابع ص٨٣ وحقيقة الجن والشياطين تأليف محمد علي السيدابي ص٢١ ومابعدها الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار الحارث الخرطوم - السودان، وخوارق العادات المعجزة والكرامة والسحر تأليف مجدى محمد الشهاوي ص ٤٢ وما بعدها، الناشر مكتبة القرآن القاهرة - مصر، ودراسات في التصوف للشيخ إحسان إلهي ظهير ص٢٣١ وما بعدها والرفاعية للشيخ عبدالرحمن دمشقية ص٩٤.

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل الشيطان.

٢-في (ف) الشيطان.

ثم انقسموا حزبين حزباً رأوا فيمن[١]يفعلها من الكفر والفسوق والعصيان مايخرجه عن كونه / من أولياء ا لله المتقين، (وكذبوا بما ينقل عنه من ذلك، وحزباً رأوا ذلك منه أو يثبت بالنقل المتواتر عن واحد أو عدد من ذلك مايوجب حصول مثل ذلك لهؤلاء، فيظنون أنهم من أولياء ا لله المتقين)[٢].

٨٥

ثم من هؤلاء من يقول: من أولياء ا لله من له طريق إلى ا لله غير مبايعة الرسل، ومن هؤلاء من يفضل كثيراً من الأولياء على الأنبياء ، ومنهم من يقول: هؤلاء يتصرفون بالقدر[٣] والمشيئة تصرفاً خرجوا به عن حكم وجوب طاعة الأنبياء عليهم، وصاروا غير مكلفين بأمر الأنبياء ونهيهم.

حكايات غلاة الصوفية

ويذكرون حكايات يظنونها صدقاً، منها أن أهل الصفة قاتلوا النبي ﷺ مع الكفار لما [انهزم][٤] بعض أصحابه يوم أحد وحنين، فقال لهم ياأصحابي أين تذهبون وتدعوني فقالوا نحن مع ا لله، من كان ا لله معه كنا معه.

ومرادهم أن كل من معه القدر كانوا معه؛ وإن كان كافراً أو فاسقا؛ من غير نظر في العاقبة ولا في وعد ا لله ووعيده.

ويذكرون ماهو أعظم كفراً من هذه الحكاية وهو أن ا لله -

١-في (د) فيما.

٢-ما بين القوسين ساقط من (د).

٣-في (د) القدرة.

٤-كذا في(ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (نهزم) بدون همزه.

تعالى- أطلع رسوله على سر[١] ليلة المعراج وأمره أن لايخبر بـه أحـدا، وأنه رأى أهل الصفـة يتكلمـون بـه، فقال لهـم: مـن أيـن لكـم هـذا ؟ فقالوا: أخبرنا الله بـه. فقـال: يـارب ألم تـأمرني أن أكتـم هـذا السـر؟ فقال: أنا أمرتك أن تكتمه، وأنا أخبرهم به.

وقد ذكر لي هذه الأمور غير واحد مـن كبـار شـيوخ هـؤلاء عـن غـير واحد من شيوخهم[٢]؛ فبينت لهـم كـذب هـذا حتـى قلـت لبعضهـم: الصفة إنما كانت بالمدينة والمعراج كان بمكة فلم يكن ليلة المعراج أحـد يُذكر أنه من أهل الصفة[٣].

٨٦ وأعظم من هذا كفرا ما/ يذكره بعضهم أن الله أمر نبيـه بزيـارة أهل الصفة، وأنه ذهب ليزورهم فلم يفتحوا له الباب، وقالوا له: اذهب إلى من أرسلت إليه فإنه لاحاجة لنا بـك، وأنـه عـاد إلى ربـه فـأمره أن يذهب إليهم ويتأدب معهم؛ ويقول خادمكم محمد جـاء لـيزوركم[٤]، ونحو هذه الكفريات التى لايقولها إلا من هـو أبعـد النـاس عـن الإيمـان بالله ورسوله.

١-في هامش (د) سر الأسرار.

٢-في هامش (د) شيوخهم الكبار.

٣-في هامش (د) في نسـخه «فلـم يكـن ليلـة المعـراج أحـد يعـرف الصفـة ولا أهلهـا والصفة إنما كانت بمسجد المدينة والمسجد إنما بني بعد الهجرة والهجرة كـانت بعـد المعراج بمدة».

٤-في هامش الأصل (سبحان الله ماأعظم هذه الفرية ومن أكفر ممن اعتقد هذا أعـوذ بالله من زيغ القلوب ورين الذنوب). وفي هامش (د)في نسـخه (وكـل هـذا كفـر من قائله ومعتقده فإن هذه) [كذا].

ومع هذا فهي عند أصحابها من حقائق العارفين وأسرار أولياء الله المصطفين، خواص الرب الذين هم أفضل من الأنبياء والمرسلين عند أصحابهم، هؤلاء الكفار الذين هم أكفر من اليهود والنصارى.

فهذه حكايات في آثار حصلت لبعض من استغاث ببعض المخلوقين الميتين والغائبين، وعندهم عادات وجدوا عليها سلفهم [ممن](١) كان له نوع من العلم والعبادة والزهد، فليس معهم بذلك حديث يروى، ولا نقل عن [صحابي](٢) ولا تابعي ولا قول إمام مرضي.

ولهذا لما نُبه من نُبه من فضلائهم على ذلك تنبهوا وعلموا أنّ ماكانوا عليه ليس من دين الإسلام؛ بل هو مشابهة لعباد الأصنام.

لكن هؤلاء كلهم مافيهم من يَعُدُّ نفي هذا والنهي عنه كفر؛ إلا مثل هذا الأحمق الضال، الذى حاق به وبيل النكال فإنه من غلاة أهل البدع الذين يبتدعون القول ويكفرون من خالفهم فيه، كالخوارج والروافض والجهمية. فإن هذا القول الذى قالوه لم يوافقهم عليه أحد من علماء المسلمين الأولين والآخرين.

امتناع علماء مصر عن موافقة البكري في الاستغاثة

وقد طاف بجوابه على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذى كتبته فما خالفوه، وقد

١-كذا في(ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (فمن).

٢-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (صاحب) وهي صحيحة ، ولكن ما أثبت أعلاه موافق لما بعدها.

٨٧ كان بعض الناس يوافقه على جواز التوسل بالنبي/ الميت؛ لكنهم لم يوافقوه على تسميته استغاثة، ولا على كفر من أنكر الاستغاثة به[(١)]، ولا جعلوا هذا السبب بل عامتهم وافقوا على منع الاستغاثة به؛ بمعنى أن يطلب منه مالا يقدر عليه.

وما علمت عالماً نازع في أن الاستغاثة بالنبي وغيره من المخلوقين بهذا المعنى لاتجوز، مع أن قوماً كان لهم غرض[(٢)] وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قياماً عظيما واستعانوا بمن كان له غرض من ذوي السلطان وجمعواالناس؛ وعقدوا مجلساً عظيماً ضل فيه سعيهم، وظهر فيه جهلهم، وخاب فيه قصدهم، وظهر فيه الحق لمن كان يعاونهم من الأعيان؛ وتمنوا أن مافعلوه ماكان، لأنه كان سبباً لظهور الحق مع الذى عادوه وقاموا عليه وسبباً لانقلاب [الخلق][(٣)] إليه، وكانوا كالحافر[(٤)] حتفه بظلفه، والجادع مارن[(٥)] أنفه بكفه، مع فرط [عصبيتهم][(٦)]

١-في الأصل «بمعنى أنه يطلب منه» ومشطوب عليه. وقال الألوسي عن المؤلف لما نقل إجماع علماء مصر في زمنه: وهو ثقة فيما يحكيه بالإجماع.ا.هـ غاية الأماني في الرد على النبهاني جـ٢/٣٤٨.

وانظر المقدمة ص٢٨ فقد عقد للشيخ مجلس في شوال سنة ٧٠٧هـ في قضية الاستغاثة ولم يثبت عليه شئ.

٢-في هامش (د) في نسخة «غرض وهوى من ذوي السلطان».

٣-كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) الحق.

٤-في(ف) كالحامل.

٥-المارن هو مادون قصبة الأنف وهو ما لان منه والجمع مَوَارِن. المصباح المنير ص٢١٧ مادة (مرن).

٦-كذا في (ح) وفي الأصل و(د) عصبهم، وفي (ف) عصبتهم.

وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم ومكايدة شيطانهم[١].

طريقة أهل البدع الجمع بين الجهل والظلم

وهذه الطريقة التى سلكها هذا وأمثاله هي طريقة أهل البدع؛ الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويكفّرُون من خالفهم في بدعتهم، كالخوارج المارقين الذين ابتدعوا ترك العمل بالسنة المخالفة في زعمهم للقرآن، وابتدعوا التكفير بالذنوب، وكفروا من خالفهم حتى كفروا عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومن والاهما من المهاجرين والأنصار وسائر المؤمنين.

نقل الأشعري في كتاب المقالات أن الخوارج مجمعة على تكفيرعلي -رضىا لله عنه-[٢].

وكذلك الرافضة ابتدعوا تفضيل علي على الثلاثة / ٨٨ وتقديمه في الإمامة والنص عليه،[وادعوا][٣] العصمة له، وكفروا من خالفهم، وهم جمهور الصحابة وجمهور المؤمنين حتى كفروا أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهم[٤] ، هذا الذى عليه

١-انظر خبر هذه المناظرة في مج مجلد التصوف جـ١١/٤٤٥-٤٧٥ وقد كانت مع البطائحية والرفاعية من الطرق الصوفّية؛ وقد ألزموا في هذه المناظرة باتباع الشرع.

٢-انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الاشعرى (جـ١/١٦٧) وزاد: وهم مختلفون: هل كفره شرك أم لا ؟.

٣-كذا في(ف) وفي الأصل و(د) و(ح) ودعوى.

٤-في (د) توليهم.

أئمتهم[١].

وكذلك الجهمية ابتدعت نفي الصفات المتضمن في الحقيقة لنفي الخالق ونفي صفاته وأفعاله وأسمائه؛ وأظهرت القول بأنه لايرى؛ وأن كلامه مخلوق خلقه في غيره لم يتكلم هو بنفسه وغير ذلك، ثم إنهم امتحنوا الناس فدعوهم إلى هذا وجعلوا يكفرون من لم يوافقهم على ذلك.

وكذلك القدرية ابتدعت التكذيب بالقدر؛ وأنكرت مشيئة الله النافذة وقدرته التامة وخلقه لكل شئ، وكفّروا أو [منهم][٢] من كفّر من خالفه.

وكذلك الحلولية والمعطلة [للذات][٣] والصفات يُكفر كثيراً منهم من خالفهم، فالذين يقولون: إنه بذاته في كل مكان منهم من يكفّر من خالفه، والذين يقولون: إنه لامباين للمخلوقات ولاحال[٤] فيها فمنهم من يكفر من خالفه[٥].

١-انظر: التنبيه والرد ص٤٥ ومقالات الإسلاميين جـ١/٨٩، بل إنهم كفروا الزيدية وهم منهم، ومعاصروهم يصرحون بهذا. انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية تأليف د.ناصر القفاري جـ٢/٧١٦ وما بعدها الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٢-كذا في (ط) وفي جميع النسخ تأخرت الكلمة هكذا (أو من كفر منهم من) ولا يصح لها معنى.

٣-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) في الذات.

٤- في (د) و(ح) ولاعال عليها.

٥-في هامش الأصل (قلتُ : العجب ممن نجا كيف نجا ليس العجب ممن هلك كيف هلك ولهذا لم يقنع من قريش بعبادة الأصنام حتى صيرهم مجانين يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء).

والذين يقولون ليس كلامه إلا معنىً واحد قائماً بذاته، ومعنى التوراة والإنجيل (والقرآن واحد)[١]، والقرآن العزيز ليس هو كلامه؛ بل كلام جبرائيل[٢] أو غيره، فمنهم من يُكفر من خالفه.

والذين يقولون بقدم بعض أحوال العبد، كالذين يقولون بقدم صوته بالقرآن أو قدم بعض أفعاله أو صفاته، وقدم أشكال المداد، فمنهم من يكفر من خالفه[٣].

بل والذين يقولون بقدم روح العبد أو بقدم كلامه مطلقا أو قدم أفعاله الصالحة أو[٤] أفعاله مطلقا، فمنهم من يُكفر من خالفه.

والذين يقولون إن الله يُرى بالأعين في الدنيا[٥]، منهم من يُكفر من خالفه.

والذين يُهينون المصحف وربما كتبوه بالنجاسة فمنهم من يُكفر

١-ما بين القوسين سقط من (د).

٢-في (ف) و(د) و(ح) جبريل، وهذا هو مذهب الكلابية الأشاعرة والماتريدية انظر:مج جـ١٢/٣٧٦-٣٧٧ وشرح المقاصد جـ٤/١٥٢ وما بعدها ، والعقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية تأليف عبدا لله الجديع ص٢٩٧-٢٩٩ الطبعة الثانية ١٤١٦هـ الناشر دار الإمام مالك ودار الصميعي الرياض - السعودية، وقد أفرد فصلا في الرد عليهم انظر ص٣٤٥ وما بعدها.

٣-وهذا مذهب السالمية ومن وافقهم. انظر العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص٣٠٠-٣٠١ ؛ والسالمية هم اتباع أحمد بن محمد بن أحمد بن سالم ت (٣٦٠هـ). مج ج ١٢ / ٥٢٧ والمصادر العامة للتلقى عند الصوفية ص ٤٥

٤-في (د) (واو).

٥-قال به بعض الصوفية: انظر: مج جـ٥ /٧٩ -٤٨٩-٤٩٠.

من خالفه، ونظائر هذا متعددة.

٨٩ منهج أهل السنة الجمع بين العلم والعدل والرحمة

وأئمة/ السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان؛ فيهم العلم والعدل والرحمة؛ فيعلمون الحق الذى يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم ،كما قال تعالى ﴿**كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قومٍ على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾[سورة المائدة:٨]، ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لايقصدون الشر لهم ابتداء؛ بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم؛ كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وأن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا.

فالمؤمنون أهل السنة هم يقاتلون في سبيل الله ومن قاتلهم يقاتل في سبيل الطاغوت، كالصديق مع أهل الردة، وكعلي بن أبي طالب مع الخوارج المارقين ومع الغلاة والسبائية(١)، فأعمالهم خالصة لله -تعالى-

١-كذا في جميع النسخ ، والصواب السبئية وهم: أصحاب عبدالله بن سبأ قال عنه شيخ الإسلام ابن تيميه في مجموع الفتاوي جـ٤/٥١٨: "هو رأس المنافقين أظهر الإسلام وأراد فساد دين المسلمين، كما أفسد بولس دين النصارى ا.هـ. وهو الذي يقال له ابن السوداء، كان يهودياً من أهل صنعاء فأسلم لارغبة فيه بل لفساد". كان له دور كبير في أحداث الفتنة التى قُتل فيها عثمان -رضيالله عنه- ادعى هو وأصحابه في علي -رضيالله عنه- الإلهية، وأن علياً مامات ولا يجوز عليه أن يموت، وأنه يجئ في السحاب، والرعد صوته، والبرق تبسمه وإنه سينزل إلى الأرض بعد ذلك فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وذهب بعضهم إلى أنه يبعث قبل يوم القيامة حتى يقاتل الدجال. وكلهم يقولون بالبداء على الله.

--

موافقة للسنة، وأعمال مخالفيهم لاخالصة ولا صوابا؛ بل بدعة واتباع هوى ، ولهذا يسمون أهل البدع وأهل الأهواء.

شروط قبول العمل

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾[سورة هود:٧] قال أخلصه وأصوبه، قالوا: ياأبا علي ماأخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً و لم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً و لم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة(١).

فلهذا كان أهل العلم والسنة لايكفّرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك؛ ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق ا لله.

٩٠

حكم تكفير المعين

وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره ا لله ورسوله،/ وأيضا فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التى يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من

قال الملطي في التنبيه والرد ص٢٩-٣٠ :ولهم كلام لاأستجيز شرحه في كتاب ولا أقدم على النطق به، وهؤلاء كلهم أحزاب الكفر والجهل ... وقد ضاهوا أقوال النصارى|.هـ. انظر: مقالات الإسلاميين جـ١/٨٦ والملل والنحل جـ١/١٧٤ وعقائد الثلاث وسبعين جـ١/٤٧٢.

١-انظر حلية الأولياء جـ٨/٩٥ الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ قال أبو نعيم: حدثنا أبي حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد ومحمد بن جعفر قالا حدثنا إسماعيل بن يزيد حدثنا إبراهيم بن الأشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول ... الأثر ا.هـ.

الدين يُكفر.

وهذا لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين كقدامة بن مظعون[1]

---

[1] -قدامة بن مظعون: هو أبو عمرو، قدامة بن مظعون الجمحي، من السابقين للإسلام هاجر للحبشة، وشهد بدرا، وولي إمرة البحرين لعمر. شرب مرة الخمرة متأولا، فحده عمر، وعزله من إمرة البحرين توفي سنة ٣٦هـ وله ثمان وستون سنة. انظر السير جـ١/١٦١ ترجمة رقم ١٠ والأعلام جـ٥/١٩١ .

وأخرج هذه القصة عبدالرزاق في مصنفه عن عبدا لله بن عامر بن ربيعة وكان أبوه شهد بدرا أن عمر بن الخطاب استعمل قدامة بن مظعون على البحرين، وهو خال حفصة وعبدا لله بن عمر فقدم الجارود سيد عبدالقيس على عمر من البحرين، فقال: يا أمير المؤمنين! إن قدامة شرب فسكر، ولقد رأيت حداً من حدود الله، حقا علي أن أرفعه إليك، فقال عمر ومن يشهد معك؟ قال: أبو هريرة، فدعا أبا هريرة، فقال بم تشهد؟ قال: لم أره يشرب، ولكني رأيته سكران، فقال عمر: لقد تنطعت في الشهادة، قال ثم كتب إلى قدامة أن يقدم إليه من البحرين، فقال الجارود لعمر أقم على هذا كتاب الله -عزوجل-، فقال عمر: أخصم أنت أم شهيد؟ قال بل شهيد قال: فقد أديت شهادتك، قال فقد صمت الجارود حتى غدا على عمر، فقال أقم على هذا حد الله، فقال عمر: ماأراك إلا خصما، وما شهد معك إلا رجل، فقال الجارود إني أنشدك الله، فقال عمر: لتمسكن أو لأسوأنك، فقال الجارود: أما والله ماذاك بالحق أن شرب ابن عمك وتسوؤني؟ فقال أبو هريرة: إن كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فسلها، وهي امرأة قدامة، فأرسل عمر إلى هند ابنة الوليد ينشدها، فأقامت الشهادة على زوجها، فقال عمر لقدامة: إني حادك فقال:لوشربت كما يقولون ماكان لكم أن تجلدوني فقال عمر: لم؟ قال قدامة قال الله تعالى﴿**ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وءامنوا**﴾[سورة المائدة:٩٣] الآية فقال عمر: أخطأت التأويل، إنك إذا اتقيت اجتنبت ماحرم الله عليك ... الخبر» جـ٩/٢٤٠ رقم ١٧٠٧٦ وأخرجه البيهقي في السنن جـ٨/٣١٦ باب من وجد منه ريح شراب أو

وأصحابه شرب الخمر؛ وظنوا أنها تباح لمن عمل صالحاً على مافهموه من آية المائدة؛ اتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يستتابون، فإن أصروا على الاستحلال كفروا، وإن أقروا به جلدوا فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداء لأجل الشبهة التى عرضت [لهم][1] حتى يتبين لهم الحق، فإن أصروا على الجحود كفروا.

وقد ثبت في الصحيحين حديث الذى قال لأهله «**إذا أنا مت فاسحقوني ثم ذروني في اليم، فوا لله لئن قدر ا لله علي ليعذبني عذابا ماعذبه أحداً من العالمين، فأمر ا لله البَرَّ فرد ماأخذ، وأمر البحر فرد مأأخذ منه، وقال: ماحملك على مافعلت، قال خشيتك يارب فغفر له**»[2] فهذا اعتقد أنه إذا فعل ذلك لايقدر ا لله على إعادته، وأنه لايعيده أو جوز ذلك، وكلاهما كفر، لكن كان جاهلاً لم يتبين له الحق فغفر له.

ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن يكون[3] ا لله - تعالى- فوق العرش لما وقعت محنتهم، أنا لو وافقتكم

لقي سكران. وقال شعيب الارنؤوط في حاشية السير جـ١/١٦١ رجاله ثقات ا.هـ.

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (عليهم).

٢-أخرجه البخارى في (كتاب الأنبياء، باب حديث أبو اليمان أخبرنا شعيب) رقم ٣٤٨١ جـ٢/١٠٨٢ وطرفه رقم ٣٤٧٨ ومسلم في(كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله) رقم(٢٧٥٦) ورقم(٢٧٥٧)(جـ٤/٢١١٠) بألفاظ متقاربه وقريبة من لفظ المؤلف.

٣-(يكون)سقطت من (د).

كنت كافرا؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لاتكفرون لأنكم جهال، وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم[١].

١-سئل العلامة عبدا لله بن عبدالرحمن أبابطين -رحمه ا لله- عن كلام المصنف أعلاه فقال في مجموع مخطوط: تضمن كلام الشيخ -رحمه ا لله تعالى- مسألتين أحدهما: عدم تكفيرنا لمن كفرنا وظاهر كلامه أنه سواء كان متأولاً أم لا، وقد صرح طائفة من العلماء أنه إذا قال ذلك متأولاً لايكفر ونقل ابن حجر الهيثمي عن طائفة من الشافعية أنهم صرحوا بكفره إذا لم يتأول، فنقل عن المتولي أنه قال إذا قال لمسلم ياكافر بلا تأويل كفر، قال وتبعه على ذلك جماعة واحتجوا بقوله ﷺ «إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما» (سيأتي تخريجه) والذى رماه مسلم فيكون هو كافر، قالوا: لأنه سمى الإسلام كفرا. وتعقب بعضهم هذا التعليل وهو قولهم لأنه سمى الإسلام كفرا، فقال هذا المعنى لايفهم من لفظه ولا هو مراده، إنما مراده ومعنى لفظه أنك لست على دين الإسلام الذى هو حق؛ وإنما أنت كافر دينك غير الإسلام وأنا على دين الإسلام هذا مراده بلا شك؛ لأنه إنما وصف بالكفر الشخص لادين الإسلام، فنفى عنه كونه على دين الإسلام فلا يكفر بهذا القول وإنما يعزر بهذا السب الفاحش بما يليق به ... ثم نقل عن الأستاذ أبي إسحاق الاسفرائيني أنه قال لاأكفر إلا من كفرني ... وكان هذا المتكلم أي أبو إسحاق يقول الحديث دل على أنه يحصل الكفر لأحد الشخصين إما المكفِّر وأما المكفَّر فإذا كفرني بعض الناس فالكفر واقع بأحدنا وأنا قاطع أني لست بكافر فالكفر راجع إليه... .

والمسألة الثانية: إن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التى يكفر من خالفها ... الخ، يشمل كلامه من لم تبلغه الدعوة وقد صرح بذلك في موضع آخر، ونقل ابن عقيل عن الأصحاب أنه لايعاقب وقال: إن عفو ا لله عن الذي كان يعامل ويتجاوز لأنه لم تبلغه الدعوة وعمل بخصلة من الخير واستدل لذلك بما في صحيح مسلم مرفوعا «والذى نفسي بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت و لم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من

--

وأصل جهلهم شبهات عقلية حصلت لرؤوسهم في قصور في معرفة المنقول الصحيح والمعقول الصريح الموافق له، فكان هذا خطابنا.

فلهذا لم يقابل جهله وافتراؤه بالتكفير بمثله كما لو شهد شخص بالزور على شخص، أو قذفه بالفاحشة كذبا عليه لم يكن له أن يشهد / عليه بالزور ولا أن يقذفه بالفاحشة.

٩١

رد شيخ البكري عليه

وقد كفانا ذلك شيخه وغيره من الناس، فبينوا من ضلاله وجهله ما[١]ذكروه وذموه وعابوه وتنقصوه[٢] به كما هو معروف عن شيخه الجزرى وغيره من أهل العلم.

رد ابن تيمية على دعوى تنقص الرسول أو الملائكة

والمقصود هنا أن قوله: (ومن خص الرسول أو الملائكة بنفي

أصحاب النار» (كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته) جـ١/١٣٤ رقم ١٥٣ قال في شرح مسلم خص اليهودي والنصراني لأن لهما كتابا. قال وفي مفهومه أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور، قال: وهذا جارٍ على ماتقرر في الأصول لاحكم قبل ورود الشرع على الصحيح ... فمن بلغته رسالة محمد ﷺ وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة فلا يعذر في عدم الإيمان با لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فلا عذر بعد ذلك بالجهل، وقد أخبر سبحانه بجهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم ووصف النصارى بالجهل مع أنه لايشك مسلم في كفرهم، ونقطع أن أكثر اليهود والنصارى اليوم جهال مقلدون ونعتقد كفرهم وكفر من شك في كفرهم ا.هـ باختصار انظر: مجموع يشتمل على رسائل وفوائد كثيرة أصولية ومنظومة ومديح ومراثي. تأليف العلامة عبدا لله بن عبدالرحمن أبابطين وآخرين جمع عبدا لله الربيعة (مخطوط) قسم المخطوطات جامعة الملك سعود رقم ٩/٣٤٢٢ ص٣٠-٣٣.

١-كذا في جميع النسخ والأولى (بما).

٢-في (ف) وتنقصوا.

خاص يفهم منه طرح رتبتهم وعدم صلاحيتهم فقد تنقصهم[١] بعبارته) فهي كلمة حق أريد بها باطل[٢].

ونحن نقول بموجب هذا الكلام وهو معناه الصحيح فإن من نفى مايستحقونه من [الرتبة][٣] وما يصلحون له من الأسباب فهو مفتر كذاب، لكن الشأن [ليس][٤] المنفى هر من هذا الباب، ولو لم تقابل دعواه إلا بالمنع لكفانا، فإنه يقال له :لانسلم أن الاستغاثة بهم مشروعة في كل مايستغاث فيه با لله، ولا أنها وسيلة من وسائل ا لله في ذلك كله، بل سلمنا أن الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه قد تكون سببا وقد لاتكون. فإن الناس يستغيثون بالنبي ﷺ يوم القيامة في الشفاعة فيشفع لهم، ويستغيث به من أنذره في دفع الذنوب فيقول : «**لاأملك لك من ا لله شيئا**» كما في الحديث الصحيح، «**لاألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول: يارسول ا لله أغثني، فأقول: لاأملك لك[٥] شيئا قد أبلغتك**»[٦].

وليس كل من طلب من النبي ﷺ مايقدر عليه يعطيه إياه؛ إذ قد يكون ذلك غير جائز، كما في الصحيح أنه سأله الفضل بن عباس

١-في (ف) و(د) و(ح) نقصهم.

٢-في (د) باطلا.

٣-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) الربوبية وفي الأصل عليها إشارة للهامش وليس فيه شئ.

٤-كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٥-في (د) (من ا لله).

٦-سبق تخريج الحديث.

وربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب أن يوليهما على الصدقات فلم يجبهما وقال «**إنها أوساخ الناس وإن الصدقة لاتحل لمحمد و[لا]** [١] **لآل محمد**»[٢].

وكذلك سأله وفد هوازن السبي والمال فبذل لهم إحدى الطائفتين[٣].وسألته/أم حبيبة أن يتزوج أختها فقال «**إنها لاتحل لي**»[٤].

٩٢

بل يقال لانسلم أن التوسل بذاتهم مشروعة بحال في الحياة والممات، وليس في شئ مماذكر دليل على مورد النزاع، فإن مضمون ماذكره جُملٌ:

أحدها: أن الاستغاثة طلب الإغاثة والتخلص من الكربة والشدة، وأن الإغاثة تضاف إلى المخلوق كما يُضاف إليه الإطعام والاستعانة

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٢-أخرجه مسلم في (كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة) جـ٧٥٢/٢ رقم ١٠٧٢ وأبو داود في (كتاب الخراج والإمارة، باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذى القربى جـ/٣٨٦ رقم ١٩٨٥ والنسائى في (كتاب الزكاة، باب استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة) جـ١٠٥/٥ رقم ٢٦٠٧ وغيرهم بألفاظ متقاربة وقريبة جداً من لفظ المؤلف.

٣-سبق تخريجه.

٤-أخرجه البخاري في (كتاب النكاح، باب مايحل من النساء وما يحرم) رقم٥١٠٦ جـ١٦٤٥/٤ من حديث أم حبيبة. وطرفه ٥١٠٧ ولفظه عن أم حبيبة قالت: قلت يارسول الله، هل لك في بنت أبي سفيان؟ قال:«**فأفعل ماذا**» قلت: تنكح، قال:«**أتحبين**» قلت: لست لك بمُخلية، وأحب من شركني فيك أختى، قال:« **إنها لاتحل لي**» .... الحديث. وأم حبيبة هي أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان.

والإعانة والهداية والتعليم، وهذا صحيح، وليس فيه أن الميت يستغاث به، كما أنه ليس فيه أن[1] يستطعم ويستسقى ويستهدى ويستنصر ويستغاث به، ولافيه أن ماكان من هذا الباب لايقدر عليه إلا الله فإنه يطلب من غيره.

لافرق بين الاستغاثة والتوسل عند البكري

والجملة الثانية التى من كلامه أن من توسل إلى الله -تعالى- بنبيه في تفريج كربة فقد استغاث به؛ سواء كان بلفظ الاستغاثة أو التوسل أوغيرهما مما فيه معناهما وقول القائل أتوسل إليك ياإلهي برسولك عندك أن تغفرلي، استغاثة بالرسول حقيقة في لغة العرب وجميع الأمم.

وهذا الكلام كذب باطل لم يسبقه إليه أحد، ولا ريب أنه لجهله وهواه وقع في هذا، وإلا فما تعمد أن يقول مايعلم أنه كذب، ولم يقل أحد قط أستغيث برسولك عندك، ولا هذا عند أحد ،لا العرب ولاغيرهم، وهو ظن أن الباب في التوسل كالباب في الاستغاثة وليس كذلك، فإنه يقال استغاثه واستغاث به، كما يقال[2] استعانه واستعان به، فالمستغاث به هو المسئول، وأما المتوسل به فهو الذى يتسبب به إلى المسئول .

الرد على من جوّز الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته

الجملة الثالثة: قوله (إن الاستغاثة به بعد موته ثابتة ثبوتها في حياته؛ لأنه عند الله في مزيد دائم[3] لاينقص جاهه)، وهذا لفظ

١-في (د) و(ح) أنه.

٢-في (د) أنه.

٣-في (د) ثم وهي زيادة.

صحيح لو كان معنى الاستغاثة /الإقسام به والتوسل بذاته، فإن ذاته بعد الموت لم تنقص ، بل هي في مزيد دائم من ربه -عزوجل- بأبي هو وأمي ﷺ، لكن هذه المقدمة باطلة كما قد عرف . فأما إذا كان معنى الاستغاثة هو الطلب منه، فما الدليل على أن الطلب منه ميتا كالطلب منه حيا؟ وعلو درجته بعد الموت لايقتضي أن يسأل، كما لايقتضي أن يستفتى، ولا يمكن أحداً أن يذكر دليلاً شرعياً على أن سؤال الموتى من الأنبياء والصالحين وغيرهم مشروع، بل الأدلة الدالة على تحريم ذلك كثيرة. ٩٣

حتى إذا قُدر أن الله وكّلهم[1] بأعمال يعملونها بعد الموت؛ لم يلزم من ذلك جواز دعائهم،كما لايجوز دعاء الملائكة؛ وإن كان الله وكلهم بأعمال يعملونها لما في ذلك من الشرك والذريعة إلى الشرك.

رد احتجاج البكري بحديث الأعمى

وهو قد احتج بحديث الأعمى الذي قال:«**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد**[2]**نبي الرحمة**»[3]وهذا الحديث لاحجة فيه لوجهين.

١-في (د) و(ح) يكلفهم.

٢-في(د) صلى الله عليه وسلم.

٣-أخرجه الترمذي في(كتاب الدعوات، باب ١١٨) جـ٥/٥٦٩ رقم ٣٥٧٨ ولفظه عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني: قال: «**إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك**» قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتى هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في**» قال: هذا حديث حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث أبي جعفر الخطمي.

....

وبهذا اللفظ أخرجه ابن ماجه في (أبواب الصلاة، باب ماجاء في صلاة الحاجة) جـ١/٢٥٢ رقم١٣٨١ والنسائي في عمل اليوم والليلة ص٤١٧ رقم٦٥٩ وعبدا لله ابن الإمام أحمد في المسند جـ٤/١٣٨ والحاكم في المستدرك جـ١/٣١٣ وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وأخرجه البيهقي في الدلائل (باب مافي تعليمه الضرير ماكان فيه شفاؤه حين لم يصبر وما ظهر في ذلك من آثار النبوة) جـ٦/١٦٦ ولفظه «... قال«**فإن شئت أخرت ذلك فهو خير لك، وإن شئت دعوت ا لله**» ... ... نبي الرحمة، يامحمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضيها، اللهم شفعه في وشفعني في نفسي» قال البيهقي: هذا لفظ العباس زاد محمد بن يونس في روايته قال : فقام وقد أبصر، ورويناه في كتاب الدعوات بإسناد صحيح عن روح بن عبادة عن شعبة ففعل الرجل فبرأ وكذلك رواه حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي. وبهذا اللفظ أخرجه النسائي أيضاً في عمل اليوم والليلة ص٤١٧ رقم ٦٥٨ وعبدا لله بن الإمام أحمد في المسند جـ٤/١٣٨ وزاد قال: فكان يقول هذا مراراً ثم قال بعد: أحسب أن فيها أن تشفعني فيه، ففعل الرجل فبرأ، وقد أخرجه غيرهم.

أولا : في الحديث اختلاف في الإسناد قال النسائي في عمل اليوم والليلة ص٤١٨: خالفهما هشام الدستوائي فقال عن أبي جعفر عمير بن يزيد بن خراشة عن أبي أمامة بن سهل عن عثمان ا.هـ. وفي الإسناد السابق عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة.

وأما في المتن فالترمذي ومن معه لم يستوعبوا لفظه كما استوعبه سائر العلماء بل رووه إلى قوله «**اللهم شفعه في**».

ومدار الحديث على أبي جعفر الخطمي وعليه الاختلاف في إسناد هذا الحديث، ومتنه، وقد تفرد بهذا الحديث، فإنه يدور عليه وحده، وليس له متابعات ولا شواهد .انظر حاشية قاعدة جليلة ص١٨٩.

....

ورأى طائفة من أهل العلم ضعف الحديث، لأن أبا جعفر فيه كلام، وبعضهم ضعف الإسناد لأجل عدم التثبت أن أبا جعفر هو الخطمي، معتمدين على نفي الترمذي أن يكون هو الخطمي كما نقل ابن تيمية عنه في قاعدة جليلة ص١٦٨ انظر صيانة الإنسان ص١٢٧ وهذه مفاهيمنا تأليف الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص٣٦ طبعة الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد الرياض - السعودية.

وذهب العلامة الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه تنسيق محمد عيد العباسي ص٦ (الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان) إلى أن الإسناد جيد لاشبهة فيه ا.هـ وهذا هو الراجح.

ثانياً: أن لفظة «يامحمد» والتي يتمسك بها بعضهم في دعاء الميت والغائب لم ترد في كل روايات الحديث، وورد في بعض ألفاظ الحديث «إني أتوجه به إلى ربي» انظر الرد على القبوريين تأليف حمد آل معمر ص٨٥ وفي حال ثبوتها فهي دالة على خطاب الحاضر في القلب مثل التشهد.

ثالثاً: التوجه في الحديث لابد أن يكون بواحد من ثلاثة أمور: ١-أتوجه إليك بجسد نبيك محمد ﷺ ٢-أتوجه إليك بجاه نبيك محمد ﷺ ٣-أتوجه إليك بدعاء نبيك محمد ﷺ .واستدل المتصوفة بالحديث على التوسل والتوجه بالذات والجاه و لم يذكروا دليلاً سوى قصة سيأتي ذكرها ، واستدل السلف بهذا الحديث على التوسل بالدعاء للأدلة التالية:

١- أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعو له، وذلك قوله «ادع الله أن يعافيني» فهو قد توسل إلى الله-تعالى-بدعائه ﷺ، لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة إلى أن يأتي النبي ﷺ ويطلب منه الدعاء، بل كان يقعد في بيته، ولكنه لم يفعل هذا، لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم. وأن التوسل لابد فيه من طلب الدعاء من المتوسل به.

....

٢-أن النبي ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ماهو أفضل له، وهو قوله ﷺ **«إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك»**.

٣-إصرار الأعمى على الدعاء وهو قوله «فادع» فهذا يقتضى أن الرسول ﷺ دعا له، لأنه ﷺ خير من وفى بما وعد وقد وعده بالدعاء.

٤-أن النبي ﷺ وجه الأعمى إلى التوسل بالعمل الصالح وهو توسل مشروع، ليجمع له الخير من أطرافه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه، وهذه الأعمال طاعة لله يقدمها بين يدي دعاء النبي ﷺ له.

٥-زعم بعض الصوفية أن قوله ﷺ **«إن شئت دعوت»** أي إن شئت علمتك دعاء تدعو به، ولقنتك إياه، وهذا التأويل واجب ليتفق أول الحديث مع آخره، والجواب أن آخر الحديث **«اللهم فشفعه في، وشفعني فيه»** تفسير للدعاء، أي اقبل شفاعتي أي دعائي في أن تقبل شفاعته ﷺ.

٦-أن العلماء ذكروا هذا الحديث في معجزاته ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهره الله ببركة دعائه.

٧-لو كان التوسل في هذا الحديث بذاته وجاهه ﷺ كما يفهمه هؤلاء المتأخرون، لكان المفروض أن يحصل الشفاء لغير هذا الأعمى، وبالذات من الصحابة -رضي الله عنهم- وهم أقرب الناس إليه ومعرفة به.

٨-أن الجميع يتفقون على حذف المضاف وهو أمر معروف في اللغة، والتقدير إما أن يكون: ا- إني أتوجه إليك (بذات) نبيك. ب- إني أتوجه إليك (بجاه) نبيك. جـ- إني أتوجه إليك (بدعاء) نبيك، ولابد للترجيح من دليل يدل عليه، وليس في الحديث أي إشارة أو ذكر للذات أو الجاه، وليس في الكتاب أو السنة أو فعل الصحابة ما يدل على التوسل بالذات أو الجاه. وأما الدعاء فعليه أدلة كثيرة من طلب الدعاء وقوله «وشفعني فيه» وغيرها.

....

انظر قاعدة جليلة ص١٩١ وما بعدها، وتلخيص الاستغاثة ص١٢٩-١٣٠ والتوسل للألباني ص٧٦ وما بعدها، وهذه مفاهيمنا ص٣٧ وكشف المتوارى من تلبيسات الغماري تأليف علي حسن عبدالحميد ص٦٥ وما بعدها (الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار ابن الجوزي الدمام - السعودية).

٩-أن التوسل بدعاء النبي ﷺ توسل مشروع موافق لنصوص الكتاب والسنة وعمل الصحابة -رضي الله عنهم- مثل توسل عمر بدعاء العباس، ولو كان مشروعا التوسل بذات النبي ﷺ وجاهه لما عدل عنه ووافقه الصحابة، وكذلك معاوية توسل بدعاء يزيد بن الأسود الجرشي -رضي الله عنهم أجمعين-.

فإذا تبينَ بحمد الله أنه لادليل لهم في هذا الحديث، فإنهم استدلوا بقصة أخرجها البيهقي في دلائل النبوة تحقيق د. عبد المعطي قلعجي جـ٦/١٦٨ (الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان) قال: أخبرنا أبو سعيد إسماعيل بن شبيب، حدثنا أبي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر المديني، عن أمامة بن سهل بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في حاجته،وكان عثمان لايلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكى إليه ذلك فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يامحمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي، واذكر حاجتك، ثم رُح حتى أرفع، فانطلق الرجل وصنع ذلك، ثم أتى باب عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فجاء البواب، فأخذ بيده فأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: انظر ماكانت لك من حاجة، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له:جزاك الله خيراً ماكان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى

....

كلمته، فقال له عثمان بن حنيف ماكلمته ولكني سمعت رسول الله ﷺ وقد جاءه رجل ضرير ... وذكر الحديث».قال البيهقي قد رواه أحمد بن شبيب [بن] سعيد عن أبيه بطوله.

وأخرج هذه القصة أيضاً الطبراني في المعجم الصغير جـ١/١٨٣-١٨٤ والكبير ١٧/٩ وقال في الصغير: لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي وهو ثقة. وهو الذى يحدث عنه (في الأصل أحمد بن أحمد) أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأيلي.

وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي واسمه عمير بن يزيد وهو ثقة وتفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة والحديث صحيح.ا.هـ وظن بعضهم أن تصحيح الطبراني للقصة، والصواب أنه للحديث المرفوع دون القصة، ويدل على ذلك أول كلامه «لم يروه عن روح ... » إشارة إلى توهين القصة. وعلل هذه القصة ما يلي:

أولاً: تفرد شبيب بن سعيد بها كما قاله الطبراني وقد رواها عنه عبدا لله بن وهب عند الطبراني، وأحمد وإسماعيل أبناء شبيب عند البيهقي، أما ابن وهب فقال ابن حجر في التقريب جـ١/٤١١ رقم ٢٧٤٧ عن شبيب :لابأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه، لامن رواية ابن وهب ا.هـ وقال ابن حجر أيضاً في هدي الساري مقدمة فتح الباري ص٥٧٥: أخرج البخاري من رواية ابنه أحمد عن يونس أحاديث و لم يخرج من روايته عن غير يونس ولا من رواية ابن وهب عنه شيئا.ا.هـ وقال ابن عدي في الكامل جـ٤/٣١ رقم الترجمة ٨٩١ في ترجمة شبيب: حدث عنه ابن وهب بأحاديث مناكير ... ثم قال: وكان شبيباً إذا روى عنه ابنه أحمد بن شبيب نسخة يونس عن الزهري إذا هي أحاديث مستقيمة، ليس هو شبيب بن سعيد الذى يحدث عنه ابن وهب بالمناكير الذى يرويها عنه، ولعل شبيباً بمصر في تجارته إليها كتب عنه ابن وهب من حفظه فيغلط ويهم،وأرجو أن لايتعمد شبيب هذا الكذب ا.هـ. فالطعن في شبيب

....

قائم إذا كانت روايته عن غير يونس، ولو من رواية ابنه أحمد. وابن عدى أحال الغلط على شبيب لا على ابن وهب وهذا صحيح. انظر قاعدة جليلة ص١٩٤.

فتبين أن رواية ابن وهب عن شبيب منكرة جميعها ومنها هذا الحديث.

وأما رواية ابنه أحمد فمشروطة بكونها عن يونس بن يزيد كما ذكره ابن عدي، وابن حجر عن فعل البخاري، وما يُشعر به كلام الطبراني بقوله: وهو الذى يحدث عنه أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد ا.هـ والقصة هنا من رواية شبيب عن روح بن القاسم. وأما إسماعيل بن شبيب فقال العلامة الألباني في التوسل ص٩٤: وأما إسماعيل فلا أعرفه، ولم أجد من ذكره، ولقد أغفلوه حتى لم يذكروه في الرواة عن أبيه ا.هـ.

ثانياً: هذه الرواية ليست بمحفوظة فإنه تارة تذكر القصة، وتارة تُهمل كما عند البيهقي جـ٦/١٧٦-١٨٦ بالوجهين، وبدون القصة عند الحاكم ١/٥٢٦ وابن السني في عمل اليوم والليلة ص١٧٠ رقم ٦٢٨ (الطبعة الثانية ١٣٥٨هـ الناشر مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن الهند) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة جليلة ص١٩٠: ولم يروه أحد من هؤلاء - لاالترمذي ولا النسائي ولا ابن ماجة- من تلك الطريق الغريبة التى فيها الزيادة، طريق شبيب عن روح بن القاسم ا.هـ وخلاصة القول: أن هذه القصة ضعيفة منكرة لأمور ثلاثة ١-ضعف المتفرد بها. ٢-الاختلاف عليه فيها. ٣-مخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث وأمر واحد من هذه الأمور كاف لإسقاط هذه القصة، فكيف بها مجتمعة؟ انظر التوسل للألباني ص٩٦.

ثالثاً: لم يصحح هذه القصة أحد من أهل العلم، وتصحيح الطبراني للحديث المرفوع بدون القصة وهو كذلك، وتابعه على ذلك كثير من أهل العلم منهم المنذري في الترغيب والترهيب جـ١/٤٧٦ قال: قال الطبراني بعد ذكر طرقه: والحديث صحيح.

....

وكذلك الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٢/٢٧٩، وقد ادعى الغماري كذباً وزوراً تصحيح المنذري والهيثمي لهذه القصة. انظر كشف المتواري ص٣٥. وهناك زيادة يحتجون بها وهي: روى أبو بكر ابن خثيمة في تاريخه حديث حماد بن سلمة فقال « ... (بعد ذكر الحديث) وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك» قال ابن أبي خثيمة: وأبو جعفر هذا -الذي حدث عنه حمادَ بن سلمة- اسمه عمير بن يزيد، وهو أبو جعفر، الذى يروي عنه شعبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة جليلة ص١٩٦: وقد يقال: إن هذه الزيادة توافق قول عثمان بن حنيف، لكن شعبة وروح بن القاسم أحفظ من حماد بن سلمة، واختلاف الألفاظ يدل على أن مثل هذه الرواية قد تكون بالمعنى، وقوله «وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك» قد يكون مدرجاً من كلام عثمان، لامن كلام النبي ﷺ ا.هـ.

وبالجملة فهذه الزيادة لاتصح لشذوذها وعلىفرض ثبوتها لم تكن دليلاً على التوسل بذاته ﷺ لاحتمال أن يكون معنى قوله «فافعل مثل ذلك» يعنى من إتيانه ﷺ حال حياته، وطلب الدعاء منه والتوسل به. التوسل للألباني ص٩٢ كما أن لفظ الحديث يناقض ذلك فإن في الحديث «اللهم فشفعه في» وإنما يدعى بهذا إذا كان النبي ﷺ داعياً شافعاً، بخلاف من لم يكن كذلك انظر قاعدة جليلة ص١٩٧.

وأخيراً هذه القصة والزيادة لاتثبت بها شريعة، كَسائر ماينقل عن آحاد الصحابة، في جنس العبادات أو الإباحات أو الإيجابات أو التحريمات، إذا لم يوافقه غيره من الصحابة عليه، وكان كل ماثبت عن النبي ﷺ يخالفه لايوافقه، لم يكن فعله سنة يجب على المسلمين اتباعها. انظر قاعدة جليلة ص١٩٩ والله أعلم.

--

أحدهما: أنه ليس هو استغاثة بل توجه به.

والثاني : أنه إنما يتوجه بدعائه وشفاعته، فإنه طلب من النبي ﷺ الدعاء، وقال في آخره : «اللهم فشفعه في» فعُلم أنه يشفع له فتوسل بشفاعته لابذاته، كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه في الاستسقاء، كما توسلوا بدعاء العباس بعد مماته.

وهذا المحتج به بنى حجته على مقدمتين فاسدتين: على أنهم توجهوا بذاته ، وأن ذلك يسمى استغاثة به، فلزم من ذلك جواز ذلك بعد موته، وفساد إحدى المقدمتين يبطل كلامه، فكيف إذا بطلتا . و ما ذكره من توسل آدم[1] وحكاية

رد احتجاج البكري بحديث توسل آدم وحكاية

وللتوسع انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص١٨٥ وما بعدها. والصواعق المرسلة الشهابية تأليف سليمان سحمان ص١٦٣ وما بعدها وصيانة الإنسان ص١٢٥ والتوسل للألباني ص٧٥ وما بعدها وهذه مفاهيمنا ص٣٦ وغيرها.

[1]-توسل آدم: عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ : «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال : ياآدم! وكيف عرفت محمداً و لم أخلقه؛ قال: يارب لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لاإله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت ياآدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ماخلقتك».

أخرجه الحاكم في المستدرك جـ٢/٦١٥ من طريق أبي الحارث عبدالله بن مسلم الفهري: ثنا إسماعيل بن مسلمة:أنبانا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر وقال: صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب ا.هـ وتعقبه الذهبي بقوله: بل موضوع وعبدالرحمن واه... ثم

....

قال ورواه وعبدا لله بن مسلم الفهري ولا أدري من ذا ؟ عن إسماعيل بن مسلمة عنه ا.هـ.

والبيهقي في دلائل النبوة جـ٥/٤٨٩ وقال: تفرد به عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ا.هـ والطبراني في المعجم الصغير جـ٢/٣٥٥ رقم٩٧١ تقديم وضبط كمال يوسف الحوت (الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - لبنان) من طريق محمد داود بن أسلم الصدفي: ثنا أحمد بن سعيد المدني الفهري: ثنا عبدا لله بن إسماعيل المدني عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم به.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (جـ٨/٢٥٣):رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم ا.هـ. وأخرجه أبو بكر الآجرى في الشريعة تحقيق محمد حامد الفقي ص٤٢٥،٤٢٧ (الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ الناشر مطبعة السنة المحمدية) مرة موقوفا.

وقد ذهب أصحاب الهوى إلى تقليد الحاكم في تصحيحه، فتابع الحاكم في تصحيحه السبكي في: شفاء السقام في زيارة خير الآنام ص١٦٢ (الطبعة الثانية ١٩٧٨م الناشر دار الأفاق الجديدة بيروت - لبنان)، والمالكي في مفاهيم يجب أن تصحح ص٤٦ (طبعة ١٤٠٥هـ مصر) نقلاً عن هذه مفاهيمنا ص٢٠.

وهذا الحديث موضوع لايصح الاحتجاج به لما يلي:

أولاً: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً،وضعفه أحمد بن حنبل، وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم. انظر الكامل لابن عدي جـ٤/٢٦٩ رقم ١١٠٥ والجرح والتعديل لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي جـ٥/٢٣٣ الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ الناشر مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، وقاعدة جليلة ص١٦٨. قال أبو حاتم البستي في المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين تحقيق محمود إبراهيم زايد جـ٢/٥٧ (طبعة ١٣٩٥هـ الناشر دار الوعي حلب - سوريا): كان يقلب الأخبار وهو لايعلم، حتى كثر ذلك من روايته،من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك ا.هـ، وقال الحاكم نفسه في المدخل إلى الصحيح تحقيق د.ربيع المدخلي ١/١٥٤

....

رقم ٩٧ (الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان) عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة لايخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه ا.هـ.

ونقل ابن عبدالهادى في الصارم المنكي ص٤٤ عن الحاكم قال في آخر هذا الكتاب (أي المدخل): فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندى جرحهم لأن الجرح لايثبت إلا ببينة فهم الذين أبين جرحهم لمن طالبنى به، فإن الجرح لاأستحله تقليداً، والذى اختاره لطالب هذا الشأن أن لايكتب حديثاً واحداً لهؤلاء الذين سميتهم، فالراوى لحديثهم داخل في قوله -ﷺ- «من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» صحيح مسلم (المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين) ص٩ ا.هـ.

وقد روى الحاكم أيضاً في المستدرك جـ٣/٣٣٢ لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم و لم يصحح حديثه، وقال : الشيخان لم يحتجا بعبدالرحمن بن زيد ا.هـ.

ثانياً: أبو الحارث عبدا لله بن مسلم الفهري قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال تحقيق علي البجاوي ٢/٥٠٤ رقم الترجمة ٤٦٠٤ (الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ الناشر دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه) روى عنه إسماعيل بن سلمة بن قعنب عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم خبراً باطلاً، فيه: ياآدم، لولا محمد ماخلقتك، رواه البيهقي في دلائل النبوة ا.هـ.

وزاد ابن حجر في لسان الميزان ٣/٤٤١ رقم الترجمة ٤٦٤/٤٨١٥ (طبعة دار الفكر بيروت - لبنان) بقوله في الفهري هذا: لاأستبعد أن يكون هو الذى قبله فإنه من طبقته قلت: والذى قبله هو عبدا لله بن مسلم بن رشيد قال الحافظ ابن حجر فيه : ذكره ابن حبان متهم بوضع الحديث، وقال حدثنا به جماعة. يضع على ليث، ومالك وابن لهيعة، لايحل كتب حديثه ا.هـ.

وأما حديث الطبراني فتقدم كلام الهيثمي قال العلامة الألباني في التوسل ص١١٦-١١٧ وهذا إعلال قاصر، يوهم من لاعلم عنده أن ليس فيهم من هو

--

المنصور[١] فجوابها من وجهين أحدهما : أن هذا لا أصل له ، ولا

معروف بالطعن، وليس كذلك فإن مداره على عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وقال عن إسناد الطبراني: وهذا سند مظلم، فإن كل من دون عبدالرحمن لايعرفون ا.هـ.

والخلاصة أن في الحديث ثلاث علل، الأولى: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف جداً. الثاني: جهالة الإسناد إلى عبدالرحمن. الثالثة: اضطراب عبدالرحمن أو من دونه، فتارة يرفعه كما مضى وتارة يرويه موقوفاً عن عمر، لايرفعه إلى النبي ﷺ كما في إحدى روايات الآجرى.

ثالثاً: إن تضعيف ابن حجر لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم لايفيد من تمسك به، فقد وصف الحافظ الذهبي الحديث بأنه خبر باطل وتابعه ابن حجر كما في اللسان بل هو حديث موضوع باطل.

رابعاً: مثل هذا لايجوز أن تبنى عليه الشريعة ولا يحتج به في الدين باتفاق المسلمين، وهو مخالف لما ثبت في الكتاب والسنة من توبة آدم -عليه السلام- وما ثبت عن الصحابة -رضي الله عنهم- ومخالفته للعقائد في سبب خلق الخلق. وانظر تلخيص الاستغاثة ص٥ وما بعدها.

١-حكاية المنصور قال ابن حميد:ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: ياأمير المؤمنين، لاترفع صوتك في هذا المسجد،فإن الله -تعالى- أدب قوماً فقال﴿**لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون**﴾[سورة الحجرات:٢] ومدح قوماً فقال ﴿**إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم**﴾[سورة الحجرات:٣] وذم قوماً فقال ﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون**﴾[سورة الحجرات:٤] وإن حرمته ميتا كحرمته حيا. فاستكان لها أبو جعفر، فقال: ياأبا عبدالله،أأستقبل القبلة وأدعو، أم استقبل رسول الله -ﷺ-؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم -عليه السلام-

....

إلى الله -تعالى- إلى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع بـه، فيشفعك الله، قـال الله -تعالى- ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جـاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابـاً رحيمـا**﴾[سـورة النسـاء:٦٤] ذكرهـا القـاضي عياض عن شيوخه من طريق أبي العباس أحمد بن عمر بن دلهـاث، قـال: حدثنـا أبو الحسن علي بن فهر، حدثنا أبو بكر محمد بـن أحمـد بـن الفـرج، حدثنـا أبـو الحسن عبدالله بن المنتاب، حدثنا يعقوب بن إسحاق بـن أبـي إسـرائيل، حدثنـا ابن حُميد. انظر الشفاء للقاضي عياض تحقيق علي البجـاوي جـ٢/٥٩٥ طبعـة دار الكتاب العربي بيروت – لبنان.

والجواب أولاً: هذه الحكاية منقطعة، فإن محمد بن حميـد الرازي لم يدرك مالكاً لاسيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفـر تـوفي سـنة ١٥٨هـ وتـوفي الإمام مالك سنة ١٧٩هـ، وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ٢٤٨هـ.ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيـه. انظـر قـاعدة جليلـة ص١٢٢.

ولم يذكره أحد في تلاميذ مالك وقد قسم القـاضي عيـاض في ترتيـب المـدارك الرواة عن مالك إلى طبقتين: كبرى وصغرى وعلى حسب البلدان، ولم يذكـر فيهم ابن حميد. انظر ترتيب المـدارك وتقريـب المسـالك لمعرفـة أعـلام مذهـب مالك تحقيق د.أحمد بكيرجـ١/٢٥٤-٥٤٥ طبعة دار مكتبـة الحيـاة بـيروت – لبنان ودار الفكر طرابلس – ليبيا. وحاشية قاعدة جليله ١٢٣.

ثانياً: محمد بن حميد الرازي ضعيف عند أكثر أهل الحديث، قـال الحـافظ ابـن حجر في تقريب التهذيب جـ٢/٦٩ رقم ٥٨٥٢: حافظ ضعيـف ا.هـ. وقـال ابن حبان في المجروحـين جــ٢/٣٠٣: كـان ممـن ينفـرد عـن الثقـات بالأشـياء المقلوبات، ولاسيما إذا حدث عن شيوخ بلـده، قـال أبـو زرعـة وابـن وارة – للإمام أحمد-: صحّ عندنا أنه يكذب، قال صالح بن الإمام أحمد: فرأيـت أبـي بعد ذلك إذا ذُكر ابن حميد نفض يده ا.هـ.

--

تقوم به حجة ولا إسناد لذلك.

٩٤ رد احتجاج البكري بحديث الكوة

/والثاني: أنه لو دلَّ لدل على التوسل بذاته لاعلى الاستغاثة به. وأما فتح الكوة[1] لينزل المطر فهو أيضاً باطل كما تقدم التنبيه عليه،

ثالثاً: محمد بن حميد ضعيف في أحسن الأحوال كما تبين إذا أسند، فكيف إذا أرسل حكاية لاتعرف إلا من جهته. ولم يصرح في رواية هذه الحكاية بصيغة من صيغ التحديث، وإنما قال: ناظر مالك. فهي بهذا التعبير مرسلة.

رابعاً: معظم رجال الإسناد من ابن دلهاث إلى يعقوب غير معروفين ولا يعرف حالهم. انظر قاعدة جليلة ص١٢٤ والصارم المنكي ص٢٦٢.

خامساً: اتفق أصحاب مالك على أنه بمثل هذا النقل لايثبت عن مالك قول في مسألة في الفقه. فكيف بحكاية ساقطة الإسناد وتناقض مذهبه.

سادساً: الثابت عن مالك في هذه المسألة قوله: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو، لكن يسلم ويمضى ا.هـ، وقد سبق بيان هذه المسألة وما صح عن الإمام مالك فيها، وهذه الحكاية مخالفة أيضاً للكتاب والسنة وما ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ والأئمة الأربعة. والله أعلم.

١-أخرجه الدارمي في السنن قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: أنظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا من كوى إلى السماء، حتى لايكون بينه وبين السماء سقف، قال ففعلوا فمطروا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمى عام الفتق. (المقدمه، باب ماأكرم الله -تعالى- نبيه ﷺ بعد موته) جـ١/٤٣ رقم٩٣ من حديث أبي النعمان: ثنا سعيد بن زيد: ثنا عمرو بن مالك النكري حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبدالله.

والكوة تفتح وتضم وهي الثقبة في الحائط وجمع المفتوح على لفظه كوّات. المصباح المنير ص٣٠٨ مادة كوى.

وفي الحديث العلل التالية:

....

أولها: إن سعيد بن زيد وهو سعيد بن زيد بن درهم الأزدي أخو حماد بن زيد صدوق وله أوهام. انظر التقريب لابن حجر جـ١/٣٥٣ رقم٢٣١٩ قال عنه الذهبي في الميزان جـ٢/١٣٨ رقم الترجمة ٣١٨٥ تحقيق علي محمد البجاوي : علي عن يحي بن سعيد ضعيف. وقال السعدي: ليس بحجة يضعفون حديثه، وقال النسائي وغيره ليس بالقوي. وقال أحمد: ليس به بأس. كان يحي بن سعيد لايستمرئه ا.هـ.

ثانياً:عمرو بن مالك النكري ضعيف قال ابن عدي في الكامل جـ٥/١٥٠-١٥١ رقم ١٣١٥/٣٤٧: منكر الحديث عن الثقات ويسرق الحديث وذكر بعض أحاديثه ثم قال ولعمرو غير ماذكرت أحاديث مناكير بعضها سرقها عن قوم ثقات ا.هـ.

ثالثاً: إن أبا النعمان هو محمد بن الفضل يعرف بعارم، قال العلامة الألباني في التوسل ص١٤١: قد اختلط في آخر عمره، وقد أورده الحافظ برهان الدين الحلبي في المختلطين من كتابه المقدمة ص٣٩١ (لم أقف على كتاب الحلبي) وهذا الأثر لايدرى هل سمعه الدارمي منه قبل الاختلاط أو بعده، فهو إذن غير مقبول، فلا يحتج به ا.هـ.

رابعاً: في تلخيص الاستغاثة ص ٦٨-٦٩ مانصه: ما روى عن عائشة -رضي الله عنها- من فتح الكوة من قبره إلى السماء لينزل المطر فليس بصحيح ولا يثبت إسناده، وإنما نقل ذلك من هو معروف بالكذب، ومايبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة بل كان بعضه باقيا كما كان على عهد النبي ﷺ بعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه كما ثبت في الصحيحين عن عائشة «أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد» صحيح البخاري (كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت صلاة العصر) جـ١/١٨٢ رقم ٥٤٤،٥٤٥،٥٤٦.

و لم تزل الحجرة كذلك حتى زاد الوليد بن عبدالملك في المسجد ... وإلا فهي قبل ذلك كانت خارج المسجد في حياة النبي ﷺ وبعد موته.

--

ومع هذا فليس من هـذا. وكـذلك أستسقـاؤهـم بدعـائه ليـس من هـذا البـاب، وأمــا اشتكاء البعير[١] إليه فهـذا كاشتكاء الآدمـي

ثم إنه بُني حول حجرة عائشة التي فيهـا القبر جدار عـال وبعد ذلـك جعلت الكوة لينزل منها من يـنزل إذا احتيـج إلى ذلـك لأجـل كنـس أو تنظيـف، وأمـا وجود الكوة في حياة عائشة فكذب بين. ولو صح ذلك لكان حجة ودليلاً على أن القوم لم يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ولايتوسلون في دعائهم بميـت ولا يسألون الله به، وإنما فتحوا على القبر لتنزل الرحمة عليه، و لم يكـن هنـاك دعـاء ا.هـ.

خامساً: لايعرف في تاريخ المسلمين عام سمي بعام الفتـق، كمـا أن الإبـل لاتتفتـق مـن الشحم بل إذا زاد قد يقتلها أو يكسر ظهرها أما التفتق فلا يحصل لها، كمـا هـو معلوم لدى أهلها.

سادساً: لو سلمنا فرضاً بصحة الخبر فإنـه موقـوف علـى عائشـة -رضـى الله عنهـا- وليس بمرفوع. فليس فيه حجة لأنه يحتمل أن يكون مـن قبيـل الآراء الاجتهاديـة لبعض الصحابة. انظر التوسل للألباني ص ١٤١.

١-يشير المؤلف إلى ماورد عن جابر بن عبدالله، ويعلى بن مرة -رضـى الله عنهمـا- من شكوى البعير للنبي ﷺ وقد اختلف العلماء هل هما حادثة واحدة، أم واقعتان؟ ففي خبر جابر ذكر أن شكوى الجمل سببها أن أهله أرادوا نحره، ويعلـى بـن مـرة ذكر كثرة العمل وقلة العلف. والراجح أنهما واقعتان.

عن يعلى بن مـرة الثقفـي قـال ثلاثـة أشياء رأيتهـن مـن رسـول الله ﷺ بينـا نحـن نسيرمعه إذ مررنا ببعير يُسنى عليه فلما رآه البعـير جرجـر ووضـع جرانـه، فوقـف عليه النبي ﷺ فقال: أين صاحب هذا البعير فجاءه، فقال بعنيه، فقال: لابل أهبـه لك، فقال: لا، بعنيه، قال: لا بل نهبه لك، وإنه لأهل بيـت مـالهم معيشـة غـيره، قال أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكى كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليـه .... ثم ذكر سلام الشجرة عليه ﷺ، والصبي الذي به جنون».

--

إليه، ومازال الناس يستغيثون به في حياته [كما] (١) يستغيثون به يوم القيامة.

وقد قلنا إنه إذا طُلب منه مايليق بمنصبه فهذا لانزاع فيه، والطلب منه في حياته والاستغاثة به في حياته فيما يقدر عليه لم ينازع فيه أحد، فما ذكره لايدل [على] (٢) مورد النزاع.

تشبث البكري بلفظ الاستغاثة ومعناها العام

ولكن هذا أخذ لفظ الاستغاثة ومعناها العام فجعل يتشبث به، وهذا إنما يليق بمن قال لايستغيث به أحد حياً ولا ميتا في شئ من الأشياء.

ومعلوم أن عاقلاً لايقول هذا في آحاد العامة، فضلاً عن الصالحين فضلاً عن الأنبياء والمرسلين؛ فضلاً عن سيد الأولين والآخرين، فإنه مامن أحد إلا ويمكن أن يستغاث به في بعض الأشياء؛ فكيف بأفضل

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة جـ٦/٢٢-٢٦ وذكر روايات الخبر، وقال: ولما روينا في حديث يعلى بن مرة في أمر البعير الذى شكا إلى النبي ﷺ حاله بإسناد صحيح وكأنه غير البعير الذى أرادوا نحره، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائله جـ٢/٣٨٢ رقم٢٨٣ وغيرهم.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية جـ٦/١٣٩ عن حديث يعلى بن مرة بعد أن ذكر طرقه: فهذه طرق جيدة متعددة تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحرين أن يعلى بن مرة حدث بهذه القصة في الجملة ا.هـ وليس في الحديث دلالة على مادعاه البكري ولذا حكم النبي ﷺ كما يحكم للبَشر.

جرجر أي ردد صوته في حنجرته. المصباح المنير ص٣٧ مادة جرر. والجران مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره، فإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قيل ألقى جرانه. المصباح المنير ص٣٨ مادة جرن.

١-كذا في (د) و(ف) و(ح) وفي الأصل (كا).

٢-كذا في (ح) وسقط من الأصل و(ف) و(د).

الخلق وأكرمهم على ا لله.

ولكن النفي عاد إلى الشيئين: إلى الاستغاثة بـه بعـد المـوت، وإلى أن يطلب منه مالا يقدر عليه إلا ا لله، فكيف إذا اجتمعا جميعاً؟ فإن من الناس من يستغيث بالموتى من الأنبياء والصـالحين، ويطلـب منهـم مـالا يقدر عليه إلا ا لله -تعالى-، فهذه الجمل الثلاث ملخص كلامـه، وليـس فيما ذكره مايدل على مورد النزاع، ولا مايناقض جواب المجيـب والحمـد لله رب العالمين.

فعلم أن منازعيه لم يخصوا الملائكة والرسول بنفي يفهم منه طرح رتبتهم، وعدم صلاحيتهم للأسباب.

وأما قوله (ولم يجعـل ا لله لأحـد تنقيـص الرسـل ، وأجمـع السـلف والخلف/ على وجوب تعظيمهم في الاعتقاد والأقوال والأفعال).

٩٥ تعظيم الأنبياء بين المبتدعة وأهل السنة

فيقال: هذا حق، لكنه كما قـال علـى بـن أبـي طـالب-رضـيا لله عنـه- «كلمة حق أريد بها باطل»[1]، وهـو أن مـن سـألهم مـالايقدرون عليـه أحياء وأمواتا فقـد آذاهـم واعتـدى عليهـم؛ وهـو مسـتحق للعقوبـة التـى يستحقها مثله.

بل من سألهم مالا يريدون فعله حتى فعلوا مايكرهون فهو مسـتحق للـذم والمقت.

١-أخرجه مسلم في كتاب (الزكاة ، باب التحريض على قتل الخـوارج) ج٢ /٧٤٩ رقم ١٠٦٦وأوله :عن عبيد ا لله بـن أبي رافـع مـولى رسـول ﷺ أن الحرورية لما خرجت ، وهو مع علي بن أبي طـالب ـ رضي ا لله عنـه ـ قـالوا : لا حكـم إلا حكم ا لله. قال علي : كلمه .... الحديث .

ومن ابتدع في دينهم ما لم يأذن به الله؛[وما][1] يخالف ما جاؤوا به؛ لزم أن يكون دينهم ناقصا، وأنهم أتوا بالباطل، وهذا مناقض بلا ريب لما يجب من الإيمان بهم وتعزيرهم وتوقيرهم.

ومن خالف ماجاؤوا به من توحيد الله وإفراده بالدعاء؛ فهو من أعظم المخالفين لهم اعتقاداً وقولاً وعملا، فإن أعظم مادعوا إليه التوحيد، فالمخالف له من أعظم الناس مخالفة لهم.

وقد بينا في " الصارم المسلول"[2] أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان، وكل أمة لاتصدق الرسل فلا تكون إلا مشركة، وكل مشرك فإنه مكذب للرسل، فمن دخل في نوع من الشرك الذى نهت عنه الرسل فإنه مناقض لهم مخالف لموجب رسالتهم.

وإذا كان كذلك فما قال هذا المفتري وأمثاله هو بدعة لم تشرعها الرسل؛ لو لم يرد مايتضمن النهي عنها، فكيف إذا عُلم أنه نهى عنها.

النبي ﷺ لم يشرع لأمته الاستغاثة بميت

أما المقام الأول: فإنه لايمكن أحد أن يقول إن النبي ﷺ شرع لأمته أن يستغيثوا بميت لانبي ولا غيره، لافي جلب منفعة ولا دفع مضرة، لابهذا اللفظ ولا معناه.

فلا يشرع لهم أن يدعوا ميتا ولا يسألوه/ ولا يدعوا إليه ولا أن يستجيروا به، ولا يدعوه (لارهبة ولا رغبة)[3]، ولا يقول أحد لميت

٩٦

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ومن).

٢- انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٤٠.

٣-في (ف) لارغبة ولا رهبة.

أنا في حسبك أو أنا في جوارك أو أنا أريد أن تفعل كذا و كذا، ولاأن يخطوا إلى قبر ميت خطوات وأن يتوجه إلى جهة قبره ويسأله ،كما يفعل كثير من النصارى؛ وأشباه النصارى من ضلال هذه الأمة بكثير من شيوخهم وغير شيوخهم.

ولا يشرع لأحد أن يقول لميت سل ا لله لي، أو [ادع][1] لي.

ولا يشرع لهم أن يشكوا إلى ميت؛ فيقول أحدهم مشتكياً إليه علي دين أو آذاني فلان أو قد نزل بنا العدو أو أنا مريض أو أنا خائف ونحو ذلك من الشكاوى، سواء كان هذا السائل عند قبر الميت أو كان بعيداً منه، وسواء كان الميت نبياً أو غيره.

بل ولا يشرع لأمته إذا كان لأحدهم حاجة أن يقصد قبر نبي أو صالح فيدعو لنفسه ظاناً أن الدعاء عند قبره يجاب.

بل ولا يشرع لأمته أن يقسموا على مخلوق من المخلوقات لانبي ولا غيره؛ سواء أقسموا عليه بحاجة أو غير حاجة.

ولا يشرع لأمته أن يتوسلوا إلى ا لله بذات ميت أصلا؛ بل ولا بذات حي، إلا أن يكون التوسل بما أمر ا لله به من الإيمان به وطاعته، أو بدعاء المتوسل به وشفاعته، فأما إذا لم يكن المتوسل يتوسل بما أمر ا لله به؛ ولا بدعاء الداعي له فليس هناك وسيلة شرعها ا لله ورسوله.

جاه النبي والرجل الصالح لا ينفع من توسل بذاتهم

فإذا كان النبي والرجل الصالح له عند ا لله من الجاه والقدر والحرمة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فهذا لاينتفع المتوسل به إلا بأحد وجهين:

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (دع).

(١)إما أن يتوسل المتوسل بما أمر الله به من الإيمان / به ومحبته وطاعته وموالاته والصلاة عليه والسلام ونحو ذلك، فهذه هي الوسيلة التي أمر الله بها في قوله ﴿اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾[سورة المائدة:٣٥].

٩٧

التوسل المشروع

فالوسيلة تجمعها طاعة الرسول؛ فكل وسيلة طاعة للرسول، وكل طاعة للرسول وسيلة، و﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾(٢) [سورة النساء:٨٠] ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ [سورة النساء:٦٩].

الوجه الثاني: أن يدعو له الرسول فهذه(٣) أيضا مما يتوسل به إلى الله–تعالى– فإن دعاءه وشفاعته عند الله من أعظم الوسائل، فأما إذا لم يتوسل العبد بفعل واجب [ولا](٤) مستحب ولا الرسول دعا له؛ فليس في عظم قدر الرسول ما ينفعه.

ولكن بعض الناس(٥) الذين دخلوا في دين

١–هذا هو الوجه الأول.

٢– في جميع النسخ لم يفصل بين الآيتين.

٣–في (د) فهذا.

٤–كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (أو).

٥–(الناس)سقطت من (د).

الشفاعة عند الفلاسفة وأتباعهم

الصابئين[١] والمشركين؛ ظنوا شفاعة الرسول لأمته لايحتاج إلى دعاء منه، بل الرحمة التى تفيض على الرسول تفيض على المستشفع؛ من غير شعور من الرسول ولا دعاء منه[٢]، ومثلوا ذلك

١-الصابئة: أمة كبيرة اختلف الناس فيها اختلافاً كثيراً، بحسب ماوصل إليهم من معرفة دينهم، وهم أهل دعوة إبراهيم -عليه السلام- ويدعي المندائيون منهم أن نبيهم هو يحي -عليه السلام- وكتابهم الزبور، وهم ينقسمون إلى صابئة حنفاء، وصابئة مشركين وهم الأكثر، وبعض المؤلفين يقسمهم إلى: الصابئة المندائيين، وقد يكون أصل دينهم الحنيفية ولكن مالوا لغيرها، والصابئة الحرانيين وهم المشركون، والمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة مثل الزهرة والمشتري والمريخ وغيرها؛ ولتلك الكواكب هياكل مخصوصة، ومن هذه الطائفة أي المشركين الفلاسفة. وهم في أكثر الأمم ففي الروم والفرس والهند صابئة، ولم يبق من الصابئة اليوم إلا المندائيين، وهم في إيران والعراق وأكثرهم بالعراق "يعرفون بصابئة البطائح"، والمندائيون ليسوا بموحدين بل مشركون تأثروا بالحرانيين في عبادة الكواكب وتعظيمها واعتقاد تأثيرها، وعبادة الروحانيات والتقرب إليها والتلقي عنها. ولهم صلوات وصيام ذكرها مؤرخو الفرق.

ومنهم أخذ الجعد بن درهم مقولته في نفي الصفات، والفارابي أخذ عنهم فلسفته، منهم قرة بن ثابت وهلال بن محسن الصابيء وغيرهم.

وسيأتي ذكر المؤلف للمناظرة بينهم وبين المسلمين في تفضيل الروحانيات على البشر.

انظر: الفهرست تأليف محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم تحقيق رضا تجدد ص٣٨٢-٣٩٢ الناشر مكتبة الأسدي ومكتبة الجعفري طهران - إيران، والملل والنحل جـ١/٢٣٠-٢٣١، ومج ٥/٢١-٢٢، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة جـ٢/٧٣٩، وإغاثة اللهفان لابن القيم جـ٢/٣٥٩-٣٦٢، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة للندوة العالمية للشباب الإسلامي ص٣١٧-٣٢٦.

٢-(منه)سقطت من (د).

بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فإن الشمس إذا وقعت على الماء أو مرآة؛ وانعكس شعاعها على حائط أو غيره حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشعاع المنعكس على المرآة، قالوا: فهكذا الرحمة تفيض على النفوس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصالحين: ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذات فكذلك الفيض لابد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة/ ٩٨ و[جعل][١]هؤلاء الفائدة في زيارة قبورهم من هذا الوجه.

وقالوا إن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائرة فيقوى تأثيرها[٢]،

١-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (وجعلوا)

٢-انظر هذه الأقوال في كتاب المضنون به على غير أهله لأبي حامد الغزالي ضبط رياض مصطفى العبدا لله ط١٤٠٧هـ الناشر دار الحكمة دمشق فقد تكلم على الشفاعة في ص ٩٤-٩٧ وعلى زيارة القبور في ص١٢١-١٢٦.

وهذا الكتاب في نسبته لأبي حامد الغزالي خلاف يقول المؤلف في مجموع الفتاوى جـ٤/٦٥: كان طائفة من العلماء يكذبون ثبوته عنه، أما أهل الخبرة به وبحاله فيعلمون أن هذا كله كلامه،لعلمهم بمواد كلامه ومشابهة بعضه بعضا،ولكن كان هو وأمثاله -كما قدمت- مضطربين لايثبتون على قول ثابت، لأن عندهم من الذكاء والطلب مايتشوقون به إلى طريقة خاصة الخلق، و لم يقدر لهم سلوك طريق خاصة هذه الأمة ا.هـ. وما ذكره الغزالي في كتاب المضنون به على غير أهله، ذكر نحوه في مشكاة الأنوار والأربعين ومعارج القدس وغيرها. انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٢/٦٢٥،٦٣٦ والفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي تأليف د.زكريا بشير إمام ص١٠٢ الطبعة الأولى١٤٠٩هـ الناشر مكتبة الفلاح الكويت.

و[هذه][١] المعاني [ذكرها][٢] طائفة من الفلاسفة[٣] ومن أخذ عنهم كابن سينا[٤] وأبي حامد[٥] وغيرهم.

وكل مافي كتاب المضنون به على غير أهله ماهو إلا كلام الصابئة، غير أنه غير ترتيبه وألفاظه فقط.

١-كذا في (ط) وفي جميع النسخ (هي) وفي هامش (ح) لعله (هذه)، ولا يستقيم المعنى إلا بما أثبت أعلاه.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ذكر).

٣-الفلاسفة هم من ينسبون إلى الفلسفة، والفسلفة كلمة يونانية مركبة من كلمتين هما (فيلا) أي: محبه، و(سوفيا) أي: الحكمة، فمعناها محبة الحكمة، ومبدأ الفلسفة من الروم واليونان وغيرهم عيال عليهم.

وقد مرت الفلسفة بعدة أدوار، وأهم أراء الفلاسفة : القول بقدم العالم، واكتساب النبوة، وإنكار البعث الجسماني. ومن أشهر من يسمى بفلاسفة الإسلام الفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم. انظر الملل والنحل جـ٢/٥٩ وعقائد الثلاث والسبعين جـ٢/٧٤٥.

٤-ابن سينا: هو أبو علي، الحسين بن عبدالله بن سينا، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس. ولد سنة ٣٧٠هـ، أصله من بلخ. طاف البلاد، وناظر العلماء تقلد الوزارة في همذان، كان أبوه كاتبا من دعاة الإسماعيلية. أخبر عن نفسه أنه ووالده من أهل دعوة الحاكم، من الباطنية. تكلم في الإلهيات، والنبوات، والمعاد، والشرائع، ولم يتكلم فيها سلفه وبرز في الطب واشتهر.

كان يأخذ من الملاحدة المنتسبين للإسلام كالإسماعيلية. كفره أئمة المسلمين وعلماؤهم. أشهر كتبه "القانون" في الطب وله "المعاد" و"أسرار الحكمة المشرقية" وغيرها هلك سنة ٤٢٨هـ في همذان. انظر السير جـ١٧/٥٣١ ترجمة رقم٣٥٦ الأعلام جـ٢/٢٤١.

٥-أبو حامد: هو زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي ولد سنة ٤٥٠هـ. تفقه ببلده، ثم تحول إلى نيسابور، فلازم إمام

--

وهـذه الأحـوال هـي مـن أصـول الشـرك وعبـادة الأصنـام، وهـي مـن المقاييس[١] الفاسدة التي قال بعض السلف : "ماعُبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس"، وهي من أقوال مـن يقـول إن الدعـاء إنما تأثـيره بكـون النفس تتصرف في العالم، لابكـون ا لله يجيـب الداعـي[٢]، وهـي مبنيـة على أن ا لله ليس بفاعل مختار يحدث الحوادث بمشيئته واختياره.

أصل قول الفلاسفة في الشفاعة وسببه

بل هؤلاء يقولـون: إن الـرب يوجـب العـالم بذاتـه، ويسـمونه علـة العلل، ويقولون: إنه علة تامة[٣]، وإذا كان كذلك فلابد للحوادث من

الحرمين، برع في الفقه، والكلام والجدل. ولاه نظام الملك الوزيـر تدريـس نظاميـة بغداد، وسِـنه نحـو الثلاثـين، أداه نظـره في العلـوم وممارسـته للزهديـات إلى رفـض الرئاسة، وأناب إلى دار الخلـود، والتألـه، وإصـلاح النفـس، ألـف كتـاب"تهـافت الفلاسفة" و"الإحياء" و"الأربعين" و"محك النظر" وغيرها. كانت خاتمة أمره إقبالـه على طلب الحديث ومجالسة أهله. قال عنه أبوبكر بن العربـي: شـيخنا أبـو حـامد بلع الفلسفة، وأراد أن يتقيائها، فما استطاع ا.هـ توفي سنة ٥٠٥هــ. انظـر السـير جـ١٩/٣٢٢ ترجمة رقم ٢٠٤ والأعلام جـ٧/٢٢.

١-في (د) مقائس.

٢-انظر مقاصد الفلاسـفة لأبـي حـامد الغـزالي ص٣٨٠-٣٨٢ الطبعـة الثانيـة تحقيـق د.سليمان دنيا الناشر دار المعارف مصر ونصـه :الخاصـة الأولى في قـوة النفـس في جوهرها، بحيث تؤثر في هيولى العـالم بإزالـة صـورة وإيجـاد صـورة، بـأن يؤثـر في استحالة غيرها، ويؤثر في استحالة الهواء غيما، ويحدث مطـر كالطوفـان، أو بقـدر الحاجة للاستسقاء ا.هـ. وذكـر تصرف النفس والعـين وقـالوا مثـل هـذا يعـبر عنـه بالكرامة والمعجزة.

٣-العلة التامة: هي مايجب وجود المعلول عندها، وقيل العلة التامـة: جملـة مـا يتوقـف عليه وجود الشيء، وقيل هي تمام ما يتوقف عليه وجود الشيء بمعنى أنـه لايكـون وراءه شئ يتوقف عليه. التعريفات للجرجاني ص١٥٤ حرف العين والمراد الأول.

سبب فجعلوا حدوثها بسبب حركة الفلك وما يحدث عنها من الأشكال الفلكية والاتصالات الكوكبية[١].

ثم الإلهيُّون منهم يقولون: إن الحركة سبب الاستعدادات من العالم السفلي[٢] لأن يفيض عليها من العقل الفعال[٣] الصور النوعية[٤]، وأن يفيض على النفوس العلوم والأخلاق وغير ذلك.

وهؤلاء يجيزون أن يعبد الإنسان الكواكب، لأنه بتوجهه إليها يفيض إليه منها أمور، وكذلك الأصنام لأنه بتوجهه إلى الصنم يكون متوجها إلى صاحبه فيفيض عليه أمور، والنفوس المفارقة[٥] هي سعيدة ؛ فإذا توجه المتوجه إلى تلك النفوس والقبر الذى دفن فيه / بدنها فاض ٩٩

١-في (ف) الملكوتيه.

٢-يقسم الفلاسفة العالم إلى العالم العلوي أي عالم الأفلاك وما فيه من العقول والنفوس والأجرام. وعالم سفلي وهو عالم الكون والفساد، وهو ما تحت السماء. المعجم الفلسفي د.جميل صليبا جـ٢/٤٦ الناشر دار الكتاب اللبناني.

٣-العقل الفعال هو الذي تفيض عنه الصور على عالم الكون والفساد، وإذا أصبح العقل الإنساني شديد الاتصال بالعقل الفعال كأنه يعرف كل شئ من نفسه سمي بالعقل القدسي. المعجم الفلسفي تأليف د.جميل صليبا جـ٢/٨٦.

٤-الصور النوعيه: الصورة عند الفلاسفة مقابلة للمادة، ويفرقون بين الصور الجسمية والصور النوعية: ويعرّفون النوعية بأنها: جوهر بسيط لايتم وجوده بالفعل دون وجود ماحل فيه. والجسمية بأنها: جوهر بسيط متصل لاوجود لمحله دونه. انظر التعريفات للجرجاني ص١٣٥-١٣٦ باب الصاد، والمعجم الفلسفي د.جميل صليبا جـ١/٧٢٤.

٥-النفوس المفارقة أي المفارقة للبدن.

[عليه] [١] منها ما يفيض، وقد بسطنا الكلام على هؤلاء وبينا فساد قولهم بالعقل الصريح المطابق بالنقل الصحيح بما ليس هذا موضعه[٢].

والكلام [إذا][٣] كان في أحكام أفعال العباد لم يكن لأحد أن يتكلم إلا بدليل شرعي، [إلا][٤] أن يدعو[٥] إلى دينٍ غير الإسلام، ولا ريب أن هذه الأقوال ونحوها تدعو إلى غير دين الإسلام.

أصل دين البكري وأمثاله

وقول هذا المفتري وأمثاله يجر إلى مثل هذا؛ لكنهم لايعرفون أصل قولهم ولوازمه؛ بل هم على عادة تعودوها واتباع [أشياخ][٦] لهم، فيهم نوع من علم ودين، ليس لهم خبرة بحقيقة ماجاء به الرسول، وعندهم تعظيم للأنبياء[٧] والصالحين من جنس تعظيم النصارى والمشركين، يعظمونهم تعظيم ربوبية من جهة مايرجونه من حصول مطالبهم من جهتهم، لايعظمونهم لكونهم رسل الله الذين أمروا بطاعتهم، فيجب أن يطاعوا فيما أمروا به؛ وأن يقتدى بهم فيما شرع

١-في الأصل وجميع النسخ (عليها) ولا يستقيم المعنى.

٢-قال المؤلف في درء التعارض جـ٧/١٧٥: الفلاسفة القائلون بدعوة الكواكب فيهم المشرك، وفيهم المعطل، ونفي الصفات من أقوالهم، فمنهم من لايثبت لهذا العالم المشهور رباً أبدعه، كما هو قول الدهرية الطبيعة منهم، ويجعلون العالم نفسه واجب الوجود بذاته، ومنهم من يثبت له مبدعاً واجباً بنفسه أبدعه، كما هو قول الدهرية الإلهية منهم ا.هـ. وانظر إغاثة اللهفان جـ١/٣٣٧-٣٣٨.

٣-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل (إذ) وفي (ف) غير واضحة ويبدو أنها (إذا).

٤-كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) لا.

٥-في جميع النسخ يدعوا بزيادة الف الجماعة.

٦-كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) الشيوخ ولا يستقيم المعنى.

٧-في (د) الأنبياء.

التأسي بهم فيه، يعرضون عن بعض طاعتهم والتأسي بهم، ويقبلون على نوع من دعائهم وسؤالهم والإشراك بهم، وهؤلاء بالنصارى أشبه منهم بالصابئة الفلاسفة[1]، لكن الجميع فيهم شرك.

ونحن في هذا الموضع ليس بنا حاجة إلى نفي تأثير هذه الأسباب فإنه ليس لكل سبب أثر يكون مشروعا، بل الشارع ينهى عن أمور لها تأثير في طلب بعض المطالب؛ إذا كان ضررها راجحاً على نفعها، كما ينهى عن السحر ونحو ذلك، وإن كان قد يمكن أن يُقتل به كافر، ويُطّلَعُ بذلك على بعض أخبار اعداء الإسلام، وكذلك [عباد][2] الكواكب قد تخاطبهم الشياطين / وتحصل لهم بعض مطالبهم، ودعاء الغائبين والأموات من هذا الباب، فقد يحصل أحيانا[أن] [3] شيطانا يتمثل للداعي، وقد يُحصل بعض مطالبه، لكن هذا كله منهي عنه لما ترتب عليه من الفساد مايغمر مايُظَنُّ فيه من المنفعة.

١٠٠

حقيقة قول الفلاسفة في قدم العالم

وهذه التأثيرات قد تحصل عند بعض القائلين بقدم العالم والقائلين بحدوثه، بخلاف من يقول إن الأثر الحاصل لايكون إلا فيضا، فهذا لايكون إلا على قول القائلين بالقدم، وقد بينا في غير هذا الموضع أن

١-لأن النصارى تدعي الإلهية في الأنبياء والصالحين، وأنهم قادرون على الضر والنفع، أما الفلاسفة فلا يعظمون الأنبياء بل يحطون من قدرهم حتى جعلوا الفيلسوف أعلى منهم درجة. وهؤلاء القبورية مثل النصارى في التعظيم.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل عبادة.

٣-مابين المعقوفين يقتضية السياق ، وهو في (ط) بين معقوفين ، وليس في جميع النسخ

هؤلاء الذين يقولون بقدم العالم وصدوره عن موجب [بذاته][١] هو علة تامة.[حقيقة][٢] قولهم : إن الحوادث تحدث بلا محدث أصلا، وأن حركة الفلك الحادثة شيئاً بعد شئ ليس لها مُحدثِ أصلا، ويقولون إنه يتحرك حركة شوقية[٣] بقولهم في حركته من جنس قول القدرية في حركة الحيوان.

والقدرية أخرجوا فعل الحيوان [أن يكون][٤] مخلوقاً لله -عزوجل-، وأثبتوا حادثاً لامحدث له[٥]، وهؤلاء الصابئة والفلاسفة أخرجوا حركة الفلك وجميع الحادثات من أفعال الحيوان وغيرها عن أن تكون مخلوقة لله -سبحانه[٦]- وأثبتوا هذه الحوادث بلا محدث.

استطراد في الرد على قول القدرية في الإرادة

والناس ردوا على القدرية، وقالوا: إرادة العبد حادثة بعد أن لم تكن فلابد لها من محدث، وإذا قيل العبد أحدثها بلا إرادة لزم وقوع الحوادث من المختار بلا إرادة، وإن قيل بإرادة فالقول فيها كالقول في الأولى.

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بذته) بدون الف.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (حقيقية) بزيادة ياء.

٣-الحركة الشوقية هي: أي أن يكون الفلك متحركاً بطريق العشق، ولايكون الرب -تعالى- فاعلاً للحركة بل تكون لأجله الحركة، من حيث كونه معشوقاً ومقصوداً يطلب التشبه به والاقتداء. انظر مقاصد الفلاسفة لأبي حامد الغزالي ص٢٨٠ الطبعة الثانية تحقيق د.سليمان دنيا الناشر دار المعارف مصر .

٤-مابين المعقوفتين من (د) و(ح) وفي (ف) (أنه يكون) وسقط من الأصل.

٥-سبق بيانه في التعليق على الأفعال المتولدة.

٦-في (د) تعالى.

وهؤلاء القدرية قالوا : إرادة الرب يحدثها لافي محل بلا إرادة منه، كما قال ذلك البصريون من المعتزلة[١] وقالوا إرادة / العبد يحدثها في نفسه بلا إرادة منه، وكلاهما ممتنع.

١٠١

ثم يقال لهم حدوثها بعد أن لم تكن حادثة أمر حادث فلابد له من محدث، وقد يقال الإرادة أمر ممكن لايترجح وجوده على عدمه إلا بمرجح تام، والمحدث والمرجح إن كان من العبد فالقول في حدوثه كالقول في الأول، وذلك يستلزم التسلسل في أفعال العباد، وأفعال العباد لها أول فيمتنع التسلسل فيها، فلزم أن يكون المحدث المرجح لها خارجاً عن العبد، وكل ما يذكر سوى الرب -تعالى- مُنته إليه والمحدث والمرجح هو الله -تعالى-.

وقول الصابئة والفلاسفة أفسد من قول القدرية، فإنه يقال إذا كان الرب عندكم علة تامة موجباً بذاته في الأزل لم يزل ولايزال هكذا، ومعلوله لازم لذاته لايمكن تأخره عنه امتنع أيضا [أن تصدر عنه حركة الفلك وغيرها من الحوادث، وامتنع][٢] أن يصدر عنه مايستلزم الحوادث، والعالم مستلزم للحوادث، فيمتنع صدوره عن العلة التامة لأن الحوادث تحدث شيئا بعد شئ؛ كما أن حركة الفلك تحدث شيئا بعد شئ. والعلة التامة لايحدث معلولها ولا شئ من معلولها شيئا بعد شئ،

١-انظر: الملل والنحل للشهرستاني جـ١/٨٠ والمعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق ص١٠٣.

٢-ما بين المعقوفتين من (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

بل جميع معلولها[١] مقارن لها أزلاً وأبدا لايتأخر منه شئ عن الأول، وإذا كان كذلك[٢] فالحوادث كأجزاء الحركة الفلكية يمتنع صدورها عن الموجب بذاته، وإذا قيل: إن الحركة سببها الشوق الذى في الفلك للتشبه بالأول، قيل فتلك الإرادة والتصور الذى هو سر مافي الإرادة الذى هو سبب الحركة (المتجددة، التى تجدُّدُ الحركة)[٣] بتجدده هو أيضاً من الحوادث المتعاقبة وهو نوع حركة نفسانية؛ فلابد لها من محدث. فإذا كانت العلة / التامة لايتأخر عنها معلولها امتنع (صدور ذلك)[٤] عنه، وإذا كان الفلك لايخلو عن الحوادث امتنع صدور[ها][٥] عنه، لأن [وجود][٦] الملزوم بدون اللازم ممتنع، ووجود[٧] اللازم ممتنع، ولو قدر مقدر أن العالم لم يكن فيه حادث ثم تجددت الحوادث؛ لكان القول فيما ليس بمتجدد؛ كالقول في غيره، فإن التقدير أنه هناك فاعل لاعلة تامة، والعلة التامة لايتجدد عنها شئ بل معلولها مقارن لها.

١٠٢

١-في (ف) معلومها.

٢-(كذلك)سقطت من (د).

٣-ما بين القوسين سقط من (د) و(ح).

٤-ما بين القوسين في (د) صدورها.

٥-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (صدوره) والضمير يعود على الحوادث.

٦-كذا في (ف) وفي الأصل و(د) (وجوده) وفي (ح) لم يظهر في الصورة.

٧-في (ف) غير واضحة.

قيام الصفات الاختيارية بالرب - تعالى -

وهذا إذا تصوره العاقل علم بالضرورة بطلان قول هؤلاء الذين هم من أبعد الناس عن المعقول الصريح كبعدهم عن المنقول الصحيح، ثم هل تقوم بالرب الأمور الإختيارية التى يسمونها الحوادث؟ لهم في ذلك [قولان](١) كما للمتكلمين قولان، وطائفة من الأساطين القدماء يجوزون ذلك وهو قول أبي البركات(٢) صاحب "المعتبر" وغيرهم من متأخريهم، ومنهم من لايجوزه كابن سينا وأمثاله، فمن لم يجوز ذلك ظهر فساد قوله بقدم العالم ظهوراً بينا، ومن جوزه أيضا فيمتنع عليه أن يقول بقدم شئ من العالم، فإنه حينئذ إذا كان الرب يفعل شيئا بعد شئ بأفعال يقوم(٣) بذاته؛ لم يكن قط علة تامة لمفعولاته، بل كل ما يفعله ويحدثه هو فاعل له حين أحدثه وفعله، والمؤثر التام يستلزم أثره، كما أن الأثر يستلزم مؤثره التام(٤).

القدرة عند أهل السنة

ولهذا كان مذهب أهل السنة أن القدرة لابد أن تكون مع

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل قولا.

٢-هو أبو البركات، هبة الله بن علي بن ملكا البلدى، كان يهودياً فأسلم في آخر عمره. الفيلسوف، الطبيب، خدم الخليفة المستنجد، له كتاب "المعتبر" و"اختصار التشريح من كلام جالينوس" وغيره هلك نحو ٥٦٠هـ عن ثمانين سنة. انظر السير جـ٤١٩/٢٠ ترجمة رقم ٢٧٥ والأعلام جـ٧٤/٨.

وقد نقل عنه ابن تيمية قوله في مجموع الفتاوى جـ٣٠٢/١٦ قال أبو البركات: لم يقل ذلك أحد من العقلاء ا.هـ.

٣-كذا في جميع النسخ.

٤-سبق بيان هذه المسألة في التعليق انظر ص٣١٥.

مقدورها، ولا يجوز أن تكون معدومة عند[1] وجود المقدور، ولكن تنازعوا هل يكون وجودها قبل مع بقائها؟.

١٠٣ والصواب التفريق بين القدرة المصححة[2] التى / يشترط في الفعل معها وجود الإرادة؛ وبين القدرة الموجبة[3] وهي مجموع مايستلزم المقدور.

الرد على الفلاسفة في قولهم بقدرة العالم

وأما القدرية فقالوا: إن القدرة لاتكون إلا قبل الفعل، وإذا كان الحوادث يحدثها[4] شيئا بعد شيء بحسب حدوثها لزم أن تقوم به الأفعال الاختيارية، وإذا كان كذلك بطل أصل قولهم الذى بنوا عليه قدم العالم، حيث قالوا هو موجب بالذات لافاعل بالاختيار، وإذا كان كذلك قارنت موجبه، فإذا كان نفس الحوادث يستلزم أن يكون فاعلاً أفعالاً متعاقبة بطل كونه موجباً بذاته بمقارنة موجبه، فبطل التلازم الذى

١-في (د) عن.

٢-القدرة المصححة: وهي السابقة للفعل، وهي الاستطاعة المشروطة في التكليف كما قال تعالى ﴿و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[سورة آل عمران:٩٧] وهي صالحة للفعل والترك و لم يعرف القدرية غيرها، كما لم يعرفها الجبرية. انظر مج جـ١٨/١٧٢-١٧٣.

٣-القدرة الموجبة: وهي المقارنة للفعل، وهي المنفية عمن لم يفعل في مثل قوله ﴿ماكانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾[سورة هود:٢٠] ولم يعرف الجبرية كالأشاعرة وغيرهم غير هذه القدرة، ولم يعرفها القدرية. انظر مج جـ١٨/١٧٣.

٤-كذا في جميع النسخ والأولى أن تكون الجملة هكذا (وإذا كانت الحوادث يحدثها المحدث) ولكن المؤلف -إن لم يكن هناك سقط- بناها للمجهول.

ذكروه وجاز أن يكون محدثاً للأفلاك.

وإن كان قد أحدث قبلها شيئا آخر كما أخبر الله -تعالى- أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء[١]، كذلك في التوراة أنه خلق السموات والأرض وكان الماء مستبحراً[٢] غامراً الأرض والرياح تهب فوقه[٣].

وملخص ذلك أنه لو كان شيء من العالم قديماً لكان موجباً بذاته بمقارنة[٤] موجبه لايتأخر عنه، والثاني باطل لأنه لو كان كذلك لم يحدث في العالم شيء؛ لأن العالم بجميع مافيه موجب له فلو كان موجبه يقارنه[٥] في الأزل [لزم أن لا][٦] يحدث في العالم شيء؛ ولو

١-يشير إلى قول الله -تعالى- ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ الآية [سورة هود:٧].

٢-مستبحراً أسم مفعول للبحر والبحر هو الماء الكثير ملحاً كان أو عذباً وهو خلاف البر. وإنما سُمي البحر بحرا لسعته وانبساطه، وقد غلب على الماء المالح حتى قل في العذب. انظر لسان العرب لابن منظور جـ٤/٤١، والقاموس المحيط ص٤٤١ مادة بحر.

٣-جاء في سفر التكوين الإصحاح الأول فقره ٢: وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمه وروح الله يرف على وجه المياه. انظر الكتاب المقدس- التوارة طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

٤-كذا في الأصل و(ح) وفي (ف) و(د) بقارنه.

٥-في (ف) بقارنه.

٦-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

أوجب[١] العالم دون الحوادث لوجد الملزوم دون اللازم، ولحدثت الحوادث بعد ذلك عن الموجب[٢] المستلزم لموجبه في الأزل وكلاهما ممتنع.

وكل خبر في العالم فهو مستلزم لمقارنة الحوادث؛ إذ يمكن أن تقوم به الحوادث، فلو كان صادراً عن موجب بالذات لامتنع حدوث الحوادث مقارنة له أو حادثة/ بعده، لأن صدورها عن موجب بالذات ممتنع؛ لاسّيما والذات التى من شأنها أن تقوم بها الأفعال المتعاقبة فيفعل شيئاً بعد شيء، لايكون فعلٌ معين لازماً لذاتها، فلو كان في العالم شيء قديم تبين أنه إنما يلزمها نوع الأفعال لافعل معين.

١٠٤

وأيضا فلزوم الفعل المعين لمفعول معين لذات تقوم بها الأفعال المتعاقبة وتفعل شيئاً بعد شئ غير معقول، فإنها متى كانت كذلك؛ امتنع أن يلازمها أزلاً وأبدا فعل[٣] معين، فإن ملازمة المعين ينافي كون فعلها شيئا بعد شيء.

وإذا قيل يلزمها فعل معين ولا يلزمها شيء من الأفعال، كانت أفعالها منقسمة إلى معين لازم لها؛ وإلى نوع يحدث شيئاً بعد شيء فهي

١-في (ف) و(د) وجد وفي (ح) وجب.

٢-في (د) الموجد.

٣-في (ف) (افعل).

للأول موجبة [بذاتها][١] وللثاني[٢] فاعلة باختيارها، فيكون موجبة بالذات لمفعول وفاعل بالاختيار لمفعولات، واجتماع هذين في الذات الواحدة تناقض، لأن كونها فاعلة بعد اختيارها شيئا بعد شئ، يناقض اتصالها بالإيجاب بالذات، مع أن الفعل المعين الملازم للذات لايعقل، ولا يعقل الفعل إلا الاحداث، وإنما يعقل[٣] فيما كان لازماًلها أن تكون صفة لها كالحياة، لاأن يكون مفعولاً لها، فكونه مفعولا يناقض كونه معه لازما؛ لاسيما إذا كان الفاعل فاعلاً بالاختيار.

الشفاعة بين الموحدين والمشركين

والمقصود هنا أنه إذا لم يحصل من العبد فعلٌ أمره الله به في حق الرسول، ولم يحصل من الرسول شفاعة له، فلا يتصور أن ينتفع بجاه الرسول؛ منفعة أمر الله بها[٤] في دين الرسل واتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم، لكن (على قول)[٥] غير أهل التوحيد من المشركين القائلين بحدوث العالم والقائلين بقدمه، فإن المشرك/ قد يدعو[٦] إلهاً من دون الله فتخاطبه الشياطين وربما قضت له بعض

١٠٥

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل بذتها بدون ألف.

٢-في (د) والثاني.

٣-كذا في الأصل و(ح) وفي (ف) يفعل وفي (د) يقل.

٤-في الأصل و(ف) و(د) كلمة (ودينه) وليس لها معنى، وفي (ح) بياض بمقدار كلمة وقد حذفت كلمة (ودينه) ليستقيم المعنى، ويظهر لي أنها زيادة من الناسخ.

٥-مابين القوسين سقط من (د) و(ح).

٦-في الأصل و(د) زيادة ألف وهو خطأ.

الحاجات، وهذا معروف في عباد الكواكب وعباد الموتى من الصالحين وغير الصالحين.

وأما على قول الصنف الثاني من المشركين الذين جمعوا في الحقيقة بين التعطيل والإشراك، فأنكروا أن يكون خالقاً للعالم بقدرته ومشيئته، وهم مشركون، فمن هؤلاء من يقول إنه قد يفيض عليه من الشفيع شئ بغير دعاء الرسول، لكن لابد عند هؤلاء من توجه من العبد؛ ولايشترطون التقرب بما شرعته الرسل، بل يمكن عندهم إذا سجد لتماثيله أو لقبره ودعاه من دون الله أن يحصل له ذلك، كما يحصل إذا توجه إلى الشمس من سخونة شعاعها مايحصل.

والفرق بين الموحدين والمشركين، أن الموحدين يقولون: إن ماأمرت به الرسل من العبادات إنما يتقرب [به] (١) إلى الله، والأجر فيه على الله، وإنما على الرسول البلاغ؛ ليس عليه حصول الثواب، ولا يشترط أن يكون واسطة في وجوده بل يخلق الله الثواب بغير واسطة الرسول.

وأما شفاعة الرسول فهي دعاء لله -تبارك وتعالى-، وهؤلاء يقولون لايحصل إلا بتوسطهم وإن فاض عنهم بغير قصد، فهذا أصل ينبغي معرفته، فإن هذا الضال وأمثاله يجعلون الأنبياء والصالحين من جنس الذين يظنون أن النفع والضر يحصل لهم بتوسطهم؛ كما يجعل الشعاع والحرارة بتوسط الشمس.

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

ونحن نقول إن كل ماشرعه ا لله ورسوله فهو من أعظم الوسائل (إلى ا لله، لكن دعاؤهم بعد الموت لم يشرعه ا لله ورسوله فليس من الوسائل)[١]،وكذلك سؤال أحدهم مالا يقدر عليه إلا ا لله ليس مشروعا، وأصل الدين أن لايعبد إلا ا لله، وأن لايعبد إلا بما شرع / وما ذكره هؤلاء يتضمن عبادة غير ا لله بغير أمر ا لله.

١٠٦

نهى الرسل عن اتخاذ القبور مساجد

المقام الثاني: أن يقال هذا مما نهت عنه الرسل فقد ثبت في الصحاح أن النبي ﷺ نهى عن اتخاذ القبور مساجد وقال: «**لعن ا لله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر مافعلوا[٢]، وقال: «**لاتجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**»[٣].

فلو كان الدعاء عند القبور أجوب منه في غير تلك البقعة لكان قصدها للدعاء عندها مشروعاً لم يُنه أن يتخذ مسجدا، فإن اتخاذ القبور [مساجد][٤] يدخل فيه الصلاة وغيرها؛ ويدخل فيه بناء المساجد

١-مابين القوسين سقط من (د).

٢-أخرجه البخاري في (كتاب الجنائز، باب مايكره من اتخاذ المساجد على القبور) جـ١/٣٩٥ رقم ١٣٣٠ وأطرافه بالأرقام التالية: ٤٣٥، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤٣، ٥٨١٥ . ومسلم في (كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها) جـ١/٣٧٧) رقم ٥٣٢ وغيرهم من حديث عائشة -رضي ا لله عنها-.

٣-أخرجه مسلم في (كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه) رقم ٩٧٢ جـ٢/٦٦٨ من حديث أبي مرثد الغنوى.

٤-كذا في (ح) وفي الأصل (ولمساجد) وفي (ف) و(د) (لمساجد).

عليها، وكلاهما منهي عنه بل يحرم كما صرح به غير واحد من العلماء[١]. فإن النبي ﷺ لعن من فعل ذلك تحذيراً لأمته، وهذا يقتضي توكيد التحريم.

الدعاء في الصلاة وبعدها وفي المشاعر

فإن الدعاء في الصلاة أجوب منه في غيرها؛ كالدعاء في دبرها كما جاءت به السنة في الأدعية الشرعية؛ فإنها مشروعة في آخر الصلاة، و[٢]كذلك الدعاء عقب الصلاة.

وأفضل الدعاء دعاء يوم عرفة؛ وإنما يكون بعد صلاة الظهر والعصر،

١-قال النووي في المجموع جـ٥/٢٨٥ ط مطبعة الإمام بمصر: اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهية بناء مسجد على القبر، سواء كان الميت مشهورا بالصلاح أو غيره، لعموم الأحاديث وقال الشافعي: وتكره الصلاة إلى القبور، سواء كان الميت صالحاً أو غيره.

وقال الحافظ أبو موسى قال الإمام أبو الحسن الزعفراني: ولا يصلى إلى القبر ولا عنده تبركاً به ا.هـ.

وقال القرطبي في الجامع لاحكام القرآن جـ١٠/٣٨٠: قال علماؤنا: يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد ا.هـ.

واتفق العلماء في عصر الملك الظاهر بيبرس في القرن الثامن الهجري على لسان واحد أنه يجب على ولي الأمر أن يهدم القباب كلها وأن يكلف أصحابها برمي ترابها ولم يختلف منهم أحد. انظر المدخل لابن الحاج جـ١/٢٥٣ طبعة ١٤٠١هـ الناشر دار الحديث. وأقوال العلماء في هذه المسألة كثيرة تركناها للاختصار. وانظر أقوال العلماء من المذاهب الأربعة في كتاب النبذة الشريفة في الرد على القبوريين ص١٣٢ ومابعدها فقد نقل أقوالهم بألفاظهم، فأفاد وأجاد في ذلك.

٢-الواو سقطت من (ف) و(د).

والوقوف بمزدلفة ودعاؤها بعد صلاة الفجر، والطواف يجري مجرى الصلاة ولهذا يستحب الدعاء في آخره، كما كان النبي ﷺ يقول بين الركنين «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»(١)، والطواف تحية المسجد الحرام.

وأما " منى" فعبادتها رمي الجمار، ولهذا يرمونها يوم النحر ثم ينحرون، كما يصلون في الأمصار ثم ينحرون، فليس بمنى صلاة عيد بل رمي جمرة العقبة لهم كصلاة العيد لغيرهم، وسائر الجمرات ترمى عقب الزوال قبل صلاة الظهر، وفي السنن عن النبي ﷺ **قال «إنما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله»**(٢).

١-أخرجه أبو داود في (كتاب المناسك، باب الدعاء في الطواف) رقم ١٨٩٢ جـ٢/٤٤٩ واللفظ له. وأحمد في المسند جـ٣/٤١١. والحاكم في المستدرك جـ١/٤٥٥ وقال صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وابن حبان في صحيحه في (كتاب الحج، ذكر مايقول الحاج بين الركن والحجر في طوافه) رقم ٣٨٢٦ جـ٩/١٣٤، والبيهقي في السنن الكبرى (كتاب الحج، باب القول في الطواف) جـ٥/٨٤. وحسنه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود جـ١/٣٥٤ رقم ١٦٦٦ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٢-أخرجه الترمذي في (كتاب الحج، باب ماجاء كيف ترمى الجمار) رقم ٩٠٢ جـ٣/٢٤٦ ولفظه «إنما جعل رمي الجمار والسعي ....» وأبو داود في (كتاب المناسك، باب في الرمل) رقم ١٨٨٨ جـ٢/٤٤٦ ولفظه « .... الطواف

==

١٠٧

فلما كان هذا من شعائر الصلاة والطواف كان الدعاء/ عندها مشروعا كما ثبت في الصحيح «أنه ﷺ كان يدعو[١] بين الجمرتين بقدر سورة البقرة»[٢]، وأما جمرة العقبة فليس عندها وقوف ولا دعاء[٣]؛ فإنها آخر منى، والداعي يريد أن يتأخر عن الجمرة وما بعدها ليس من منى، وكان الداعي في نفس عرفة ومزدلفة ومنى لاخارجاً

......». والحاكم في المستدرك جـ١/٤٥٩ كتاب المناسك. وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وقال العلامة ناصر الدين الألباني في حاشية مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي (الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان) رقم١٣٨١ جـ٢/٨٠٦: إسناده ضعيف ا.هـ.

١-في الأصل و(ف) و(د) بزيادة ألف.

٢-أخرجه البخاري من حديث عبدالله بن عمر «أن رسول الله ﷺ كان إذا رمى الجمرة التي تلي مسجد منى يرميها بسبع حصيات، يكبر كلما رمى بحصاة، ثم تقدم أمامها، فوقف مستقبل القبلة، رافعاً يديه يدعو، وكان يطيل الوقوف، ثم يأتي الجمرة الثانية فيرميها بسبع حصيات، يكبر كلما رمى بحصاة، ثم ينحدر ذات اليسار، مما يلي الوادي، فيقف مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو، ثم يأتي الجمرة التي عند العقبة، فيرميها بسبع حصيات، يكبر عند كل حصاة، ثم ينصرف ولا يقف عندها»(كتاب الحج، باب الدعاء عند الجمرتين) جـ١/٥١٧ رقم ١٧٥٣ وقد وقع تفسير القيام الطويل فيما رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن عطاء «كان ابن عمر يقوم عند الجمرتين مقدار مايقرأ سورة البقرة». انظر فتح البارى لابن حجر جـ٣/٧٤٥ و لم أجده في مصنف ابن أبي شيبه.

٣-في (ف) (ولا دعى)

عنها،ولهذا قال النبي ﷺ «**عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنه**[١]، **ومزدلفة كلها موقف وارفعوا عن محسر،[ومنى كلها منحر]**[٢]» [٣]، فلم يجعل الحدود الفاصلة بين المشاعر منها. وقد قال طائفة من السلف في قوله[٤] ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ [سورة البقرة:١٢٥] قالوا: مقام إبراهيم عرفة ومزدلفة ومنى، ومصلى أى مدعى[٥]، وهذا

١-في (د) عرفة.

٢-مابين المعقوفتين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٣-أخرجه أبو داود في (كتاب المناسك، باب الصلاة بجمع) جـ٣/٤٧٨ رقم ١٩٣٧ وابن ماجه في (ابواب المناسك، باب الموقف بعرفة) جـ٢/١٧٩ رقم ٣٠٤٦ والإمام أحمد في المسند جـ٤/٨٢ والبيهقي في السنن الكبرى جـ٥/١١٥ جميعهم بألفاظ متقاربة وقريبة من لفظ المؤلف. وأصله في مسلم (كتاب الحج، باب ماجاء في أن عرفة كلها موقف) جـ٢/٨٩٣ رقم ١٢١٨ وأخرجه الترمذى مطولاً في (كتاب الحج، باب ماجاء في أن عرفة كلها موقف) جـ٣/٢٣٢ رقم ٨٨٥ وقال حديث حسن صحيح.

٤-في (د) تعالى.

٥-انظر تفسير ابن جرير الطبري جـ١/٥٨٦-٥٨٧ في (تفسير سورة البقرة الآية:١٢٥) قال: حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا سفيان بن عيينه، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مُصلى**﴾ قال: مصلى إبراهيم مُدَّعى. قال أبو جعفر: فكأن الذين قالوا: تأويل ﴿المصلى﴾ ههنا: المدَّعَى، وجهوا ﴿المصلى﴾ إلى أنه (مفعل) من قول القائل (صليت) بمعنى دعوت.

وقائلو هذه المقالة هم الذين قالوا: إن مقام إبراهيم هو الحج كله. فكأن معناه في تأويل هذه الآية: واتخذوا عرفة والمزدلفة والمشعر والجمار، وسائر أماكن الحج التى كان إبراهيم يقوم بها، مدَاعِيَ تدعوني عندها، وتأتمون بإبراهيم خليلي -عليه

==

لاينافي عند كثير من العلماء ماثبت في الصحيح «من أن النبي ﷺ لما طاف صلى عند المقام وقرأ ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾»[١]، لأن الآية قد تتناول هذا وهذا عند كثير من أهل العلم.

ففى الجملة أحق البقاع بدعاء ا لله فيها المساجد التى يصلى فيها، والمشاعر التى شرع ا لله فيها الدعاء والذكر، وأمر أن يكون الدين خالصاً له كما قال تعالى ﴿**قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين * قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾[سورة الأنعام:١٦١-١٦٢].

حكم الأكل من الذبائح التي تذبح عند القبر

فإذا كانت الصلاة والذكر لله وحده لم يكن ذلك مشروعاً عند قبر، وكما لايذبح للميت ولا عند قبره؛ بل «نهى النبي ﷺ عن العقر عند القبر»[٢]، وكره العلماء الأكل من تلك

السلام- فيها، فإني جعلته لمن بعده -من أوليائي وأهل طاعتي- إماماً يقتدون به وبآثاره، فاقتدوا به ا.هـ.

والراجح أن مقام إبراهيم هو المقام المعروف. انظر: تفسير الطبري جـ١/٥٨٧ والجامع لأحكام القرآن جـ٢/١١٣ وتفسير ابن كثير جـ١/١٧١.

١-أخرجه مسلم في (كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ) رقم ١٢١٨ جـ٢/٨٨٦ ولفظه «ثم نفذ إلى مقام إبراهيم -عليه السلام- فقرأ ...» والنسائي في (كتاب مناسك الحج، كيف يطوف أول ما يقدم) رقم ٢٩٣٧ جـ٥/٢٢٨ ثم أتى المقام فقال ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت وأخرجه غيرهم.

٢-أخرجه أبو داود في (كتاب الجنائز، باب كراهية الذبح عند القبر) جـ٣/٥٥٠ رقم
==

الذبيحة(١) فإنها شِبْهُ ماذبح لغير الله، فلو كانت مقابر الأنبياء والصالحين مما يستحب الدعاء عندها لكانت إما من المساجد وإما من المشاعر التى يُحج إليها، وقد نهى النبي ﷺ عن هذا وهذا.

١٠٨
اتخاذ القبر عيدا يعني اتخاذه مشعرا

بل لعن الذين يتخذون / القبور مساجد وقال في الحديث الذى رواه أبو داود وغيره «**لاتتخذوا قبري عيدا وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني**»(٢)،فنهى أن يتخذ قبره عيدا وهذا معنى المشاعر فإن

٣٢٢٢ من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ «لاعقر في الإسلام» قال عبدالرزاق -صاحب المصنف-: كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة ا.هـ وقد أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ٣/١٩٧ وعبدالرزاق في مصنفه جـ٣/٥٦٠ رقم ٦٦٩٠ والبيهقي في السنن الكبرى جـ٥/٥٧ باب كراهية الذبح عند القبر.

قال النووى في المجموع جـ٥/٢٨٦: رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح ا.هـ. وقال العلامة الألباني: في أحكام الجنائز وبدعها ص٢٥٩ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض - السعودية: إسناده صحيح على شرط الشيخين ا.هـ.

١-قال بذلك الإمام أحمد، ومراده -رحمه الله- بالكراهة الحرمة. انظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة جمع وتحقيق عبدالأله الأحمدي جـ٢/١٢٩ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار طيبة الرياض. وللتوسع انظر شرح مسلم للنووي جـ١/١٥٠ واقتضاء الصراط لابن تيمية جـ٢/٧٤٥-٧٤٦ والزواجرعن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي جـ١/٢١١ طبعة ١٤٠٢هـ الناشر دار المعرفة بيروت والفتوى رقم ٦٢٠٨ من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، بالمملكة العربية السعودية.

٢-سبق تخريجه .

المشاعر تتخذ أعيادا[١]، أي يجتمع الناس عندها في أوقات معتادة، والعيد[٢] اسم للوقت والمكان الذي يعتاد الاجتماع فيه، وقد يعبر به عن نفس الاجتماع المعتاد، ولهذا سمى النبي ﷺ يوم الجمعة عيدا وقال «**إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيدا**»[٣].

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه رأى قوماً ينتابون مكانا يصلون فيه، قال: ماهذا، قالوا مكاناً صلى فيه رسول الله ﷺ ، قال: «أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا من أدركته فيه الصلاة فليصل وإلا فليمض»[٤] فقد نهاهم عن

١-من هنا يبدأ فراغ في السطر في (ف) لم يكتب فيه بمقدار ثلاث كلمات، وليس في الكلام سقط، ويبدو عليه أثر إصلاح.

٢-العيد: كل يوم فيه جمع، واشتقاقه من عاد يعود كأنهم عادوا إليه، وقيل: اشتقاقه من العادة لأنهم اعتادوه. انظر لسان العرب جـ٣/٣١٩، والقاموس المحيط ص٣٨٦ ماد عود.

٣-أخرجه ابن ماجه في (أبواب إقامة الصلاة، باب ماجاء في الزينة يوم الجمعة) جـ١/١٩٧ رقم ١٠٨٥ والطبراني في المعجم الصغير جـ١/١٤٩ رقم ٣٥٠ طبعة كمال الحوت وعبدالرزاق في المصنف مرسلا جـ٣/١٩٧ رقم ٥٣٠١ وابن أبي شيبة في مصنفه جـ١/٤٣٥ رقم ٥٠١٦ قال الدوسري في النهج السديد ص٧٥ رقم ١٣٥: الحديث بهذه الطرق حسن لغيره ا.هـ.

٤-أخرج القصة ابن أبي شيبة في مصنفه جـ٢/١٥١ رقم ٧٥٥٠، وسعيد بن منصور في سننه كما نقل المؤلف عنه في اقتضاء الصراط جـ٢/٧٥١-٧٥٢ وعبدالرزاق في مصنفه جـ٢/١١٨-١١٩ رقم ٢٧٣٤ وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص ٤١-٤٢ (الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ الناشر دار الرائد العربي بيروت - لبنان)

==

اتخاذ آثار الأنبياء مساجد.

الكلام على حديث عتبان وفعل ابن عمر

وهذا لا ينافي قول عتبان بن مالك للنبي ﷺ إن السيول تحول بيني وبين قومي فلو صليت في بيتي في مكان أتخذه مصلى «فجاء النبي ﷺ فصلى ركعتين»[١]، لأن عتبان كان مقصوده بناء مسجد لحاجته إليه وتبرك بكون النبي ﷺ يصلي فيه أولا، كما أنه ﷺ بنى مسجد قباء وبنى مسجده، والمسجد الذى يتخذه بناء أفضل من غيره،كما فُضل المسجد الحرام ومسجد سليمان [عليه السلام][٢]، بخلاف من لم يكن مقصوده

وصحح إسنادها المؤلف في قاعدة جليله ص٢٠٣ وابن كثير في مسند الفاروق تحقيق د.عبدالمعطي قلعجي ص١٤٢-١٤٣ (الطبعة الأولى ١٤١١هـ الناشر دار الوفاء المنصوره - مصر) وقال العلامة الألباني في تحذير الساجد ص٩٣ صحيح على شرط الشيخين ا.هـ وصححها غيرهم.

١-أخرجه البخاري في (كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت) جـ١/١٥١ رقم ٤٢٥ بلفظ أطول من لفظ المؤلف. وقد شرح المؤلف -رحمه الله- هذا الحديث في مواضع أخرى انظر مج جـ١٧/٤٦٨.

٢-مابين المعقوفتين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف)، مسجد سليمان هو مسجد بيت المقدس، كما ورد في بعض الأخبار الصحيحة، وهذا مشكل، فقد أخرج البخاري في كتاب الأنبياء، لم يبوب) جـ٢/١٠٤٠ رقم ٣٣٦٦ عن النبي ﷺ أن بين بناء المسجد الحرام والمسجد الاقصى أربعون سنة .

وكما هو معلوم أن الذى بنى المسجد الحرام هو إبراهيم -عليه السلام- وبين إبراهيم وسليمان -عليهما السلام- أكثر من ذلك. لذا اختلف العلماء فقيل أول من أسس المسجدين الحرام والأقصى آدم -عليه السلام-، وقيل أسس المسجد الحرام إبراهيم، وأسس المسجد الأقصى الملائكة، وقيل سام بن نوح وقيل يعقوب -عليه السلام-، والراجح الأول فآدم أسس المسجدين وسليمان جدد بناء بيت

==

إلا بناء مسجد لأجل ذلك الأثر.

وأما ما نقل عن ابن عمر أنه كان يتحرى في سفره النزول في مكان النبي ﷺ والصلاة في مصلاه[١]، فمن الناس من رخص في مثل ذلك، بخلاف ما إذا اجتمع على ذلك الناس؛ [ومن الناس][٢] من قال هذا أمر انفرد به/ ابن عمر -رضي الله عنه-[٣].

١٠٩

مخالفة أكابر الصحابة لابن عمر في تتبعه لآثار النبي ﷺ

والخلفاء الراشدون [و][٤] الأكابر من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لم يكونوا يفعلون ذلك، وهم أعلم من ابن عمر وأعظم اتباعاً للنبي ﷺ ، فلو كان هذا مستحبا لفعله هؤلاء.

وأيضاً لما فتح المسلمون تستر[٥] وجدوا فيها قبر دانيال وكان أهل البلد

المقدس، وإبراهيم جدد بناء المسجد الحرام. والله اعلم.

انظر: تاريخ الطبري جـ١/٢٨٦ وقصص الأنبياء لابن كثير ٥٠٦ وفتح الباري لابن حجر جـ٦/٥٤٠-٥٠٥.

١-أخرجه البخاري في (كتاب الصلاة، باب المساجد التى على طرق المدينة والمواضع التى صلى فيها النبي ﷺ) جـ١/١٦٧ رقم ٤٨٣.

٢-مابين المعقوفتين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف) وفي هامش الأصل لعله (ومن الناس).

٣-مابين الشرطتين سقط من (د) وانظر اقتضاء الصرط جـ٢/٧٥٠-٧٥٧ فقد أطال المؤلف في الكلام على هذه المسألة.

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (من).

٥-تستر: بالضم ثم السكون، وفتح التاء الأخرى وراء، وهي تعريب شوشتر ومعناه النزه والحسن والطيب واللطيف، من إقليم خوزستان فيه أنهار كثيرة أعظمها نهر

==

يستسقون بـه فكتب في ذلـك أبـو موسى إلى عمر بن الخطـاب[١]، فكتب إليه «[أن أحفـر][٢] بالنهـار ثلاثـة عشر قـبراً وادفنـه بـالليل في واحد منها لئلا [يفتتن به][٣] الناس فيستسقون به»[٤].

تستر فتحها أبو موسى الاشعرى في عهد عمـر بـن الخطـاب -رضـيا الله عنهمـا- وفيها استسلم الهرمزان على حكم عمر، ينسب إليها جماعة منهم سـهل التسـترى، وفيها وجد دانيال الذى نحن بصدد ذكره . انظر: معجـم البلـدان جـ٢/٣٤-٣٦ رقم ٢٥١٧.

١-في (ف) رضيا الله عنه ومن هنا يبدأ فراغ في الأسطر مثل ماسبق.

٢-مابين المعقوفتين من (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (انحفر).

٣-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) يعتريه ومـاأثبت أعـلاه يوافـق لفـظ الأثـر في مصادره.

٤- وردت عـدة روايـات في دفـن دانيـال -عليـه السـلام- فذكـر الطـبرى في تاريخـه جـ٢/٥٠٥ الخبر ولم يذكر طريقة الدفن، وقال البلاذري في فتوح البلدان ص٣٨٦ (الطبعة الأولى بمطبعة الموسـوعات القـاهرة - مصـر) إن أبـا موسـى دفنـه في نهـر وأجرى الماء عليه، وقال ابن كثير في قصص الأنبياء ص٥٢٩ وروى ابن أبي الدنيـا هذا الخبر من غير وجه في كتابه القبور وذكر إخفاء أبي موسى لقـبره لكيـلا يعلـم به أحد. (ولم أقف على كتاب القبور لابن أبي الدنيا مطبوعاً أو مخطوطا) قال ابـن كثير في البداية والنهاية جـ٢/٤٠ وفي قصص الأنبياء ص٥٢٨ قال: قال يونس بـن بكير عن محمد بن إسحاق عن أبي خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال: لما افتتحنا تستر وجدنا في مال بيت [كذا في الأصل] الهرمزان سريراً عليـه رجـل ميـت عنـد رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمـر بـن الخطـاب، فدعـا لـه كعبـاً فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثـل مـا أقـرأ القـرآن هـذا، فقلت لأبي العالية: ماكان فيه؟ قال سيركم وأموركم ولحـون كلامكـم، ومـا هـو

==

فهذه كانت[١] سنة الصحابة -رضوان الله عليهم- ولهذا لم يكن في زمن الصحابة والتابعين لهم بإحسان على وجه الأرض في ديار الإسلام مسجد مبني على قبر، ولا مشهد يزار لابالحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا مصر ولا العراق ولا خراسان، وقد ذكر مالك -رحمه الله- أن وقوف الناس للدعاء عند قبر النبي ﷺ بدعة لم يفعلها الصحابة ولا التابعون، [وقال: لا][٢] يصلح [آخر][٣] هذه الأمة إلا ماأصلح أولها[٤].

زيارة القبور للدعاء للميت

فأما ماأمر به النبي ﷺ في زيارة القبور فإنما هو دعاء للميت كالدعاء في الصلاة على جنازته، والسنة في الدعاء التعميم كما في

كائن بعد. قلت فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها، لنعميه عن الناس فلا ينبشونه. قلت فما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطروا .... إلى آخره .

قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية. ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثلاثمائة سنة فليس بنبي بل هو رجل صالح ، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة، وهو قريب من وقت دانيال ولكن قربت الظنون أنه دانيال لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجونا ا.هـ. وهذا هو الراجح.

١-إلى هنا انتهى الفراغ في اسطر (ف).

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (قال ولا)

٣-كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٤-انظر الشفاء للقاضي عياض جـ٢/٢٠٥ تحقيق محمد أمين فره وآخرين الناشر مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن دمشق.

السنن أن النبي ﷺ مر بعلي وهو يدعو فقال «**ياعلي عمّ فإن فضل العموم على الخصوص كفضل السماء على الأرض**»(١)، ولهذا يقال في دعاء الجنازة «**اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا**»(٢)، و لم يخص الميت بالدعاء.

وكذلك يقال في السلام على الموتى «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين/ نسأل الله لنا ولكم العافية**»(٣)، كما يقال في الصلاة ١١٠

١-أخرجه أبو داود في المراسيل، باب ماجاء في الدعاء، ص١٠١ عن عمرو بن شعيب: أن النبي ﷺ أتى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وقد خرج لصلاة الفجر، وعلي يقول: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم تب علّي، فضرب النبي ﷺ على منكبه وقال «عم ففضلُ مابين العموم والخصوص كما بين السماء والأرض» والبيهقي في السنن الكبرى جـ٣/١٣٠ في (كتاب الصلاة، باب ماعلى الإمام من تعميم الدعاء) بنحوه مرسلا، وعزاه جمال الدين المزي في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف تصحيح عبدالصمد شرف الدين جـ١٣/٣٢٦ رقم ١٩١٧١ (الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ الناشر الدار القيمة بمباي - الهند ومعه النكت الظراف لابن حجر) لأبي داود في المراسيل وذكره بلفظ المؤلف.

٢-أخرجه أبو داود في (كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت) جـ٣/٥٣٩ رقم ٣٢٠١ والترمذي في (كتاب الجنائز، باب مايقول في الصلاة على الميت) جـ٣/٣٤٣ رقم ١٠٢٤ واللفظ له وقال حديث حسن صحيح، والنسائي في (كتاب الجنائز، باب الدعاء) جـ٤/٧٤ رقم ١٩٨٤ وأحمد في المسند جـ٥/٣٠٨ قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٣/٣٣ :رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ا.هـ.

٣-أخرجه مسلم في (كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة) جـ١/٢١٨ رقم ٢٤٩ وفي(كتاب الجنائز، باب مايقال عند دخول القبور)جـ٢/٦٦٩ رقم ٩٧٤.

«**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**»[1]، وكما رُوي عن النبي ﷺ أنه كان إذا ذكر نبينا قال «**يرحمنا الله وفلانا**»[2]، وكما يقول الخطيب وأستغفر الله لي ولكم.

والمقصود [بالصلاة على][3] الجنازة[4] الدعاء للميت وغيره يدخل تبعا، بخلاف من يكون قصده أن يدعو لنفسه بالميت أو عند الميت وهذا كله من الدعاء عند القبور.

وأبو داود في (كتاب الجنائز، باب مايقول إذا زار القبور أو مر بها) رقم ٣٢٣٧ جـ٥٥٨/٣. والنسائي في (كتاب الجنائز، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين) رقم ٢٠٣٥ جـ٧٩١/٤ وابن ماجه في (أبواب الجنائز، باب مايقال إذا دخل المقابر) جـ٢٨٣/١ رقم ١٥٤٦ ومالك في الموطأ في (كتاب الطهارة، باب جامع في الوضوء) جـ٢٩/١ وأحمد في المسند جـ٢٢١/٦ والبيهقي في السنن الكبرى جـ٧٩/٤(باب ما يقول إذا دخل المقابر) جميعهم بألفاظ متقاربة، وقريبة من سياق المؤلف ولفظه. وقد أخرجه غيرهم.

١-أخرجه البخارى في (كتاب الأذان، باب التشهد في الآخرة) رقم ٨٣١ جـ٢٥٣/١ من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- وأوله «كنا إذا صلينا خلف النبي ﷺ .... الحديث ».

٢-أخرجه الترمذى في (كتاب الدعاء، باب ماجاء أن الداعي يبدأ بنفسه) رقم ٣٣٨٥ جـ٤٦٣/٥عن أبي بن كعب: أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه» وقال: حديث حسن غريب صحيح. وابن ماجه (أبواب الدعاء، باب إذا دعا أحدكم فليبدأ بنفسه)رقم ٣٨٩٧ جـ٣٤٥/٢ ولفظه «**يرحمنا الله وأخا عاد**».

٣-مابين المعقوفين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف)

٤-في الأصل و(ف) بالجنازة زيادة باء في أولها.

أقوال المفسرين في الوسيلة

وأما دعاء الميت وسؤاله بلفظ الاستغاثة وغيرها، كقول الداعي أطلب منك المغفرة أو الرحمة أو قضاء الدين أو النصر على العدو، فهذا مما نهى عنه القرآن قال تعالى ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا**﴾[سورة الإسراء:٥٦-٥٧] وفي التفسير الصحيح عن مجاهد ﴿**يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾ قال: عيسى ابن مريم وعزير والملائكة[١]. كذلك عن إبراهيم النخعي قال كان ابن عباس يقول في قوله ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾ هو عزير والمسيح والشمس والقمر[٢].

وكذلك روى شعبة عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: عيسى وأمه والعزير في هذه الآية[٣] ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾[٤].

١-انظر تفسير ابن جرير الطبري في تفسير سورة الإسراء الآية ٥٧ جـ٩٦/٨ وانظر أيضاً تفسير ابن كثير جـ٤٧/٣.

٢-انظر تفسيرالطبري جـ٩٦/٨ قال حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم وانظر أيضا تفسير ابن كثير جـ٤٧/٣.

٣-(الآية)سقطت من (د).

٤-انظر تفسيرالطبري جـ٩٦/٨ قال: حدثنا محمد بن المثنى،قال: ثنا أبو النعمان الحكم بن عبدا لله العجلي،قال: ثنا شعبة به وانظر أيضا تفسير ابن كثير جـ٤٧/٣.

وروى قتادة عن عبدا لله بن معبد الزماني[١] عن ابن مسعود قال: كان قبائل من العرب يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن، ويقولون هم بنات ا لله، فأنزل ا لله -تبارك وتعالى-﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾[٢]، وفي رواية عن الزماني[٣] عن عبدا لله بن/ عتبة بن مسعود (عن عبدا لله)[٤] قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنيون والأنس الذين كانوا يعبدونهم لايشعرون بإسلامهم،فنزلت﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب**﴾[٥].

١١١

وكذلك قال ابن وهب عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال: ﴿**الذين يدعون**﴾ الملائكة تبتغي إلى ربها الوسيلة ﴿**أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا**﴾ ، قال: هؤلاء الذين عبدوا

١-في (د) و(ح) الرماني بالراء ، وما أُثبت أعلاه بالزاي هو الصواب . انظر تقريب التهذيب لابن حجر جـ١/٥٣٧ رقم ٣٦٤٤

٢-انظر تفسيرالطبري جـ٨/٩٦ قال: حدثنا الحسين بن علي الصدائي، قال: ثنا يحيى بن السكن،قال: أخبرنا أبو العوام قال أخبرنا قتادة به.

٣-في (د) و(ح) الرماني.

٤-مابين القوسين سقط من (د) ، وهو عبد ا لله بن مسعود الصحابي -رضي ا لله عنه-

٥-أخرجه مسلم في (كتاب التفسير، باب في قوله تعالى ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾ جـ٤/٢٣٢١ رقم ٣٠٣٠.

الملائكة من(١) المشركين(٢).

وكذلك ذكر العوفي في تفسيره عن ابن عباس قال: كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة والمسيح وعزيرا(٣).

وثبت أيضاً في [صحيح](٤) البخاري عن ابن مسعود أنه قال: كان ناس يعبدون قوماً من الجن فأسلم(٥) الجن وبقي الإنس على كفرهم فأنزل الله -تعالى- ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾(٦) يعنى الجن(٧).

وهذا معروف عن ابن مسعود من غير وجه، وهذه الأقوال كلها حق، فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابداً لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر، والسلف -رضي الله عنهم- في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل، كما يقول

١-من هنا يبدأ فراغ في أسطر (ف) وليس فيه سقط في الكلام ويظهر عليه آثار إصلاح، كما سبق إيضاحه.

٢-انظر تفسير الطبري جـ٨/٩٦.

٣-انظر تفسير ابن كثير جـ٣/٤٦.

٤-مابين المعقوفين من (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (الصحيح).

٥-إلى هنا انتهى الفراغ في اسطر (ف).

٦-في (د) زاد ﴿**أيهم اقرب**﴾.

٧-(كتاب التفسير، باب ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**﴾ جـ٣/١٤٦٠ رقم ٤٧١٤ بلفظ قريب جداً.

الترجمان لمن سأله مامعنى لفظ الخبز؟ فيريه رغيفاً فيقول هذا، فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه.

شمول الآية لكل من دعا من دون الله مدعوا

وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع مع شمول الآية للنوعين، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعواً، وذلك المدعو يبتغى إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه، وهذا موجود في الملائكة والجن والإنس.

١١٢

وقد اختار [الطبري][١] قول من فسرها / بالملائكة أو بالجن لأنهم كانوا في زمن النبيﷺ يبتغون إلى ربهم الوسيلة، بخلاف المسيح والعزير فإنهما لم يكونا [موجودين][٢] على عهده، فلم يكونا حينئذ ممن يبتغي الوسيلة، إذ ابتغاء الوسيلة العمل بطاعة الله والتقرب إليه بالصالح من الأعمال، فأما من كان لاسبيل له إلى العمل، فبم يبتغي إلى ربه الوسيلة، وهذا الذي قاله إن كان صوابا فهو أبلغ في النهي عن دعاء المسيح وعزير وغيرهما من الأموات من الأنبياء والصالحين، فإنه إذا كان الحي الذي يتقرب إلى ربه بالعمل لايجوز دعاؤه، فدعاء الميت الذى لايتقرب بالعمل أولى أن لايجوز؛ وإن كانت الآية تعم هذا وهذا، فهي دالة على ذلك، فدلالتها ثابتة على كل تقدير.

١-كذا في (ت) و(ط)، وفي الأصل و(ف) و(د) و(ح) الطبراني وهو تصحيف، لأن هذا الاختيار لابن جرير الطبري صاحب التفسير انظر جـ٩٧/٨ ، واختار ذلك أيضا ابن كثير في تفسير القرآن العظيم جـ٤٧/٣ وهو الصواب والله اعلم.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ماجودين).

والصحيح أنها تعم هؤلاء وهؤلاء، وذلك أن أولئك[١] كانوا في حياتهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة، وهو لم يقيد ذلك بزمن النزول بل أطلق، وإذا قال القائل آدم ونوح وإبراهيم وموسى يعبدون الله ولا يشركون به، عُلم أن مراد هذا دينهم قال تعالى ﴿**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار**﴾[سورة المائدة:٤٤]، كان حَكَمَ [النبيون] بها قبل نزول الآية بدهر.

استطراد عن حكاية الحال عند النحاة

والعرب تقول مرض[٢] حتى لايرجونه، وشربت الأبل حتى يجيء البعير فيقول برأسه كذا، ومنه قراءة من قرأ ﴿**وزلزلوا حتى يقولُ الرسول**﴾ [سورة البقرة:٢١٤] وهذا ماض[٣]، وقد قال -تعالى- ﴿**أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم ءايات الرحمن خروا سجداً وبكيا**﴾[سورة مريم:٥٨] وهذا قد مضى قبل نزول القرآن والفعل مضارع/ لأنه حكى حالهم في الماضي.

١١٣

١-في (د) و(ح) هؤلاء.

٢-في (د) مض.

٣-قرأ نافع بالرفع ﴿حتى يَقُولُ﴾ والباقون بالنصب، والرفع على تأويله بالحال، والنصب على تأويله بالمستقبل. والاختيار بالنصب لأن جماعة القراء عليه. انظر: تفسير الطبري جـ٢/٣٥٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٣/٣٤ وشرح التحفة الوردية لزين الدين أبي حفص الوردي تحقيق د.عبدالله الشلال ص٣٧٢ طبعة ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض.

ولهذا تقول النحاة هذا حكاية حال[1] كقوله ﴿**وكلبهم باسط ذراعيه**﴾[سورة الكهف:١٨]، فإن قيل: المعروف في مثل هذا أن يقال كانوا يفعلون[2]، كما قال -تعالى- ﴿**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهبا**﴾[سورة الأنبياء:٩٠].

قيل : لكن إذا كان في الكلام مابين المراد لم يحتج إلى ذلك، لاسيما إذا ذكر ماضٍ وحاضر عمهم الخطاب فهنا يتعين حذف كان، لأن المقصود الإخبار عن حال هؤلاء الحاضرين لايخبر عنهم بكان، كما تقول : المؤمنون من الأولين والآخرين يعبدون ا لله لايشركون به،(وإذا أفردت الماضي قلت : المؤمنون كانوا يعبدون ا لله لايشركون به)[3].

والآية هنا قُصد بها التعميم لكل مايُدعى من دون ا لله، وكل من دعا ميتاً أو غائبا من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أوغيرها؛ فقد تناولته هذه الآية، كما تتناول من دعا الملائكة والجن.

الأنبياء والصالحون لا يملكون كشف الضر ولا تحويله

ومعلوم أن هؤلاء كلهم يكونون وسائط فيما يُقدّره ا لله بأفعالهم، ومع هذا فقد نهى ا لله -تعالى[4]- عن دعائهم، وبين أنهم لايملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله، لايرفعونه[5] بالكلية ولا يحولونه

١-في (د) و(ح) (هؤلاء) وهي زيادة .

٢-في (د) يفعلونه.

٣-ما بين القوسين سقط من (د).

٤-(تعالى)سقطت من (د).

٥-في (د) و(ح) (ولا يعرفونه) بزيادة واو.

من موضع إلى موضع أيضا، فلا يرفعونه ولا يحولونه من حال إلى حال كتغيير صفته أو قدره، ولهذا قال ﴿ولا تحويلا﴾ فذكر نكرة تعم أنواع التحويل، يقال: كشف البلاء أي: إزاله ورفعه، ويقال: كشف عنه أي أظهره وبينه، فمن الأول قوله ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾[سورة النحل:٥٤] وقوله ﴿ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا في/ طغيانهم يعمهون﴾[سورة المؤمنون:٧٥] وقوله﴿ فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون﴾[1] [سورة الأعراف:١٣٥].

١١٤

ومن الثاني قوله[2]﴿ يوم يكشف عن ساق﴾[سورة القلم:٤٢] لم يقل يوم يكشف الساق، وهذا يبين خطأ من قال المراد بهذه كشف الشدة، وأن الشدة تسمى ساقا، فإنه لو أريد ذلك لقيل يوم يكشف [الساق][3] أو يكشف الشدة، وأيضاً فيوم القيامة لايكشف الشدة عن الكفار، والرواية في ذلك عن ابن عباس [ساقطة] [4] الإسناد[5].

١-في جميع النسخ "فلما كشفنا عنهم العذاب إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون".

٢-في (د)تعالى.

٣-بياض في جميع النسخ وفي هامش الأصل (لعله الساق) قلت: وهو الأقرب للصواب، وفي هامش (د) (عن الشدة).

٤-كذا في (ح) وفي الأصل و(د) و(ف) ساقط.

٥-لم يتنازع الصحابه -رضوان ا لله عليهم- في شئ من آيات الضفات، إلا في تفسير هذه الآية فرُوي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة، وأن ا لله يكشف عن الشدة في الآخرة ، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات ؛ للحديث

....

الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين . انظر مج جـ٦/٣٩٤ ومختصر الصواعق لابن قيم جـ١/٢٥.

والروايات عن ابن عباس -رضي الله عنه- أخرجها الطبري في تفسيره جـ١٢/١٩٧ قال: حدثني محمد بن عبيد المحاربيّ، قال: ثنا عبدالله بن المبارك، عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس **﴿يوم يكشف عن ساق﴾** قال: هو يوم حَربٍ وشدة. وأسامة بن زيد بن أسلم ضعيف من قبل حفظة. انظر تقريب التهذيب جـ١/٧٥ رقم ٣١٥.

ثم قال: حدثنا ابن حميد، قال ثنا مهران، عن سفيان، عن المغيره، عن إبراهيم، عن ابن عباس قال: أمر عظيم، قال ابن كثير في تفسيره جـ٤/٤٠٧: عن إبراهيم: عن ابن مسعود أو ابن عباس الشك من ابن جريرا.هـ. و لم أجد شك ابن جرير في تفسيره في نسخة مكتبة دار الباز. ثم ذكر روايات أخرى عن ابن عباس وغيره من السلف كقتادة ومجاهد وغيرهم . انظر تفسير الطبري جـ١٢/١٩٧ وضعف أثر ابن عباس محمد بن موسى نصر في كتابه صفة الساق لله تعالى بين إثبات السلف وتعطيل الخلف ص٢٣ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة - السعودية ونقله عن سليم الهلالي في ص٢٦؛ و مشهور حسن في الردود ص ١١٣ وقال ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة جـ١/٢٥ : إنما أثبتوا صفة الساق بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته وهو حديث الشفاعة الطويل (أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى **﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾** جـ٥/٢٣٢١ رقم ٧٤٣٩ وفيه «فيكشف عن ساقه» ومن حمل الآية على ذلك قال في قوله تعالى **﴿يوم يكشف عن ساق﴾** مطابق لقوله ﷺ **«فيكشف عن ساقه»** وتنكيره للتعظيم والتفخيم، كأنه قال يكشف عن ساق عظيمة ا.هـ. قلت: وقد وردت أحاديث أخرى صحيحة في صفة الساق انظر: سلسة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ١/١٢٤-١٢٩ الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

==

والاستغاثة هي طلب كشف الشدة، فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين (أو دعا الملائكة)(١) أو دعا الجن، فقد دعا[من](٢) لايغيثه، فلا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله.

الاستعاذة لاتجوز بمخلوق

وقد قال -تعالى-﴿**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**﴾[سورة الجن:٦] كان أحدهم إذا نزل بواد يقول: اعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فقالت الجن:الإنس يستعيذوننا فزادوهم

وأيضاً يقال: إن ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود، والسجود لايصلح إلا لله، فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه -سبحانه وتعالى- ا.هـ صفات الله عزوجل الواردة في الكتاب والسنة تأليف علوي عبدالقادر السقاف ط الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار الهجرة المملكة العربية السعودية ص١٣٨.

وبهذا فسر الآية ابن جرير الطبرى في تفسيره جـ١٩٩/١٢ ,وابن كثير في تفسير القرآن العظيم جـ٤٠٧/٤ مع ذكرهم للروايات السابقة وغيرها. وهذا هو الصواب. وإنما منع بعضهم حمل الآية على ذلك لإنكارهم صفة الساق أصلا، وما علموا أنها ثابتة بالحديث الصحيح المتفق على صحته. وحمل معنى الآية على ماورد عن النبي ﷺ أولى من تفسير الصحابي وإن زعموا الصحة ، أما الصحابة وسلف الأمة الذين فسروا الآية بالشدة فهم مثبتون لصفة الساق وليس من التأويل الذى هو صرف الآية عن ظاهرها ، بل حكاية لقول أهل اللغة . وللتوسع انظر: صفة الساق لله -تعالى- بين إثبات السلف وتعطيل الخلف تأليف محمد موسى نصر ص١٥ وما بعدها ، والردود والتعقبات على ما وقع للإمام النووي تصنيف مشهور بن حسن ص١١١ - ١٢١ الطبعة الثانية ١٤١٥هـ دار الهجرة .

١-مابين القوسين سقط من (د).

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ما).

رهقا[١].

وقد نص الأئمة[٢] كأحمد وغيره على أنه لايجوز [الاستعاذة][٣] بمخلوق[٤]، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق ، قالوا لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك، كقوله «أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ماخلق » [٥]**«وأعوذ بكلمات الله التامات كلها من غضبه وعذابه[٦] وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون[٧]» «وأعوذ بكلمات الله التامات**

١-انظر تفسيرابن جرير الطبرى جـ١٢/٢٦٣ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٤/٤٢٨-٤٢٩.

٢-في (د) الآية.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل الاستغاثة وفي هامش الأصل (لعل الاستعاذه صواب).

٤-نقل ذلك عن الإمام أحمد الخطابي في معالم السنن جـ٥/١٠٥ بهامش سنن أبي داود طبعة ١٤٠١هـ مطبعة المستشرقين، وقاله البخاري في خلق أفعال العباد ص٨٩.

٥-أخرجه مسلم في(كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره) جـ٤/٢٠٨٠ رقم ٢٧٠٨ بدون قوله «كلها».

٦-في (ف) (عقابه) وهي موافقة لرواية الترمذي وأحمد وغيرهما.

٧-أخرجه الترمذى في(كتاب الدعوات، باب ٩٣) رقم ٣٥٢٨ جـ٥/٥٤١ وقال الترمذى: حديث حسن غريب وأبو داود في (كتاب الطب، باب كيف الرقى) رقم ٣٨٩٣ جـ٤/٢١٨-٢١٩ وأحمد في المسند جـ٢/١٨١ واللفظ للترمذى بدون قوله «كلها» وقد أخرجه غيرهم.

==

[التى] [١] لايجاوزهن بر ولا فاجر و[٢]من شر ماخلق وذرأ وبرأ ومن شر ماينزل من السماء ومن شر مايعرج فيها ، ومن شر ماذرأ في الأرض و(من شر)[٣] مايخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر/ كل طارق إلا طارقاً بخير يارحمن»[٤].

١١٥

قالوا: والاستعاذة لاتجوز بالمخلوق، وقول القائل أعوذ با لله معناه أستجير با لله، فإذا لم يجز أن يستغاث بمخلوق لانبي ولا غيره، فإنه

وفي الحديث عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس قال بشير عيون في حاشية الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لابن القيم بتحقيقه الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة المؤيد ص٢١٢: ولكن له شاهد مرسل في الموطأ وابن السني ا.هـ

١-كذا في (ف) و(د) وفي الأصل (الذى) و لم تظهر في (ح).

٢-سقطت الواو من (د).

٣-مابين القوسين سقط من (د) و(ح).

٤-أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ٣/٤١٩ من حديث عبدالرحمن بن خنبش واللفظ له. وابن السني في(عمل اليوم والليلة، باب من يخاف مردة الشياطين) رقم ٦٤٢ ص ٢٣٨ ومالك في الموطأ في (كتاب الشعر، باب ما يؤمر بالتعوذ منه) رقم ١٠ جـ٢/٩٥٠ وأبو يعلى في مسنده رقم ٦٨٤٤ جـ١٢/٢٣٧، قال الهيثمى في مجمع الزوائد جـ١٠/١٢٧: رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى، ورجال إسنادي أحمد وأبي يعلى وبعض أسانيد الطبراني رجال الصحيح ا.هـ.

وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ٢/٥١٨ رقم ٨٤٠: والإسناد صحيح، ورجاله إلى ابن خنبش على شرط مسلم، وقد اختلفوا في صحبته، وقد اختار الحافظ ابن حجر في الإصابة قول من جزم بأن له صحبة، وهذا الحديث يشهد لذلك، فإنه قد صرح فيه أنه أدرك النبي ﷺ ا.هـ.

لايجوز أن يقال له: « أنت خير معاذ يستغاث به » بطريق الأولى والأحرى.

ولهذا قال بعض الشعراء لبعض الرؤساء الممدوحين:

يامن ألوذُ به فيما أؤمله ومن أعوذ به فيما أحاذره

لايجبر الناسُ عظماً أنت كاسِرُه ولا يهيضون عظماً أنتَ جابره(١)

الكلام على ألفاظ الاستغاثة والاستعاذة

فقول القائل لمن مات من الأنبياء أو غيرهم بك استجير من كذا وكذا، كقوله بك استعيذ، وقوله بك أستغيث في معنى ذلك، إذا كان مطلوبه منع الشدة أورفعها ، والمستعيذ يطلب منع المستعاذ منه أو رفعه، فإذا كان مخوفاً(٢) طلب منعه كقوله «أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر»(٣)، وإن كان حاضراً طلب رفعه كقوله(٤) في الحديث

١- البيتيان لأبي الطيب المتنبي -الشاعر المشهور- في مدح جعفر بن كيغلغ من قصيدة ومطلعها:

حاشى الرقيب فخانته ضمائره وغيض الدمع فانهلت بوادره

انظر ديوان المتنبي طبعة ١٤٠٣هـ الناشر دار بيروت - لبنان ص٤١ وقد أسرف في المدح. قال ابن كثير في البداية والنهاية جـ١١/٢٧٥ بلغنى عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية: أنه كان ينكر على المتنبي، هذه المبالغة في مخلوق، ويقول: إنما يصلح هذا، لجناب الله -سبحانه وتعالى-، وقال ابن القيم سمعت ابن تيمية يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود، أدعو الله بما تضمناه في الذل والخضوع ا.هـ. وقال ابن القيم أيضا في شفاء العليل في القضاء والقدر جـ٢/١٩١: ولو قال ذلك في ربه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله ا.هـ.

٢-في (د) و(ح) لخوف.

٣-رقم ٥٨٨ وأوله عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع. يقول: اللهم إني أعوذ بك ... الحديث ».

٤-في (د) كلمة غير واضحة.

الصحيح «أعوذ بعزة [ا لله][1] وقدرته من شر ماأجد وأحاذر»[2] فتعوذ با لله من شر الموجود وشر المحاذر.

والداعي يطلب أحد شيئين، إما حصول منفعة أو دفع مضرة، فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء والطلب، وقول القائل لا[يستعاذ][3] به ولا يستجار به ولا يستغاث[4] به ألفاظ متقاربة.

ولما كانت الكعبة بيت ا لله الذى يدعى ويذكر عنده؛ فإنه سبحانه يستجار به ويستغاث به هناك، ويتمسك المتمسك[5] بأستار الكعبة كما يتعلق المتعلق بأذيال من يستجير به، ومنه قول عمرو[6] بن

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٢-أخرجه مسلم في(كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء) رقم ٢٢٠٢ جـ٤/١٧٢٨ من حديث عثمان بن أبي العاص وأوله «أنه شكا إلى رسول ا لله ﷺ وجعا .....».

٣-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل (يسغاث) وفي (ف) يستغاث).

٤-في (ف) ولا يستعاذ.

٥-في (د) الممسك.

٦-في (د) عمر والصواب عمرو وهو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية القرشى الأموى يُعرف بالأشدق قال عنه ابن حجر في فتح الباري جـ١/٢٦٤: ليست له صحبه ولا كان من التابعين لهم باحسان ا.هـ.

وأبو شريح اختلف في اسمه والمشهور أنه خويلد بن عمرو، أسلم قبل الفتح وهو

==

سعيد لأبي شريح «إن الحرم/ لايعيذ عاصياً ولا فاراً بدم ولا فاراً بخربه»[١]، وفي الحديث الصحيح «**يعوذ عائذ بهذا البيت**»[٢].

١١٦

ومنه قول القائل:

ستور بيتك ذيلُ الأمن منك وقد عَلَّقْتُها مستجيراً أيها الباري

وما أظنك لما أن عَلِقْتُ بها خوفاً من النار تدنيني من النارِ[٣]

ويسمى ذلك المكان المستجارة[٤].

وقد كان من السلف من يدخل بين الكعبة وأستارها فيستعيذ ويستجير

من خزاعة من بنى كعب بن ربيعة بن لحي بطن من بطون خزاعة، حمل بعض ألوية قومه، له صحبة توفي سنة ٦٨هـ بالمدينة. انظر فتح الباري جـ٤/٥١.

١-أخرجه البخاري في(كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب) جـ١/٦٠ رقم ١٠٤ و واللفظ له بسياق أطول من سياق المؤلف. و(لاتُعيذ) بضم المثناة أوله أي مكه لاتعصم العاصي عن إقامة الحد عليه. و(لافاراً) بالفاء والراء المشددة أي: هارباً عليه دم يعتصم بمكة كيلا يقتص منه. و(بخربة) بفتح المعجمة واسكان الراء : يعنى السرقة كذا ثبت تفسيرها في رواية المستملي، والخربة بالضم يعنى: الفساد. انظر فتح الباري لابن حجر جـ١/٢٦٥.

٢-أخرجه مسلم في(كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذى يؤم البيت) جـ٤/٢٢٠٨ رقم ٢٨٨٢ من حديث أم سلمة -رضى الله عنها- وأوله «دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبدالله بن صفوان وأنا معهما -أي عبيدالله القطبيه- على أم سلمة فسألها عن الجيش الذى يخسف به. وكان ذلك أيام الزبير فقالت: «يعوذ عائذ بالبيت ... الحديث».

٣- لم أعرف القائل.

٤-في (ف) المستجار.

با لله ويدعوه ويتضرع إليه هناك.

استطراد في الثناء على ا لله عز وجل بالشعر

ويجوز مدح ا لله والثناء عليه بالنظم وكذلك دعاؤه، كما قال الأسود بن سريع للنبي ﷺ لما نظم شعراً في مدح ا لله -تعالى- فقال: إني حمدت ربي بمحامد، فقال: «**إن ربك يحب الحمد**»[1] فلم ينكر عليه ذلك، لكن رُوى أنه قال و لم يستنشده، وروى أنه استنشده كما روى الإمام أحمد في مسنده عن الأسود بن سريع قال: قلت يارسول ا لله إني مدحت ربي[2] بمدحة ومدحتك بأخرى فقال النبي ﷺ «**هات وابدأ بمدحة ا لله**»[3] .

١-أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ٣/٤٣٥ والحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابه جـ٣/٦١٤ وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير جـ١/٢٨٢ بالأرقام: ٨٢٠،٨٢١،٨٢٢،٨٢٣،٨٢٤،٨٢٥.والبخاري في الأدب المفرد باب من الشعر لحكمه ص ٢٨٩ رقم ٨٦٤ ط كمال الحوت، واللفظ للحاكم وحسنه العلامة ناصر الدين الألباني في صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ص٣٢٠ رقم٦٦٠ الطبعة الثانية ١٤١٥هـ الناشر دار الصديق الجبيل - السعودية.

٢-في (ف) و(د) و(ح) ا لله.

٣-أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ٣/٤٣٥ جـ٤/٢٤، واللفظ له، والحاكم في المستدرك جـ٣/٦١٥ كتاب معرفة الصحابة وقال حديث صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: معمر له مناكير واسمه معمر بن بكار السعدي ا.هـ والطبراني في المعجم الكبير جـ١/٢٨٢ رقم ٨١٩ والبخاري في الأدب المفرد باب من مدح في الشعرص١٢٥ رقم ٣٤٣ ترتيب كمال الحوت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ الناشر عالم الكتب بيروت - لبنان وقد ضعفه العلامة الألباني في ضعيف الأدب المفرد ص٤٥

==

ولكن ثبت عنه أنه كان يستنشد[١] الشريد بن السويد الثقفي شعر أمية بن أبي الصلت وهو يقول: هيه هيه[٢].

وذلك مثل قوله:

مجدوا الله فهو للمجد أهـــــل ربنا في السمـــاء أمسى كبـــيرا

[بالبناء][٣] الأعلى سبـــق الناس وسوى [فوق][٤] السماء سريرا

شرجعـــاً ماينـــاله بصـــر العـــين ترى دونه الملائـك صـــورا[٥]

رقم ٥٥ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار الصديق الجبيل وقال: ضعيف بهذا التمام ا.هـ والراجح -والله اعلم- أنه لم يستنشده.

١-في الأصل و(ف) زيادة (هاء).

٢-أخرجه مسلم في كتاب الشعر و لم يبوب جـ٤/١٧٦٧ رقم ٢٢٥٥ ولفظه «قال: ردفت رسول الله ﷺ يوما. فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت؟ قلت نعم: قال «هيه» فأنشدته بيتاً فقال «هيه» ثم أنشدته بيتا فقال «هيه حتى أنشدته مائة بيت. وزاد في روايه «إن كاد ليسلم».

٣-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (فالبناء) وما أثبت أعلاه هو الموافق لهذه الأبيات في مصادرها.

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (فو) هكذا.

٥-انظر ديوان أمية بن أبي الصلت جمع بشير يموت ص٣٣-٣٤ (الطبعة الأولى ١٩٣٤م الناشر المكتبة الأهلية بيروت - لبنان) وفيه البيت الثاني قبل الثالث:

ذلك المنشئ الحجـــــارة والموتى أحياهم وكان قديـــرا

وذكر هذه الأبيات ابن كثير في البداية والنهاية جـ٢/٢٣٣.

والشرجع هو الطويل. انظر لسان العرب جـ٨/١٧٩ وقال ابن كثير في البداية والنهاية جـ١/١١: الشرجع هو العالي المنيف ولا منافاة فالشرجع وصف للسرير وهو العرش ا.هـ وصورا جمع أصور وهو: المائل العنق لثقل حمله. لسان العرب

==

وقوله:

[زحل][1] وثور تحت رجل يمينــه والنسر للأخرى ليث مرصد[2]

وغير ذلك.

ومنه قول النبي ﷺ «إن أخاكم لايقول الرفث»[3] يعنــى ابـن رواحـه،

جـ٤/٤٧٤ مادة صور وهم حملة العرش.

١-في جميع النسخ (رجل)، وعند الدارمي وابن كثير في تاريخه وديوان أمية بن أبي الصلت (زحل) وفي المسند

(رجل) كما سيأتي ، ونقل عن المسند ابن كثير في البداية والنهاية جـ٢/٢٣٢ والهيثمى في مجمع الزوائد جـ٨/١٢٧ قوله (زحل) بالزاي وهو الصواب، ولعل مافي المسند خطأ طباعي.

٢-أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ١/٢٥٦ والدارمي في(كتاب الاستئذان، باب في الشعر) جـ٢/٦٠٥ رقم ٢٧٠٦ ولفظه عن ابن عباس قال: صدق النبي ﷺ أمية بن أبي الصلت في شئ من شعره فقال:

زحل وثور ... (البيت) فقال النبي ﷺ «صدق» ... الخ ».

وفي سنده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد صرح بالعنعنة، قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٨/١٢٧ رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجاله ثقات وفيه ابن إسحاق مدلس ا.هـ وانظر : البداية والنهاية لابن كثيرجـ٢/٢٣٢ و ديوان أمية بن أبي الصلت جمع بشير يموت ص٢٥.

وزُحَلُ: اسم كوكب. انظرلسان العرب جـ١١/٣٠٣ مادة زحل ، وثور برج من بروج السماء على التشبيه. لسان العرب جـ٤/١١٢ ماد ثور، ونسر هو أحد كوكبين في السماء معروفين على التشبيه بالنسر الطائر. لسان العرب جـ٥/٢٠٤ مادة نسر.

٣-أخرجه البخاري في(كتاب التهجد، باب فضل من تعارَّ في الليل فصلى) برقم

==

وذلك كقوله الذى أنشده للنبي ﷺ :

شهدت بأن وعد الله حـــق وأن النار مثــوى الكافـــــرينا

/وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينـــــا(١) ١١٧

وتحمله ملائكة شـــــداد ملائكــة الألــــه مسـوميـنـا(٢)

[وقوله](٣)

وفينا رسول الله يتلو كتابـــه إذا انشق معروف من الفجر ساطع

[أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ماقال واقــــع](٤)

يبيت يجافي جنبه عن فراشــه إذا استثقلت بالكافرين المضاجـع(٥)

١١٥٥ جـ١/٣٤٤ من حديث أبي هريرة -رضيا لله عنه- وطرفه رقم ٦١٥١.

١-في الأصل (وقوله) حيث فصل البيت الثالث وهو خطأ ومخالف لجميع النسخ.

٢-أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص٤٦ رقم ٨٢ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ص٣٤٣ جزء عبدا لله بن جابر وعبدا لله بن زيد تحقيق د. شكرى فيصل وآخرين (طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق - سوريا) واللفظ لابن عساكر. قال بدر البدر في تخريج الرد على الجهمية حاشية ص٤٧: وطرقه ضعيفة ضعفا لايقوي بعضها بعضا ومتنه منكر .ا.هـ.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وتقدمت في الأصل قبل البيت الثالث انظر فقره ٢.

٤-كذا في (ح) وهو الموافق لما ورد في صحيح الإمام البخاري وفي ديوان ابن رواحة -رضيا لله عنه- وفي الأصل و(ف) و(د) تأخر هذا البيت بعد الثالث.

٥-هذه الأبيات جزء من حديث أبي هريرة في الفقرة الأخيرة من الصفحة السابقة. أخرجه البخاري في (كتاب التهجد، باب فضل من تعارَّ في الليل فصلى) جـ١/٣٤٤ رقم ١١٥٥ وطرفه رقم ٦١٥١ ، وانظر ديوان عبدا لله بن رواحه ودراسة في سيرته وشعره جمع د.وليد القصاب ص٩٣ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ

==

ومن ذلك ماكان النبي ﷺ والصحابة[١] يتمثلون به:

اللهم لولا أنت ماهتدينـــا ولا تصدقنا ولا صلينـــا

فأنزلن سكينة علينــا وثبّت الأقدام إن لاقينــا

إن الأولى قد بغوا علينــا إذا أردوا فتنــة أبينــا[٢]

وهذا النظم فيه دعاء ا لله[٣]

فأنزلن سكينة علينــا وثبت الأقدام إن لاقينــا

ومثل هذا البيت قولهم: اللهم ويقال فيه لاَهُمَّ إن العيش، كما في قول عبد المطلب:

لاهم إن المرء يمنع رحلـه (وحلاله)[٤] فامنع حِـــلالك[٥]

الناشر دار العلوم.

١-في (د) رضى ا لله عنهم.

٢-أخرجه البخاري في (كتاب المغازي، باب غزوة الخندق) رقم ٤١٠٧ جـ٣/١٢٥٢-١٢٥٣ من حديث البراء بن عازب قال: لما كان يوم الخندق، وخندق رسول ا لله ﷺ، رأيته ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عنى التراب جلد بطنه -وكان كثير الشعر- فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحه، وهو ينقل التراب فذكر الأبيات: قال ثم يمد صوته بأخرها. وأطرافه رقم: ٤١٠٥، ٧٢٣٦.

٣-في (د) تعالى.

٤-مابين القوسين سقطت من (د).

٥-هذا البيت لعبدالمطلب بن هشام جد الرسولﷺ قاله يستنصر با لله -عزوجل- على رد أبرهة حيث أراد هدم الكعبة. فقال: وهو آخذ بحلقة باب الكعبة هذا البيت دون قوله (وحلاله) ويتلوه:

لايغلبــن صليبهــم ومحالهم غــدوا محــالك.

==

ومنه قوله ﷺ:

إن تغفر اللهم تغفر جمـــا وأي عبد لك لا[1] ألمـــا[2]

ومنه قول الصحابة[3]:

انظر سيرة ابن هشام جـ١/٥١ وتاريخ الأمم والملوك للطبرى جـ١/٤٤٢ والبداية والنهاية لابن كثير جـ٢/١٧٦.

لاهُمَّ: يريد اللهم، حذفت الالف واللام، انظر لسان العرب جـ١٢/٥٥٥ مادة لهم، وسيرة ابن هشام جـ١/٥١ وحِلالك: بالكسر، القوم المقيمون المتجاورون يريد بهم سكان الحرم. لسان العرب جـ١١/١٦٥ مادة حلل.

١-في (د) ما.

٢-أخرجه الترمذي في(كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النجم) جـ٥/٣٩٦ رقم ٣٢٨٤ عن ابن عباس في تفسيره قوله ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾ قال: قال النبي ﷺ وذكر البيت -قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق، والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير جـ٢/٤٧٠ وقال: ((صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه))، ووافقه الذهبي، وابن جرير الطبرى في تفسيره جـ١١/٥٢٧-٥٢٨ في تفسير سورة النجم الآية ٣٢ عن مجاهد قال: وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون -وذكر البيت وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم جـ٤/٢٥٦ ساقه ابن أبي حاتم والبغوى من حديث أبي عاصم النبيل وفي صحته مرفوعا نظر . ا.هـ.

والراجح أن قائل هذا البيت هو أمية بن أبي الصلت كما نسبه إليه ابن منظور في لسان العرب جـ١٢/٥٤٩ مادة لم، وابن كثير في تاريخه جـ٢/٢٣٠ وفضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد لفضل الله الجيلاني جـ٢/٣١٨ الطبعة الثانية ١٣٨٨هـالناشر المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة - مصر ويتلوه:

إني إذا ماحـــدث ألما أقـــول ياللهـــم ياللهمـــا.

٣-في (د) رضيا الله عنهم.

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجـرة[(١)]

وكان النبي ﷺ يتمثل به لكن رُوي أنه قـال «فـاغفر للمهـاجرين والأنصار»[(٢)]، وهذا دعاء في الشعر وقد أقر الصحابة على قوله، فـدل على جوازه.

وإن كان هو ﷺ لايقول الشعر، فذلك من خصائصه كما قال - تعالى- **﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾**[سورة يس:٦٩]، فهو ﷺ لم يكن ينظم الشعر ولكن هل تمثل به؟ أو لم يتمثل بشعر؟ فيه نـزاع ليـس هذا موضعه[(٣)].

١-أخرجه البخاري في (كتاب المغازى، باب غزوة الخنـدق) جـ٣/١٢٥٠ رقـم ٤٠٩٩ وطرفه ٤١٠٠ من حديث أنس يقول: «خرج رسول الله ﷺ إلى الخنـدق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملـون ذلـك لهم، فلما رأى مابهم من النصب والجوع قال: ... الحديث » وهذا البيت ينسب لعبدالله بن رواحة، وتمثل به النبيﷺ. انظر فتح الباري لابن حجر جـ٧/٥٠١.

٢-أخرجه البخاري في الموضع السابق من صحيحه رقم ٤٠٩٨ قال ابن حجر في فتح الباري جـ٧/٥٠١: قوله (فـاغفر للمهـاجرين والأنصـار) وفي حديث أنـس بعـده (فاغفر للأنصار والمهاجرة)، وكلاهما غير موزون، ولعله ﷺ تعمد ذلك ا.هـ.

٣-والصحيح جواز تمثل النبي ﷺ بشيء من الشعر حاكياً عن غيره، لما ثبت عن المقداد بن شريح عن أبيه عن عائشة قال: قيل لها: هـل كـان النبي ﷺ يتمثـل بشـئ مـن الشعر؟ قالت: كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويتمثل ويقول: «ويأتيك بالأخبار مـن لم تزود». أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ٦/١٣٨، و غيرهم، وصححـه العلامـة الألباني في سلسلة الأحـاديث الصحيحـة جــ٥/٨٩ رقـم ٢٠٥٧، ولا منافـاة بـين الحديث وقوله تعالى **﴿وما علمناه الشعر وما ينبغـي لـه﴾**[سـورة يـس:٦٩] فـإن

==

١١٨

المباح والمذموم من الشعر

وليس كل الشعر مذموم بل منه ماهو مباح كما / ثبت في الصحيح عن النبيﷺ أنه قال «**إن من الشعر لحكمة**»(١)،وقد قال – تعالى–﴿**والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾[سورة الشعراء:٢٢٤-٢٢٧].

فقد استثنى ممن ذمه [الله](٢) من الشعراء من ذكره، فدل ذلك على أنه ليس كل الشعراء مذمومين، وقد ثبت في الصحيح أنه كان ينصب لحسان بن ثابت منبراً ويأمره بهجاء المشركين ويقول «اللهم أيده بروح القدس»(٣) وفي رواية «إن روح القدس معك مانافحت عن [الله و](٤)

التمثل بالبيت وإصابة القافية من الرجز وغيره، لايوجب أن يكون قائلها عالماً بالشعر، ولا يسمى شاعراً باتفاق العلماء.

وللتوسع انظر تفسير الطبري جـ١٠/٤٦١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٥/٥١-٥٣ وغاية السول في خصائص الرسول لأبي حفص عمر الأنصاري المشهور بابن الملقن تحقيق عبدا لله بحر الدين عبدا لله ص١٣٥-١٣٦ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار البشائر الإسلامية بيروت – لبنان وفتح الباري لابن حجر جـ١٠/٦٦٣-٦٦٥ وتفسير ابن كثير جـ٣/٥٧٩.

١–أخرجه البخاري في(كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه) برقم ٦١٤٥ جـ٤/١٩٣٦ من حديث أبي بن كعب.

٢–كذا في (د) و(ح) وزاد في (د) تعالى وسقط لفظ الجلالة من الأصل و(ف).

٣–أخرجه البخارى في(كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد) رقم ٤٥٣ جـ١/١٥٩ وطرفاه رقم ٣٢١٢،٦١٥٣.

رسوله»[١].

وقد سمع شعر خزاعة لما قدموا عليه حين عدت بنو بكر على خزاعة وأنشدوه القصيدة المعروفة التى فيها:

إن قريشا أخلفوك الموعدا　　　ونقضوا ميثاقك المؤكدا[٢]

إلى آخرها.وكذلك سمع قصيدة كعب بن زهير المشهورة التى أولها: بانت سعاد[٣].

٤-ما بين المعقوفين من (ح) وهو الموافق للفظ الحديث عند مسلم وأبي داود، وسقط من الأصل و(ف) و(د).

١-أخرجه مسلم في(كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت) رقم ٢٤٩٠ جـ٤/١٩٣٥ والترمذى في(كتاب الأدب، باب ماجاء في إنشاد الشعر) رقم ٢٨٤٦ جـ٥/١٣٨ وأبو داود في(كتاب الأدب، باب ماجاء في الشعر) رقم ٥٠١٥ جـ٥/٢٨٠ واللفظ له.

٢-هذا البيت من قصيدة عمرو بن سالم الخزاعي ومطلعها:

يارب إني ناشداً محمدا　　　حلف أبيه وأبينا الأتلدا

انظر السيرة لابن هشام جـ٤/٣٩٤ ومنح المدح أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول ﷺ لأبي الفتح محمد بن محمد بن محمد اليعمري المشهور بابن سيد الناس تحقيق عفت وصال حمزه ص١٦٩ (الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار الفكر دمشق - سوريا)، وسياق ابن هشام يخالف سياق المؤلف.

٣-هذه القصيدة لأبي المضرب كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني من أهل نجد، اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ وشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبي ﷺ دمه، فضاقت عليه الأرض، وجاء إلى النبيﷺ مستأمناً وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهوره التى مطلعها:

==

إلى غير ذلك من الأدلة الشرعيه التى تدل على أن من الشعر مايجوز إنشاده[١] وإنشاؤه واستماعه، ومما يبين حكمة الشريعة وَعِظم قدرها؛ وأنها كما قيل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق[٢].

الخروج عن المشروع قد يؤدي إلى الشرك

إذ الذين خرجوا عن المشروع زين لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك، فطائفة عن هؤلاء يصلّون إلى الميت، ويدعو أحدهم الميت فيقول: اغفر لي وارحمني ونحو ذلك، ويسجد لقبره، ومنهم من يستقبل القبر ويصلى إليه مستدبراً الكعبة، ويقول القبر قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهدا، وهو

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ   متيم إثرها لم يفد مكبولُ

ومنها:

نُبِّئتُ أن رسول الله أوعدني   والعفوُ عند رسول الله مأمولُ

فعفا عنه النبي ﷺ وخلع عليه بردته، ولذلك سميت البردة. توفى سنة ٢٦هـ وقد. انظر السيرة لابن هشام جـ٤/٥٠٣ والبداية والنهاية لابن كثير جـ٤/٣٥ وقصيدة البردة لكعب بن زهير شرح أبي البركات ابن الأنباري دراسة وتحقيق د.محمود زينى دحلان ص٧٩٠ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ الناشر مكتبة تهامة الرياض - السعودية والأعلام جـ٥/٢٢٦.

١-(إنشاده)سقطت من (د).

٢-رويت هذه الحكمة عن مالك بن أنس -رحمه الله- إمام دار الهجرة. انظر ذم الكلام ص١٧٤ خ نقلا عن العقيدة السلفية القسم الخامس قسم مواقف السلف مالك بن أنس تأليف محمد عبدالرحمن المغراوي ص٣٠ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار المنار الخرج السعودية.

شيخ متبوع، ولعله أمثل أتباع شيخه، يقوله في شيخه[١].

١١٩ وآخر / من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد؛ يأمر المريد أول مايتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل، وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب، مالا يجده أحدهم في [مساجد الله التى][٢] أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

حج القبورية إلى القبور وأقوالهم في ذلك

وآخرون يحجون إلى القبور، وطائفة صنفوا كتباً وسموها مناسك حج المشاهد، كما صنف أبو عبدالله محمد بن النعمان[٣] الملقب

١-نقل أحمد أبو العباس المرسي عن شيخه الشاذلي قريباً من هذا قال: يقول الشاذلي: لو كان الحق سبحانه يرضيه خلاف السنة لكان التوجه في الصلاة للقطب الغوث أولى من التوجه للكعبة ا.هـ انظر الطبقات الكبرى للشعراني جـ٢/١٣.

ويقول شيخ الرافضة المجلسي: استقبال القبر للزائر بمنزلة استقبال القبلة وهو وجه الله أي جهته التى أمر الناس باستقبالها في تلك الحال ا.هـ ورجح المجلسي أيضا وجوب اتخاذ القبر قبلة في الصلاة. انظر: أصول مذهب الشيعة جـ٢/٤٧٣-٤٧٤.

٢-كذا في (ف) و(د) وزاد في (د) تعالى بعد لفظ الجلالة وفي الأصل (المساجد الذى) وفي (ح) (مساجد التى).

٣-الشيخ محمد النعمان: هو أبو عبدالله محمد بن النعمان العكبري، يلقب بالشيخ المفيد، رافضي من الإمامية، انتهت إليه رئاسة المذهب في زمانه، ولد سنة ٣٣٦هـ ونشأ في بغداد، كثير التصانيف، له نحو مائتى مصنف، منها "إيمان أبي طالب"و"الإعلام فيما اتفقت الإمامية عليه من الأحكام" كانت له رتبه في الدولة البويهية، وربما زاره عضد الدولة. كان يستأجر الصبيان الأذكياء، وبذلك كثر

==

بالمفيد -أحد شيوخ الإمامية- كتاباً في ذلك وذكر فيه من الحكايات المكذوبه عن أهل البيت مالا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل.

وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ؛ وإن لم يسموا ذلك منسكا وحجًّا فالمعنى واحد، ومن هؤلاء من يقول: وحق النبي الذى تحج إليه المطايا، فيجعل الحج إلى القبر لاإلى بيت الله -عزوجل-، وكثير من هؤلاء أعظم قصده من الحج قصد قبر النبي ﷺ لاحج البيت.

وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنف كتاباً سماه [الاستغاثة][1] بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام[2]، وهذا الضال استعان بهذا الكتاب، وقد ذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبي ﷺ منتهى قصده؛ ثم رجع ولم يذهب إلى الكعبة، وجعل هذا من

تلامذته. مات سنة ٤١٣هـ وله ٧٦ سنة. انظر: السير جـ١٧/٣٤٤ ترجمه رقم ٢١٣ والأعلام جـ٧/٢١.

واسم كتابه كاملا: "مناسك حج مشاهد الأبرار لمن عنى إليهم من المقيمين والزوار". انظر التوضيح عن توحيد الخلاق ص٢١٧ ولم أجد من ذكر هذا الكتاب.

وكتب الرافضة الداعية لزيارة القبور كثيرة حتى قال أحد شيوخهم اليوم وهو أغا برزك الطهراني في كتابه " الذريعة إلى تصانيف الشيعة" جـ٢٠/٣١٦-٣٢٦ إن ماصنفه شيوخهم في المزار ومناسكه قد بلغ ستين كتابا، نقلاً عن أصول مذهب الشيعة للدكتور ناصر القفاري جـ٢/٤٦٧.

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل استغاثة.

٢-يريد بذلك أبو عبدا لله محمد بن موسى بن النعمان المزالي المالكي وسبق التعريف به وبكتابه.

١٢٠ مناقبه، فإن كان هذا مستحباً فينبغي/ [لمن يجب عليه حج البيت إذا حج أن يجعل المدينة منتهى قصده][1] ولا يذهب إلى مكة؛ فإنه زيادة كلفة ومشقة مع ترك الافضل، وهذ لايفعله عاقل.

تعظيم بعض الشيوخ لابن سبعين مع ضلاله وزندقته

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة، على طريقة ابن سبعين[2] قيل عنه أنه كان يقول: البيوت المحجوجة ثلاثة : « مكة ، وبيت المقدس ، [والبندر][3] الذى للمشركين بالهند، » وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود ودين النصارى حق، وجاء بعض إخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته، فقال له: أريد أن أسلك على يديك، قال: على دين اليهود والنصارى أو المسلمين، فقال له: اليهود والنصارى ليسوا

١-مابين المعقوفتين من (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

٢-ابن سبعين: هو أبو محمد قطب الدين عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين الإشبيلي. ولد سنة ٦١٣هـ في الأندلس، وانتقل إلى سبته، وحج واشتهر أمره. من القائلين بوحدة الوجود. يقول باكتساب النبوة، وأنها فيض يفيض على العقل. له كتاب "الحروف الوضعية في الصور الفلكية" و"أسرار الحكمة المشرقية" وكتاب "الهو" وغيرها. أقام في مكة واستحوذ على عقل صاحبها ابن نُمي، وجاور في غار حراء بعض الأوقات يرتجى أن يأتيه الوحي. يقول عن الطائفين حول البيت: كأنهم الحمير حول المدار ونقلت عنه عظائم من الأقوال والأفعال. هلك سنة ٦٦٩هـ بعد أن مات نزفا، حيث فصد فترك الدم يسيل. انظر البداية والنهاية جـ٢٩/١٣ و الأعلام جـ٢٨٠/٣. وسيأتي ذكر بعض كتبه في دعاء الكواكب وعبادتها.

٣-كذا في (د) وفي الأصل و(ف) البد.

كفارا؟!! [قال][١] : لاتشدد عليهم، لكن دين الإسلام أفضل.

ترجيح بعضهم الحج إلى القبور على الحج إلى البيت

ومن هؤلاء من يرجح الحج إلى المقابر على الحج إلى البيت، ومنهم من يرجح الحج إلى البيت لكن قد يقول أحدهم: إنك إذا زرت قبر الشيخ مرتين أو ثلاثا كان كحجة[٢]، ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات يسافرون إليها وقت الموسم يعرّفون بها، كما يُعَرِّفُ المسلمون بعرفات، كما يُفعل هذا بالمشرق والمغرب[٣].

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل سقطت اللام.

٢-وهذا كثير عند الرافضة وإليك مثال ذلك:يقول روح الله خميني في كشف الأسرار ترجمه للعربيه د.محمد البنداري وعلق عليه سليم الهلالي وقدم له د.محمد الخطيب ص٨٣-٨٤ (الطبعة الثانية الناشر دار عمار عمان - الأردن):ينقل الشيخ الطوسي عن أبي عامر -واعظ أهل الحجاز- قوله: إنني ذهبت إلى الصادق عليه السلام، وسألته: ماهو أجر من يزور أمير المؤمنين ويبني قبره؟ فرد على سؤالي ياأبا عامر! لقد روى أبي عن جده الحسين بن علي، بأن رسول الرسول قال لأبي: ..(وذكر أن قبور الأئمة من بقاع الجنة وغير ذلك) ثم قال: إن من يبني قبوركم؛ ويأتي إلى زيارتها، يكون كمن شارك سليمان بن داود في بناء القدس. ومن يزور قبوركم يصيبه ثواب سبعين حجة غير حجة الإسلام، وتمحى خطاياه ويصبح كمن ولدته أمه توّا ا.هـ [كذا العبارة ركيكة في الأصل]، ثم أخذ الخميني في شرحها .

وجاء في بعض كتبهم أن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وجاء في أخرى أنها تعدل ثلاثين حجة زاكية متقبلة مبرورة مع رسول الله ﷺ ، وزادت في روايات أخرى حتى وصلت سبعين حجة مع رسول الله ﷺ، وثمانين حجة.

انظر: أصول مذهب الشيعة جـ٢/٤٥٢ وما بعدها.

٣-في (ف) (المشرق والمغرب) وفي(د) و(ح) (في المغرب والمشرق).

والتعريف:هو اجتماع الناس يوم عرفة في غير عرفة في المساجد لذكر الله -تعالى-

==

تفضيل بعضهم السفر إلى القبور على السفر إلى الحج

ومنهم من يجعل السفر إلى المشهد والقبر الذى يعظمه أفضل من الحج، ويقول أحد المريدين للآخر وقد حج سبع حجج إلى بيت الله العتيق أتبيعني زيارة قبر الشيخ بالحجج السبع؟ فشاور الشيخ، فقال: لو بعت لكنت مغبونا، ومنهم من يقول: من[1] طاف بقبر الشيخ سبعاً كان كحجة ومنهم من يقول: زيارة المغارة الفلانية ثلاث مرات كحجة، ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت أنه قال: كل خطوة إلى قبره كحجة؛ ويوم القيامة لا أبيع[2] بحجة، وأنكر بعض الناس ذلك/ فتمثل له ١٢١

وهذا اختلف فيه ، ففعله ابن عباس وعمرو بن حريث -رضي الله عنهما- من الصحابة وطائفة من التابعين ورخص فيه الإمام أحمد ولم يستحبه. ونهى عنه وأنكره عبدالرحمن بن أبي بكرة وابن المسيب وإبراهيم النخعي والإمام مالك وأبو حنيفة وغيرهم. قال أبو بكر الطرطوشي : فاعلموا رحمكم الله أن هؤلاء الأئمة علموا فضل الدعاء يوم عرفة، ولكن علموا أن ذلك بموطن عرفة لاغيرها، ولم يمنعوا من خلا بنفسه فحضرته نية صادقة أن يدعو الله -تعالى-، وإنما كرهوا الحوادث في الدين، وأن يظن العوام أن من السنة يوم عرفة بسائر الآفاق الاجتماع للدعاء ا.هـ انظر المصنف لابن شيبة جـ٣/٢٨٧ وكتاب الحوادث والبدع تأليف أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ص١٢٦-١٢٧ والمغنى لابن قدامه وبهامشه الشرح جـ٢/٢٥٩ واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية جـ٢/٦٤٣.

هذا موقف أهل العلم المجيزين والمانعين فكيف إذا كانت عند القبور وبذكر غير الله -تعالى- وقد ورد النهي عن تعظيم القبور والدعاء عندها.

١-(من)سقطت من (د).

٢-في (د) و(ح) أسع.

الشيطان بصورة الشيخ في منامه وزبره[١] على إنكاره ذلك.

وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله رب العالمين، فليسوا على ملة إبراهيم إمام الحنفاء، وليسوا من عمار المساجد الذين قال الله فيهم **﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾**[سورة التوبة:١٨]، فعمار مساجد الله لايخشون إلا الله، وعمار مساجد المقابر يخشون غير الله ويرجون غير الله.

خشية بعضهم للميت اعظم من خشية الله

حتى إن طائفة من أصحاب الكبائر الذين لايخشون[٢] فيما يفعلونه من القبائح؛ كان[إذا رأى][٣] قبة الميت أو الهلال الذى على رأس القبة خشي من فعل [الفواحش][٤]، ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك هذا هلال القبة، فيخشون المدفون تحت الهلال؛ ولا يخشون الذى خلق السموات والأرض وجعل أهِلَّةَ السماء مواقيت للناس والحج.

وهؤلاء إذا نوظروا خوفوا مناظرهم كما صنع المشركون بإبراهيم[٥] قال تعالى **﴿ وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان**

١-في هامش الأصل (صوابه وزجره)، قلت : بل هو تفسير لها ، فالزَّبْرُ : الزجر ، وزَبَرَه : نهاه وانتهره. انظر لسان العرب ج٤ / ٣١٥ مادة زبر

٢-في (د) و(ح) ولا يتحاشون.

٣-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) بذى.

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (الواحش).

٥-في (د) عليه السلام.

ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاوسع ربي كلَّ شيء علما أفلا تتذكرون * وكيف أخاف ماأشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم با لله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحقُّ بالأمن إن كنتم تعلمون*[1] الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك هم الأمنُ وهم مهتدون﴾[سورة الأنعام: ٨٠-٨٢].

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله ، والشيخ الحي المتعلق به كالنبي، فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ماحلله والحرام/ ماحرمه، وكأنهم[2] قد عزلوا ا لله عن أن يتخذوه إلهاً، وعزلوا محمداًﷺ عن أن يتخذوه رسولا.

١٢٢

كذب القبورية على الناس وأكل أموالهم بالباطل

وقد يجيء الحديث العهد بالإسلام؛ أو التابع لهم الحسن الظن بهم أو غيره يطلب من الشيخ الميت؛ إما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه أو غير ذلك، فيدخل ذلك[3] السادن فيقول: قد قلت للشيخ، والشيخ يقول للنبي، والنبي يقول لله، وا لله قد بعث رسولاً إلى[4] السلطان فلان، فهل هذا إلا محض دين المشركين والنصارى!! وفيه من الكذب والجهل مالا يستجيزه كل مشرك ونصراني ولا يروج عليه!! ويأكلون

١-في (ف) و(د) و(ح) قال ا لله تعالى.

٢-في (د) و(ح) وكانوا.

٣-في (ف) فراغ في وسط السطر، وعليه آثار إصلاح، وليس فيه سقط في الكلام.

٤-إلى هنا انتهى الفراغ في وسط السطر في (ف).

من النذور وما يؤتى به إلى قبورهم مايدخلون به في معنى قولـه[1] ﴿**إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل ا لله**﴾[سورة التوبة:٣٤]، فإنهم يأكلون أموال الناس بغير حق ويصدون عن سبيل ا لله، ويعوضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم، إذ التابع لهم يعتقد أن هذا هو سبيل ا لله ودينه، فيمتنع بسبب ذلك عن الدين الحق الذى بعث ا لله به رسله وأنزل به كتبه.

وا لله -تعالى- لم يذكر في كتابه المشاهد بل ذكر المساجد وأنها[2] له، قال تعالى﴿**قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين لـه الدين**﴾[سورة الأعراف:٢٩] وقال تعالى ﴿**ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد ا لله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون * إنما يعمر مساجد ا لله من ءامن با لله واليوم الآخر وأقام الصلاة وءاتى الزكاة ولم يخش إلا ا لله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**﴾[سورة التوبة:١٧-١٨]، وقال تعالى ﴿**ولولا دفع ا لله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيعٌ وصلواتٌ ومساجد يذكر فيها اسم ا لله كثيرا**﴾[سورة الحج:٤٠]/.

١٢٣

و لم يذكر بيوت الشرك كبيوت الأصنام والمشاهد، ولا ذكر بيوت النار، لأن الصوامع والبيع لأهل الكتاب. فالممدوح من ذلك ماكان مبنياً قبل النسخ والتبديل، كما أثنى على اليهود والنصارى

١-في (د) تعالى.

٢-في (د) فإنها.

والصابئين الذين كانوا قبل النسخ والتبديل، يؤمنون با لله واليوم الآخر ويعملون صالحا.

بخلاف [بيوت](١) الأصنام وبيوت النار وبيوت الصابئة المشركين، كالذين يسمونه هيكل العلة الأولى، هيكل العقل، هيكل النفس، هيكل زحل، هيكل المشتري، هيكل المريخ، هيكل الشمس، هيكل عطارد، هيكل الزهرة، هيكل القمر(٢)، فإن هذه البيوت ليس في أهلها مؤمن ولم يكن في أهلها عبادة أمر ا لله بها، فبيوت الأوثان(٣) وبيوت النيران(٤) وبيوت الكواكب وبيوت المقابر لم يمدح ا لله شيئاً منها، ولم

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٢-هذه الهياكل للصابئة المشركين يجعلون لكل كوكب هيكلاً مخصوصاً، ولهذه الكواكب عبادات ودعوات مخصوصه، ويصورونها في تلك الهياكل، ويتخذون لها أصناماً تخصها، ويقربون لها القرابين. انظر الملل والنحل جـ٢/٤٩-٥٠، وإغاثة اللهفان لابن القيم جـ٢/٣٦٠.

٣-بيوت الأوثان: هي بيوت للأصنام تعظم ويهدى لها، ولها سدنة وحجاب، ويطاف بها، وينحر عندها، مثل بيت مناة وكان على ساحل البحر بين مكة والمدينة، وبيت اللات بالطائف، وبيت العزى وغيرها، ومن بيوت الأوثان بيت بمولتان وبيت سدوسان بالهند، وغيرها انظر الملل والنحل جـ٢/٢٤٣ وإغاثة اللهفان جـ٢/٣٠٨-٣١٥.

٤-بيوت النيران للمجوس وهم يعظمون النار، ومن أهم هذه البيوت:بيت نار بطوس، وآخر بمدينة بخارى، ولبهمن بيت بسجستان يدعى كركو، ولهم بيت نار آخر في نواحي بخارى يدعى قباذان، وجدد زرادشت بيت نار بسابور، وفي بلاد الروم على أبواب القسطنطينية (استامبول اليوم) بيت نار اتخذه سابور بن أردشير فلم يزل كذلك إلى أيام المهدي، وفي الهند والصين بيوت نيران وغيرها كثير. انظر الملل

==

يذكر ذلك إلا في قصة من لعنهم النبي ﷺ ، قال تعالى ﴿**قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا**﴾[سورة الكهف:٢١]، فهؤلاء الذين اتخذوا على أهل الكهف مسجدا كانوا من النصارى[١]، الذين لعنهم النبي ﷺ حيث قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» وفي رواية «**والصالحين**»[٢].

الصور والتماثيل والمقابر وحكمها في أماكن العبادة

وفي الصحيحين عنه أنه لما ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذُكرَ حُسنها وتصاويرها،فقال «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شِرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[٣] فجمع بين التصاوير والمقابر، وفي الصحيح عن أبي الهياج الأسدي قال: قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- [**ألا ابعثك**][٤]

والنحل جـ١/٢٥٤.

١-انظر تفسير ابن جرير الطبري جـ٨/١٩٧ في تفسير سورة الكهف الآية ٢١ وتاريخ الأمم والملوك جـ١/٣٧٢ والبداية والنهاية لابن كثير جـ٢/١١٤.

٢-سبق تخريج هذا الحديث، وأما لفظ «الصالحين» فأخرجه مسلم في (كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها) جـ١/٣٣٧ رقم ٥٣٢ ولفظه «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد... » الحديث.

٣-أخرجه البخاري في (كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مسجد) برقم ٤٢٧ جـ١/١٥٢ واطرافه ٤٣٤،١٣٤١،٣٨٧٣. ومسلم في (كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور) رقم ٥٢٨ جـ١/٣٧٦. والنسائي في (كتاب المساجد، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد) رقم ٧٠١ جـ٣/٤٠ وأحمد جـ٦/٥١ بألفاظ متقاربه وقريبة من لفظ المؤلف.

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (لابعثك).

١٢٤

على مابعثنى عليه رسول/ الله ﷺ أمرني أن لاأدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته»[١] وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أخرج مافيها من التماثيل[٢].

وقد رُوي عن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- أنه قال: «إنا لاندخل كنائسكم من أجل التماثيل التي فيها»[٣].

حكم الصلاة في الكنيسة

وقد تنازع الفقهاء في الصلاة في الكنيسه، وقال البخاري: قال ابن عباس: لابأس في الصلاة في الكنيسة[٤]، وقيل يكره مطلقا، وقيل

١-أخرجه مسلم في (كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر) جـ٢/٦٦٦ رقم ٩٦٩.

٢-أخرجه البخاري في (كتاب الحج، باب من كبر في نواحي الكعبة) برقم ١٦٠١ جـ١/٤٧٧ من حديث ابن عباس ولفظه « أن رسول الله ﷺ لما قدم، أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل ... الحديث» وطرفه ٣٣٥٢، ٤٢٨٨.

٣-أخرجه البخاري في(كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة تعليقا) جـ١/١٥٥ وعبدالرزاق في مصنفه جـ١/٤١١ ورقم ١٦١٠، ١٦١١ موصولا عن أسلم مولى عمر حين قدم الشام صنع له رجل من النصارى طعاما، وقال لعمر: إني أحب أن تجيئني، وتكرمني أنت وأصحابك، وهو رجل من عظماء النصارى فقال عمر:«... الأثر ». ووصله ابن حجر في تغليق التعليق جـ٢/٢٣٢ تحقيق سعيد عبدالرحمن القزقي الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان، ودار عمار عمان - الأردن.

٤-أخرجه البخاري في الموضع السابق جـ١/١٥٥ ولفظه: وكان ابن عباس يصلي في البيعة إلا بيعة فيها تماثيل قال ابن حجر في فتح الباري جـ١/٧٠٠: وصله البغوي في الجعديات وزاد فيه: فإن كان فيها تماثيل خرج فصلى في المطر.

ومذاهب العلماء في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب كما ذكر المؤلف أعلاه ،وهي:

==

يرخص فيها، والصحيح أنه إن كان فيها تماثيل كانت بمنزلة المساجد المبنية على القبور، وبمنزلة دار الأصنام، فالمصلي فيها مشابه لمن يعبد غير الله، وإن كانت [نيته](١) الصلاة لله، كما أن المصلي عند طلوع الشمس وعند غروبها لما شابه من يعبد غير الله نُهي عن ذلك سداً للذريعة، وأيضا فالملائكة لاتدخل بيتاً فيه صورة، فكيف يصلى فيه؟ ولهذا لم يدخل النبي ﷺ الكعبة حتى أزيلت الصور، بخلاف الكنيسة التى لاصور فيها، فإن قيل: تكره لكونها محل الكفر، قيل: الصلاة في محل الكفر بمنزلة فتح دار الكفر فجعلها دار إسلام؛ وبمنزلة صلاة المسلمين في دار الحرب، وقد أمر النبي ﷺ ثقيفا أن يتخذوا مسجدهم موضع بيت اللات (٢) بعد هدم اللات، وكانوا يسمونها الربة.

المنع مطلقا وقال به الإمام مالك وبعض الشافعية، والإذن مطلقا وقال به ابن حزم في المحلى وبعض أصحاب الإمام أحمد، والثالث: المنع من الصلاة في الكنيسة أو البيعة إذا كان فيها صورٌ أو تماثيل وقال به جمع من أصحاب الرسول ﷺ والتابعين ورجحه المؤلف، وهو الراجح والله اعلم.

انظر المحلى تأليف أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم جـ٨١/٤ (طبعة المكتب التجاري بيروت لبنان)،والفتاوى الكبرى لابن تيمية جـ١١٥/١ (الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار القلم بيروت - لبنان)، وفتح البارى لابن حجر جـ٦٩٩/١-٧٠٠

١-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (نية).

٢- أخرجه أبو داود في(كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد) رقم ٤٥٠ جـ٣١١/١ من حديث عثمان بن العاص ولفظه «أن النبي ﷺ أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كان طواغيتهم». وابن ماجه في (أبواب المساجد، باب أين يجوز بناء

==

ولهذا فضل ذاكر[١] الله في الغافلين، وقيل[٢]: إنه كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس[٣]، فالعابد بين أهل الكفر والغفلة أعظم اجراً من غيره، فإن[٤] قيل الصلاة فيها غصب لهم، قيل له: الكنائس ليست ملكاً لأحد، وليس لهم أن يمنعوا من يعبد الله؛ لأنا صالحناهم على هذا، بل قد شرط عليهم عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– أن يوسعوا أبوابها للمارة./ ١٢٥

مناظرة بين الحنفاء والصابئة

ومن ذلك أن هؤلاء المشركين من الصابئة ونحوهم لما كانوا يعبدون الكواكب والملائكة؛ وربما سموها العقول والنفوس وجعلوها

المساجد) رقم ٧٢٨ جـ١/١٣٤ ضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه ص٥٨ رقم ١٥٩ (الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ المكتب الإسلامي بيروت)

١–في (د) ذكر.

٢–(وقيل)سقطت من (د).

٣–هذا النص قطعة من حديث أخرجه الحسين بن عرفة في جزئه تحقيق عبدالرحمن الفريوائي الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر مكتبة دار الأقصى الكويت ص ٦٦–٦٧ رقم ٤٥ ولفظه « ... وذاكر الله في الغافلين مثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذى تحات ورقه من الصريد» الصريد أي البرد.

ومن طريقه أبي نعيم في الحلية جـ٦/١٨١ والبيهقي في شعب الإيمان (باب في محبة الله، فصل في إدامة ذكر الله) جـ١/٣٣٤ بعناية عزيز بيك القادرى النقشبندي الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦هـ بحيدر آباد الهند. ضعفه العلامة العراقي في تخريج الإحياء جـ١/٢٤١ رقم ٩١٩، والعلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ٢/١٢٠ رقم ٦٧١ (الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض – السعودية)

٤–في (ف) و(د) و(ح) وإن.

وسائط بين الله وبين خلقه، وأهل التوحيد لايعبدون إلا الله[1]، ويطيعون رسله الذين أمروا بعبادته وحده لاشريك له.

فقالت الصابئة المشركون للحنفاء: نحن نتخذ الروحانيين وسائط، وأنتم تتخذون البشر وسائط؛ فديننا أفضل من دينكم، فأخذ يعارضهم طائفة من النظار [كالشهرستاني][2] في كتابه المعروف بالملل والنحل[3] وغيره، ويذكرون أن توسط البشر أولى من توسط الروحانيات العلوية، وناظروهم مناظرة يعرف تقصيرهم فيها؛ لأنهم بنوها على أصل فاسد وهو مقايسة وسائط المشركين بوسائط الحنفاء، وهذا جهل بدين الحنفاء، فإن الحنفاء ليس بينهم وبين الله -تعالى- واسطة في العبادة والدعاء والاستعانة، بل يناجون ربهم ويدعونه ويعبدونه بلا واسطة، وإنما الرسل بلغتهم عن الله-عزوجل-[4] ماأمر به وأحبه من العبادات وغيرها، وما نهى عنه فهم وسائط في التبليغ والدلالة، وهم مع المؤمنين

١-في (د) تعالى.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (كالشهرساني).

٣- انظر جـ٢/٦-٤٨ وكتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين تأليف فخر الدين محمد بن عمر الرازي راجعه وعلق عليه طه عبدالرؤوف سعد ص٣٢٣-٣٢٥ (الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت – لبنان وبذيله تلخيص المحصل للطوسي) فقد ذكر أدلة الفلاسفة على تفضيل الروحانيات ولم يرد عليها أو يذكر أدلة المسلمين، وعلق طه عبدالرؤوف سعد بقوله: في هذا الكلام خبط كثير وأخذ في الرد عليه.

٤- مابين الشرطتين في (د) تعالى.

وساطة الرسل بين الرب - تعالى - وعباده

كدليل الحاج مع [الحجاج][١]، وكإمام الصلاة مع المصلين، فالرسل - صلوات الله عليهم وسلامه- يعرّفون الناس طريق الله -تبارك وتعالى- ؛ كما يعرف دليل الحاج طريق مكة -[شرفها][٢] الله- ثم الناس يعبدون الله كما أن الحاج يقيمون مناسك الحج، والرسل أيضا يقتدى بهم في الأفعال التى يتأسى بهم فيها، كما يقتدي المأموم بالإمام في الصلاة، وكل مصل يعبد ربه منه إليه (بلا واسطة)[٣]، وأولئك الصابئة من الفلاسفة غاية سعادة النفوس أن تصل إلى العقل الفعال.

وأصحاب/ [رسائل] [٤] إخوان الصفا[٥] صنفوا رسائلهم على ١٢٦

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل الحاج.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل شرفه.

٣-مابين القوسين في (د) (بواسطة).

٤-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (وسائل).

٥-إخوان الصفا: هم فرقة من فرق الباطنية تهدف ظاهراً إلى التآلف والتصافي، ومذهبهم مزيج من أقوال الفلاسفة، والباطنية، والمعتزلة، يتظاهرون بالتشيع، ولهم مذهب في الكواكب والأفلاك وأثرهما في عالم الكون والفساد ويقولون بالفيض وعدد رسائلهم اثنتان وخمسون جعلوها في أربعة أقسام،وقد كتموا أسماءهم طبعت في ليبزج سنة ١٨٨٣م وفي بومباي سنة ١٨٨٦م وفي مصر سنة ١٨٨٩م وغيرها.

انظر كتاب إخوان الصفا تأليف عمر الدسوقي ص٤٨ وما بعدها (الطبعة الثالثة الناشر دار النهضة مصر-القاهرة). ومقدمة رسائل إخوان الصفاء لبطرس البستاني جـ١/٥-٢٠ (طبعة ١٣٧٦ الناشر دار صادر ودار بيروت-لبنان). وتاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب تأليف محمد لطفي جمعه ص٢٥٣-٢٥٧ الناشر المكتبة العلمية.

أصول هؤلاء ممزوجة بما أخذوه من دين الحنفاء، وأرادوا بزعمهم أن [يجمعوا][١] بين الحنفية والصابئة، فضلوا وأضلوا، وأما الحنفاء فعندهم أنه مامن عبد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب وترجمان[٢]، وعندهم أن الملائكة عباد الله يفعلون ماأمرهم الله به، ومن أثبت أن دون الله روحاً يكون مبدعاً للعالم فهو أكفر عند الحنفاء من مشركي العرب، فإن مشركي العرب كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء، لايثبتون دونه شيئاً أبدع[٣] العالم، ولما قال من قال منهم: إن الملائكة بنات الله؛ لم يجعلوا الملائكة مبدعة للعالم.

مقارنة بين شرك العرب وشرك الفلاسفة

وأما هؤلاء الفلاسفة [يقولون][٤] إن الصادر الأول عن العقل الأول؛ وأن كل ماسواه صادر عنه، فالعقل الأول هو رب كل ماسوى الله[٥] عندهم، وكذلك كل عقل هو مبدع ماسواه عندهم ،حتى ينتهي الأمر إلى العقل العاشر فهو عندهم مبدع ماتحت فلك القمر.

١-كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) يجمع.

٢-يشير إلى ماأخرجه البخاري في (كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد) جـ١/٤٢ رقم ١٤١٣ وأطرافه رقم ٦٥٣٩،٧٤٤٣،٧٥١٢ ومسلم في (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار) جـ٢/٧٠٣ رقم ١٠١٦ من حديث عدي بن حاتم.

٣-في (د) (ابدأ) وفي (ح) ابدء.

٤-كذا في (ف) و(د) وفي الأصل (يقول) وفي (ح).

٥-في (د) تعالى.

ومعلوم أن المسلمين واليهود والنصارى ومشركي العرب وغيرهم لايجعلون أحداً من دون الله أبدع كل ما تحت السماء، وهؤلاء يجعلون الملائكة التى أخبرت بها الرسل هي العقول والنفوس التى زعموها، ومنهم من يجعل العقل الأول هو القلم؛ ويجعل النفس هي اللوح، ومنهم من يحتج بالحديث الموضوع « **أول ماخلق الله العقل**»[1]،مع أنهم حرفوا لفظه

١-روى الحديث بأسانيده ابن الجوزي في الموضوعات جـ١/١٧٤-١٧٦ من طريق أبي هريرة -رضيالله عنه- ثم قال وهذا لايصح عن رسول الله ﷺ فيه الفضل قال عنه يحي بن معين: رجل سوء، وحفص بن عمر قال عنه ابن حبان: يروي الموضوعات لايحل الاحتجاج به، وأما ماروي من طريق أبي أمامة فقال: هذا حديث لايصح، فيه سعد وعمر وأبو غالب مجهولون منكرو الحديث ولا يتابع أحد منهم على حديثه. وروى بسنده عن الدار قطني قال: كتاب العقل وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المحبر فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، فسرقه عبدالعزيز بن أبي رجاء فركبه بأسانيد أخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي فأتى بأسانيد أخر . ا.هـ.

وقد بين وضع الحديث الإمام محمد بن عبدالرحمن السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة تصحيح عبدالله محمد الصديق وتقديم عبدالوهاب عبداللطيف ص١١٨ رقم ٢٣٣ (طبعة ١٣٧٥هـ الناشر مكتبة الخانجي - مصر ومكتبة المثنى ببغداد - العراق) ، والعلامة جلال الدين السيوطي في اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة جـ١/١٢٩-١٣٠ (الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان)، والعلامة إسماعيل بن محمد العلجوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث جـ١/٢٣٦-٢٣٧ رقم ٧٢٣ (الطبعة الثانية سنة ١٣٥١ الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان)

فرووه[١] «أولُ» [بالضم][٢]، وإنما لفظه **«أوَّلَ ماخلق ا لله العقل قال: له أقبل فاقبل ثم قال: له أدبر فأدبر»** وفي لفظ[٣] **«لما خلق ا لله العقل قال له ذلك»**، فالحديث حجة على نقيض مذهبهم، فكيف وهو موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، وقد بسطت الكلام على هذه الأمور في موضع آخر.

وهذا قد يوجد في كلام أبي حامد [و][٤] كثير من [متأخري][٥] المتصوفة والمتكلمين، أدخلوا[٦] في دين الحنفاء من دين المشركين، حتى صنف بعضهم تصنيفاً/ في ذلك مثل مصنف الرازى في " السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم"[٧]، وآخرون صنفوا في الحروف وطبائعها

١-في (د) (فراوه).

٢-في الأصل (بالظم).

٣-في (د) لفظه.

٤-كذا في (ح) وسقطت من الأصل و(ف) و(د).

٥-كذا في (ف) و(د) وفي الأصل متأخر.

٦-في (د) أدخلوه.

٧-سبق التعليق على كتاب السر المكتوم للرازي، وقد ذكر الرازي بعض مباحث هذا الكتاب في كتابه المطالب العاليه من اتخاذ القرابين وتعظيم المزارات وسؤال الموتى انظر المطالب العالية ص٢١٦، ٢١٩-٢٢٣،٢٤٣ نقلاً عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود جـ٢/٦٦٧.

والدعاء بأسماء ذكروها في أوقات[١]، كما صنف [بعضهم في دعاء المقبور][٢]، ودعاء المقبور من أعظم الوسائل إلى ذلك.

وقد قدم بعض شيوخ[٣] المشرق وتكلم معي في هذا، فبينت له فساد

١-ممن ألف في الحروف محي الدين ابن عربي وادعى أن لها أسراراً مثل كتاب "السبعة"، وهو كتاب البيان والحروف الثلاثة. له رسالة الألف ورسالة الميم والواو والنون وكتاب الياء ضمن رسائل ابن عربي طبعة حيدر آباد الهند. انظر تاريخ فلاسفة الإسلام تأليف محمد لطفي جميعه ص٢٥٩.

وصنف ابن سبعين في علم الحروف والأسماء مثل كتاب الدرج له صنفه في الحروف وارتباطها بالأفلاك قال فيه ص٣٢ -نقلاً عن كتاب ابن سبعين للتفتازاني ص١٤١- :واعلم أن علم الحرف علم شريف وسر لطيف من تأليف إدريس -عليه السلام- حل رموزها وفك معانيها أرسطاطليس اليوناني لأجل الإسكندر ... ا.هـ. وله ((لسان الفلك الناطقة عن وجه الحقائق))، ((ولمحة الحروف)) وغيرها. انظر: ابن سبعين وفلسفته الصوفية تأليف د.أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ص١٤٠-١٤٣ الطبعة الأولى ١٩٧٣م الناشر دار الكتاب اللبناني بيروت-لبنان. وقد ادعى الباطنية أيضاً أن للحروف أسرارا، وقد ذكر اليمنى في عقائد الثلاث وسبعين جـ٢/٥٣٣-٥٣٥ طرفاً من أقوالهم فيها ورد عليهم.

٢-بياض في جميع النسخ بمقدار ثلاث كلمات، وفي هامش (ف) مكتوب بياض في الأصل. وما بين المعقوفين يقتضيه السياق وقد صُنف في دعاء المقبور بعض المؤلفات قال العلامة سليمان بن عبدا لله في التوضيح عن توحيد الخلاق ص٢١٧ -في الكلام على دعاء المقبور- :((حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا سماه مناسك حج مشاهد الأبرار لمن عني عليهم من المقيمين والزوار ، وصنف بعضهم كتاباً سماه "روضة الأبرار في دعوة الأولياء الأخيار في الشدائد المدلهمة الغزار))

٣-في (د) الشيوخ.

هـذا، فقـال: أليس قـد قـال النبي ﷺ «إذا أعيتكـم الأمـور فعليكـم بأصحاب القبور»[١]، فقلت هذا مكذوب باتفاق أهـل العلـم لم يـروه عن النبي ﷺ. أحدٌ من علماء الحديث وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح **«لتتبعن سنن مـن كـان قبلكـم حـذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضَـبٍّ لدخلتمـوه، قـالوا: يارسـول الله اليهـود والنصـارى؟ قـال: فمـن»**[٢] وفي الحديـث الأخـر الصحيـح **«لتسلكن أمتي مسالك الأمم قبلها شبراً بشبر وذراعاً بـذراع، قـالوا** يارسول الله: فارس والروم؟ قال:

الفرق بين اليهود والنصارى ومقالات الفلاسفة

١-هذا الحديث موضوع، ذكره العلجوني في كشف الخفاء جـ١/٨٥ وعزاه لابـن كمال باشا، وبين وضعه ابن القيم في إغاثة اللهفـان جـ١/٣٣٣ ، ومحمـد نسيب الرفاعي في التوصل إلى حقيقة التوسل المشـروع والممنوع ص٢٥٢ الطبعـة الثالثـة ١٣٩٩هـ وغيرها .

٢-أخرجه البخارى في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ،باب قول النبي ﷺ «لتتبعـن سنن من كان قبلكم») ومسلم في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصـارى جـ٤/٢٠٥٤ رقم ٢٦٦٩ ولفظ الصحيحين « ... شبراً بشبرا وذراعـاً بـذراع ...» وأما لفـظ « ... حـذو القـذة بـالقذة ... » فقـد أخرجـه الإمـام أحمـد في المسـند جـ٤/١٢٥.

والقذة: أي كل واحدة منهما على قدر صاحبتها. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير جـ٤/٢٨.

ومن الناس إلا هؤلاء»[١] فاتخاذ القبور مساجد هو من فعل اليهود والنصارى. وأما الخروج عن الملة بالكلية إلى دعوى الكواكب واتخاذ العلويات وسائط في العبادة كمقالات الفلاسفة؛ فهذا ليس من دين اليهود والنصارى ولا فارس والروم المتنصرة، بل هو[٢] من فعل الروم الصابئة والمشركين كالفلاسفة الذين كانوا بمقدونية[٣]

الكلام على دين الروم قبل النصرانية

١-أخرجه الحاكم في المستدرك جـ١/١٢٩ كتاب العلم ولفظه «لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل ولتأخذن مثل أخذهم إن شبراً فشبر وإن ذراعاً فذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم فيه، ألا إن بنى إسرائيل افترقت على موسى على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، وأنها افترقت على عيسى بن مريم على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، ثم أنهم [كذا] يكونون على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم". وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير جـ١٧/١٣ رقم ٣ كلاهما من طريق كثير بن عبدا لله عن أبيه عن جده. قال ابن حجر في تقريب التهذيب جـ٢/٣٩ رقم-٥٦٣٤: كثير بن عبدا لله بن عمر بن عوف المزني ضعيف أفرط من نسبه إلى الكذب وفي نسخة: منهم من نسبه إلى الكذب ا.هـ.

٢-في (ف) هي.

٣-في (ف) سقط أول الاسم ومقدونية هي: قطر في اوروبا واقع في شمال اليونان اشتهرت في زمن الإسكندر الأكبر ومدت نفوذها على جميع بلاد اليونان وممالك شاسعة من آسيا، ثم فتحها العثمانيون في القرن الخامس عشر الميلادي، ثم انقسمت بين بلغاريا واليونان وصربيا، وفي سنة ١٩١٤م أصبحت من اليونان. وتضم مقدونية يوناناً وبلغارا وصربا وأتراكا وألبانا مسلمين ويهودا في سلانيك لذلك لاتنقطع المنازعات فيها. انظر دائرة معارف القرن العشرين تأليف محمد فريد

--

وغيرها،وهؤلاء كانوا مشركين إلى أن دخل إليهم دين النصارى، وآخر ملوكهم هو بطليموس[١] صاحب "المجسطي" كان [بعد][٢] المسيح -عليه السلام- بمدة قليلة، وأما أرسطو[٣] فإنه كان قبل المسيح

وجدى جـ٩/٣٠٨ ط الرابعة ١٣٨٦هـ.

١-في (ف) بطلميوس وهو بيطلميوس القلوذي صاحب "المجسطي" في الفلك، ولد في القرن الثاني الميلادي بمصر من أصل يوناني، وعاش في الإسكندرية في القرن الثاني بعد الميلاد، وكتابه المجسطي يتكون من ثلاث عشرة مقالة وأول من عني بتفسيره وأخرجه إلى العربية يحي بن خالد بن برمك. وقد تابع ابن تيمية بعض مؤرخي العرب الذين ظنوا أن بطليموس القلوذي صاحب كتاب المجسطي واحداً من ملوك **البطالسة** ، وليس كذلك، فإن آخر ملوكهم يدعى قلو بطره (كيلوباترا). انظر: الفهرست لابن النديم ص٣٢٧ تحقيق رضا تجدد، وطبقات الأطباء والحكماء تأليف سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل تحقيق فؤاد السيد ص٣٧ (طبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية)، وحاشية منهاج السنة لابن تيمية جـ١/٣١٨ تحقيق د.محمد رشاد سالم. ودائرة معارف القرن العشرين تأليف محمد فريد وجدى جـ٢٨/٢٣٨.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل يعبد.

٣-هو أرسطو ويقال: أرسطاطليس، وأرسطوطاليس، هو الأقرب إلى الأصل اليوناني، وهو ابن نيقوماخس. وهو أول من وضع التعاليم المنطقية، وأخذ الحكمة عن أفلاطون اليونان، جعله فيلبس المقدوني أستاذا لابنه الإسكندر، ولما ولي الإسكندر المملكة كان لايبرم أمراً أو ينقضه إلا بإشارته. كان مولده قبل ميلاد المسيح ٣٨٤ ق.م وله كتب في المنطق والطبيعيات، والإلهيات والأخلاق.

انظر: طبقات الأطباء والحكماء ص٢٥ ، وتاريخ الفلسفة اليونانية تأليف يوسف كرم ص١١٢ ومابعدها الناشر دار القلم بيروت - لبنان ودائرة المعارف الإسلامية جـ١/٦١٢.

بأكثر من [ثلاثمائة][١] فإنه كان في زمن الإسكندر بن [فيلبس][٢] الذى تؤرخ به النصارى اليوم، وكان بين المسيح وبين نبينا ﷺ ستمائة سنة/ شمسية وستمائة وعشرين قمرية، وكان هذا الإسكندر قبل المسيح بنحو من أربعمائة سنة.

١٢٨

وكانت الصابئة من النبط الذين بالعراق والجزيرة[٣]؛ كالبطائح[٤] وحران وغيرهما من الصابئة المشركين من أئمة

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ثلاث مائة).

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل(فيليس) بالياء ، وهو: الإسكندر بن فيلبس المقدوني، وفي دائرة المعارف الإسلامية اسم أبوه فليب، ولد سنة ٣٥٦ق.م ولما بلغ السنة الثالثة عشر تتلمذ على أرسطو، تولى الملك بعد مقتل أبيه، وكان له من العمر ٢٠ سنة، حارب الفرس وانتصر عليهم، وهو الذى بنى الإسكندرية بمصر، وإليه تنسب. دفن فيها وقد بلغ من العمر ٦٣ سنة بعد أن حكم ١٣عاماً وليس هو ذي القرنين المذكور في القرآن.

انظر تاريخ الطبري جـ١/٣٣٨-٣٤٠، وكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المشهور بالخطط تأليف تقي الدين أبي العباس المقريزي جـ١/١٥٠ طبعة مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٧٠م مصوره عن طبعة بولاق سنة ١٢٩٤هـ، ومنهاج السنه لابن تيمية جـ١/٣١٧ وطبقات الأطباء والحكماء ص٢٦،٢٨ ودائرةالمعارف الإسلامية جـ٢/١٢٦.

٣-الجزيرة تقع بين دجلة والفرات بمجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر، وسميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات وهما يقبلان من بلاد الروم -تركيا اليوم- حتى يلتقيان قرب البصرة من أهم مدنها حران والرها والرقة ونصبين وغيرها. فتحها عياض بن غنم سنة ١٧هـ. انظر معجم البلدان جـ٢/١٥٦-١٥٧ رقم ٣١٠٩.

٤-البطائح جمع بطيحة بالفتح ثم الكسر سميت بطائح واسط لأن المياه تبطحت فيها

--

الفلاسفة، وإبراهيم الخليل بعث إليهم، وفي مولده قولان قيل بالعراق وقيل بحران، وهذا قول أهل الكتاب وكذلك هو في التوراة التى عندهم[١]، ويقال إن قبر أبيه بسور حران وبها آثار الصابئة، كالهياكل التى للعلة الأولى والعقل والنفس والكواكب، ومازال بها أكابرهم كثابت بن قرة[٢] وأمثاله، وقد ذكر عبداللطيف بن يوسف[٣]

أي سالت واتسعت في الأرض، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة، كانت قديما قرى متصلة وأرضاً عامرة، فسال عليها الماء وطرد أهلها. غلب عليها قوم من أهلها أيام بنى بويه، وتحصنوا بالمياه والسفن وخرجت عن طاعة السلطان. انظر معجم البلدان جـ١/٥٣٤ رقم ١٩٩٨.

١-اختلف في مولد إبراهيم -عليه السلام- ففي التوراة إشارة إلى أنه ولد في أور الكلدانيين أي بالعراق انظر سفر التكوين الإصحاح ١١ فقرة ٢٩ وذكر الاختلاف في مولده ابن جرير في تاريخ الأمم والملوك جـ١/١٤٢ ولم يرجح، وقال ابن كثير في قصص الأنبياء ص١٣١ وعندهم -أي في التوراة- أن إبراهيم -عليه السلام- هو الأوسط، وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التى ولد فيها، وهي أرض الكلدانيين، يعنون أرض بابل.
وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار، وصحح ذلك الحافظ ابن عساكر ا.هـ.

٢-ثابت بن قرة: هو ثابت الحراني الفيلسوف، الصابئ، كان يتوقد ذكاء، فبرع في علوم الأوائل، وصار منجم المعتضد -الخليفة العباسى- لم يكن في زمانه من يماثله في الطب والفلسفة. من تلاميذه عيسى بن أسد النصراني، وابنه إبراهيم وحفيده ثابت ابن سنان ماتوا على ضلالهم.
حدثت له مع أهل مذهبه (الصابئة) أشياء أنكروها عليه في المذهب، فحرم عليه رئيسهم دخول الهيكل. من كتبه "الذخيرة في علم الطب" و"المباني الهندسية" وغيرها وأكثر كتبه في الهندسة والموسيقى. ترجم كثيراً من الكتب إلى العربية. هلك سنة ٢٨٨هـ. انظر السير جـ١٣/٤٨٥ ترجمة رقم ٢٣٢ والأعلام جـ٢/٩٨.

٣-عبداللطيف بن يوسف: هو موفق الدين أبو محمد عبداللطيف بن الفقيه يوسف بن محمد الموصلي ثم البغدادي الشافعي، نزل حلب، ويعرف قديماً بابن اللباد، وبابن

--

أن[١] الفارابي[٢] كان قد تعلق بالفلسفة في بلاده فلما دخل حران وجد بها من الصابئة من أحكمها عليه، وابن سينا إنما حذق[٣] فيها بما وجده من كتب الفارابي.

شرك الفلاسفة شر من شرك العرب في الجاهلية

فهؤلاء وأتباعهم حقيقة قولهم هو قول الصابئة المشركين الذين هم شر من مشركي العرب،وهؤلاء عند من لايقبل الجزية إلا من أهل الكتاب؛ لاتؤخذ منهم الجزية؛إلا أن يدخلوا في دين أهل الكتاب، والناس لهم في تفسير الصابئة واحكامهم اضطراب كثير ليس هذا موضعه[٤]،وسبب

نقطة. ولد ببغداد سنة ٥٥٧هـ من الفلاسفة غلب عليه علم الطب والأدب وبرع فيهما، وسمع الحديث والفقه. له مصنفات منها "غريب الحديث" و"الواضحة في إعراب الفاتحة" و"شرح خطب ابن نباته" و"تهذيب كلام أفلاطون" وغيرها.

سافر للحج فدخل بغداد مريضا، ثم مات في الثاني عشر من شهر الله المحرم سنة ٦٢٩هـ. انظر السير جـ٢٢/٣٢٠ ترجمة رقم ١٩٥ والأعلام جـ٤/٦١.

١-(أن)سقط من (د)

٢-الفارابي: هو أبو نصر، محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، التركي الفارابي أحد الأذكياء، أخذ المنطق من متى بن يونس، ولازم يوحنا بن جيلان النصراني. كان يتزهد زهد الفلاسفة، ويُطلق عليه المعلم الثاني. له تصانيف مشهورة مثل "آراء أهل المدينة الفاضلة" و"الموسيقى الكبير" قال الذهبي: ((من ابتغى الهدى منها، ضل وحار، ومنها تخرج ابن سينا نسأل الله التوفيق)) . هلك سنة ٣٣٩هـ، وله ٨٠ سنة. انظر السير جـ١٥/٤١٦ ترجمة رقم ٢٣١ والأعلام جـ٧/٢٠.

٣-في (ف) حذف.

٤-اختلف العلماء في أخذ الجزية من الصابئة، وذلك لاختلافهم في تعريف الصابئة، فمن جعلهم من أهل الكتاب قال بأخذ الجزية منهم، ومن جعلهم من غير أهل الكتاب لم يقبل منهم الجزية، وتردد بعض العلماء وجعل الفصل فيهم لأهل

=

ذلك أنهم أنواع مختلفة؛ فكل طائفة تصف النوع الذى عرفته، والفلاسفة لايجمعهم مذهب ولا يجتمعون على شئ، بل هم أجناس يختلفون كثيراً، ولكن هذه الفلسفة التى يسلكها الفارابي وابن سينا وابن رشد[1] [والسهروردي

الكتاب فإن جعلوهم منهم أخذت منهم الجزية وإن كفروهم لم تؤخذ منهم.

وقال آخرون هم أفضل حالاً من المجوس فتقبل منهم الجزية، وفرق آخرون ؛ فقالوا: الصابئة فرق فمن كان فيه شبه من أهل الكتاب أخذت منه الجزية، ومن كان من عبدة الكواكب والأوثان لم تقبل منه.

قلت: قد سبق في تعريف الصابئة أنه لم يبق منهم إلا الصابئة المندائيين وهؤلاء فيهم شبه من أهل الكتاب حيث يدعون أن نبيهم يحي -عليه السلام- وكتابهم الزبور، فتؤخذ منهم الجزية. وا لله اعلم.

انظر: الفهرست لابن النديم ٣٨٣-٣٩٢ وروضة الطالبين للنووي جـ١٠/٣٠٥-٣٠٦ والمغنى لابن قدامة جـ١٠/٥٦٨-٥٦٩ وبهامشة الشرح الكبير والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١/٤٣٤ عند تفسير الآية ٦٢ من سورة البقرة، والموسوعة الفقهية من إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت جـ٢٦/٢٩٤-٢٩٩.

١-ابن رشد: هو أبو الوليد، محمد بن أبي القاسم أحمد بن شيخ المالكية أبي الوليد بن رشد القرطبي، يلقب بابن رشد الحفيد تميزا عن جده. ولد قبل موت جده بشهر سنة ٥٢٠هـ.

برع في الفقه ثم أقبل على علوم الأوائل وعني بكلام أرسطو كان متواضعاً، عالماً فاضلاً. ولي قضاء قرطبة. له "شرح أرجوزة ابن سينا" في الطب وكتاب "جوامع كتب أرسطو طاليس" وغيرها نقم عليه المنصور صاحب المغرب لأجل الفلسفة. مات محبوساً بداره بمراكش في أواخر سنة ٥٩٥هـ. انظر السير جـ٢١/٣٠٩ ترجمة رقم ١٦٤ والأعلام جـ٥/٣١٨.

استطراد عن فلسفة أرسطو ومؤلفاته

المقتول][1] ونحوه فلسفة [المشائين][2]. وهي المنقولة عن أرسطو الذين يسمونه المعلم الأول؛ فإن له كتباً متعدده في المنطق وأجزائه، وفي الطبيعيات مثل كتاب " سمع الكيان" [3] والذى يتكلم فيه على الأجسام/ كلاماً كليا، وكتاب "السماء [والعالم]"[4]، وكتاب "الآثار العلوية "وغير ذلك[5]، وأما كلامه

١٢٩

١-كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) (السهروري المقبول) وفي (د) (السهروري المقتول) وهو شهاب الدين يحي بن حبش بن أميرك السهروردي، كان ذكياً، ولكنه قليل الدين، وكان رديء الهيئة، لايغسل له ثوبا ولا جسما، ولا يقص ظفراً ولا شعراً أفتى فقهاء حلب بكفره، قال: باكتساب النبوة، قال الذهبي: كان أحمق طياشاً منحلاً، حكى عنه السيف الآمدى أنه قال: لابدلي أن أملك الدنيا، له شعر جيد وله كتاب "التلويحات اللوحية والعرشية" و"هياكل النور" وغيرها. قتل في أوائل سنة ٥٨٧هـ. انظر السير جـ٢٠٧/٢١ ترجمه رقم ١٠٢ والأعلام جـ١٤٠/٨.

٢-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل (المتابين) وفي (ف) المثابين). والمشاؤون هم اتباع أرسطو، وسموا بذلك لأن ارسطو كان يعلم تلاميذه ماشيا، وهم يمشون. انظر المعجم الفلسفى تأليف جميل صليبا جـ٣٧٣/٢ باب الميم.

٣-في (د)الكيسان وفي (ح) الكيسبان.

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل والمعالم.

٥-كتب أرسطو المنطقية هي: "المقولات"، "والعبارة" ، "والتحليلات الأولى أو القياس، والتحليلات الثانية أو البرهان" ، "والجدل"، "والاغاليط".

وأما كتبه الطبيعية: هي "السماع الطبيعي "أو "سمع الكيان"، "والسماء"، "والكون والفساد"، "والآثار العلوية" .انظر تاريخ الفلسفة اليونانية تأليف يوسف كرم طبعة دار القلم بيروت ص١١٥. وقد نُسب إليه كتاب العالم وضم إلى كتاب السماء ولقبا بالسماء والعالم. وقد أثبت النقد أنه لايصح نسبة كتاب العالم له. انظر

--

في [الإلهيات] [١] فقليل جدا وفيه خطأ كثير، وكانوا يسمون ذلك علم (مابعد)[٢] الطبيعة أو علم ماقبل الطبيعة، ويسمونه الفلسفة الأولى والحكمة العليا؛ لكونهم يتكلمون فيه على الأمور الكلية العامة؛ كالوجود وانقسامه إلى جوهر وعرض، وعلة ومعلول، وقديم وحادث، وواجب وممكن، وأما نفس معرفتهم با لله والملائكة وأنبيائه فبعيدة جداً، وقد بسطنا الكلام عليهم في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا أن مادخل في هؤلاء من دين الحنفاء الذى بعث ا لله به[٣] رسله فهو أقل مما دخل في الإسلام من دين اليهود والنصارى، ولهذا لم يكن على عهد الصحابة والتابعين من أدخل شيئاً من دين هؤلاء، بل كان يوجد من ينقل عن أهل الكتاب وعلمائهم مثل كعب[٤] ووهب[٥]

حكم النقل عن أهل الكتاب

المرجع السابق ص١١٦.

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (الهيأة).

٢-مابين القوسين سقط من (د).

٣-(به) سقطت من (د).

٤-كعب: هو كعب بن ماتع الحميرى اليماني. كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ وقَدِم المدينة في أيام عمر -رضيا لله عنه- فجالس الصحابة وأخذ عنهم السنن، وكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب. حسن إسلامه، وكان متين الديانة، من نبلاء العلماء توفي -رحمه ا لله- بحمص ذاهباً للغزو في أواخر خلافة عثمان. عن مائة وأربع سنين. انظر السير جـ٣/٤٨٩ ترجمة رقم ١١١ والأعلام جـ٥/٢٢٨.

٥-وهب: هو أبو عبدا لله وهب بن منبه بن كامل بن سيح الأنباري، اليماني، ولد زمن عثمان سنة ٣٤هـ أخذ عن ابن عباس، وأبي سعيد، والنعمان بن بشير،وجابر

ومالك بن دينار[1] ومحمد بن إسحاق[2]، ومثل ما ينقله عبدالله بن [عمرو][3] عن الكتب التى أصابها يوم اليرموك، وإنما استجاز لهذا؛ لما

وغيرهم، وغزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحف أهل الكتاب وقد امتحن، وحبس وضرب، لاتهامه بالقدر، ولي قضاء صنعاء، مات سنة ١١٤هـ وقيل ١١٣هـ. انظر السير جـ٤/٥٤٤ رقم ٢١٩ والاعلام ٨/١٢٥.

١-مالك بن دينار: هو أبو يحي مالك بن دينار البصري. ولد أيام ابن عباس في البصرة وسمع من بعض الصحابة، كان أبوه من سبي سجستان. وهو من ثقاة التابعين، وثقه النسائي، واستشهد به البخاري، كان يكتب المصاحف بالأجرة، ورعاً لايأكل إلا من كسبه. توفي في البصرة سنة ١٢٧هـ وقيل ١٣٠هـ. انظر السير جـ٥/٣٦٢ ترجمة رقم ٣٠٦ والأعلام جـ٥/٢٦٠.

٢-محمد بن إسحاق: هو أبو بكر، محمد بن إسحاق بن يسار القرشي المطلبي، مولاهم المدني وقيل: أبو عبدالله. صاحب السيرة النبوية، كان جده يسار من سبي عين التمر. ولد سنة ٨٠هـ، ورأى أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب. وهو أول من دون العلم بالمدينة. كان بحراً في العلم، ولكنه ليس بالمجود كما ينبغي وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء، لأشياء منها تشيعه، ونُسب إلى القدر، ويدلس في حديثه، فأما الصدق؛ فليس بمدفوع عنه قال الذهبي: ولا ريب أنه حمل ألوانا عن الذمة أي أهل الكتاب ا.هـ. توفي سنة ١٠٢هـ أو ١٠٣هـ. انظر السير جـ٧/٣٣ ترجمة رقم ١٥ والأعلام جـ٦/٢٨.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل عمر والصواب ماأثبت أعلاه، فإن عبدالله بن عمرو بن العاص الصحابي المشهور قد إطلع على كتب أهل الكتاب فكان يحدث منها، وليس على إطلاقة، بل كان يحدث في حدود مافهمه من الإذن كما ذكر المؤلف. انظر: تاريخ ابن جرير جـ٣/٣٤٠ والبداية والنهاية جـ٨/٢٤٩ والتفسير والمفسرون تأليف د. محمد حسين الذهبي الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ الناشر دار الكتب الحديثة - القاهرة جـ١/١٧٤.

رواه البخاري في الصحيح عنه أن النبي ﷺ قال:« **بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار**»[١]، فلما رخص في الحديث عن بني إسرائيل استجاز ذلك عبدا الله بن [عمرو][٢] وعبدا الله بن عباس وغيرهما؛ لكن لايأخذون من ذلك دينا؛ لما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة ثم يفسرونها بالعربية فقال النبي ﷺ: «**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»[٣] (وفي لفظ)[٤] «**فأما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه وقولوا آمنا با لله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم/ وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**»[٥]. ١٣٠

١-أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب ماذكر عن بني إسرائيل) رقم ٣٤٦١ جـ٢/١٠٧٦ بلفظه وزاد «... علي متعمدا» والشطر الثاني من الحديث عند البخاري في (كتاب العلم، باب أثم من كذب على النبي ﷺ) رقم ١٠٧ جـ١/٦١ بدون لفظه «متعمدا».

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل عمر.

٣-أخرجه البخاري في(كتاب التفسير باب ﴿**قولوا آمنا با لله وما أنزل إلينا**﴾ جـ٣/١٣٥٥ رقم ٤٤٨٥ وطرفه رقم ٧٣٦٢،٧٥٤٢، الإمام أحمد جـ٤/١٣٦ واللفظ له.

٤-ما بين القوسين سقط من (ط) وجعل الروايتين حديثاً واحدا، و لم يفصل بينهما.

٥-أخرجه البخاري في (كتاب الاعتصام، باب قول النبيﷺ لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء) جـ٥/٢٢٩٥ رقم ٧٣٦٢ وسبق ذكر أطرافه. قال ابن كثير في التفسير جـ٣/٤١٦ : "انفرد به البخاري". وقال ابن حجر في الفتح جـ٨/٢١٦ : "زاد في

وإنما أمر النبي ﷺ بهذا لأنا قد أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم، وقد أخبر الله أنهم يكذبون ويحرفون، فما حدثوا به إذا لم نعلم صدقهم فيه ولا كذبهم؛ لم نكذبه لجواز أن يكون مما أنزل، ولم نصدقه لجواز أن يكون مما كذبوه، ولما كانت تلك الأحاديث الإسرائيليات قد كثرت صار بعض الناس يدخل في بعض خصائصهم، ولم يكن قد ظهر في المسلمين شيء من آثار **اليونان والهند، إلى أن** عربت بعض كتب هؤلاء وهؤلاء حدث **في الناس من التشبه بأولئك** ماكان أعظم من التشبه بأهل الكتاب.

١٣٠

دين العبيديين وتعظيمهم للمشاهد والكواكب

حتى آل الأمر إلى دولة العبيديين؛ وهم ملاحدة في الباطن أخذوا **من مذاهب الفلاسفة والمجوس** ماخلطوا به أقوال الرافضة، فصار خيار **مايظهرونه من الإسلام** دين الرافضة، وأما في الباطن فملاحدة شر من **اليهود** والنصارى؛ وإلا من لم يصل منهم إلى منتهى دعوتهم فإنه يبقى رافضياً داخل الإسلام، ولهذا قال فيهم العلماء: ((ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض))(١)، وهم من أشد الناس تعظيماً للمشاهد ودعوة الكواكب ونحو ذلك من دين المشركين، وأبعد الناس عن تعظيم المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وآثارهم في القاهرة

الاعتصام ﴿ وما أنزل إليكم ﴾وزاد الإسماعيلي عن الحسن بن سفيان عن محمد بن المثنى عن عثمان بن عمر بهذا الإسناد **﴿وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلون﴾**".

١-قائل هذه العبارة هو أبو حامد الغزالي في فضائح الباطنية ص٢٥ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار البشير عمان الأردن.

تدل على ذلك(١).

ولقد كنت لما رأيت آثارهم أبين للناس أصل ذلك وحقيقة دينهم، وأنهم من أبرأ الناس فى رسول الله ﷺ دينا ونسبا، وقد صنف العلماء فيهم وفي أصولهم كتبا نظرية وخبرية(٢).

١-مثل مسجد الحسين المبنى على رأس الحسين المزعوم في القاهرة وسيأتي الكلام عليه في ص ٥٠٥

٢-من هذه الكتب: "كشف الأسرار في الرد على الباطنية " للقاضي محمد بن الطيب الباقلاني ت٤٠٣هـ و "كشف أسرار الباطنية " تأليف إسماعيل بن علي بن أحمد البستى ت ٤٢٠هـ و"كشف أسرار الباطنية " تأليف محمد بن مالك بن أبي الفضائل اليماني ت ٤٧٠هـ و"فضائح الباطنية " لإبي حامد الغزالي ت ٥٠٥هـ. وانظر مج ١٤٥/٣٥-١٦١، جـ١٢٨/٣٥.

وقال عبدالقاهر البغدادي في الفرق بين الفرق ص٢٩٤: "والذى يصح عندى من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة، يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها، لميلهم إلى كل ما يميل إليه الطبع" . ثم ذكر رسالة القيروانى في ص٢٩٤-٢٩٨ نقلاً عن كتابهم "السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأعظم". وهي رسالة عبيدا لله بن الحسين القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابى. انظر: كشف أسرار الباطنية تأليف محمد بن مالك بن أبي الفضائل اليماني ص٣٥-٣٧ تحقيق محمد عثمان الخشت (الناشر مكتبة ابن سيناء القاهرة).

وقد أجمع على كفرهم وضلالهم وكذب نسبهم أهل الإسلام في زمنهم وإلى هذا اليوم، ومن ذلك ماذكره ابن

كثير في البداية والنهاية جـ٣٧٠/١١-٣٧١ في أحداث سنة ثنين وأربعمائة. قال:((وفي ربيع الأخر كتب جماعة من العلماء والقضاة والأشراف، والصالحين والفقهاء والمحدثين محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين وهم ملوك مصر وليسوا كذلك ... وأن الحاكم وسلفه لانسب لهم في ولد علي بن أبي

ومنهم الإسماعيلية من أصحاب دور الدعوة، وأما النصيرية[١] فهم من الغلاة الذين يعتقدون إلهية علي، والغلاة مع أنهم أكفر من اليهود والنصارى؛ فأولئك الإسماعيلية في الباطن أعظم كفراً وإلحاداً منهم، وهذا باب واسع/ليس هذا موضعه[٢]. ١٣١

وإنما المقصود التنبيه على أنه [بسبب][٣] الخروج عن الشريعة في

طالب، ولا يتعلقون بسبب وأنه منزه عن باطلهم، وأن الذى ادعوه إليه باطل وزور ... وأن هذا الحاكم بمصر وسلفه كفار فساق فجار، ملحدون زنادقة، معطلون، للإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية الوثنية معتقدون، وقد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف. وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير منهم المرتضى والرضى العلويين)) باختصار. وللتوسع انظر السير للذهبي جـ١٥/٢١٣ وتاريخ الخلفاء تأليف جلال الدين عبدالرحمن السيوطي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص٤-٦ (الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ الناشر مطبعة المدني القاهرة - مصر)

١-النصيرية: فرقة من غلاة الباطنية، وأرجح الأراء أنهم يُنسبون إلى ابن النصير مولى الحسن العسكرى أو من أصحابه وهو محمد بن نصير البصري النميري المتوفى سنة ٢٦٠ هـ وقيل ٢٧٠ هـ ، وعقائدهم كما ذكر المؤلف من تأليه علي واستحلال المحارم، وطائفة النصيرية توجد في شمال سوريا ولبنان وفي لواء انطاكية واسكندرونة بتركيا، ويرفضون هذه التسمية ويطلقون على أنفسهم العلويين. انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري جـ١/٨٣ والملل والنحل للشهرستاني جـ١/١٨٨ وعقائد الثلاث وسبعين لليمنى جـ٢/٤٨٨ ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين تأليف د. أحمد جلى ص٣١١-٣٢٤.

٢-انظر مج جـ٣٥/١٤٥-١٦١.

٣-كذا في (ف) و(ح) وفي الأصل و(د) (سبب).

كثير من البدع الشركية أفضى الأمر بأقوام إلى أن خرجوا إلى دين المشركين؛ بل المشركين المعطلين، وكثير من الناس لايعرف هذا؛ يحسب أن هذا هو دين الله لأجل لبس الحق بالباطل، وهذا مما نهى الله عنه وذم به أهل الكتاب؛ حيث قال ﴿**ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون**﴾[سورة البقرة:٤٢].

الغلاة تنقصوا الرسل ما يستحقونه من التوقير

الوجه الرابع: أن يقال: الغلاة المشركون هم في الحقيقة بخسوا الرسل مايستحقونه من التعظيم؛ دون الأمة الوسط أهل التوحيد المتبعين لشريعة الرسل[1]، وبيان[2] ذلك بأمور : منها أن النصارى يقولون: إنهم يعظمون المسيح، وكذلك الغالية في علي والأئمة أو الشيوخ أو غيرهم، وهم في الحقيقة متنقصون[3] [لهم][4]، فإن المسيح -عليه السلام- أمرهم بعبادة الله وحده لاشريك له؛ وأخبرهم أنه عبدالله، فهم إذا اتبعوه كان له من الأجر مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء[5]، (كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص

١-في (ف) الرسول.

٢-في (ف) (بينا).

٣-في (د) (منقصون).

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٥-في (ف) شيئاً من أجورهم، و (وشيء) سقطت من (د).

[من أجورهم][١] شيئا»)[٢] [ويكونوان][٣] سعداء أولياء لله من أهل الجنة[٤]، وإذا غلوا فيه واتخذوه ربا انقطع العمل الصالح الذى كان يحصل بتوحيدهم وطاعتهم، وحصل لهم مع ذلك عذاب أليم، وإن كان هو سليماً من العذاب؛ لكن فَوَّتوه الأجر الذى كان يحصل له بتوحيدهم وطاعتهم.

وأما أهل الاستقامة فهم إذا وحدوا ا لله وعبدوه كما شرعته لهم الرسل وأطاعوهم صاروا أولياء ا لله مستيقنين لثوابه، وحصل للرسول بالذي دعاهم مثل أجورهم، وكان في هذا من التعظيم للرسل ماليس في طريق الغلاة.

مقارنة بين حال أهل التوحيد وأهل الشرك مع الأنبياء ١٣٢

الأمر الثاني: إن أهل التوحيد والسنة يدعون لهم دائماً فينتفعون بذلك الدعاء، وأهل الشرك/ والبدعة يكلفونهم حوائجهم، [وأين][٥] من يحصل بسعيه[٦] منفعة لهم؟ إلى من يكلفهم ويؤذيهم بسؤاله؟ واعتبر هذا بحال الصديق الذي كان يعاون الرسول بماله ونفسه ولا يسأله

١-مابين المعقوفين من (ف) وفي (ح) (شئ من أجورهم) وسقط من الأصل.

٢-مابين القوسين سقط من (د)، والحديث أخرجه مسلم في(كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلاله) جـ٤/٢٠٦٠ رقم ٢٦٧٤ واللفظ له.

٣-كذا في (ف) وفي الأصل و(د) و (ح) يكونوا.

٤-في (ف) الجبة.

٥-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل ابن.

٦-في (ف) (البسعيه).

شيئا، أين منزلته من منزلة من يسأله ويكلفه ولا يعاونه؟

مقارنة بين أهل التوحيد وأهل الشرك في طاعة الأنبياء وتصديقهم

الأمر الثالث: إن أهل التوحيد والسنة يصدقونهم فيما أخبروا، ويطيعونهم فيما أمروا، ويحفظون ماقالوا؛ ويفهمونه ويعملون به؛ وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال [المبطلين][١]؛ وتأويل الجاهلين؛ ويجاهدون من خالفهم؛ ويفعلون ذلك تقرباً إلى الله[٢] طلباً للجزاء منه لامنهم. وأهل الجهل والغلو لايميزون بين ماأمروا به ونهوا عنه، ولا بين ماصح عنهم وما كُذِبَ عليهم، ولا يفهمون حقيقة مرادهم؛ ولا يتحرون طاعتهم ومتابعتهم، بل هم جهال بما أتوا به معظمون لأغراضهم؛ إما لينالوا[٣] منهم منفعة، أو ليدفعوا بهم عن أنفسهم مضرة.

فالسدنة الذين عند القبور ونحوهم غرضهم يأكلون أموال الناس بهم، وأتباعهم غرضهم تعظيم أنفسهم عند الناس وأخذ أموالهم بهم، والصادق المحض المتدين منهم غرضه (أنه إذا)[٤] سألهم واستغاث بهم في دفع شدة أو طلب حاجة قضوها له، فأي الفريقين أشد تعظيماً أولئك أو هؤلاء؟.

١-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و (ف) المعطلين، وهذه الجملة مقتبسة من مقدمة كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل ص٨٥ تحقيق د. عبدالرحمن عميرة.

٢-في (د) تعالى.

٣-في (ف) ليسألوا.

٤-مابين القوسين غير واضح في (د).

تعظيم الغلاة لمن يقضي حوائجهم ولو كان كافرا

الأمر الرابع: أن أولئك الغلاة المشركين إذا حصل لأحدهم مطلوبه ولو من كافر لم يقبل على الرسول، بل يطلب حاجته من حيث ظن أنها تقضى؛ فتارة يذهب إلى مايظنه قبر رجل صالح؛ أو يكون فيه قبر كافر أو منافق، وتارة يعلم أنه كافر ومنافق ويذهب إليه، كما يذهب قوم إلى الكنيسة، وإلى مواضع يقال لهم إنها[1] تقبل النذر، فهذا يقع فيه عامتهم، وأما الأول فيقع فيه خاصتهم.

١٣٣

حتى إن بعض أصحابنا/ المباشرين لقضاء القضاة لما بلغه أني أنهى عن ذلك صار عنده من ذلك شبهة ووسواس؛ لما يعتقده من الحق فيما أذكر؛ ولما عنده من المعارضة لذلك، قال لبعض أصحابنا سراً أنا جربت[2] إجابة الدعاء عند قبر بالقرافة، فقال له ذلك الرجل: فأنا ذاهب معك إليه ليعرف (قبر من هو)[3]؟ فذهبا إليه، فوجدا مكتوباً عليه عبد علي، فعرفوا أنه إما رافضي وإما إسماعيلي.

عودة للكلام على العبيدين

وكان بالبلد جماعة كثيرون يظنون بالعبيديين[4] أنهم أولياء

١-(أنها) تكررت في (د).

٢-في (ف) اجرب.

٣-مابين القوسين في (ف) (قبر منه) وفي (د) (ليعرف منه) وفي (ح) لم يظهر في التصوير .

٤-في (ف) و(د) و(ح) في العبيدين.

الله[1] صالحون، فلما [ذكرت][2] لهم أن هـؤلاء كـانوا [منـافقين][3] زنادقة وخيار من فيهم الرافضة، جعلوا يتعجبون ويقولون: نحن نذهـب بالفرس التى بها مغل إلى قبورهم فتُشفى عند قبورهم، فقلـت لهـم هـذا من أعظم الأدلة على كفرهم، وطلبت طائفة من سـياس الخيـل، فقلـت أنتم بالشام ومصر إذا أصاب الخيل المغل أين تذهبون [بهـا][4]؛ فقـالوا في الشـام يذهـب بهـا إلى قبـور اليهـود والنصـارى، وإذا كنـا في أرض الشمال يذهب بها إلى القبور التى ببلاد الإسماعيلية كالعليقة والمنيقـة[5] ونحوهما، وأما في مصر فيذهـب بهـا إلى دير [هنـاك] [6] للنصـارى، ونذهب بها إلى قبور هؤلاء الأشراف، وهم يظنون أن العبيديين شـرفاء

١-في (د) تعالى.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ذكت).

٣-كذا في (د) وفي الأصل و(ف) منافقون والصواب ماأثبت أعـلاه لإنهـا خـبر كـان منصوب بالياء ولم تظهـر في (ح) والمؤلـف ألـف آخـر الكتـاب بالشـام بعـد سـنة ٧١٤هـ.

٤-في جميع النسخ: بهم وهو تصحيف.

٥-العليقة والمنيقة: من حصون الباطنيـة الإسماعيليـة في شمـال بـلاد الشـام مـن أعمـال طرابلس انتزعها منهم بيبرس المملوكي سنة ٦٦٨هـ والعليقة سنة ٦٦٩هـ. انظـر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء تأليف أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي طبعـة مصورة عن الطبعـة الأميريـة جـ٤/١٧٩-١٨١ وغـلاة الشـيعة الباطنيـة في الشـام تأليـف د. يوسف درويش غوانمه ص٣٣ الطبعـة الأولى ١٤٠١هـ الناشـر جمعيـة عمال المطابع التعاونية عمان - الأردن.

٦-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (هنا)

لما أظهروا أنهم من أهل البيت، فقلت هل يذهبون بها إلى قبور صالحي المسلمين مثل قبر الليث بن سعد[١] والشافعي وابن القاسم[٢] وغير هؤلاء، فقالوا: لا، فقلت لأولئك اسمعوا: إنما يذهبون بها إلى قبور الكفار والمنافقين، وبينت لهم سبب ذلك، قلت: لأن هؤلاء يعذبون في قبورهم والبهائم تسمع أصواتهم، كما ثبت في ذلك في الحديث الصحيح[٣]، فإذا سمعت ذلك فزعت، فبسبب الرعب الذى حصل لها

١-الليث بن سعد: هو أبو الحارث الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي، مولى خالد بن ثابت بن ظاعن، الإمام الحافظ، عالم الديار المصرية. ولد سنة ٩٤هـ وقيل سنة ٩٣هـ كان -رحمه الله- فقيه مصر، ومحدثها، تولى القضاء فيها وقد أثنى عليه الأئمة، مالك وابن وهب وغيرهم، وكان ثقة، كثير الحديث، سخياً له ضيافة مات نصف شعبان سنة ١٧٥هـ. انظر: السير جـ٨/١٣٦ ترجمة رقم ١٢ والرحمة الغيثية بالترجمة الليثية للحافظ ابن حجر العسقلاني ص٢٣٥-٢٦٥ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية تصحيح إدارة الطباعة المنيريه سنة ١٣٤٣هـ الناشر مكتبة طيبة الرياض والأعلام جـ٥/٢٤٨.

٢-ابن القاسم: هو أبو عبدا لله عبدالرحمن بن القاسم العتقي، صاحب الإمام مالك، ولد سنة ١٣٢هـ، كان ذا مال ودنيا، فأنفقها في العلم، وله قدم في الورع والتأله، أثنى عليه الأئمة، روى له مسلم، ووثقه النسائي. له "المدونة" ستة عشر جزءاً توفى في صفر سنة ١٩١هـ وعاش ٥٩ سنة. انظر : السير جـ٩/١٢٠ رقم الترجمة ٣٩ والأعلام جـ٣/٣٢٣.

٣-منه ماأخرجه البخاري في (كتاب الجنائز، باب ماجاء في عذاب القبر) رقم ١٣٧٤ جـ١/٤٠٨ عن أنس بن مالك -رضيا لله عنه- أن رسول ا لله ﷺ قال «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم .... وأما المنافق والكافر فيقال له: ماكنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لاأدرى، كنت أقول

--

تنحل بطونها فتروث؛ فإن الفزع يقتضي الإسهال، فيعجبون من ذلك، وهذا المعنى كثيراً ماكنت أذكره للناس، ولا[1] أعلم أن أحداً قاله ، ثم وجدته قد ذكره/ بعض العلماء[2].

١٣٤

كثير من المشاهد المعظمة كذب

والمقصود هنا أن كثيراً من الناس يعظم قبر من يكون في الباطن كافراً ومنافقا؛ ويكون هذا عنده والرسول[3] من جنس واحد؛ لاعتقاده أنه الميت يقضي حاجته إذا كان رجلاً صالحا، وكلا هذين عنده من جنس من يستغيث به، وكم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب، بل يقال إنه قبر كافر كالمشهد الذى بسفح جبل لبنان الذى يقال له[4] إنه قبر نوح، [فإن أهل][5] المعرفة يقولون إنيه قبر بعض العمالقة[6].

مايقول الناس، فيقال: لادريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين».

١-في (ف) ولم.

٢-ذكر المؤلف هذا المعنى في مج جـ٣٥/١٣٩-١٤٠.

٣-في (ف) والرسول عنده.

٤-(له) سقطت من (ف).

٥-مابين المعقوفين من (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل فأهل.

٦-قال ابن كثير في قصص الأنبياء ص٩٧: روى ابن جرير والأزرقي عن عبدالرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسلاً أن قبر نوح -عليه السلام- بالمسجد الحرام. وهذا أقوى وأثبت من الذي يذكره كثير من المتأخرين،من أنه ببلدة بالبقاع تعرف اليوم "بكرك نوح" وهناك جامع قد بنى بسبب ذلك فيما ذكر ا.هـ وجزم بكذب

--

وكذلك مشهد الحسين الذى بالقاهرة(١)؛ وقبر أبي بن كعب الذي

هذا المشهد السخاوى في" المقاصد الحسنه" ص٤٨١ (الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت)، وملا علي القاري في "الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة)تحقيق د.محمد لطفي الصباغ ص٣٨٥ (الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان) ومحمد عبدالباقي الزرقاني في" مختصر المقاصد الحسنة للسخاوي" تحقيق د.محمد لطفي الصباغ طبعة ١٤٠١هـ الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج.

١-اختلف أهل العلم في الموضع الذى دفن فيه رأس الحسين -رضىا لله عنه- على ثلاثة أقوال:

الأول: إن يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائبه بالمدينة فدفنه عند أمه أو أخيه الحسن بالبقيع -رضىا لله عنهما-.

الثاني: إن رأس الحسين لم يزل في خزانة يزيد حتى توفي فأُخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق.

ومنهم من قال: كفنه وطيبه سليمان بن عبدالملك ودفنه في مقبرة المسلمين، فلما جاء العباسيون نبشوه وأخذوه معهم.

الثالث: إنه دفن مع الجسد في كربلاء وهذا قول الرافضة، ويقال: إن موضع قبر جسد الحسين عُفي أثره حتى لم يطلع عليه أحد.

وقد رجح الإمام القرطبي في التذكرة جـ٢/٧٣٩ القول الأول فقال: ((هذا أصح ماقيل في ذلك،ولذلك قال الزبير بن بكار: إن الرأس حُمل إلى المدينة والزبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء، لهذا السبب قال: حدثني بذلك محمد بن حسن المخزومي النسابة)) وابن تيمية في كتابه مكان رأس الحسين ضمن مجموع الفتاوى جـ٢٧/٤٦٨-٤٦٩، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام البخاري في التاريخ أن الرأس حُمل إلى المدينة. انظر: ((ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية)) ص١٨ ولم أجده في مظانه في كتاب التاريخ الكبير والصغير للبخاري. وقد ذكر الخلاف في مشهد

--

بدمشق[1]؛ اتفق العلماء على أنها كذب، ومنهم من قال هما

القاهرة السخاوي في المقاصد ص٤٨١ وملا علي القاري في الأسرار المرفوعة ص٣٨٥ والزرقاني في مختصر المقاصد ص٢٢٢ ومالوا إلى تكذيب المشهد.

وضعّف ابن كثير في البداية والنهاية جـ١٩٢/٨ بعض رواة القول الثاني وقال: و لم يُنقل عن أحد من أهل العلم أن الرأس حُمل إلى عسقلان ومنه إلى القاهرة، بل أجمعوا على أن المشهد الذى بالقاهرة كذب مختلق، وأن العبيديين أرادوا أن يروجوا بالمشهد ماادعوه من النسب الشريف ا.هـ. ونقل ابن تيمية في مجموع الفتاوى جـ٤٥٩/٢٧ عن طائفة من العلماء أن المشهد العسقلاني فيه قبر بعض الحواريين أو غيرهم من اتباع عيسى بن مريم.

وللتوسع انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي جـ٧٣٤/٢-٧٤٠ تحقيق د.السيد الجميلي (الناشر دار ابن زيدون بيروت ومكتبة مدبولي القاهرة) ومكان رأس الحسين لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى جـ٤٥١/٢٧،٤٥٩،٤٨٣-٤٨٦ والسير للذهبي جـ٣١٩/٣ والبداية والنهاية لابن كثير جـ١٩٢/٨-١٩٣ والاعلام جـ٢٤٣/٢

[1] -في (ف) في دمشق. وقد اتفق أهل العلم على أن وفاة أبي بن كعب كانت بالمدينة في آخر خلافة عثمان بن عفان -رضى الله عنهما- . انظر السير جـ٣٩٨/١ والأعلام جـ٨٢/١ وزاد ابن تيمية في مكان رأس الحسين ضمن مجموع الفتاوى جـ٤٦٠/٢٧ أن أُبياً لم يقدم دمشق ا.هـ.

وقال ياقوت الحموى في معجم البلدان جـ٥٣٣/٢ في التعريف بدمشق:وفي شرقي البلد قبر عبدا لله بن مسعود وأبي بن كعب، وهذه القبور هكذا يزعمون فيها، والأصح الأعرف الذى دلت عليه الأخبار أن أكثر هؤلاء بالمدينة مشهورة قبورهم هناك . ا.هـ. وبهذا جزم السخاوى في المقاصد الحسنه ص٤٨١،والملا علي القاري في الأسرار المرفوعة ص٣٨٥، والزرقاني في مختصر المقاصد الحسنه ص٢٢٢.

[قبران][(١)] لنصرانيين، وكثير من المشاهد متنازع فيها وعندها شياطين تضل بسببها من تضل، ومنهم من يرى في المنام شخصا يظن أنه المقبور ويكون ذلك شيطانا تصور بصورته أو بغير صورته، كالشياطين الذين يكونون بالأصنام، والشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالأصنام والموتى والغائبين، وهذا كثير في زماننا وغيره، مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التى بالبراني بديار مصر بإخميم[(٢)] وغيرها، يرصدون التماثيل[(٣)] [مدة][(٤)] لايتطهرون طهر المسلمين ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يقرؤون حتى يتعلق الشيطان تلك الصورة فيراها تتحرك فيضع فيها [شمعه][(٥)] أو غيرها، فيرى شيطاناً قد خرج له فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضي بعض حوائجه، وقد يمكنه من فعل الفاحشة به حتى يقضي بعض حوائجه.

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (قبراني).

٢-في معجم البلدان البرابي. وإخميم بالكسر ثم السكون، وكسر الميم، وياء ساكنة، وميم أخرى: بلد بالصعيد وهو بلد قديم على شاطئ النيل بمصر، وفي غربيه جبل صغير، ومن أصغى إليه بإذنه سمع خرير الماء، ولغطاً شبيها بكلام الآدميين لايدرى ماهو؟. وبإخميم عجائب كثيرة قديمة منها البرابي (هكذا في المعجم) والبرابي أبنية عجيبة فيها تماثيل وصور، واختلف في بانيها، وفي جدران البرابي صور للآدميين وحيوان، ومنها مايعرف، وما لايعرف. انظر معجم البلدان جـ١/١٥٠-١٥١ رقم ٣٣١.

٣-في (ف) التمثال.

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (مذة) بالذال.

٥-كذا في (ف) وفي الأصل و(د) و(ح) سمعه.

مثل هؤلاء كثير في شيوخ الترك الكفار، [يسمونه][1] البوى[2] وهو المخنث إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور؛ أرسلوا له من ينكحه؛ [وينصبون][3] له حركات عالية في ليلة ظلماء؛ وقربوا له خبزاً وميته؛ وغنوا غناء يناسبه، بشرط أن لايكون عندهم من يذكر الله/، ولا هناك شيء فيه شئ من ذكر الله، ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به في [الهواء][4] ويرون الدف يطير في [الهواء][5] ويضرب من مد يده إلى الخبز،ويضرب الشيطان بآلآت اللهو وهم يسمعون، ويغنى لهم الأغاني التى كانت تغنيها[6] آباؤهم الكفار، ثم قد يغيب ذلك الطعام فيرونه وقد نُقل إلى بيت البوى[7]، وقد لايغيب ويقربون له ميتة يحرقونها بالنار، ويقضي بعض حوائجهم، ومثل هذا كثير جداً للمشركين.

وصف بعض ما يقع للمشركين

١٣٥

فالذى يجري عند المشاهد من جنس مايجري عند الأصنام، وكثير

ما يحصل عند المشاهد هو من جنس مايحصل عند الأصنام

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (فيسمونه).

٢-في (د) و(ح) البودى، وفي تخليص الاستغاثة : ((والمشركين الذين لم يدخلوا في الإسلام مثل الحبشة والنجشية والطوينية والتوى)) تلخيص الاستغاثة ص٥٠، تُوَيّ: اسم بلد من أعمال همدان . انظر : معجم البلدان ج٢/٧٣ رقم ٢٧٠٥ والقاموس المحيط ص١٦٣٤

٣-كذا في (ف) وفي الأصل و(د) وينصبوا بحذف النون والصواب بإثباتها.

٤-كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) الهوى.

٥-كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) الهوى.

٦-في (د) و(ح)تغنى وفي العبارة ركاكه.

٧-في (د) و(ح) البودى.

من المشاهد كذب وكثيرمنها مشكوك فيه؛ وسبب ذلك أن معرفة المشاهد ليس[١] من الدين الذى تكفل الله بحفظه للأمة لعدم حاجتهم إلى معرفة ذلك.

والمقصود أن هؤلاء يؤول بهم الأمر إلى أن يسووا بين الأنبياء وغير الأنبياء، بل بين الأنبياء والكفار، ويطلبون من هذا ما[٢] يطلبون من هذا، فأي الفريقين أشد تعظيماً للأنبياء؟ هؤلاء أو من يوجب تعظيمهم واتباع شريعتهم، ويفرق بين الحق الذى جاؤوا به وبين غيرهم؛ ولا ينزل أحداً منزلتهم، ولا يشبه بهم من ليس منهم.

فصـــــل

تبديع البكري لابن تيمية

قال[٣]: (وهذا الرجل المبتدع يأتي (بالألفاظ التى)[٤] هي عين التنقيص بسوء فهمه، ويحتج لها جهلاً أو عنادا بألفاظ التنزيه تمويهاً منه أو جهلا، فقول أبي يزيد[٥]: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق -إن صح تنزيهه[٦] للباري- على أن غير هذه العبارة

١-في (ف) ليست.

٢-في (ف) من.

٣-أي البكري.

٤-في (ف) (بألفاظ التى) وفي (د) و(ح) (بألفاظ).

٥-مصححة في الأصل، وغير منقوطة في (ف) وهو أبو يزيد البسطامي سبق التعريف به ص ٢٩٩

٦-في (ف) تنزيه.

خير منها، وإن كنا نعلم أن المراد بها هو المراد بقول القائل لايستغاث إلا با لله، ولا يفرج الكربة إلا ا لله).

رد ابن تيمية: الوجه الأول: بيان ابتداع البكري

الجواب من وجوه: أحدها: أن يقال المبتدع من شرع دينا لم يأذن به ا لله، لامن أمر بما أمر ا لله به ونهى عما نهى ا لله عنه، ومن أعظم المبتدعين من جوز أن[1]/ يستغاث بالمخلوق الحي والميت في كل مايستغاث فيه با لله -عزوجل-، بل من جوز أن يسأل الميت ويدعى على أي وجه كان،بل من حمل ألفاظ الاستغاثة بالنبي ﷺ [على أن][2] المراد بها التوسل به، وجعل توسل الصحابة هو توسلهم بذاته أو الإقسام به على ا لله -تعالى-؛ ولم يعلم أن المراد بها التوسل بشفاعته.

١٣٦

ومن أعظم المبتدعين من جعل التوحيد كفرا والشرك إيمانا، وكفر من هم أحق بالإيمان من طائفته، ونفى الكفر عن طائفته الذين هم أحق بالكفر ممن كفروه.

الوجه الثاني: بيان تنقصه للنبي ﷺ وكذبه

الثاني: أن يقال دعواه أن الألفاظ التى ذكرت [هي][3] عين التنقيص، قد بُين أنه من أعظم الكذب، وأن التنقيص والشرك لما ذكره ألزم، وأن المدعي أن هذا تنقيص كذب[4] باتفاق المسلمين، فإنه قد

١-(أن) تكررت في الأصل.

٢-مابين المعوفين مما يقتضيه السياق ولا يستقيم المعنى بدونه، وفي هامش (ح) لعله (على أن).

٣-كذا في (د) وسقطت من الأصل و(ف) و(ح).

٤-في (ف) كاذب.

علم بالاضطرار من دين المسلمين أن مثل هذا الكلام لايحكم على صاحبه بالتنقيص [ولا بالكفر][١] ولا بما هذا الكلام أحسن منه.

الوجه الثالث: موافقة العلماء للمصنف

الثالث: إن قول المجيب ليس[٢] هو قوله وحده؛ بل [هو][٣] قول جميع أئمة الدين وعلماء المسلمين، فليس في علماء المسلمين من يقول: إنه يستغاث بالمخلوق في كل مايستغاث ا لله فيه، ولا من يقول: إن الميت يستغاث به في كل مايستغاث با لله فيه، بل قول القائل: إن الأمور التى لايقدر عليها إلا ا لله لاتطلب إلا منه، متفق عليه بين علماء المسلمين، وما علمت إلى ساعتي هذه أحداً من علماء المسلمين الذين يستحقون الإفتاء نازع في هذا، بل ثبت عندي عن عامة من بلغني كلامه من [العلماء][٤] الموافقة على هذا، وإنما عرف نزاع بعضهم في السؤال به،وأما الشيوخ الذين يسألون الميت فهؤلاء ليس فيهم أحد ممن يرجع المسلمون إلى فتياه، وإنما فعلوا نظيره، والفقيه قد يفعل/شيئاً على العادة؛ [وإذا][٥] قيل له هذا من الدين لم يمكنه أن[٦] يقول ذلك،ولهذا

١٣٧

١-بياض في جميع النسخ بمقدار كلمتين وفي هامش الأصل و(ف) و(د) (بياض في الأصل) وما بين المعقوفين مما يقتضيه السياق وقد حكم بهما البكري للمؤلف.

٢-سقطت من (ف).

٣-كذا في (د) وسقطت من الأصل و(ف) و(ح).

٤-كذا في (ح) وهامش الأصل وفي الأصل و(د) علماء وفي هامش (ف) (المسلمين) وسبق نقل المؤلف لإجماع العلماء في مصر في عصره على موافقته . انظر ص ٣٧٧

٥-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (فإذا).

٦-في الأصل مكتوب فوقها لعل (إلا).

قال بعض السلف: «لاتنظر إلى عمل الفقيه ولكن سله يصدقك».

فصـــل

كلام البكري في تكفير من نفي الاستغاثة

قال[١]: (وأما قول هذا المبتدع لايستغاث بالرسـول فإنـه كفـر، لأنه لفظ يقتضي سلب صلاحية الرسـول لأن يكـون وسيلة إلى ا لله -تعالى- في طلب الإغاثة، وهذا نفي لوصف من أوصاف الكمال الثابت له ﷺ، أرأيت رجلين قال أحدهما: لاضـار ولا نـافع إلا ا لله يشـير إلى التوحيد، وقال الآخر: إن الرسـول لايضـر ولا ينفـع، وقـال الأول: إن ا لله السميع العليم إشارة للحقائق التـى حصرهـا الـرب -سبحانه- في نفسه بهذا الكلام، وقال الآخر: إن الرسول لايسمع ولا يعلـم، أكـان يشك مسلم في أن الأول موحد والثاني كافر منقص ولا ينفعه تأويله).

رد ابن تيمية الوجه الأول: لم يخص الرسول ﷺ بالنفي

والجواب من وجوه أحدها: أن[٢] ماذكرته افتراء، فـإن أحـداً لم يخص الرسول بهذا النفي لاخطابـاً ولا كتابـا، ولا نفـى كـل مايسـمى استغاثة، فلا النفي عام ولا المنفـي عنـه مخصـوص، وأنـت [ادعيـت][٣] هذا وهذا على المجيب؛ وكلاهمـا[٤] كـذب، وجـواب السؤال ينطـق بخلاف هذين، وقـد بـين فيـه أن[٥] [مـالا يقـدر عليـه إلا ا لله فـلا][٦]

١-أي البكري.

٢-سقطت من (ف).

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل الدعيت.

٤-في (ف) وكلامهما.

٥- في (ف) تنطق.

٦-بياض في جميع النسخ ، بمقدار ثلاث كلمات في الأصل و(ف) وأربـع في (د) ومـا

يطلب من مخلوق لاالرسول ولا غيره، وحينئذ فهذا التفصيل أبين من النفي المطلق الذى قاله أبو يزيد وغيره من المسلمين، فإذا كان ذلك سائغا فهذا أولى.

الوجه الثاني: إن التخصيص بالذكر تعظيم

الثاني: [أنه تقدم][1] أن المخصص بالذكر إذا كان لتحقيق[2] العموم كان ذلك تعظيماً للمخصوص بالذكر، فإذا قيل لايعبد إلا الله لا الأنبياء ولا غيرهم، ولا يستغاث بمخلوق لا الأنبياء ولا غيرهم ونحو ذلك، كان هذا تعظيماً للرسول وتبييناً أنه لاأحد أرفع منه من الخلق، وخصائص الرب -عزوجل- منتفية[3] عنه وعن غيره بطريق الأولى، وهذا كقول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً من أهل[4] الأرض خليلاً لاتخذت أبابكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله» وفي رواية/«إني أبرأ إلى كل خليل من خلته»[5]، فبين أن خلة المخلوقين منتفية[6] عن كل أحد حتى عن الصديق وهو أحق بها لو كانت ممكنة،ولو خص بالذكر

١٣٨

بين المعقوفين من جواب شيخ الإسلام على سؤال الاستغاثة والذى سبق ذكره كاملاً انظر ص ٢٨٩ وهو مايقتضيه السياق.

١-مابين المعقوفين من (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) (أن يقدم) وما أُثبت اعلاه هو الصواب لأنه تقدم ذكر ذلك في ص ٣٥١.

٢-في (د) التحقيق.

٣-في (ف) منفية.

٤-(أهل) سقطت من (ف).

٥-أخرجه مسلم في(كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق) جـ٤/١٨٥٥ رقم ٢٣٨٣ بروايات متعدده.

٦-في (ف) منفيه.

لفظاً في سياق يفهم منه العموم كان حسنا كقوله [تعالى][1] ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا﴾[2] [سورة آل عمران: ٨٠].

وكذلك إذا كان سبب التخصيص حاجة المستمع إما لسؤاله عن ذلك؛ وإما لحاجته إليه، كقوله تعالى ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله﴾ [سورة النساء: ١٧٢] وكقوله[3] ﴿ماالمسيح ابن مريم إلا رسول﴾[4] [سورة المائدة: ٧٥]، فإن الحاجة داعية إلى ذكر المسيح لوقوع النزاع فيه.

فلو تنازع اثنان هل يخص النبي بالحلف به دون سائر الأنبياء؟ فقال أحدهما: لايحلف به، لم يكن هذا تنقيصاً؛ بل هذا هو قول الجمهور وهو الصواب، وكذلك إذا تنازع اثنان هل يخص بالاستغاثة به أو بالإقسام على الله به بعد موته؟ فقال أحدهما: لايستغاث ولا يقسم به، فإن هذا ليس من خصائصه لكان من هذا الباب.

الوجه الثالث: الاستغاثة المطلقة لا تصح إلا بالله

الثالث: قوله عن أبي يزيد غير هذه العبارة خير منها: قول باطل، فإن ماقال أبو يزيد -رحمة الله عليه- تلقاه الناس بالقبول، وقال[5] بعده أبو عبدالله القرشي قال: «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة

١-كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٢-في (ف) تكملة الآية ﴿ أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾.

٣-في (ف) قوله بدون كاف.

٤-في (ف) تكملة الآية ﴿ قد خلت من قبله الرسل﴾.

٥-في (ف) قاله.

المسجون بالمسجون»، وهذا كقول النبي ﷺ لابن عباس «إذا سألت فاسأل ا لله، وإذا استعنت فاستعن با لله»[١]،وقوله لطائفة من أصحابه «لاتسألوا الناس شيئا»[٢]، ومنه قوله تعالى ﴿**وإلى ربك فارغب**﴾ [سورة الشرح:٨]، ومنه قوله ﷺ في صفة السبعين ألفا «**هم الذين لايكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون**»[٣] فالاسترقاء طلب الرقية من المخلوق.

وكأنه يقول: هذا فيه جعل المخلوقين كلهم مثل الغريق؛ ويدخل في ذلك الأنبياء/ وغيرهم، وفي الناس من يمكنه إغاثة غيره، فيقال: أبو يزيد أراد -وا لله أعلم- الاستغاثة المطلقة التى لاتصح إلا با لله، وهو أن يطلب من المخلوق مالا يقدر عليه إلا ا لله ، كإزالة المرض والانتصار على العدو وهداية القلب، وهذا القدر يمكن المسئول أن يتسبب فيه؛ أن يدعو ا لله له ويجيب ا لله دعاءه، كما أنه [قد][٤] يمكن بعض الغرقى أن يمسك غيره ويخلصه إذا كان فيه قوة على ذلك، وإن كان أراد كل مايسمى استغاثة بحيث لايُطلب من [المخلوق شيء][٥]، فهذا كقوله ﷺ «لايسترقون»، وقوله «إذا سألت فاسأل ا لله».

١٣٩

١-سبق تخريجه في ص ٢٧٧

٢-سبق تخريجه في ص ٢٧٩

٣-سبق تخريجه في ص ٢٦٢

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٥-كذا في (ح) وفي الأصل (المخلق شيئا) وفي (ف) و(د) (المخلوق شيئا) والصواب ماأثبت أعلاه لأن شيئاً نائب الفاعل.

وحينئذ فالمسئول كائن من كان لايفعل شيئا إلا بمشيئة الله وقدرته، فهو أحوج إلى معونة [الله](١) من الغريق إلى من يخلصه، فإن الغريق غايته أن يموت؛ وهذا إن لم يغثه الله لم يفعل شيئاً قط بل هلك، فافتقار الخلق إلى الخالق [أعظم](٢) من افتقار الغريق إلى المنقذ، والمسجون إلى من يرسله، ولهذا قيل: استغاثة المخلوق بالمخلوق أبلغ من هذا، كالاستغاثة بالمعدوم.

الوجه الرابع: المنفي عن المخلوق هي الاستغاثة الكاملة

الرابع: قوله: وإن كنا نعلم أن المراد بها المراد بقول القائل لايستغاث إلا بالله، ولا يفرج الكربة إلا الله، فيقال: هذا يقتضي تصويب هذا النافي، وعلى قولك لايكون هذا النفي صوابا؛لأنك قلت: إنه يستغاث بالمخلوق في كل مايستغاث فيه بالله، وحينئذ فهذا الإثبات يناقض ذلك السلب العام، وقد تقدم (أن دعواه أن المثبت)(٣) هو عين المنفي في كلام الله ورسوله خطأ، بل مانفاه الرب عن غيره لم يثبته له والمنفي عن المخلوق مااختص الرب به، وكذلك قول أبي يزيد وغيره.

١٤٠

وأما على ماادعاه فالاستغاثة بالمخلوق عامة/ في كل شيء؛ فلا يكون شئ من الأشياء [لا](٤) يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيه، فلا

١-كذا في (ح) وسقطت من الأصل و(ف) و(د).

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٣-مابين القوسين سقط من (ف).

٤-كذا في (ح) وسقطت من الأصل و(ف) و(د).

تنفى الاستغاثة عن[1] غير الله، إذا كانت ثابته للمخلوق في كل شئ؛ إلا أن يقال المنفي هو الاستغاثة الكاملة أو التى يستقل بها المغيث[2]، كما يقال: «لاموجود إلا الله -تعالى-»، فيقال: وهذه العبارة «لاموجود إلا الله » ليست عبارة منقولة عن السلف والأئمة[3].

لايجوز نفي المسمى الشرعي لانتفاء الكمال المستحب أو الواجب

والنافي إذا أراد بالنفى الكمال مع القرينة جاز ذلك، كما يقال لاعالم إلا فلان ولا حاكم إلا فلان، ومنه قوله تعالى﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون**﴾ إلى قوله[4] ﴿**أولئك هم المؤمنون حقا**﴾[سورة الأنفال:٢-٤].

وقد بينا في غير هذا الموضع[5] أن الله ورسوله لم [ينفيا][6] اسماً من مسمًّى شرعي إلا لانتفاء بعض مايجب فيه؛ لا[ينتفى][7] (لانتفاء)[8]

١-في (ف) من.

٢-في (ف) المستغيث.

٣-في (د) تعالى. ويجوز الإخبار بهذه العبارة عن الله -عزوجل- ولا يسمى بها سبحانه. انظر مج جـ٦/١٤٢ وبدائع الفوائد لابن القيم جـ١/٧٦ و لم يذكر هذه العبارة السلف مثل ابن منده وغيره.

٤-تكملة الآيات ﴿**الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾.

٥-انظر مج جـ٢٢/٥٣٠-٥٣٢، جـ١٩/٢٩١-٢٩٢.

٦-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل (لم ينفوا) وفي (ح) (يُنفى).

٧-كذا في (ف) و(د) وفي الأصل (ينفوا) وفي (ح) (يُنفى).

٨-في (ف) إلا بانتفاء.

الكمال المستحب ، بل [و][1] لابانتفاء[2] الكمال الواجب، كقوله تعالى **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا با لله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل ا لله أولئك هم الصادقون﴾**[سورة الحجرات:١٥]، ونظائرها في القرآن، وكقول النبي ﷺ «**لاصلاة إلا بأم القرآن**»[3] وأما قوله «**لاوضوء لمن لم يذكر اسم ا لله عليه**»[4] وقوله «**لاصلاة لجار**

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت (الواو) من الأصل.

٢-في (ف) (ينفي) وفي (د) (بنفي).

٣-أخرجه البخاري في (كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها) جـ١/٢٣٤ رقم ٧٥٦ ومسلم في (كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة) جـ٢٩٥ رقم ٣٩٤ والنسائي في (كتاب الصلاة، باب ايجاب قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة) رقم جـ٢/١٣٧ ٩٠٨، ٩٠٩ والترمذى في (كتاب الصلاة، باب ماجاء أنه لاصلاة إلا بفاتحة الكتاب) جـ٢/٢٥ ورقم ٢٤٧، ٣١٢ وابن ماجه في (أبواب اقامة الصلاة، باب القراءة خلف الإمام) جـ١/١٥٠ رقم ٨٢١ وأبو داود في(كتاب الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب) جـ١/٥١١ رقم ٨١٨ وأحمد جـ٥/٣١٤ والبيهقي في السنن الكبرى في(كتاب الصلاة، باب تعيين القراءة المطلقة فيما روينا بالفاتحة) جـ٢/١٦٤، ٣٧٤، ٣٧٥ بألفاظ متعددة منها «لاصلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن». جميعهم بألفاظ متقاربة وقريبة من لفظ المؤلف ولم أجده بسياق المؤلف.

٤-أخرجه الترمذي في(كتاب الطهارة، باب ماجاء في التسمية عند الوضوء) رقم ٢٥ جـ١/٣٧ قال أبو عيسى: قال أحمد بن حنبل: لاأعلم في هذا الباب حديثاً له إسناد جيد قال محمد بن إسماعيل: ((أحسن شئ في هذا الباب حديث رباح بن عبدالرحمن -يعنى هذا الحديث-)) وابن ماجه في (أبواب الطهارة، باب ماجاء في التسمية في الوضوء) رقم ٤١٣ جـ١/٧٨ والدارمي في (كتاب الوضوء والصلاة، باب التسمية في الوضوء) رقم ٦٩٧ جـ١/١٤١ واللفظ له.

المسجد إلا [في][1] المسجد»[2] وقوله **«من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له»[3]** فهذه الأحاديث قد اختلف في صحتها، واختلف في نفي الكمال بها في مذهب أحمد وغيره، فإن قيل إنها

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بالمسجد) بالباء.

٢-أخرجه الحاكم في المستدرك جـ١/٢٤٦ وسكت عنه، وعبدالرزاق في المصنف جـ١/٤٩٧ رقم ١٩١٥، والبيهقي في السنن الكبرى جـ١٣/١١١ في (كتاب الصلاة، باب المأموم يصلى خارج المسجد) عن علي وأبي هريرة مرفوعا. والدارقطني في السنن جـ١/٤٢٠ (باب الحث لجار المسجد على الصلاة فيه) من حديث أبي هريرة -رضيا الله عنه- وقد ضعف بعض طرق الحديث أبو الطيب محمد شمس الحق في التعليق المغني على الدارقطني بهامش سنن الدارقطني تصحيح عبدا لله هاشم يماني المدني (طبعة دار المحاسن للطباعة القاهرة - مصر) جـ١/٤٢٢. قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى جـ٢٢/٥٣١ ((وهذا اللفظ قد قيل: إنه لايحفظ عن النبي ﷺ وذكر عبدالحق الإشبيلي: أنه رواه بإسناد كلهم ثقات (هكذا في الأصل)، وبكل حال فهو مأثور عن علي، ولكن نظيره في السنن عن النبي ﷺ أنه قال «من سمع ...»)) وضعفه ابن حجر في فتح الباري جـ١/٥٧٩، وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ١/٢١٧ رقم ١٨٣ : الحديث ضعيف لاحجة فيه . ا.هـ.

٣-أخرجه أبو داود في (كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة) رقم ٥٥١ جـ١/٣٧٤ وابن ماجه في (أبواب المساجد، باب التغليظ في التخلف عن الجماعة) رقم ٧٧٧ جـ١/١٤٢ ولفظه « ... فلم يأته ...» والحاكم في المستدرك جـ١/٢٤٦ كتاب الصلاة واللفظ له وصححه ووافقه الذهبي، قال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ١/٢١٨: أخرجه أبو داود وابن ماجه والدار قطني والحاكم والبيهقي وسند ابن ماجه صحيح وقد صححه النووي والعسقلاني والذهبي ومن قبلهم الحاكم . ا.هـ.

صحيحة وجب العمل بموجبها، وكذلك قوله «لاصيام لمن لم يبيت الصيام من الليل»[١] قد اختلف في صحته، فليس في هذا الباب حديث صحيح، اتفق العلماء على أن المراد به نفي الكمال المستحب.

وقول القائل لايستغاث/ إلا با لله [ولا يسأل إلا ا لله][٢] ونحو ذلك فليس هو نفياً لمسمىً شرعي؛ بل لغوي وهو نفيٌ معناه النهي، كقوله [لايستعان][٣] إلا با لله ولا [يسأل][٤] إلا ا لله ونحو ذلك، وهذا

١٤١

نفي الاستغاثة بغير ا لله نفي لمسمى لغوي معناه النهي

١-أخرجه النسائي في (كتاب الصيام، باب ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة) جـ٤/١٩٦ رقم ٢٣٢٩، ٢٣٣٠ والترمذي في(كتاب الصوم، باب ماجاء لاصيام لمن لم يعزم من الليل) جـ٣/١٠٨ رقم ٧٣٠ وأبو داود في (كتاب الصيام، باب النية في الصيام) جـ٢/٨٢٣ رقم ٢٤٥٤ وابن ماجه في (أبواب الصيام، باب ماجاء في فرض الصوم من الليل) جـ١/٣٣١ رقم ١٧٠٢ وأحمد في المسند جـ٦/٢٨٧ والدارمي في (كتاب الصوم، باب من لم يجمع الصيام من الليل) جـ١/٣٣٩ رقم ١٧٠٥ والدارقطني في السنن جـ٢/١٧٢ ولفظه «من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له» وقال : ((تفرد به: عبدا لله بن عباد عن الفضل ورواته كلهم ثقات)). قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى جـ٧/٣٤ : ((قد رواه أهل السنن وقيل إن رفعه لم يصح، وإنما يصح موقوفا على ابن عمر أو حفصه))

٢-مابين المعقوفين من (ح) وفي (د) (لايسأل إلا با لله) بزيادة باء في لفظ الجلالة ، وسقط من الأصل و(ف).

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (يستغاث).

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (سأل).

النهي عام في كل شئ؛ لكن النهي في أكثره نهي تحريم؛ وبعضه نهي تنزيه، [والأولى][(١)] للإنسان أن لايسأل أحداً إلا الله، كما وصى النبي ﷺ طائفة من أصحابه بذلك، وهو نهي تحريم فيما لايقدر عليه إلا الله وغير ذلك، وهو أيضا نهي تحريم إذا طلب من المخلوق تمام مطلوبه، فإن مطلوبه لايقدر عليه إلا الله، وإنما يقدر المخلوق على بعض أسباب مخلوقة، وبهذا وجب على العبد أن لايتوكل إلا على الله ، فإنه لايقدر غير الله على حصول مطلوبه، إذ مطلوبه وإن كان له أسباب فالمخلوق المعين ؛ إنما يقدر على بعض أسبابه ثم ذلك المخلوق لايفعل شيئاً إلا بمشيئة الله وقدرته.

تكفير البكري لمن نفى الاستغاثة بالنبي ﷺ

الخامس: قوله (وأما قول هذا المبتدع لايستغاث بالرسول فإنه كفر ... إلى آخره).

رد ابن تيمية أولاً: جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ فيما يليق بمنصبه.

فيقال له أولا: ليس هذا قوله، فإنه لاينفي عنه أن يستغاث به فيما يليق بمنصبه بل قد صرح بجواز ذلك أيضا، فإنه لايخصُّ الرسول لابالذكر ولا [بالنفي] (٢) ، بل إنما قيل هذا على سبيل العموم؛ وهو أنه(٣) لايستغاث بميت أصلا لاالرسول ولا غيره، ولا يستغاث بمخلوق فيما لايقدر عليه إلا الخالق.

١-بياض في جميع النسخ بمقدار ثلاث كلمات في الأصل و(ف) و(د) وفي(ح) بمقدار كلمتين وفي هامش (ف) و(د) بياض في الأصل.وما بين المعقوفين يقتضيه السياق.

٢-ما بين المعقوفين بياض في جميع النسخ بمقدار كلمه وفي هامش (ف) بياض في الأصل وقد سبق معان قريبة من هذا.

٣-في (ف) أن.

ثانياً: اللفظ المطلق في الاجابة يقيد بالسؤال

ويقال ثانياً: دعواك أن هذا التخصيص كفر، أحق بأن يكون كفرا؛ بل يقال لك: لانسلم أنه باطل فضلاً عن أن يكون كفرا، وهذا عند المخصص[١] إذا قال لايستغاث به بعد موته ونحو ذلك، بمنزلة أن يقال: لايُسأل ولا يدعى بعد موته أو لايصلى على الرسول عند الذبح[٢]، أو لاتجب الصلاة على الرسول في الصلاة[٣] ونحو ذلك من

١-في (ف) المتخصص وفي (د) و(ح) التخصيص.

٢-اختلف العلماء ، فقال الجمهور: لاتشرع الصلاة على النبي ﷺ عند الذبح،ومذهب الإمام مالك والمنصوص عن الإمام أحمد كراهته وأقوى أدلتهم أن هذا الموطن يفرد بذكر الله -تعالى-، كما ورد في سنة النبي ﷺ والصحابة من بعده في الذبح.

وقال الإمام الشافعي يستحب ذلك، واستأنسوا بقول الله -تعالى- ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾[سورة الشرح:٤] أي لااذكر إلا ذكرت معي.

والراجح قول الجمهور اتباعاً لسنة النبي ﷺ وأصحابه في الذبح. والله أعلم. انظر: المغني وبهامشه الشرح الكبير جـ١١/٥ وتفسير ابن كثير جـ٣/٥١٥ وتلخيص الاستغاثة ص١٥١.

٣-خلاف العلماء في الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير على ثلاثة أقوال:

الأول: ذهب بعض أهل العلم إلى أنها واجبة وهي ركن من أركان الصلاة، من لم يأت بها بطلت صلاته، وفرق بعض هؤلاء بين العمد والنسيان.

الثاني: أنها واجبة ومن فروض الصلاة، وهو مذهب الشافعية والصحيح في المذهب عند الحنابلة وغيرهم، واختلف هؤلاء في القدر الواجب فقال طائفة الواجب: هو: اللهم صل على محمد، والزيادة مندوبة، وذهب الآخرون إلى أن ذلك واجب إلى قوله إنك حميد مجيد.

الثالث: أنها مندوبة وذهب إليه جماهير العلماء من السلف والخلف، حتى نقل الطبري والطحاوي الإجماع على ذلك، ولا تصح دعوى الإجماع.

والراجح -والله اعلم- أن الواجب هو: اللهم صل على محمد، والزيادة مندوبة.

--

١٤٢ العبارات/ النافية [لبعض الأمـور][١] عـن الرسـول، وقـد يكـون اللفـظ مطلقاً لتقييده بسؤال السائل، مثل أن يقال: هل يصلى عليه عند الذبح؟ فيقال: لايصلى عليه، ويقال: هل يستغاث به بعـد موتـه وفي[٢] مغيبـه؟ فيقـــال: لايستغاث به.

لكن إن كان المستمع يفهم من هذه العبارة أنه لايسأل في حياتـه شيئا ولا يستشفع به، بمعنى أنه ليس أهـلاً لذلـك، لم يجـز إطـلاق هـذه العبارة إذا عنى بها المتكلم معنى صحيحاً وهو يعلـم أن المسـتمع يفهـم منها معنىً فاسدا؛ لم يكن له أن يطلقها لما فيه من التلبيس، إذ المقصـود من الكلام البيان دون التلبيس، إلا حيث يجوز التعريض خاصة، وليس هـذا موضـع تعريـض، ولـو قـدر أن مطلقـاً أطلقهـا وكنـى بهـا معنـى صحيحاً، والمستمع فهم منها الكفر؛ لم يكفر المتكلم بذلك، لاسيما إذا لم يعلم أن المستمع يفهم المعنى الفاسد.

انظر: المغني وبهامشه الشرح الكبـير جـ١/٥٧٧-٥٧٨ والجـامع لاحكـام القـرآن جـ١٤/٢٣٥-٢٣٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٣/٥٠٨، ونيل الأوطـار شرح منتقى الأخبار تأليف العلامة محمد بن علي الشوكاني تحقيق طه عبدالرؤوف سعد ومصطفى محمد الهواري جـ٣/١٣٨-١٤٠ طبعـة مكتبـة المكتبـات الأزهريـة القاهرة - مصر، وفتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكـة سابقاً جمع وترتيب محمد بن عبدالرحمن بن قاسم جـ٢/٢٢١-٢٢٢ الطبعـة الأولى ١٣٩٩هـ بمطبعة الحكومة بمكة المكرمة.

١-بياض في جميع النسخ بمقدار كلمتين في الأصل و(ف) و(د) وفي(ح) بمقـدار كلمـة وفي هامش الأصل و(ف) و(د) بياض في الأصل،وما بين المعقوفين يقتضيه السياق.

٢-(وفي) سقطت من (ف).

قد يفهم من كلام الله ورسوله وكلام العلماء معنى فاسد

وكلام الله ورسوله وكلام العلماء مملوء بما يفهم الناس منه معنىً فاسدا، فكان العيب في فهم الفاهم لافي كلام المتكلم الذي يخاطب جنس الناس، كالمصنف لكتاب أو الخطيب[1] على المنبر ونحو هؤلاء لايكلفون أن يأتوا بعبارة لايفهم منها مستمع ما معنىً ناقصا، فإن ذلك لايكون إلا إذا علم مقدار فهم كل من يسمع كلامه ويقرأ كتابه، وهذا ليس في طاقة بشر، والله -تعالى- ماأرسل رسولاً إلا بلسان قومه ليبين لهم، فما[2] يمكن بيان الرسول إلا على طريقة اللغة المعروفة، وإن وقع خطأ في فهم بعض الناس، والله -تعالى- أنزل كتابه بلسان العرب، وهو لابد أن ينزله بلسان من الألسنة، وأكمل الألسنة لسان العرب، وأكمل البلاغة بلاغة القرآن باتفاق أهل العلم بذلك.

وقد غلط في كثير من فهم القرآن، من لايحصيه إلا الله، حتى في زمن النبي ﷺ ، فهم طائفة من قوله[3] ﴿ **حتى يتبين لكم الخيط/ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**﴾ [سورة البقرة:١٨٧] أن المراد به الخيوط التى هي من جنس الحبال[4]، وفهم بعضهم من

١٤٣

١- في جميع النسخ: الخطب. والصواب ما أثبتناه.

٢-في (ف) فيما وكذلك في الأصل ولكنها مصححة في هامش الأصل .

٣-في (د) تعالى.

٤-يشير إلى ما أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب ﴿**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود** ... الآية ﴾ جـ٣/١٣٦٤ رقم ٤٥٠٩ عن الشعبي عن عدي قال: أخذ عدي عقالا أبيض وعقالا أسود، حتى كان بعض الليل نظر، فلم يستبينا، فلما أصبح، قال: يارسول الله جعلت تحت

--

قوله[1] ﴿وإن منكم إلا واردها﴾[سورة مريم:٧١] أن المراد دخولها و التعذيب فيها[2]،وفهم بعضهم من قوله ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيرا﴾ [سورة الانشقاق:٨]أنه قد يناقش العبد الحساب وينجو[3]،ومثل هذا كثير.

الوجه السادس: تسوية البكري بين التوسل والاستغاثة

السادس: قوله: (لأنه[4] لفظ يقتضي سلب صلاحية الرسول لأن يكون وسيلة إلى الله في طلب الإغاثة، وهذا نفي لوصف من أوصاف الكمال).

وسادتي، قال:«**إن وسادك إذا لعريض، أن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك**» وطرفه رقم ٤٥١٠،٤٥١١.

١-في (د) تعالى.

٢-يشير إلى ما أخرجه مسلم في (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان) جـ٤/١٩٤٢ رقم ٢٤٩٦ عن أم مبشر، أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة:« **لايدخل النار -إن شاء الله- من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها**» فقالت: بلى يارسول الله! فانتهرها. فقالت حفصة:﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ فقال النبي ﷺ «**قد قال الله -عزوجل-:﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾**.

وأخرجه ابن ماجه في (أبواب الزهد، باب ذكر البعث) جـ٢/٤٤٤ رقم ٥٣٣٥ ولفظه «... من شهد بدراً أو الحديبية ... الحديث».

٣-يشير إلى ما أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب ﴿**فسوف يحاسب حساباً يسيرا**﴾ جـ٣/١٥٨٤ رقم ٤٩٣٩ عن عائشة -رضيا لله عنها- قالت:قال رسول الله ﷺ:«**ليس أحد يحاسب إلا هلك**» قالت: قلت: يارسول الله، جعلني الله فداك، أليس يقول الله -عزوجل- ﴿**فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا**﴾ قال: «**ذاك العرض يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك**».

٤- في (د) و(ح) أنه.

فيقال له: نفي الاستغاثة به في شيء مخصوص أو وقت مخصوص، لايفهم أحد منها نفي التوسل به ولا نفي كونه سببا، وإنما يفهم منها نفي الطلب منه لذلك الشيء أو في ذلك الحال، وما ذكرته فيما تقدم من أن المتوسل به مستغيث به، قول لم يقله أحد قبلك لامن العرب ولا من العجم، وليس لأحد أن يفسر اللفظ بمعنى لايعرفه أحد.

الوجه السابع: بيان أن جواب ابن تيمية هو للنهي عن الاستغاثة

السابع: (إن قوله: يقتضي سلب صلاحية الرسول لأن يكون وسيلة إلى الله)، قول باطل، فإن قول القائل لايستغاث به نفي بكون هذا مشروعا، ولا سيما إذا كان في سياق الإفتاء وبيان الأحكام الشرعية، والصيغة صيغة خبر، فإنه لم يرد نفي إمكان شرع، فضلاً عن أن يقتضي نفي الصلاحية، فإذا قيل الرسول لايسجد له، لم يقتضِ أن ذلك غير ممكن أن يشرعه الله، فقد أمر الملائكة بالسجود لآدم[١]، وقد سجد ليوسف [أبواه][٢] وأخوته، ومحمد ﷺ أفضل من آدم ويوسف؛ فكيف يفهم من هذا اللفظ أنه لايصلح لما يصلح له آدم ويوسف -عليهما السلام-.

وكذلك إذا قيل: النبي لايورث؛ لم يكن هذا نفياً: لإمكان أن يبيح الله أن يورث، أو نفياً لاستحقاق شيئاً يمكن أن يورث عنه/.

١٤٤

١-يشير إلى قوله تعالى ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾[سورة البقرة:٣٤].

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل ابوه وأما ما أثبت أعلاه هو الصواب لأنه فاعل.

وكذلك إذا قيل: كان الصحابة قد نهوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن شيء؛ لم يكن في هذا نفي لما يسأل عنه ؛ ولا نفي لإمكان أن يشرعه الله ورسوله ،كما أن[1] قوله تعالى ﴿**لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**﴾[سورة المائدة:١٠١] لايقتضي نقصاً[2] [بالمسئول][3] ، وقوله ﴿**أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل**﴾[سورة البقرة:١٠٨]، وقوله ﴿**يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة**﴾[سورة النساء:١٥٣]، فَنَهى **الأمم** أن تسأل الأنبياء هذه المسائل، (لايقال إنه **نفي لصلاحية الرسل** أن يكونوا وسيلة في حصول المسئول)[4]، [**وذلك**][5] **نفي لصفة** الكمال؛ إذ ليس فيه إلا النهي عن السؤال، ليس **فيه نفي لصلاحية**[6] المسئول أن يسأل ؛ ولا نفي قدرته على حصول المسئول ، ولا شيء من هذا، بل قد يكون النهي عن السؤال لمصلحة المنهي[7]، ولما في سؤاله من المفسدة.

١-(أن) سقطت من (د).

٢-في (ف) نقضا (بالضاد).

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بالسؤال).

٤-مابين القوسين سقط من (د).

٥-في (ح) (وليس ذلك) .

٦-في (د) الصلاحية.

٧-في (ف) النهي.

النهي عن الاستغاثة بالنبي ﷺ لمصلحة المنهي

وقوله لايستغاث به هو مثل قوله لايسأل، هو نهى عن سؤاله وعن الاستغاثة [به][١]، لما في ذلك من مصلحة المنهي ومن مصلحة الرسول ومن توحيد الرب، وأيضا فقول القائل لايصلح أن يستغاث به، أو لايصلح أن يكون وسيلة إلى الله في حصول الإغاثة، قد يريد: لايصلح شرعاً بمعنى أن هذا لم يشرع، وقد يريد لايصلح أي أن هذا غير ممكن في حقه، فلو قدر أن نفي الاستغاثة نفي للصلاحية[٢] فالصلاحية لفظ مجمل.

وبالجملة فكلام هذا الرجل كثير منه نزاع لفظي، مع كونه لفظياً فهو يعبر عن المعنى بلفظ لم يعبربه غيره، وينكر على غيره أن يعبر عن المعنى بالعبارة المستعملة فيه، ففيه جهل وظلم، جهل بدلالة اللفظ في استعماله، واستعمال اللفظ فيما لم يستعمل فيه قط ، وينكر على من يستعمله في معناه، ويريد أن يلزمهم بالقبيح الذي [ارتكبه][٣]، ويحمل كلامهم على المعنى الباطل؛ لظنه/ أن اللفظ يحتمله مع أنهم [قد][٤] صرحوا بنقيض ذلك المعنى بعبارة صريحة، فيدع[٥] محكم[٦] كلامهم

١٤٥

١-كذا في (ح) وسقط من الأصل و(ف) و(د).

٢-في (د) الصلاحية.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (رتكبه).

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٥-في (ف) و(د) و(ح) فبدع.

٦-(محكم) سقطت من (د).

وتمسك بمتشابهه الذى هو متشابه في ظنه؛ مبتغيا للفتنة بذلك، وليس مقصوده معرفة مراد المتكلم وتأويله، بل غرضه مايقوله الناس عنه من إرادة العلو في الأرض والفساد بالظلم.

الوجه الثامن: بيان المولف لاستشفاع الصحابة بالنبي ﷺ وتوسلهم به في حياته

يبين هذا الجواب الثامن: وهو أنه قد ذكر المجيب في أول جوابه فقال: قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الأمة؛ أن نبينا ﷺ هو الشافع المشفع، وأنه سيد ولد آدم، وأنه يشفع في الخلائق[1] يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به فيطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم فيشفع لهم، وفيه أيضا تقرير ماكان أصحابه يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به، وفي الجواب: والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ماهو اللائق بمنصبه لاينازع فيها مسلم[2]، فإذا كانت هذه الألفاظ الصريحة فيه؛ فلو قدر أن فيه إطلاق نفي الاستغاثة، هل كان يقال إن فيه ما يقتضي نفى صلاحية أن يكون وسيلة إلى الله في حصول الاستغاثة؟ وقد بين فيه[3] تقرير ماكان الصحابة [يفعلونه][4] من التوسل به والاستشفاع به، وقرر فيه أن الناس يستشفعون به ويتوسلون بشفاعته في الدنيا والآخرة، وأنه يستغاث به بمعنى أنه يطلب منه كل ماهو اللائق بمنصبه، فإذا كان قد بين ثبوت هذه الأمور؛ هل يمكن أن

١-في (د) للخلائق.

٢-سبق إيراد المؤلف لجزء كبير من الجواب، انظر ص ٢٨٩ .

٣-في (ف) و(د) و(ح) من.

٤-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (يفعلون) وما أثبت أعلاه هو الصواب.

ينفي معها صلاحيته لبعضها؟! ومعلوم أن حصول [الاستشفاع والتوسل به][1] أبلغ من الصلاحية له، فإذا كانت هذه الأمور قد أُثبتت فكيف يُنفى معها الصلاحية لذلك؟ والألفاظ بإثباتها صريحة، واللفظ الذي توهم فيه نفي الصلاحية؛ غايته أن يكون محتملاً لذلك، ومعلوم أن مُفَسَّر كلامِ المتكَلِّمِ يقضي على [مُجْمَلِهِ][2]، وصريحه يقدم/ على [كنايته][3]، ومتى صدر لفظ صريح في معنى ولفظ مجمل نقيض ذلك المعنى وغير نقيضه؛ لم يحمل على نقيضه جزما حتى يترتب عليه الكفر؛ إلا من فرط الجهل والظلم.

١٤٦

الوجه التاسع: الرد على تكفير البكري للمؤلف

التاسع: أنه لو فرض أن معنى اللفظ ماذكرته، فإذا كان [مطلق][4] اللفظ لايعرف معناه، إلا ما أراده[5] بنفسه لم يكن كافراً بإجماع المسلمين، وإن اعتقد أن ما نفاه هو مدلول اللفظ، وما نفاه منتفٍ عنه إجماعا أو في قول سائغ؛ لم يكن هذا كافراً عند أحد من المسلمين.

١-ما بين المعقوفين بياض في جميع النسخ بمقدار كلمتين، وفي هامش (ف) و(د) بياض في الأصل، وما أثبته هو مما سبق ذكره قبل أربعة اسطر

٢-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (محمله) بالحاء.

٣-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) كتابته، وفي الجملة ركاكة والأولى (يقضى أن يقدم مجمله وصريحه).

٤-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) المطلق.

٥-في (د) مأأن أراده.

الوجه العاشر: الرد على دعوى سلب صلاحية الرسول ﷺ

العاشر: قوله: (يقتضي سلب صلاحية الرسول لأن يكون وسيلة إلى ا لله في طلب الإغاثة) كلام مجمل، فيقال لك ماتعنى به؟ أتريد أن النبي ﷺ والرجل الصالح وغيرهما لايكون بعد موته وسيلة إلى ا لله في طلب الإغاثة منه؟ (أو أنه لايكون حياً ولا ميتاً وسيلة إلى ا لله في طلب الإغاثة منه؟)(١) وقوله لايكون وسيلة تريد به أن لايتوسل به أي بذاته أو بدعائه وشفاعته أو غير ذلك؟ فإن أردت أن الميت نبياً كان أو غير نبي لايكون وسيلة إلى ا لله في طلب الإغاثة، بمعنى أن يطلب منه [أن يكون](٢) وسيلة في طلب الغوث منه، قيل لك: هذا صحيح، و لم قلت إن الأمر بالعكس، ومن أين لك في الشرع أن يطلب من الميت وسيلة إلى ا لله في طلب الإغاثة منه؟!بل وكذلك إن أردت أن الاستغاثة بالحي والميت [تكون](٣) وسيلة إلى ا لله في طلب الغوث منه، ومن أين لك أن الطالب من المخلوق يكون طالباً من ا لله -عزوجل(٤)- ؟! ومن الذي قال إن السائل بمخلوق [و](٥) الداعي له والمستغيث به نبياً كان

١-مابين القوسين سقط من (ف).

٢-مابين المعقوفين من (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) (لايكون).

٣-كذا في (ح) وفي الأصل و(ف)و(د) (يكون)

٤-مابين الشرطتين في (د) تعالى.

٥-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

المدعو أو غير نبي؛ يكون المخلوق المستغاث وسيلة إلى الله في/ ١٤٧
[الطلب](١) منه؟!!.

وهذا أمر مخالف للعقل واللغة والشرع، فمن الذى جعل الطلب من هذا وسيلة في الطلب من هذا في كل شئ وعلى كل حال؟! بل من طلب من الرسول أو غيره فإنما يطلب مقدوره، فيطلب منه الدعاء والشفاعة؛ ويكون دعاؤه وشفاعته وسيلة في حصول المطلوب، [لا أن](٢) ذلك يكون طلباً من الله، وأنت قد جعلت كل مايطلب من [غير](٣) الله وسيلة من وسائل الله، فما هذه الوسائل التى يكون المتوسل بها طالباً من الله، فإن الطلب من الله معروف معلوم، فيقال: دعا الله وسأله واستعانه واستغاث به وطلب منه ورغب إليه واستجاره واستعاذه ونحو ذلك، وليس هنا(٤) مخلوق يكون الاستغاثة به وسيلة في هذا الطلب، وكأن [هذا](٥) يجعل نفس الطلب من الصالح طلباً من الله.

١-كذا في (ف) وفي الأصل و(د) (طلب) ولم تظهر في (ح).

٢-مابين المعقوفين يقتضيه السياق ، وفي جميع النسخ (لأن).

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

٤-في (د) هذا.

٥-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (هذ) سقطت الألف.

ويقول: إن الصالح لمنزلته عند الله، من طلب منه شيئاً فإن الله تعالى يعطيه ذلك، كما إذا طلب من الله، وهذا حال كثير من[١] الجاهلين الضالين يستغيث أحدهم بشيخه في كل مايهمه، فإذا خاف أحداً أو طلب حاجة استغاث بالشيخ [أو][٢] الغائب والميت، فيقول: ياشيخ فلان أنا في حسبك ياسيدى فلان ونحو ذلك من العبارات، ومنهم من يقول: هذا وقتك ياشيخ فلان، أو يقول: إن لم تحضر ياشيخ فلان وإلا فُعِلَ بنا وصُنِعَ، وقد يقول: إن كنت رجلاً صالحاً صاحب حال فأرني حالك، ويقول: إن كان لك جاه عند الله فهذا وقت جاهك، وقد يستغيث أحدهم بعدة مشايخ ،فيقول: ياسيدى فلان وفلان وفلان، ثم من هؤلاء من يتصور له صورة إنسان يظنها الشيخ أو ملكاً تصور على صورته وسارّه وكالمه [وقضى بعض حاجاته][٣] ونحو ذلك، ومنهم من [يتصور][٤] له ذلك في صورة طائر، ومنهم من يتصور له في صورة حيوان آخر، وتكون تلك الشياطين تتصور بتلك الصور لأولئك المشركين الذين دعوا من دون الله آلهة أخرى وطلبوا منهم مالا / يجوز أن يطلب إلا من الله ، كما كان المشركون يطلبون من الأوثان مايطلب من الله،وكما يطلب عباد الكواكب منها ما لا

استغاثة أهل الجهل والضلال بالشيوخ

١٤٨

١-في (د) (أبي) وهي زيادة.

٢-كذا في (د) وسقط من الأصل و(ف) و(ح).

٣-مابين المعقوفين بياض في جميع النسخ بمقدار كلمتين، وفي هامش (د) بياض في الأصل، وما أثبت أعلاه كرره المؤلف في مواضع من هذا الكتاب.

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (تتصور).

يطلب إلا من الله، وكذلك عباد الأنبياء والملائكة، قال تعالى: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا**﴾[سورة الإسراء:٥٦-٥٧] وقال تعالى: ﴿**ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبّين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذا أنتم مسلمون**﴾[سورة آل عمران: ٨٠]، وهؤلاء لا[١]يتصور أن يقضى لهم جميع مطالبهم ولا أكثرها، كما أن ماتخبر به الشياطين من الأمور الغائبة لايصدقون فيه كله ولا في أكثره، بل يصدقون في واحدة ويكذبون في أضعافها، ويقضون لهم حاجة واحدة ويمنعونهم أضعافها، ويكون فيما أخبروا به وأعانوا عليه إفساد حال الرجال في الدين والدنيا ، وهذه الأمور لبسطها موضع [آخر][٢].

المستغيثون بالأموات لا تحصل لهم كل مطالبهم

والمقصود أن كثيراً من [الضالين][٣] الجاهلين يستغيثون بمن يحسنون به الظن من الأموات والغائبين في كل مايستغاث الله فيه، ولا يتصور أن هؤلاء يسألونهم مطالبهم كلها ولا أكثرها، بل غاية مايطلبونه منهم من جنس تحصيل المنافع ودفع المضار و[٤]لا يحصل، بل قد يُحصّل بعض المطالب، كما يحصل لعباد الأصنام والكواكب

١-(لا) سقطت من (د).

٢-كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل الصالحين.

٤-الواو سقطت من (ف).

وغيرهم من المشركين، ويكون مايخبرون به ويفعلونه شبهة للمشركين، كما أن مايخبر به الكاهن ونحوه من الأخبار، فإنه يصدق في واحدة ويكذب في شيء كثير، كما قال النبي ﷺ: «**لو آتوا بالأمر على وجهه لكان، ولكن يخلطون بالكلمة الواحدة مائة كذبة**»[١].

لم يقل مسلم إن دعاء مخلوق هو دعاء الله

فهذا القول الذى يقوله هذا هو مطابق لأحوال هؤلاء المشركين الضالين، لكن هذا ليس يقوله مسلم ولا عاقل يتصور مايقول، بل هو من جنس قول النصارى: (دعاء المسيح)[٢] دعاء لله، لكن أولئك يقولون باعتبار الحلول والاتحاد، وأما بدون هذا (فهو كلام)[٣] غير معقول، فإن الله -تعالى- أمر أن يدعى/ هو ويسأل هو، ولم يجعل دعاء أحد من المخلوقين دعاء له بل قد نهى الله عن دعائه، ولو كان هذا حقاً لكان من دعا الملائكة والأنبياء دعا الله[٤] ولا يكون مشركا؛

١٤٩

١-أخرجه البخاري في(كتاب بدء الخلق،باب صفة إبليس وجنوده) جـ٢/١٠١٢ رقم ٣٢١٠ وأطرافه: ٣٢٨٨ ، ٥٧٦٢، ٦٢١٣، ٧٥٦١ ومسلم في(كتاب السلام،باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان) جـ٤/١٧٥٠ رقم ٢٢٢٨ وابن ماجه في (المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية) جـ١/٣٨ رقم ١٨٢ والإمام أحمد في المسند جـ٦/٨٧ والبغوي في شرح السنة، باب الكهانة رقم ٣٢٥٨ جـ١٢/١٨٠ والبخاري في (الأدب المفرد، باب الرجل يقول ليس بشيء وهو يريد أنه ليس بحق) رقم ٨٨٥ ص٢٩٥ والطحاوي في مشكل الآثار جـ٣/١١٥ الطبعة الأولى مصورة عن طبعة ١٣٣٣هـ الناشر دار صادر بيروت - لبنان وغيرهم بألفاظ متقاربة.

٢-مابين القوسين سقط من (د).

٣-في (ف) فكلام.

٤-في (ف) لله.

وا لله قد جعلهم مشركين، وقد قال تعالى ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا**﴾[سورة الإسراء:٥٦-٥٧]، فإن هؤلاء الضالين جعلوا الصالحين مع ا لله -سبحانه وتعالى[1]- كالوكيل مع موكله، فإذا طُلب من الوكيل الدعاء كانت المطالبة للموكل في المعنى؛ لكن هذا ليس من أقوال الموحدين، بل هو من أعظم شرك الملحدين .

الرسول ﷺ لم يضمن للخلق الرزق أو غيره

والرسول لم يضمن للخلق أن يرزقهم و يحاسبهم ولا يجيب دعاءهم، بل هذا كله أخبر أنه لله وحده،قال تعالى ﴿**فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب**﴾[سورة الرعد:٤٠]، وقال ﴿**قل لاأقول لكم عندي خزائن ا لله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا مايوحى إلي**﴾[سورة الأنعام:٥٠]، وقال ﴿**قل لاأملك لنفسي نفعاً ولا ضرا إلا ماشاء ا لله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون**﴾[سورة الأعراف:١٨٨] وقال[2] ﴿**ولو أنهم رضوا ماآتاهم ا لله ورسوله وقالوا حسبنا ا لله سيؤتينا ا لله من فضله ورسوله إنا إلى ا لله راغبون**﴾[سورة التوبة:٥٩]، فبين تعالى أن التحسب با لله وحده والرغبة إلى ا لله وحده، وأما الإيتاء فلله والرسول لأن الحلال ماحلله الرسول والحرام ماحرمه الرسول؛ كما قال تعالى

١-مابين الشرطتين في (د) تعالى.

٢-في (ف) تعالى.

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا﴾[سورة الحشر:٧] فا لله -تعالى-[١] قد جعل الرسول مبلغاً لكلامه؛ الذي هو أمره ونهيه ووعده ووعيده.

شرك عباد القبور في توحيد الربوبية أيضاً

وهؤلاء يجعلون الرسل والمشايخ يدبرون العالم بالخلق والرزق وقضاء الحاجات وكشف الكربات[٢]، وهذا ليس من دين المسلمين، بل النصارى تقول هذا في المسيح وحده بشبهة الاتحاد والحلول،/ ولهذا لم يقولوا ذلك في إبراهيم وموسى وغيرهما من الرسل، مع أنهم في غاية الجهل في ذلك، فإن الآيات التى بعث بها موسى أعظم، ولو كان الحلول ممكنا لم يكن للمسيح خاصية توجب اختصاصه بذلك؛ بل موسى أحق بذلك، ولهذا خاطبت من خاطبته من علماء النصارى وكنت أتنزل معهم إلى أن أطالبهم بالفرق بين المسيح وغيره من جهة الإلهية، فلم [يجدوا][٣] فرقا، بل أُبين لهم أن ماجاء به موسى من الآيات أعظم؛ فإن كان هذا حجة في دعوى الإلهية فهو أحق، وأما ولادته من غير أب فهو يدل على قدرة الخالق لاعلى[٤] أن المخلوق أفضل من غيره[٥].

١٥٠

١-سقطت من (د).

٢-وذكر ذلك كثيراً الشعراني في طبقاته في تراجم الصوفية .

٣-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (يجدون) بثبوت النون وهو خطأ.

٤-(على)سقطت من (د).

٥-إحدى هذه المناظرات كانت في قاعة الترسيم بالقاهرة، فلما أقام عليهم الحجة،

--

عودة للرد على البكري في دعوى سلب صلاحية الرسول

وإن أراد بقوله: (يقتضي سلب صلاحية الرسول لأن يكون وسيلة إلى الله في طلب الإغاثة) أنه لايتوسل بذاته فلا يقسم به على الله ولا يقال أسألك برسولك أو أسألك بجاه رسولك.

الرد الأول: نفي الاستغاثة لا يفهم منه نفي السؤال به

فيقال:أولاً: نفي الاستغاثة بهم لايفهم أحد منها نفي السؤال به.

الرد الثاني: لايجوز التوسل بالذات بعد الممات

ويقال: ثانيا : وهب[1] أنه أراد هذا؛ فما الدليل على جواز السؤال لله بذوات[2] المخلوقين أو مطلقا وبعد موتهم؟! ومن قال هذا من الصحابة والتابعين لهم باحسان؟ والصحابة إنما كانوا يتوسلون بدعائه وشفاعته، ولهذا توسلوا بعده بالعباس ولو كان التوسل بذاته ممكنا بعد الموت لم يعدلوا إلى العباس، والأعمى إنما توجه بدعائه وشفاعته[3]، وكذلك الصحابة[4] في الاستغاثة، وكذلك الناس يوم القيامة يستغيثون به ليشفع لهم إلى الله، فهم يتوسلون بشفاعته، [أما][5] بمجرد[6] الذات بعد الممات فلا دليل عليه ولا قاله أحد من

احتجوا بما يفعله جهال الصوفية عند رأس الحسين، وقبر نفيسة وغيرهما، فلما أبان الشيخ ضلال هؤلاء وجهلهم؛ قالوا: الدين الذي ذكرته خير من الدين الذي نحن وهؤلاء عليه. انظر: ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية بقلم خادمه إبراهيم الغياني ص٢٤-٢٥.

١-في (د) وهبوا.

٢-في (د) و(ف) بذات.

٣-سبق ذكر الحديث بتمامه والتعليق عليه في ص ٢٩١

٤-في (د) (رضى الله تعالى عنهم).

٥-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (لا).

٦-في (د) بجرد.

السلف، بل المنقول عنهم يناقض ذلك، قد نص غير واحد من العلماء على أن هذا لايجوز؛ وإن نقل عن بعضهم جوازه، فقد قال تعالى ﴿**فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول**﴾[سورة النساء:٥٩].

١٥١
الرد الثالث: لا يجوز تكفير المتأول

ويقال: ثالثا : وهب أن قائل ذلك أخطأ في هذا النفي/؛ لكن ليس كل مخطئ يكفر؛ لاسيما إذا قاله متأولا باجتهاد أو تقليد، وإن أراد بقوله لايكون وسيلة أي لايكون الإيمان به ومحبته وطاعته وموالاته، واتباع سنته والمجاهدة على دينه ونحو ذلك وسيلة إلى الله؛ فهذا لم ينفه أحد، ونفي الاستغاثة به لاينفي هذه الوسائل، وهذه وسائل في حصول الثواب والقرب من الله وسعادة الدنيا والآخرة، لافي مجرد الاستغاثة، ومحمد ﷺ هو وسيلة إلى سعادة الدنيا والآخرة بهذا الاعتبار، ومن نفى كونه وسيلة إلى الله بهذا الاعتبار فهو كافر حقًّا، فإنه نفى رسالته التى هي أصل الإيمان.

دعوى البكري أن الاستغاثة بالنبي من أوصاف الكمال

الحادي عشر: قوله (وهذا نفي لوصف من أوصاف الكمال الثابته له ﷺ).

رد ابن تيمية

فيقال له: لانسلم أن هذا نفي لشئ من صفات الكمال؛ بل ولا نفي لشئ موجود، بل هو نفي لشيء منتف في نفس الأمر.

ويقال له ثانيا: هذا الوصف عندك ثابت لآحاد الناس؛ بل[1] قولك يقتضي أنه ثابت لكل مخلوق، وماثبت لآحاد الناس لم يكن من خصائص الرسل التى تعد من كمالاتهم، فلا يقول عاقل: إن

١-في الأصل (قرد) وفي (ف) (قود) ويظهر أنها زيادة، وليست في (د) و(ح).

ماشاركه[١] فيه عامة الناس يكون من كمالات الرسل[٢] التى يكون نفيها قدحاً في رسالته.

ويقال: ثالثاً: ولو قدر أنه وصف كمال؛ فليس كل من نفى وصفاً من أوصاف الكمال يكون كافرا؛ إذا كان متاولاً في ذلك، دع من نفى وصفاً من صفات كمال الرسول على سبيل التأويل.

اختلاف المسلمين في بعض أوصاف النبي ﷺ

وقد قال طوائف من السلف [والخلف][٣] إنه يقعده معه على العرش وأنكر ذلك آخرون[٤]، (وقال قوم إنه كتب بيده عام الحديبية

١-في (د) شارك بدون (هاء).

٢-في (ف) و(د) (الرسالة) وزاد في الأصل بعد الرسل (له).

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٤-قال المؤلف في درء تعارض العقل والنقل جـ٥/٢٣٧: وحديث قعود النبي ﷺ على العرش، رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة، وهي كلها موضوعة، وإنما الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف، وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه، ويتلقونه بالقبول ا.هـ ونقل ابن القيم في بدائع الفوائد جـ٢/٣٢٨ عن القاضي (أبي يعلى) أن المروزي (وهو أحمد بن علي بن سعيد المروزي ت٢٩٢هـ) جمع فيه كتاباً وذكر طرقه وأنه قول أبوداود وأحمد وأصرم ... وذكر خلقاً من السلف ا.هـ والراجح: أن تفسير المقام المحمود بالقعود على العرش لايصح لاسيما وقد روي عن مجاهد مثل ماعليه الجماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن المقام المحمود هو المقام الذى يشفع فيه النبي ﷺ لأمته.وقد ذهب إلى هذا ابن عبدالبر في التمهيد جـ١٩/٦٤، جـ٧/١٥٧-١٥٨ والواحدي كما نقل عنه شهاب الدين محمود الألوسي في روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني جـ١٥/١٣١ (الطبعة دار التراث القاهرة - مصر) وللتوسع انظر: العلو للذهبي ١٢٤-١٢٦

--

خرقاً للعادة ونفى ذلك آخرون)[١]، وقال قوم إنه كان يجوع ويربط

وعقيدة الإمام ابن عبدالبر في التوحيد والإيمان تأليف سليمان بن صالح الغصن إشراف د.ناصر العقل ص٦٢ رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين قسم العقيدة ١٤٠٩هـ وقد طبعت فيما بعد .

١-مابين القوسين تأخر في (د) إلى مابعد الجملة التى بعده. وكتابة النبي ﷺ عام الحديبية وردت فيها أحاديث، فقد أخرج البخاري في (كتاب المغازى، باب عمرة القضاء) جـ٣/١٢٨٨ رقم ٤٢٥١ من حديث البراء ولفظه

«... ثم قال -أي النبي ﷺ- لعلي بن أبي طالب -رضى الله عنه- : «**امح رسول الله**» قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً. فأخذ رسول الله الكتاب -وليس يحسن أن يكتب- فكتب: هذا ماقاضى عليه محمد بن عبدالله، لايدخل مكة ... » الحديث. ومسلم في (كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية) جـ٣/١٤٠٩-١٤١١ رقم ١٧٨٣ ولفظه « ... فقال على: لا والله لاأمحاها. فقال رسول الله ﷺ : «**أرنى مكانها**» فأراه

مكانها. وكتب ابن عبدالله ... » الحديث، وقد اختلف الناس في هذه المسألة فأنكر كثير من فقهاء الأندلس وغيرهم الكتابة وشنعوا على من قال به حتى نسبوه إلى الكفر والزندقة. وقال بجواز ذلك أبو ذر الهروي وأبو الوليد الباجي وصنف فيه كتابا وحكاه عن السمناني، واختلف هؤلاء فقال بعضهم إنه ﷺ لم يمت حتى عرف الكتابة، وقال آخرون إنه ﷺ كتب في الحديبية على سبيل الإعجاز، والراجح أنه لايلزم من كتابة اسمه الشريف ﷺ في ذلك اليوم وهو لايحسن الكتابة أن يصير عالماً بالكتابة ويخرج عن كونه أمياً، فإن كثيراً ممن لايحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ويحسن وضعها خصوصاً الأسماء. وللتوسع انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٣/٣٥٢، وشرح مسلم للنووي جـ١٢/٣٧٩-٣٨٠ وغاية السول في خصائص الرسول لابن الملقن ص١٣٢-١٣٤، وفتح البارى لابن حجر جـ٧/٦٤١-٦٤٢.

الحجر على بطنه مع قدرته على حصول مايأكل ، ونفى ذلك آخرون[١]، وقال ابن مسعود والجمهور: إنه خاطب الجن ورآهم ونفى ذلك ابن عباس وآخرون[٢]، وقال ابن عباس وطائفة: إنه رأى ربه ونفى ذلك/ آخرون من الصحابة وغيرهم[٣]، بل نفس المعراج

١٥٢

١-وردت أخبار كثيرة في ربط النبي ﷺ الحجر على بطنه من الجوع، مع أن ا لله – تعالى– عرض عليه ﷺ أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا، أو الجبال ذهبا. وقال بموجب هذه الأخبار جمهور العلماء، وردها وضعفها بعضهم كابن حبان وتمسكوا بأحاديث الوصال في الصوم، وأنه ﷺ يطعمه ربه ويسقيه.

وقد أكثر الناس الرد عليه بما ورد في صحيحه من ربط النبي ﷺ الحجر على بطنه. والراجح مذهب الجمهور، ويمكن الجمع بأن الإطعام والسقيا في حال الوصال في الصوم والجوع وربط الحجر على غير المواصلة. وا لله اعلم.

انظر: صحيح البخاري (كتاب الصوم، باب الوصال) جـ٢/٥٨٣ الأحاديث رقم ١٩٦١،١٩٦٢،١٩٦٣،١٩٦٤ وغيرها، والبداية والنهاية جـ٦/٥٤ وفتح الباري جـ٤/٢٦٠-٢٦١، ورفع الخفا شرح ذات الشفا تأليف محمد بن الحاج الكردي تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي وصابر الزيباري جـ٢/٧٨-٨١ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار عالم الكتب بيروت – لبنان

٢-والصواب في هذه المسألة ماذهب إليه الجمهور وابن مسعود، فإن ابن مسعود أعلم بقصة الجن من عبدا لله بن عباس لأنه حضرها وحفظها وابن عباس كان إذ ذاك طفلا، لأن قصة الجن كانت قبل الهجرة وا لله اعلم.

انظر دلائل النبوة لأبي نعيم الاصبهاني جـ٢/٣٦٥-٣٧٢ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٩/١-٤ وآكام المرجان في أحكام الجان لبدر الدين الشبلي الحنفي ص٥٥.

٣-الخلاف في حصول الرؤية للنبي ﷺ بين الصحابة مشهور، والمأثور عن عائشة – رضيا لله عنها– الإنكار الشديد على من قال بأن النبي ﷺ رأى ربه –جل وعلا–

--

قال الجمهور: إنه كان ببدنه؛ وآخرون من السلف والخلف قالوا إنه كان بروحه فقط(١)، وقال طائفة من العلماء: إنه [كان](٢) يملك الفيء ونفى ذلك آخرون(٣)، وقال أكبر المنتسبين

بعينه، وتابعها بعض الصحابة كابن مسعود، وجاء عن ابن عباس في بعض الروايات التصريح بالرؤية مطلقا وفي الأخرى التقيد بالرؤية القلبية.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى جـ٦/٥٠٩: وليس في الأدلة مايقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة مايدل على ذلك ا.هـ. وقال ابن حجر في الفتح جـ٦/٧٨٢: يجب حمل مطلقها على مقيدها ... فيمكن الجمع بأن يحمل نفي عائشة على رؤية البصر وإثبات ابن عباس على رؤية القلب ا.هـ

بتصرف يسير. وهذا هو الراجح وا لله اعلم وللتوسع انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة جـ٢/٤٧٧ وشرح مسلم للنووي جـ٣/٧-٩ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٧/٥٦-٥٧ ومج جـ٦/٥٠٩-٥١٠ والسير للذهبي جـ٢/١٦٧ وفتح الباري لابن حجر جـ٦/٧٨٢-٧٨٣ والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة لعبدالإله الأحمدي جـ٢/١٤٥-١٥١.

١-والصواب أنه أسري بالنبي ﷺ ببدنه يقظة لامناما، وبه قال أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، والآثار تدل عليه ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ولا استحالة في حملها عليه. انظر: كتاب التوحيد لابن منده جـ١/١٢٤ وما بعدها، والجامع لاحكام القرآن للقرطبي جـ١٠/٢٠٥-٢١٠ وشرح مسلم للنووي جـ٢/٥٦٧-٥٦٨.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (كا) بدون نون.

٣-قال الشافعي وبعض أصحاب أحمد إن الفيء ملك للنبي ﷺ في حياته، ورد عليهم جمهور العلماء بعدة أدلة منها ماأخرجه البخاري في (كتاب فرض الخمس، باب قول ا لله تعالى ﴿**فأن لله خمسه وللرسول**﴾ جـ٢/٩٥٩ رقم ٣١١٧ ولفظه

--

إلى السنة: إنه والأنبياء أفضل من الملائكة، وآخرون قالوا الملائكة أو بعضهم أفضل من الأنبياء[١]، وقال جمهور المسلمين: إنه أفضل الأنبياء وتوقف في ذلك بعض الحنفية وغيرهم[٢]، وادعى بعض

«**ماأعطيكم ولا أمنعكم، إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت**».

والراجح أن الفيء يصرف في مصالح المسلمين وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد في أحد قوليه. والله أعلم. للتوسع انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٨/١٣-١٥ والمغني لابن قدامة جـ٧/٢٩٨ ومج جـ٢٨/٥٦٥ وفتح الباري جـ٦/٢٦٨ وكتاب الفيء والغنيمة ومصارفهما تأليف محمد الربيع ص١٧١ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١-يقول بتفضيل الأنبياء وصالحي البشر على الملائكة أهل السنة، ويقول المعتزلة بتفضيل الملائكة، وللأشاعرة قولان منهم من يفضل الأنبياء والأولياء ومنهم من يقف ولا يقطع. وقالت الرافضة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة، وهذه المسألة لايتوقف عليها أصل من أصول الاعتقاد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كبير من المقاصد، وهي من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول .انظر: شرح مسلم للنووي جـ١٥/٤٣، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٣٠١-٣١١ ومحصل أفكار المتقدمين والمتاخرين للرازي ص٢٢.

٢-توقف بعض العلماء في تفضيل النبي ﷺ على جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لورود أحاديث النهي عن التفضيل مثل ماأخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿**وإن يونس لمن المرسلين**﴾ جـ٢/١٠٦٠ رقم ٣٤١٣ ولفظه «**ماينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى**» ونقل القرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ٣/٣٦٢ عن شيخه قال: فلا يقال: النبي أفضل من الأنبياء كلهم ولا من فلان ولا خير، كما هو ظاهر النهي ا.هـ ونقل القرطبي أيضا في الجامع جـ٣/٣٦٣ التوقف عن التفضيل عن ابن عطية ا.هـ.

والصواب تفضيل نبينا محمد ﷺ جمعاً بين أدلة القرآن والسنة، والنهي عن التفضيل

الناس أنه كان يحفظ القرآن قبل أن ينزل به جبرائيل[١] -عليه السلام[٢]- [عليه][٣] ورد ذلك جمهور المسلمين وعلماؤهم[٤]، وقال قوم من هذا النمط إن جميع الأنبياء تلقوا العلم بالله منه وأنه كان موجوداً قبلهم ورد ذلك جمهور المسلمين وعلماؤهم[٥]، وقال

إنما يكون لمن يقوله برأيه، أو من يقوله على وجه الفخر، أو على وجه الانتقاص بالمفضول، أو من يقوله بحيث يؤدي إلى الخصومة والتنازع أو ماشابه ذلك.

وللتوسع انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبه ص١٣٢ تحقيق محمد محي الدين الأصفر، وشرح مسلم للنووي جـ١٥/٤٢-٤٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٣/٣٦٢-٣٦٤ وتفسير ابن كثير جـ١/٣٠٤ ومنهج الإمام الشوكاني في العقيدة تأليف د.عبدا لله نومسوك ص٦٥٣-٦٥٨ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ مكتبة دار القلم - الرياض.

١-في (د) (جبريل) .

٢-مابين الشرطتين سقط من (ف).

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل وزاد في (د) ﷺ.

٤-سبق التعليق على هذه المسألة في ص ٣٠٦ وانظر: الكبريت الأحمر بهامش اليواقيت والجواهر ص٦.

٥- لغلاة الصوفية في النبي ﷺ مذاهب شتى فمنهم من يرى أنه حقيقة الذات الإلهية، ومنهم من يرى أنه نور من نور ا للهوغير ذلك ومراد شيخ الإسلام من يرى أنه ﷺ حقيقة الذات الإلهية يقول الدمرداش في معرفة الحقائق ص٧ نقلا عن شبهات التصوف ص٧٧ :حقيقة الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها وهي المسماة بحضرة الجمع، وبأحدية الجمع، وبها تتم الدائره، وهي أول مرتبة تعينت في غيب الذات وهي الحقيقة المحمدية ا.هـ ويقول الكمشخانلي في جامع الأصول ص١٠٧ نقلا عن شبهات التصوف ص٧٧: صور الحق هو محمد

--

بعضهم إنه كان لايسهو في الصلاة وإنما كان يتعمد[1] ذلك ورد ذلك جمهور المسلمين وعلماؤهم، وقال بعض الغلاة إنه كان يعلم علم الله ويقدر قدرته وكفر المسلمون من قال ذلك، فضلا عن تكفير النافي[2]، وتنازع المسلمون في جواز الصغائر على الأنبياء وجمهورهم يجوزون ذلك[3]، وهذا باب واسع.

لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحديه ا.هـ وانظر ضلالهم في هذه المسألة والرد عليهم في شبهات التصوف لأبي حفص عمر قريشي ص٧٦ وما بعدها.

١-قال بعصمة الأنبياء من السهو وغيره الرافضة وتابعهم الصوفية وأنه ﷺ تعمد السهو. والصواب جواز النسيان عليه الصلاة والسلام في أحكام الشرع وهذا مذهب جمهور العلماء وهو ظاهر القرآن والحديث، واتفقوا على أنه ﷺ لايقر عليه بل يعلمه الله تعالى به. وأجمع العلماء على استحالته عليه ﷺ في الأقوال البلاغية واستدلوا بحديث ذي اليدين وسيأتي تخريجه. انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى تأليف القاضي عياض بن موسى اليحصبي تحقيق علي بن محمد البجاوي ٧٩٨/٢ طبعة دار الكتاب العربي، وشرح مسلم للنووي جـ٥/٦٤-٩٥ وفتح الباري لابن حجر جـ٣/١٣٠.

٢-في (د) الثاني، وقول المؤلف إشارة لما ذهب إليه البكري من تكفير من نفى ذلك عن النبي ﷺ، ومن قال إنه ﷺ هو حقيقة الذات الإلهية فهو يقول إنه يقدر قدرة الله ويعلم علمه. وقال بذلك بعض الصوفية .

٣-قال بعصمة الأنبياء من الصغائر الرافضة، وأجازها الجمهور وهو الراجح. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١/٣٠٨ ومج جـ٤/٣١٩، والمواقف في علم الكلام تأليف عضدالدين عبدالرحمن الإيجي ٣٥٩ طبعة عالم الكتب بيروت - لبنان، والرسل والرسالات تأليف د.عمر سليمان الأشقر ص١٠٧ وما بعدها الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ الناشر مكتبة الفلاح، ودار النفائس - الكويت.

فما زال المسلمون يتنازعون في شئ من إثبات صفات الكمال، ولا يقول المثبت للنافي إنك كفرت، فإن الكمال الثابت ليس محدوداً يعلمه الناس كلهم، وما من كمال إلا وفوقه كمال آخر، والكمال المطلق الذى لاغاية فوقه لله -تبارك وتعالى[١]-، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «**كمل من الرجال كثير** [... إلى آخر الحديث][٢]»[٣] وهؤلاء الكاملون بعضهم أكمل من بعض، فإذا نُفي عن بعضهم [نوع][٤] من الكمال لم يلزم أن ينفى عنه الكمال، ولو كان كذلك لكان من قال إن محمداً ﷺ أفضل من يونس بن متى متنقصاً[٥] بيونس فيكون كافرا؛ لأنه سلبه هذا الكمال.

١٥٣ تكفير البكري لمن تنقص الرسول ﷺ

وأما قوله: (أرأيت رجلين قال أحدهما لاضار ولا نافع إلا الله يشير/ إلى التوحيد، وقال الآخر : إن الرسول لايضر ولا ينفع، وقال الأول: إن الله هو السميع العليم إشارة إلى الحقائق التى [حصرها][٦]

١-مابين الشرطتين في (د) (تعالى).

٢-مابين المعقوفين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٣-أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى﴿ **وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأت فرعون** ...﴾ الآية رقم ٣٤١١ جـ١٠٥٨/٢ وطرفه :٣٤٣٣ واللفظ له.

٤-كذا في (د) و(ح) بالرفع وفي الأصل و(ف) نوعاً بالنصب.

٥-في (ف) بياض وفي (د) (تنقيصاً) وفي (ح) لم تظهر في الصورة.

٦-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل حصر.

الرب -سبحانه[١]- في نفسه بهذا الكمال، وقال الآخر: إن الرسول لايسمع ولا يعلم[٢]، أكان يشك مسلم في أن الأول موحد والثاني كافر متنقص [و][٣] لاينفعه تأويله؟ فإن سوء العبارة في حق الرسول ﷺ كفر وإن صح المقصود، كما دل عليه كلام الإمام وغيره، ألا ترى إلزام الله -عزوجل- للصحابة بتحسين الخطاب معه وإيراده بكيفية الأدب إلى آخره ...).

رد ابن تيمية

فيقال: أما المثال الأول فهو وإن كان أقرب إلى المطابقة فجوابه من وجوه:-

الوجه الأول: بيان التنقص

أحدها: أنه إذا كان الكلام في سياق العموم بيان [٤] أنه أفضل الخلق؛ مثل أن يقول لايضر ولا ينفع إلا الله لاالرسول ولا من دونه؛ أو يقال: إذا كان الرسول الذى هو أفضل الخلق لايضر ولا ينفع فكيف من دونه ونحو ذلك، فهذا مثل قوله لايضر ولا ينفع إلا الله، وأما إذا كان المراد أن الرسول لايضر ولا ينفع وغيره يضر وينفع فهذا هو التنقيص، وهو نظير أن يقال الرسول لايستغاث (به بل يستغاث)[٥] بغيره فهذا

١-في (د) (وتعالى).

٢-في (ف) لايعلم ولا يسمع.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٤-هكذا في جميع النسخ وفي الجملة ركاكة والأولى أن تكون هكذا (بيان).

٥-مابين القوسين سقط من (د) و(ح).

تنقيص بلا ريب، فإنه يتضمن تنقيصه عمن الرسول أفضل منه، وهذا تنقيص عن درجته بلا ريب.

الوجه الثاني: نفي الرسول الضر والنفع عن نفسه

ويقال ثانياً: لو قال لايضر ولا ينفع من الذى قال إنه يكفر بذلك؛ إذا عنى بذلك معنى قوله ﴿**قل لاأملك لنفسي نفعاً ولا ضرا إلا ماشاء الله**﴾[سورة الأعراف:١٨٨] فإذا كان لايملك لنفسه نفعاً ولا ضرا وقد أمره الله أن يقول ذلك، فهو أحرى أن لا[١]يملك لغيره، وقد قال ﴿**إني لاأملك لكم ضراً ولا رشدا**﴾[سورة الجن:٢١] فأخبر أنه لايملك من الله لاضرهم ولا رشدهم و[قد][٢] قال الله -تعالى-﴿**ليس لك من الأمر شئ**﴾[سورة آل عمران:١٢٨] وثبت عنه في الصحيحين أنه قال:«**يافاطمة بنت محمد لاأغني عنك من الله شيئا، ياصفية عمة رسول الله/ لاأغني عنك من الله شيئا، ياعباس عم رسول الله** ﷺ[٣] لاأغني عنك من الله شيئا»[٤].

١٥٤

فهذا تخصيص له بنفي ذلك وهو من أصدق الرسل، ومن صدّق الرسول فيما قاله فهو مؤمن ليس بكافر، فإذا قال القائل : الرسول لايغني عن بنته ولا عمه ولا عمته من الله شيئا فكيف من دونهم؛ كان هذا من أحسن الكلام وأصدقه.

١-(لا) سقطت من (ف).

٢-كذا في (د) وسقطت من الأصل و(ف) و(ح).

٣- (صلى الله عليه وسلم) سقط من (د).

٤-سبق تخريجه في ص ٣٥٩

الوجه الثالث: المراد بنفي الضر والنفع عن المخلوق

ويقال ثالثا: قول القائل [عن] (١) مخلوق إنه لايضر ولا ينفع؛ تارة مُريد به نفي الاستقلال بذلك على سبيل توحيد الربوبية، بمعنى أن مايجرى على يديه من الضر والنفع فا لله هو خالقه ؛ وهو الذي يجعله فاعلاً بمشيئته، أو يريد أنه لاينفع ولا يضرُ إلا بمشيئة ا لله وقدرته وإرادته(٢)، كما قال تعالى ﴿**وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن ا لله**﴾ [سورة البقرة:٢ ١٠٢] فهذا صحيح، فليس في المخلوقات بهذا الاعتبار شيء ينفع [ويضر](٣)، إذ ليس في المخلوقات مايستقل(٤) بإحداث ضرر غيره ونفعه؛ ولا يفعل شيء إلا بإذن ا لله،كما ليس فيها من يعطي ويمنع بهذا الاعتبار(٥).

كما [أن](٦) من أسمائه -تعالى- المعطي المانع الضار النافع، وكان النبي ﷺ يقول في دبر الصلاة، وفي غير هذا الموطن «**اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»(٧)، وكان يقول في

١-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) غير.

٢-بياض في (ف) .

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ولا يضر).

٤-في (ف) ماينتقل.

٥-كذا في (ف) و(ح) وفي الأصل و(د) ولا ينبغي بهذا الاعتبار وهي زيادة.

٦-كذا في (ح) وسقطت من الأصل و(ف) و(د).

٧- أخرجه البخاري في (كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة) جـ١/٢٥٦ رقم ٨٤٤ من حديث المغيرة بن شعبة وأوله «أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة «لاإله إلاا لله ... »الحديث وطرفه ٦٣٣٠.

رقيته «**أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لاشفاء إلا شفاك**» وفي رواية «**لاشافي إلا أنت شفاء لايغادر سقما**»(١).

وتارة يريد به أن الضر والنفع المعتاد؛ مثل الصحة والمرض والغنى والفقر والأمن والخوف واليسر والعسر؛ لايفعله رسول ولا غيره؛ لافي حياته ولا بعد موته، فهذا صحيح، بخلاف مايظنه المشركون الغلاة من [النصارى] (٢) وأشباههم، الذين يظنون أن الأنبياء والصالحين بعد موتهم أو في حياتهم ينزلون المطر ويدفعون العدو وينبتون النبات ويشفون المرضى/ ونحو ذلك من الحوادث.

١٥٥

وتارة يرى أنه ليس له دعاء مستجاب ولا شفاعة مقبولة وأن طاعته لاتنفع ومعصيته لاتضر ونحو ذلك، فهذا كفر صريح من أراده حُكم بردته وكفره؛ لكن اللفظ المجمل إذا صدر ممن علم إيمانه لم يحمل على الكفر بلا قرينة ولا دلالة، فكيف إذا كانت القرينة تصرفه إلى المعنى الصحيح.

الكلام على مثال البكري في نفي السمع والعلم عن النبي ﷺ

وأما المثل الثاني فلا يشبه مانحن فيه، فإن قوله تعالى: ﴿**هو السميع العليم**﴾[سورة البقرة:١٣٧] إثبات لهذه(٣) الصفة، ومن

١- أخرجه مسلم في (كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض) جـ٤/١٧٢٢ رقم ٢١٩١ واللفظ له، والرواية الثانية عند البخاري في (كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ) جـ٤/١٨٣٤ رقم ٥٧٤٢.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (النصار).

٣-في (د) هذه.

الناس من يقول ليس في الآية حصر، (ومن قال فيها حصر)[1]؛ قال المحصور كمال الصفة وليس ذلك إلا لله، فإذا قال إن الرسول لايسمع ولا يعلم لم يفهم من هذا اللفظ نفي مايختص به الرب؛ ولا عموم النفي عن الرسول وغيره، ومعلوم أن الملائكة والإنس والجن والبهائم تسمع وتعلم، فإن الله قال **﴿وما علمتم من الجوارح مكلّبين﴾**[2] [سورة المائدة:٤]، وذكر النبي ﷺ الكلب المعلم[3]، ومن أطلق على النبي ﷺ أنه لايسمع ولا يعلم فظاهر هذا اللفظ نفي ذلك عنه وهو كذب ظاهر، ثم قد يكون في سياق نفي علمه بالدين وسمعه لما أوحى إليه وهو كفر صريح، وقد يكون في سياق أنه لايسمع ولا يعلم إلا ماأسمعه الله إياه، فإنه[4] من تلقاء نفسه ليس له شيء بل الله هو الذى أسمعه وأعلمه، كما قال تعالى **﴿وعلمك مالم تكن تعلم﴾**[سورة النساء:١١٣] وكما قال[5] **﴿ماكنت تدري ماالكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من**

١-مابين القوسين سقط من (د).

٢-زاد في (د) **﴿تعلمونهن مما علمكم الله .... ﴾** الآية .

٣-يشير إلى ماأخرجه البخارى عن عدي بن حاتم قال: سألت النبي ﷺ فقال:«إذا أرسلت كلبك المعلم فقتل فكل، وإذا أكل فلا تأكل. فإنما أمسكه على نفسه» قلت: أرسل كلبي فأجد معه كلباً آخر؟ قال:« فلا تأكل، فإنما سميت على كلبك ولم تسم على كلب آخر» (كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان جـ١/٨١) رقم ١٧٥.

٤-في (ف) وإنه.

٥-في (د) تعالى.

نشاء من عبادنا﴾[سورة الشورى:٥٢] وكما قال[1] ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين**﴾[سورة يوسف:٣] ، وكما قال تعالى ﴿**ووجدك ضالاً فهدى**﴾[سورة الضحى:٧] فهذا المعنى ليس بكفر بل هو صحيح.

١٥٦ وقد يكون في سياق أن الله هو المختص بكمال السمع/ والعلم، وأن غيره لايبلغ مبلغه في ذلك، فهذا أيضا صحيح، وأما[2] إطلاق أنه لايسمع ولا يعلم فهو كذب وكفر، بخلاف إطلاق أنه لاينفع ولا يضر، ولهذا يقول المسلم لاينفعني ولا يضرني إلا الله ، ولا يقول لايسمع ولا يعلم إلا الله؛ بل يقول لايعلم مافي نفسي إلا الله، أو لايسمع كلام العباد كلهم إلا الله، أو لايسمع سر القول إلا الله -تعالى- ونحو ذلك.

فصل

دعوى البكري أن سوء العبارة في حق النبي ﷺ كفر

قال: (فإن سوء العبارة في حق الرسول ﷺ كفر وإن صح المقصود، كما دل كلام الإمام وغيره، ألا ترى إلزام الله للصحابة -رضوان الله عليهم- بتحسين الخطاب معه وإيراده بكيفية الأدب، حيث قال لهم ﴿**لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون**﴾ [سورة الحجرات:٢] وقال عزوجل ﴿**لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا**﴾[سورة النور:٦٣] وقال ﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون**﴾[سورة

١-في (د) تعالى.

٢-في (د) و(ف) فأما.

الحجرات:٤]، وقد نبه في الأول على حبط العمل بسوء الأدب، ولا يحبط العمل كله إلا بالكفر بإجماع أهل السنة، وجعل الاستخفاف به كفرا، كما قال عزوجل ﴿**قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**﴾[سورة التوبة:٦٥-٦٦] ولا أعلم خلافاً بين النقلة أن الذين نزلت فيهم هذه الآية بسبب كلامهم، لم يكونوا تعرضوا لله بعبارتهم[١] وإنما تنقصوا رسوله فجعل استخفافهم برسوله استهزاء به سبحانه [و][٢] بآياته وكفى بذلك تكفيرا).

جواب ابن تيمية

الوجه الأول: ليس فيه سوء عبارة

والجواب من وجوه: أحدها: أن يقال لانسلم أن مافيه النزاع سوء عبارة، بل هو من أحسن العبارات كما تقدم بيانه.

الوجه الثاني: سوء العبارة في حق الله أعظم كفرا

١٥٧

الثاني: أنه إن كان سوء العبارة في حق الرسول كفر؛ ففي حق الله أعظم كفرا، ومن قال إنه يستغاث بالمخلوق/ في كل مايستغاث فيه بالخالق؛ كانت هذه العبارة [أنه يطلب][٣] من المخلوق كل ما[٤] يُطلبُ من الخالق، وهذا يُشعر أنه جعل المخلوق نداً للخالق؛ وما أُفهم الشرك، كان من أسوأ العبارات[٥]؛ فيجب أن يكون كفراً، يلزم هذا

١-في (د) بعبادتهم.

٢-كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٤-في (د) و(ح) كما.

٥-في (ف) و(د) و(ح) العبارة.

القائل، وقد قال رجلٌ للنبي ﷺ «ماشاء الله وشئت» قال[١]: «**أجعلتني لله ندا!! بل ماشاء الله وحده**»[٢] وقال: «**لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد**»[٣] وقال: « **من حلف بغير الله فقد أشرك**»[٤].

الوجه الثالث: الإساءة للرسول ﷺ هي تسليط العامة عليه

الثالث: أن سوء العبارة ماحصل به سوء (المعبر عنه)[٥]، ومن جعل الرسول يطلب منه الناس مايطلبونه من الله ، فقد آذى الرسول وأساء في حقه، وسلط عليه العامة على اختلاف أغراضهم، هذا يطلب

١-في (ف) فقال.

٢-سبق تخريجه ١٣٨-١٣٩

٣-أخرجه أبو داود في(كتاب الادب، باب لايقال خبثت نفسي) جـ٥/٢٥٩ رقم ٤٩٨٠ وابن ماجه في (أبواب الكفارات، باب النهي أن يقال ماشاء الله وشئت) جـ٢/٣٩٢ رقم ٢١٣١ والإمام أحمد في المسند جـ٥/٧٢،٣٨٤،٣٩٣، ٣٩٨، والدارمي في (كتاب الاستئذان، باب في النهي عن أن يقال ماشاء الله وشاء فلان) جـ٢/٦٠٣ رقم ٢٧٠٢ واللفظ له، وأخرجه غيرهم. قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٧/٢٠٨-٢٠٩: رواه أبو يعلي ورجاله ثقات ا.هـ

وقال البوصيري في مصباح الزجاجة جـ١/٣٦٣: رجاله ثقات على شرط البخارى لكنه منقطع بين سفيان وبين عبدالملك ا.هـ وقال العلامة الألباني في سلسة الأحاديث الصحيحة جـ١/٢١٤ رقم ١٣٧ -في حديث أبي داود وأحمد-: وهذا سند صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير عبدالله بن يسار وهو الجهني الكوفي وهو ثقة، وثقه النسائي وابن حبان ا.هـ.

٤-سبق تخريجه ص٣٥٥

٥-مابين القوسين في (د) المعتبر.

منه إنزال المطر، وهذا يطلب منه غفران الذنوب، وهذا يطلب منه النصر على الأعداء، وهذا يطلب منه أن يتزوج، وهذا يطلب منه الولد، وهذا يطلب منه المعيشة، وهذا يطلب منه الملك، وهذا يطلب منه الولاية، (وهذا يطلب منه دارا)[1]، وهذا يطلب منه جارية حسناء، وهذا يطلب منه[2] قضاء دينه، وهذا يطلب منه [سكباجا][3]،وهذا يشتكي إليه ظهور البدع، وهذا يشتكي إليه مايظن أنه من البدع.

فنزّلوا المخلوق منزلة الإله، وطلبوا منه جلب المنافع ودفع المضار مالا يقدر عليه إلا الله -تبارك وتعالى[4]-، وقد كان النبي ﷺ يقول: «**من لايسألنا أحب إلينا ممن سألنا**»[5]، وكانوا يسألونه مايقدر عليه؛ فكيف إذا طلبوا منه مالا يقدر عليه مخلوق؟! وفي الجملة فمطالب الناس لاتنضبط في خيرها وشرها وقلتها وكثرتها، فمن سلط الناس على الرسول يطلبون هذا كله منه فهو من أعظم الناس إساءة إليه، وإن كان لايقصد/ ذلك لكن عبارته أفهمته، فهي من [أسوأ][6] العبارات.

١٥٨

الجواب الرابع: بيان التوحيد من أجل الامور

الرابع: إن الكلام إذا كان في سياق توحيد الرب ونفي خصائصه

١-مابين القوسين سقط من (د).

٢-(منه)سقطت من (ف).

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل كسباجا وسبق تعريفه.

٤-مابين الشرطتين في (د) تعالى.

٥-سبق تخريجه ص١٤٣

٦-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) سوء.

عما سواه؛ لم يجز أن يقال هذا سوء عبارة في حق من دون ا لله من الأنبياء والملائكة، فإن المقام أجل من ذلك، وكل ماسوى ا لله يتلاشى عند تجريد توحيده، والنبي[١] ﷺ كان من أعظم الناس تقريراً لما يقال [على هذا][٢] الوجه، وإن كان نفسه المسلوب، وهذا كما في الصحيحين من حديث الإفك لما نزلت براءة عائشة من السماء وأخبرها النبي ﷺ بذلك فقالت لها امها: قومي إلى رسول ا لله ﷺ. فقالت: «وا لله لاأقوم إليه ولا أحمده ولا إياكما لقد سمعتم فلا أنكرتم ولا غيرتم، ولا أحمد إلا ا لله الذى أنزل براءتي»[٣] وفي رواية قالت: «نحمد ا لله لانحمد أحدا» وفي رواية «نحمد ا لله لانحمدك»[٤] فأقرها النبي ﷺ

١-في (د) (ونبي ا لله).

٢-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (هذا على).

٣-أخرج البخاري أول الحديث في (كتاب التفسير، باب قوله ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة**﴾ الآية جـ٣/١٤٩٢ رقم ٤٧٥٧ والإمام أحمد في المسند جـ٦/٦٠ بلفظ قريب من لفظ المؤلف جداً وقوله «ولا أحمد إلا ا لله الذى أنزل براءتي» أخرجه مسلم في (كتاب التوبة، باب حديث الإفك، وقبول توبة القاذف) جـ٤/٢١٣٦ رقم ٢٧٠٧٠.

٤-لم أقف على هاتين الروايتين بهذا اللفظ وقد أخرج البخاري في (كتاب المغازي، باب حديث الإفك) جـ٣/١٢٦٥ رقم ٤١٤٣ ولفظه «بحمد ا لله لابحمد أحد ولا أحمدك ...» والإمام أحمد في المسند جـ٦/٣٦٧، ٣٦٨ وانظر ذكر الروايات في تفسير الطبري جـ٥/٢٧٩ وتفسير ابن كثير جـ٣/٢٧١ وفتح الباري جـ٨/٣٨/٦١١ وحاشية كتاب "كشف ماالقاه إبليس من البهرج والتلبيس" للدكتور عبدالعزيز عبدا لله الزايد ص٣٢٨ . وأكثر الروايات «بحمد ا لله لابحمدك» بالباء.

وأبوها على مثل هذا الكلام، الذى نفت فيه أن يحمد رسول الله ﷺ وأن يحمد أحد إلا الله، لأن الله -تعالى- هو الذى أنزل براءتها بغير فعل أحد، و لم يقل أحد هذا سوء أدب عليه، وسوء الأدب عليه كفر.

قال البيهقي ثنا(١) أبو عبدالله الحافظ قال سمعت علي بن [حمشاذ العدل](٢) سمعت أحمد بن مسلمة(٣) يقول سمعت محمد بن مسلم [بن واره](٤) يقول سمعت حبان(٥) صاحب ابن المبارك يقول قلت لعبدالله بن المبارك قول عائشة للنبي ﷺ حين نزلت براءتها من السماء (بحمد الله لابحمدك)(٦) إني لأستعظم هذا

١-في(ف) و(د) حدثنا.

٢-مابين المعقوفين في (د) الحمسا وفي (ح) الحمساد العدل وفي الأصل و(ف) حمساد العدل لم تنقط ورسمت الذال في حمشاذ قريبة من الواو، والصواب ماأثبت أعلاه فهو على بن حمشاذ العدل أحد شيوخ الحاكم صاحب المستدرك ثقة حافظ. انظر السير جـ١٥/٣٩٨-٣٩٩.

٣-لم أجد من ذكره، ولعله أحمد بن سلمه بن عبدالله النيسابوري، حافظ حجة عدل رفيق مسلم في الرحلة : انظر السير جـ١٣/٣٧٣ رقم الترجمة ١٧٤ وهو من تلاميذ ابن واره كما في تهذيب الكمال للمزي

٤-في الأصل و(ف) وارث بالثاء وفي (د) ورات، قلت: ولعلها تصحيف، وسقطت من (ح) ، وهو محمد بن مسلم ابن وارة، حافظ ثقة، يضرب به المثل في الحفظ. انظر السير جـ١٣/٢٨.

٥-هو أبو محمد حبان بن موسى بن سوار السلمي المروزي ثقة ، انظر تقريب التهذيب جـ١/١٨٢ رقم ١٠٨٠.

٦-في (د) (نحمد الله لانحمدك).

القول؟ فقال عبدالله: «ولت الحمد أهله»[١].

١٥٩ وكذلك الحديث الذى رواه/ الإمام أحمد في مسنده حدثنا محمد بن مصعب ثنا[٢] سلام بن مسكين والمبارك عن الحسن عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ أتى باسير، فقال

اللهم إني[٣] أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال النبي ﷺ **«عرف الحق لأهله»**[٤] [ورواه][٥] أبو عبيد في كتاب الأموال عن عبدالرحمن ابن مهدي عن سلام.

١- لم أجد هذا الأثر وجميع رجال الإسناد ثقات. وقال الحافظ ابن العربي المالكي في عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (طبعة دار العلم - سوريا) جـ١١/٥٤: قالت العلماء : ولت الحمد أهله ا.هـ.

٢-في (د) حدثنا.

٣-(إني) سقطت من (ف).

٤-أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ٣/٤٣٥ والطبراني في المعجم الكبير جـ١/٢٨٦ رقم ٨٣٩، ٨٤٠ والحاكم في المستدرك في كتاب التوبة والانابة جـ٤/٢٥٥ وقال صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بقوله: ابن مصعب ضعيف واسمه محمد بن مصعب القرقسائي، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب جـ٢/١٣٤ رقم ٦٣٢١ في محمد بن مصعب: صدوق كثير الغلط ا.هـ، وفي الحديث علة أخرى وهي تدليس الحسن البصري . انظر كتاب تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر ص١٠٢ رقم ٤٠، وقد أخرج الحديث أيضاً -كما ذكر المؤلف- أبو عبيد بن سلام في كتاب الأموال ص١٤٩ رقم ٣٦٦ تحقيق محمد خليل هراس (الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ) مرسلاً عن الحسن عن النبي ﷺ ولم يذكر الأسود بن سريع.

٥-كذا في (ف) وفي الأصل و(د) و(ح) (رواه) بدون واو.

تعليم النبي ﷺ أصحابه تجريد التوحيد

وكان النبي ﷺ يُعلم أصحابه تجريد التوحيد[١]، **فقال** «**لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد**»[٢] وقال له رجل ماشاء الله وشئت فقال «**اجعلتني لله ندا، بل**[٣] **ماشاء الله وحده**»[٤] وما أحدثه الله -عزوجل- بغير فعل منه إضافة إلى الله وحده، كما في الصحيحين لما تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وآذن النبي ﷺ الناس بتوبتهم، فجاء كعب إليه فقال: «**ياكعب أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**، فقال: يارسول الله أمن عند الله أم من عندك؟ قال: **بل من عند الله**»[٥] ومعلوم أنه لو كان من عند النبي ﷺ لكان من عند الله، بمعنى أن الله خلقه وأحدثه بتوسط فعل النبي ﷺ، فجميع الحادثات من عنده بهذا الاعتبار، ولكن المقصود أن النبي ﷺ لم

١-انظر: كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن النجدي الحنبلي ص١١٨ باب ماجاء في حماية المصطفى جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ، وكتاب فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن أيضا ص٤٣١ نفس الباب (ولا يوجد معلومات عن الطبعة) ، والقول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد العثيمين عناية د.سليمان أبا الخيل ود. خالد المشيقح جـ٣/٢٧٦ نفس الباب (الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.)

٢-سبق تخريجه ص ٢٥٥

٣-(بل)سقطت من (ف).

٤-سبق تخريجه ص١٣٨-١٣٩

٥-أخرجه البخاري في (كتاب المغازى، باب حديث كعب بن مالك) جـ٣/١٣٣٢ رقم ٤٤١٨ وأطرافه: ٤٦٧٦، ٤٦٧٧ واللفظ له، ومسلم في (كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه) جـ٤/٢١٢٠ رقم ٢٧٦٩.

يصدر منه فعل في هذه التوبة، إلا أنه بلغ[١] رسالة الله -تعالى- بالتوبة، كما قال[٢] في مثل ذلك **﴿وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا مايوحى إلى﴾** [سورة يونس:١٥].

استطراد حول نسبة الكلام للإنسان

وما يتكلم به الإنسان من تلقاء نفسه وإن كان الله خالقه ، هو من عند الله باعتبار خلقه وتقديره، فليس هذا المعنى هو ذاك، فإنه هناك مبلغ لكلام مرسله والله يجعله مبلغاً له لايجعله قائلاً له من تلقاء

١٦٠

نفسه، ولهذا توعد الله من جعل القرآن قول البشر بقوله **﴿سأصليه/ سقر﴾**[سورة المدثر:٢٦] وقد قال تعالى **﴿إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً ماتذكرون﴾** [سورة الحاقة:٤٠-٤٢] فجعله قول رسول من البشر، كما جعله قول رسول من الملائكة؛ في قوله **﴿إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين﴾**[سورة التكوير:١٩-٢١] [لأن][٣] لفظ الرسول يستلزم المرسل ويدل على أنه مبلغ له عن مرسله لايتكلم به من تلقاء نفسه، بخلاف من جعله قولاً لمخلوق بشر[٤] أو ملك أو

١-(بلغ)سقطت من (د).

٢-في (د) تعالى.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (لا أن).

٤-كذا في (ف) و(د) ، وفي الأصل بشراً بالنصب وهو خطأ لأن "بشر" صفة لمخلوق مجرور مثله.

جني، أو جعل شيئاً منه قوله، فإن هذا هو الذى توعده ا لله-عزوجل-.

وأيما أبلغ قول عائشة -رضىا لله عنها-: ((لاأحمد الرسول ولا أحمد إلا ا لله))، وقول الأسير: ((أتوب إلى ا لله لاإلى محمد))، وقول القائل لايستغاث بالرسول بل با لله أو لايدعى الرسول وإنما يدعى ا لله ونحو ذلك؟! وهو ﷺ قد بلغ براءتها وكان يحبها ويحب براءتها، وقد خطب الناس قبل ذلك وقال:«**من يعذرني من رجل قد بلغني أذآه في أهلي فوا لله ماعلمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه إلا خيرا**»[١] لكن لما لم يجزم ببراءتها و لم يلطف بها اللطف الذي كان يلطف بها قبل ذلك، لما حصل عنده من الريب، بل كان إذا دخل يقول: «**كيف تيكم**»؟، ولما خطب قال: «**ياعائشة إن كنت بريئة فسيبرئك ا لله**[٢] **وإن كنت ألممت بذنب فاستغفر[ي]**[٣] **ا لله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب ؛ تاب ا لله عليه**»[٤] قالت:« أنتم

استطراد في الكلام على براءة عائشة رضي ا لله عنها

١-أخرجه البخاري في(كتاب التفسير، باب قوله ﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم**﴾ الآية) جـ٣/١٤٨٤ رقم ٤٧٥٠ ومسلم في (كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف) جـ٤/٢١٢٩ رقم ٢٧٧٠ واللفظ للبخاري.

٢-في (د) تعالى.

٣-كذا في (ف) و(ح) وسقط من الأصل و(د).

٤-أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب قوله **تعالى** ﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ...**﴾ الآية رقم ٤٧٥٠ جـ٣/١٤٨٤ ومسلم في (كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف) جـ٤/٢١٢٩ رقم ٢٧٧٠ واللفظ للبخاري.

مابرءتموني إنما برأني ا لله فهو الذى يستحق أن أحمده»[١].

استطراد حول حديث الإفك

وقد تنازع الناس[٢] في النبي ﷺ هل كان يعلم براءة عائشة - رضىا لله عنها[٣]- قبل نزول الوحي؟[٤] مع اتفاقهم على أنه لم يجزم

١- لم أجد هذه اللفظة وقد سبق ذكر الروايات وهي قريبة منها.

٢-في (د) ناس.

٣-مابين الشرطتين سقط من (د).

٤-لعل مراد المؤلف -رحمه ا لله- من هذا الاستطراد الرد على من يغلو في النبي ﷺ ويصفه بصفات الرب -تعالى-؛ فهذه المسألة توضح وتبين أنه ﷺ لايعلم الغيب وأن الأمر كله لله -تعالى- وهذه المسألة مسألة دقيقة، ذهب الناس فيها مذاهب:

الأول: منهم من قال: إنه ﷺ يعلم براءتها لأن فجور الزوجة يقدح في النبوة، ولكن توقف عن إظهار ذلك ، واختلفوا فقال بعضهم: أ- إنه ليس للحاكم أن يحكم لنفسه، لأن النبي ﷺ لما أن كان له في هذا الأمر حق لم يحكم فيه، وإنما طلب من يحكم له في ذلك فقال:«من يعذرني من رجل» ومعناه من يأخذ لي منه الحق ويحكم لي عليه. وقد ذهب إلى هذا عبدا لله بن أبي جمرة الأندلسي في بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها "شرح مختصر البخاري" جـ٣/٥٩ (الطبعة الثالثة الناشر دار الجبل بيروت - لبنان) قلت: وهذا يعارض بحكم النبي ﷺ لنفسه فى مواضع.

ب- إن القاذفين كانوا من المنافقين وأتباعهم، وقد عرف أن كلام العدو المفتري ضرب من الهذيان، وأن الإفك معلوم كذبه قبل نزول الوحي ، وذهب لهذا فخر الدين الرازي في تفسيره المشتهر "بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب" جـ٢٣/١٧٤ (طبعة ١٤١٠هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان) ويعارض ذلك بأن ممن قال بالإفك حسان ومسطح والأخير بدري.

....

الثاني: أنه ﷺ لايحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي، لأنه ﷺ لم يجزم في القصة بشئ قبل نزول الوحي، وأن التنقيب لإقامة الحجة وقطع شبة المخالفين ، وذهب لذلك ابن حجر في الفتح جـ٨/٦١٠،٦١٦ وغيره.

وقال بعضهم: إن سؤال النبي ﷺ لعائشة إن كنت قارفت أو ظلمت لم يرد به النبي ﷺ قط أنه الفاحشة، ومن قال ذلك فقد كفر كفراً مبيناً، فإنه مابغت امرأة نبي قط،وما كان ا لله ليسلط على فراش رسوله من يلطخه وقد صانه من أن تنكح أزواجه من بعده، وقد ذهب إلى هذا ابن العربي في عارضة الأحوذي جـ١١/٥٢.

فأجاب آخرون أنه يجوز أن يقال: لم يكن معلوماً قبل الوحي شرط عدم فجور الزوجة، وإنما علم بعد نزول آيات براءة عائشة -رضيا لله عنها-، وعدم العلم بمثل ذلك لايقدح في منصب النبوة، واستدلوا بسؤال النبي ﷺ لعائشة، وقول أبي بكر أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت مالا أعلم؟ .. انظر روح المعاني للألوسي جـ١٨/١٣١.

الثالث: منهم من قال: حصل له نوع شك وترجحت البراءة، وأجابوا على الفريق الأول أنه يجوز أن يقال: إنه لايعد فجور الزوجة منفرا إلا إذا أمسكت بعد العلم به فلا يجوز أن يقع فيجب طلاقها، وإذا طلقت لايتحقق المنفر المخل بالحكمة، ويقول الألوسي في روح المعاني جـ١٨/١٢٢: ولعل الحق أنه عليه الصلاة والسلام قد أخفى عليه أمر الشرطية إلى أن اتضح أمر البراءة ونزلت الآيات فيها لحكمة الابتلاء وغيره ما ا لله تعالى أعلم به، وقول أولئك الأصحاب: سبحانك هذا بهتان عظيم لم يكن ناشئاً إلا عن حسن ظن، و لم يتمسك به ﷺ لأنه لايحسم القال والقيل ولا يرد به شيء من الباطل ا.هـ.

الرابع: قال آخرون: إنه ﷺ توقف في أمرها ، وسأل عنها، وبحث واستشار، وهو أعرف با لله، وبمنزلته عنده وبما يليق به، لأن هذا من تمام الحكم الباهرة التى جعل ا لله هذه القصة سبباً لها، وابتلاء وامتحان لرسوله، ولجميع الأمة إلى يوم القيامة، واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حُبس عن رسول ا لله ﷺ الوحي شهراً في شأنها،

--

بالريبة، فمن الناس قال يعلم براءتها وكذلك علي؛ ولكن لخوض

لأيوحى إليه في ذلك شيء لتتم حكمته التى قدّرها وقضاها، وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق وحسن الظن با لله ورسوله وأهل بيته، والصديقين من عباده،ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقا، ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم، ولتتم العبودية المرادة من الصِّديقة وأبويها، ولتشتد الفاقة والرغبة والافتقار إلى ا لله والذل له وحسن الظن به والرجاءِ له،ولينقطع رجاؤهَا من المخلوقين.

ومن حكمة حبس الوحي شهراً، أن القضية مُحِصت وتمحصت، واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى مايوحيه ا لله إلى رسوله فيها وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع فورد الوحي عليهم فوقع منهم أعظم موقع وألطفه وسروا به أتم السرور.

فلو أطلع ا لله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحي على الفور، لفاتت هذه الحكم وأضعافها، وأيضا فإن ا لله أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده، وكرامتهم عليه، ويتولى سبحانه الدفاع والمنافحة عنه. ولما كان هو المقصود ﷺ بالأذى فلم يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه، أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها. وعنده ﷺ من القرائن التى تشهد ببراءة الصدّيقة أكثر مما عند المؤمنين، ولكن لكمال صبره وثباته وحسن ظنه بربه، وثقه به، وفّى مقام الصبر والثبات وحسن الظن بربه حقه، حتى جاءه الوحي ﷺ وحِكم هذه المسألة عظيمة وكثيرة وهذا القول أولى الأقوال وقد ذهب إليه ابن القيم وعبدالغنى المقدسي والشايع وغيرهم.

للتوسع انظر: حديث الإفك تأليف عبدالغني المقدسي تحقيق هشام السقا ص٤٣ وما بعدها طبعة ١٤٠٥هـ الناشر دار عالم الكتب الرياض وبهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها (شرح مختصر صحيح البخاري لأبي محمد عبدا لله بن جمرة الأندلسي جـ٤٢/٣ وما بعدها، وعارضة الأحوذي لابن العربي المالكي جـ٤٧/١١ وما بعدها، وتفسير الفخر الرازي جـ١٧٣/٢٣ وما بعدها، وزاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية جـ٢٥٩/٣ تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط الطبعة الخامسة والعشرون ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان ومكتبة المنار الإسلامية – الكويت، وفتح الباري لابن حجر جـ٦٠٨/٨ وما بعدها، وروح المعاني للعلامة الألوسي

==

الناس فيها ورميها بالإفك توقف ، قالوا/ وذلك أن نساء الأنبياء ١٦١
ليس فيهن بغي، كما قال طائفة من السلف: «مابغت امرأة نبي قط» [١]، لأن في ذلك من العار بالأنبياء مايجب نفيه، وقال آخرون بل كان النبي ﷺ حصل له نوع شك وترجحت عنده براءتها؛ ولما نزل الوحي حصل اليقين، قالوا والدليل على ذلك أنه استشار في طلاقها [علياً][٢] وأسامة، فأسامة قال: « أهلك يارسول الله ولا نعلم إلا خيرا »، وقال علي: «لايضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك»، فسأل النبي ﷺ بريرة فقال[٣]: «ماعلمت على عائشة أو مارأيت؟ فقالت: ماعلمت عليها إلا مايعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها حتى تأتي الداجن[٤]

جـ١٨/١٢٢ وما بعدها، وطهارة بيت النبوة تأليف خالد الشايع الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار الجلالين ودار بلنسية الرياض - السعودية ص١٥ وما بعدها.

١-روي هذا عن ابن عباس والضحاك وغيرهما . انظر: تفسير الطبري جـ١٢/١٦١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٨/٢٠٢.

٢-كذا في (ط) وهو الصواب لأنه مفعول به منصوب وفي الأصل و(ف) و(د) و(ح) لعلي.

٣-في (ف) فقالت.

٤-الداجن: هي الحمام والشاة وغيرهما التى ألفت البيوت القاموس المحيط ص١٥٤٢ فصل الدال.

فتأكله» (١).

فسؤاله -ﷺ -(٢) لبريرة واستشارته لعلي وأسامة دليل على حصول الشك فيها، وهو لما خطب ماجزم بالبراءة فقال فيما قال: «**وا لله ماعلمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي**»(٣)، ولو كان جازماً بالبراءة لقال: إنهم كذبوا على أهلي وافتروا، وإن أهلي لبريئة مما قيل ونحو ذلك، ونفي العلم ليس علماً بالعدم، لكن هذه العبارة تصلح لدفع المتكلم ونهيه وذمه على قبول القول، كما قال تعالى ﴿**إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند ا لله عظيم**﴾[سورة النور:١٥].

والعدل الذي عُرفت عدالته إذا(٤) لم يعلم فيه من له به خبرة ماظنه(٥) إلا الخير كان عدلاً عنده، فإذا جرحه جارح لم يعلم صدقه بل ترجح عنده كذبه لم يقدح في عدالته ولم يوجب الجزم ببراءته، قال صاحب هذا القول ولولا نزول براءتها من السماء لدام الشك في أمرها، وإن كان لم يثبت شيء ، ففرق بين عدم الثبوت مع حد القاذف وبين

١-أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب قوله ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة**﴾ الآية جـ٣/١٤٩٠ رقم ٤٧٥٧ ومسلم في (كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف) جـ٤/٢١٢٩ رقم ٢٧٧٠ واللفظ لمسلم.

٢-مابين الشرطتين سقط من (د).

٣-سبق تخريجه ص٥٦٢

٤-في (د) إذ.

٥-في (د) ماظن به.

١٦٢

البراءة المنزلة من السماء من الله/ -عزوجل-، ولهذا ذكر غير واحد من العلماء: اتفاق الناس على أن من قذفها بما برأها الله منه فقد كفر[١]؛ لأنه مكذب للقرآن، وأصحاب هذا القول يقولون: النبي ﷺ تردد هل يطلقها أم لا؟ لما حصل الشك؛ لكون امرأة النبي لاتكون بغيا، وكان عزمه أن يطلقها -والعياذ بالله- لو كان ماذكر صحيحا؛ لكن تأنّى وانتظر أمر الله؛ حتى بين الله له الحق، ومن قال هذا يقول المحفوظات هن اللواتي يبقين عند النبي[٢] ولا يطلقهن، وقد يقال (بل كل)[٣] من تزوجها النبي ﷺ [محفوظة][٤] وإن طلقها.

كفر من قذف عائشة رضي الله عنها

وقد تنازع الناس فيمن تزوجها النبي ﷺ وطلقها أو مات عنها قبل الدخول هل تكون من أمهات المؤمنين؟ على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره[٥]، قيل إنها تكون أما؛ فإن حرمة الأمومة ثبتت بالعقد

استطراد حول تحديد أمهات المؤمنين

١-نقل ذلك عن الإمام مالك وغيره، ونقل النووي إجماع العلماء على ذلك، وحكاه أبو يعلى وغيرهم. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٢/٣٠٥ وشرح مسلم للنووي جـ١٧/١٢٢ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٣/٢٧٦ والموسوعة الفقهية -الكويت جـ٦/٢٦٩.

٢-في (د)(صلى الله) كذا.

٣-في (ف)(بكل).

٤-كذا في (ف)و(د) و(ح) وفي الأصل (محفظة).

٥-اختلف العلماء فيمن طلقها النبي ﷺ هل تكون من أمهات المؤمنين؟ على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها ليست من أمهات المؤمنين.

--

كمـا ثبتت في أمهات النـاس، وقيـل : لاتكـون مـن أمهـات المؤمنـين، والصحيح الفرق بين من طلقها ومن مات عنها، فمن مات عنهـا فهـي

الثاني: أنها من أمهات المؤمنين.

الثالث: التفريق بين المدخول بها وغير المدخول بها.

قـال ابـن كثَـير رحمـه الله في البداية والنهاية جـ٥/٢٨٦، : إن مـن تزوجهـا ﷺ وطلقها قبل أن يدخل بها فهذه تحل لغيره أن يتزوجهـا، ولا أعلـم في هـذا القسـم نزاعا ا.هـ قلت: بل فيه نزاع وقـد قـال الإمـام الشـافعي وغـيره إنهـا مـن أمهـات المؤمنين لايحل نكاحها كما نقل عنه ابن الملقن في غاية السـول ص٢٢٥ والراجـح أنها ليست من أمهات المؤمنين لما ذكره المؤلـف أعـلاه مـن زواج عكرمـه. انظـر: الموسوعة الفقهية الكويتيه جـ٦/٢٦٧.

أما من دخل بها ﷺ ثم طلقها في حياته ﷺ فاختلف العلماء على قولين:

أحدهما:أنها ليست من أمهات المؤمنين ويجوز لها أن تتزوج واستدلوا بآية التخيير.

والثاني: أنها من أمهات المؤمنين ولا يحل الزواج بهـا لقولـه **تعالى ﴿ولا تنكحـوا أزواجه من بعده أبدا﴾** الآيـة[سـورة الأحـزاب:٥٣]، وقبـل الـترجيح هنـا مسـألة مهمـة هـل طلـق النبي ﷺ امـرأة بعـد أن دخـل بهـا؟ الـذى في حديـث البخـارى جـ٣/١٥٠٦ رقـم ٤٧٨٦ في (كتـاب التفسـير، بـاب **﴿وإن كنـتن تـردن الله ورسوله ...﴾** أن نساءه ﷺ جميعهن اخترن الآخرة، وضعف روايات الطـلاق ابـن حجر في الفتح جـ٨/٦٧٠ وانظر حاشية غاية السول ص٢٤٨.

وقد رجح الأول المؤلف في مجموع الفتاوى جـ٣٢/١١٩ وقواه ابن كثير في تاريخه جـ٥/٢٨٦ ورجح الثاني الإمام الشافعي وابن الصلاح وجمع من علماء الشافعية انظر :غاية السول في خصائص الرسول ص٢٢٥، وإذا لم يثبت أنه ﷺ طلـق امـرأة دخل بها فلا حاجة للبحث في المسألة والله أعلم. وللتوسع انظر غاية السول لابن الملقن ص٢٢٣ وما بعدها تحقيق عبدالله بحر الدين، وأزواج النبي ﷺ للإمـام محمـد يوسـف الصـالحي الدمشـقي ص٢٣٥ تحقيـق محمـد نظـام الديـن الطبعـة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار ابن كثير دمشق، بيروت.

من أمهات المؤمنين ومن أزواجه في الآخرة، بخلاف من طلقها فإنها تباح لغيره أن يتزوجها، ولولا هذا لم يحصل لهن بالتخيير (فائدة، وقد قال تعالى في آية التخيير)[1] ﴿**إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً**﴾[سورة الأحزاب:٢٨]، وقد تزوج عكرمة بن أبي جهل امرأة كان طلقها رسول الله ﷺ وأقره الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- على ذلك[2].

الوجه الخامس: اللوازم الباطلة لكلام البكري في سوء العبارة

الخامس: أن يقال ماحد سوء العبارة التى تكون كفرا؟ فإن هذا كلام مجمل لم يحصل قائله مراده به، فإن أراد أن كل صفة هي ثابتة في

١-مابين القوسين سقط من (د).

٢-المرأة التى تزوج عكرمة هي قتيلة بنت الأشعث، وقد أخرج الحاكم في المستدرك جـ٣٨/٤ كتاب معرفة الصحابة قال: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى ثم تزوج رسول الله ﷺ حين قدم عليه وفد كنده قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس في سنة عشرة ثم اشتكى في النصف من صفر ثم قبض يوم الاثنين ليومين مضيا من شهر ربيع الأول و لم تكن قدمت عليه ولا دخل بها، ووقت بعضهم وقت تزويجه إياها فزعم أنه تزوجها قبل وفاته بشهر وزعم آخرون أنه تزوجها في مرضه وزعم آخرون أنه أوصى أن تخير قتيلة إن مات فيضرب عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين ، وإن شاءت فلتنكح من شاءت ، فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة ابن أبي جهل بحضرموت فبلغ أبا بكر، فقال: لقد هممت أن أحرق عليهما، فقال عمر بن الخطاب: ماهي من أمهات المؤمنين ولا دخل بها النبي ﷺ ولا ضرب عليها، وزعم بعضهم أنها ارتدت ا.هـ.

وللتوسع انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٦٨/١٤ وكتاب أزواج النبي ﷺ تأليف محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي ص٢٥٧، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر جـ٨٨/١٨-٨٩ طبعة دار نهضة مصر -القاهرة.

نفس الرسول له[١] إذا نفاها [عنه][٢] إنسان باجتهاده يكون مسيئاً في العبارة؛ لزم أن كل من أثبت له صفة يكفر من نفاها، فالقائلون بالعصمة يكفرون نفاتها وإن كانوا جمهور الأمة، كذلك من/ أوجب له حقاً كالصلاة عليه في الصلاة يكفر من نفى هذا الحق وإن كانوا جمهور الأمة.

١٦٣

الوجه السادس: إجماع الأمة على عدم تكفير المسلم إن أخطأ في العبارة

السادس: أن يقال لانسلم أن المقصود [إذا][٣] صح يكفر المعبر بعبارة يقال إنها سيئة، وهذا قول لم يقله أحد من أئمة المسلمين[٤]، بل هم مجمعون على نقيضه، وأن المسلم إذا عنى معنى صحيحاً في حق الله أو الرسول[٥] و لم يكن خبيراً بدلالة الألفاظ؛ (فأطلق لفظاً)[٦] يظنه دالاً على ذلك المعنى وكان دالاً على غيره، أنه لايكفر، ومن كفر مثل هذا كان أحق بالكفر ؛ فإنه مخالف للكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وقد قال تعالى ﴿لاتقولوا راعنا﴾[سورة البقرة:١٠٤] وهذه العبارة كانت مما يقصد به اليهود إيذاء النبي ﷺ؛ والمسلمون لم يقصدوا ذلك فنهاهم الله عنها و لم يكفرهم بها، والمطلق لمثل هذا على الله لايكفر،

١-(له) سقطت من (د).

٢-كذا في (ف) وفي الأصل و(د) و(ح) عن.

٣-كذا في (ف)و(د) و(ح) وفي الأصل (إذ).

٤-في (ف) المسلمون.

٥-في (د) ﷺ.

٦-مابين القوسين سقط من (ف).

فكيف على الرسول[1]!!.

وقوله (إن كلام الإمام[2] أو غيره دل على[أن][3] ذلك ممنوع) فإن إمام الحرمين أجل من أن يقصد مثل هذا، وإن سُلم أنه قال ذلك ؛ ولا ينفع هذا المحتج تسليم ذلك له، فالكلام مع من قال هذا لو كان مجتهداً؛ دع إذا كان القائل ممن ليس له وجه في مذهبه، ولا يجوز لأحد أن يقلده ولا يفتي بقوله فيما هو دون هذه المسألة، فكيف بمثل[4] هذه المسألة المتعلقة بالتكفير والدماء[5]، وجهل مثل هذا المفتي بالشرع وأدلته [يوقعه][6] فيما لم يقله أحد من علماء المسلمين، ولهذا يقع في فتاويه من العجائب مالا يقوله أحد، فإنه يحب أن يفتي بمجرد رأيه ونظره مع قلة علمه لمسالك الأحكام ومدارك الحلال والحرام وأقوال أئمة الإسلام.

جهل البكري في فتواه

وأما قوله : (أترى[7] إلزام الله للصحابة بتحسين الخطاب معه وإيراده بكيفية الأدب حيث قال لهم ﴿**لاترفعوا أصواتكم فوق صوت**

استدلال البكري في وجوب الأدب مع النبي ﷺ

١-في (ف) ﷺ.

٢-هو إمام الحرمين أبو المعالي الجويني وقد سبق ترجمته ص ٢٠٨

٣-مابين العقوفتين يقتضيه السياق و لم يرد في جميع النسخ .

٤-في (ف) في مثل.

٥-في (د) الدعاء.

٦-كذا في(ط) وفي جميع النسخ (توقعه)ولايصح .

٧-في ص ٥٥٤ أورد المؤلف النص (ألاترى)

النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون﴾[سورة الحجرات:٢] وقال تعالى **﴿لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾**[سورة النور:٦٣] **وقال ﴿إن الذين/** ١٦٤ **ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون﴾**[سورة الحجرات:٤]).

رد ابن تيمية

فيقال له: هذه الآيات كلها حجة عليك فإن الذين رفعوا أصواتهم فوق صوته نهوا عن ذلك وحرم ذلك عليهم، فكان ذلك سوء أدب و لم يكفروا بإجماع المسلمين، بل كانوا معذورين فيما فعلوا قبل النهي، فمن أطلق عبارة لها معنى صحيح و لم يعلم[١] أنها مكروهة كيف يكفر!! وهذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر كما ثبت ذلك في الصحيح[٢]، ومن كفرهما فهو أحق بالكفر.

وقد ثبت في الصحيح أن ثابت بن قيس بن شماس - وكان يرفع صوته - خاف لما نزلت هذه الآية أن يكون من أهل النار، فبشره النبي

١-سقطت من (د).

٢-يشير إلى ماأخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب **﴿لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ... الآية﴾** جـ٣/١٥٣٧ رقم ٤٨٤٥ قال ابن أبي مليكة:كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر -رضيا الله عنهما-، رفعا أصواتهما عند النبيﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فاشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بنى مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لاأحفظ اسمه، فقال: أبو بكر لعمر: ماأردت إلا خلافي، قال: ماأردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل ا لله **﴿ياأيها الذين أمنوا لاترفعوا أصواتكم﴾**. قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول ا لله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه. و لم يذكر ذلك عن أبيه، يعنى أبابكر.

ﷺ بالجنة(١)، وهو أحد المشهود لهم بالجنة كما شهد بها للعشرة وغيرهم، وكذلك دعاؤه باسمه لم يقل أحد من المسلمين : إنه كان كفراً ممن دعاه، وكذلك الذين نادوه من وراء الحجرات كانوا من جفاة الأعراب وقالوا: يامحمد أخرج إلينا فسموه باسمه، وإنما وصفهم الله بأن أكثرهم لايعقلون لم يقل إنهم مرتدون.

تأويل البكري للآية الثانية في سورة الحجرات

وأما قوله (فقد نبه في الأول على حبط العمل بسوء الأدب، ولا يحبط العمل كله إلا بالكفر بإجماع أهل السنة).

رد ابن تيمية

فيقال: بل الآية دلت على نقيض هذا فإنه قال ﴿**أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون**﴾[سورة الحجرات:٢] أي خشية أن تحبط أعمالكم، فدلت على أن العمل لم يحبط بما تقدم من سوء الأدب؛ ولكن يخاف إذا رفعوا أصواتهم أن يجرهم ذلك إلى كفر يحبط العمل وهم لايشعرون، فالمحبط مايخاف حصوله لاما وقع منهم، وهذا كما يقال المعاصي بريد الكفر، فإن رفع الصوت عليه والجهر له كجهر بعضكم لبعض قد يفضي بصاحبه إلى الاستعلاء عليه ونحو ذلك مما هو كفر.

ثم يقال مانحن فيه ليس من هذا الباب، فإن الرافع قد فعل مايعلم أنه مذموم في/ حق الرسول(٢)، فإن رفع الإنسان صوته على غيره يعلم ١٦٥

١-أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحجرات) جـ٣/١٥٣٨ رقم ٤٨٤٦ من حديث أنس بن مالك رضيا الله عنه- وأوله « أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس ... الحديث».

٢-في (د) ﷺ.

كل أحد أنه قلة احترام له، وليس أنه كمن تكلم بعبارة لايعلم بها بأسا؛ قصد بها معنىً صحيحاً، ألا ترى أن الصحابة لما كانوا يقولون راعنا ؛ وهذه الكلمة قد يقصد بها معنىً فاسداً[١] ، وهم لا[يقصدون][٢] ذلك لكن كان ذريعة لغيرهم نهوا[٣] عنها، و لم يقل إنكم كفرتم ولا قيل فيها أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون؛ بل فرق الله -تعالى- بين قولهم راعنا وبين رفع الصوت عليه، وسوء العبارة مع صحة القصد من باب قولهم راعنا، وهذه الآية حجة على بطلان مافهمه من كلام الإمام وغيره.

ومن الحكايات [المعروفة][٤] عن الشافعي[٥] أن الربيع[٦] قال له في مرضه: ياأبا عبدالله قوى الله ضعفك، فقال: ياأبا محمد لو قوى ضعفي لهلكت، فقال له الربيع: لم أقصد إلا خيرا، فقال: لو شتمتني صريحاً

١-في (د) و(ح) بالضم.

٢-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) يقصدوا.

٣-كذا في جميع النسخ والأولى فنهوا عنه.

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (المعرفة).

٥-في (د) رحمه الله تعالى، والشافعي هو محمد بن إدريس الشافعي الإمام المعروف.

٦-الربيع: هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبدالجبار بن كامل المرادى بالولاء، المؤذن صاحب الإمام الشافعي، وراوي كتبه. ولد سنة ١٧٤هـ كان مؤذنا بالمسجد الجامع بفسطاط مصر المعروف اليوم بجامع عمرو بن العاص. كان الشافعي يحبه، وقال: ماأخذ منى أحد قط ماأخذ منى الربيع، توفي في شوال سنة ٢٧٠ هـ وهذه الحكاية أوردها السبكي في طبقات الشافعية جـ١/٢٦١ انظر طبقات الشافعية الكبرى جـ١/٢٥٩ والأعلام جـ٣/١٤.

لعلمت أنك لن تقصد إلا الخير، فقال الربيع: كيف أقول؟ قال: قل برأ الله ضعفك، فإن الشافعي نظر إلى حقيقة اللفظ وهو نفس الضعف، والربيع قصد أن يسمي [الضعيف][1] ضعفاً كما يسمى العادل عدلا، ثم [لما][2] علم الشافعي بحسن قصده أوجب أن يقول: لو سببتني صريحاً -أي صريحاً في اللغة- لعلمت أنك لم تقصد إلا خيرا[3]، فقدم عليه علمه بحسن قصده و لم يجعل سوء العبارة منقصا، وقد يسبق اللسان بغير ماقصد القلب كما يقول الداعي من الفرح «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**» [4] و لم يؤاخذه الله.

فصل

احتجاج البكري بآية التوبة على كفر من استهزأ بالنبي ﷺ

وأما قوله: (وجعل الاستخفاف به كفرا كما قال الله -عزوجل- ﴿**قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لاتعتذروا * قد كفرتم بعد إيمانكم**﴾[سورة التوبة: ٦٥-٦٦] ولا أعلم خلافاً بين النقلة أن الذين نزلت فيهم هذه الآية بسبب كلامهم و[5] لم يكونوا تعرضوا لله بعبارتهم وإنما تنقصوا رسوله فجعل استخفافهم برسوله استهزاء به

١-كذا في (ح) و(ط) وفي الأصل و(ف) و(د) (ضعف) ولا يستقيم المعنى.

٢-كذا في (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٣-في (ف) الخير.

٤-يشير إلى أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها) جـ٤/٢١٠٥ رقم ٢٧٤٧ وأوله قال رسول الله ﷺ « **لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه** ... الحديث».

٥-سقطت الواو من (ف).

١٦٦ سبحانه وبآياته/ وكفى بذلك [كفرا][١]، ثم ذكر مانقله من الكتاب الذي صنفه المسمى " بالصارم المسلول على شاتم الرسول ").

رد ابن تيمية وشرح الآية وبيان سبب نزولها

فيقال: لاريب أن الاستخفاف بالنبي ﷺ كفر، والاحتجاج بهذه الآية يدل على أن الاستهزاء با لله كفر؛ وبآيات ا لله كفر، وبرسوله كفر، من جهة أن الاستهزاء كفر وحده بالضرورة، فلم يكن ذكر الاستهزاء بآياته وبرسوله [شرطا][٢] [في ذلك][٣]، فعلم أن الاستهزاء بالرسول أيضاً كفر وإلا لم يكن في ذكره فائدة، وكذلك الاستهزاء بالآيات، وأيضا فإن الاستهزاء بهذه الأمور متلازم، فإن من استهزأ بآيات ا لله التى جاء بها الرسول فهو مستهزئ بالرسول ضرورة، ومن استهزأ بالرسول فهو مستهزئ برسالته حقيقة، ومن استهزأ بآيات ا لله ورسوله فهو مستهزئ به[٤]، ومن استهزأ با لله فإنه مستهزئ بآياته ورسوله بطريق الأولى، وأما الذين نزلت فيهم هذه الآية فقد [نزلت في المنافقين في غزوة تبوك][٥].

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (كفر) بدون الف، وفي ص ٥٥٤ ذكر المؤلف الجمله ورسم هذه الكلمة : (تكفيرا)

٢-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) شرط بدون الف.

٣-مابين المعقوفتين من (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

٤-في (ف) زاد الناسخ حقيقة ثم شطبها.

٥-بياض في جميع النسخ في الأصل و(ف) بمقدار سبع كلمات وفي (د) و(ح) بمقدار كلمتين، وما بين المعقوفتين هو مايتطلبه السياق وانظر سبب نزول الآية في تفسير الطبري جـ٥/٤٠٩.

بيان استهزاء القبوريين

لكن هؤلاء الضالون أولى بالدخول في الاستهزاء با لله وبآياته ورسوله من منازعيهم، فإن كانت الآية تتناول المتأولين من أهل القبلة كانوا أحق بالدخول، وإن لم تتناول المتأولين كان منازعوهم أحق بالخروج منها لو كانوا مخطئين، وأما [مع][1] كونهم مصيبين فلا وجه لتناول الآية لهم، وذلك أن هؤلاء الضالين مستخفون بتوحيد ا لله، يعظمون دعاء غيره من الأموات[2]، وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به.

مقارنة بين القبوريين والمشركين في موقفهم من الأنبياء

كما أخبر تعالى عن المشركين بقوله[3] ﴿**وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذى بعث ا لله رسولا * إن كاد ليضلنا عن ءآلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا**﴾[سورة الفرقان:٤١-٤٢]/ فاستهزءوا بالرسول لما نهاهم عن الشرك، وقال تعالى عن المشركين ﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم لاإله إلاا لله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركوا ءآلهتنا لشاعر مجنون**﴾[سورة الصافات:٣٥-٣٦] قال[4] تعالى ﴿**بل جاء بالحق وصدق المرسلين**﴾[سورة الصافات:٣٧] وقال تعالى عن المشركين ﴿**وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة آلها واحداً إن هذا لشئٌ عجاب * وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على ءآلهتكم إن هذا**

١٦٧

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٢-في (د) الأمور.

٣-في (ف) تعالى.

٤-في (ف) ا لله.

لشئ يراد * ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾ [سورة ص:٤-٧] وقالت عاد لهود -عليه السلام- **﴿ياهود ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركي ءآلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض ءآلهتنا بسوء قال إني أشهد ا لله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعاً ثم لاتنظرون * إني توكلت على ا لله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾**[سورة هود:٥٣-٥٦].

ومازال المشركون يسوؤن الأنبياء[١] ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلى التوحيد؛ لما في أنفسهم من تعظيم الشرك، قال تعالى **﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا ا لله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم * قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلالٍ مبين * قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من ا لله مالا تعلمون﴾**[٢] [سورة الأعراف:٥٩-٦٢] (وقال كذلك)[٣] **﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا ا لله مالكم من إله غيره أفلا تتقون * قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين * قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين * أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم**

١-في (د) بالأنبياء.

٢-الآية الأخيرة سقطت من الأصل و(ف) وهي في (د) و(ح).

٣-مابين القوسين في (د) (ثم قال تعالى).

لينذركم واذكروا إذا جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة/ فاذكروا ءالاء الله لعلكم تفلحون * قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد ءاباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين * قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾[1] [سورة الأعراف:٦٥-٧١].

١٦٨

فأعظم ماسفهوه لأجله وأنكروه هو التوحيد، وهكذا تجد من فيه شبه من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين له؛ وأن لايعبد الإنسان إلا الله ولا يتوكل إلا عليه؛ استهزأ بذلك لما عنده من الشرك قال تعالى **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين ءآمنوا أشد حباً لله﴾**[سورة البقرة:١٦٥] فمن أحب مخلوقاً مثل ما يحب الخالق فهو مشرك.

استطراد في الحب في الله والحب مع الله

ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله، فالأول من تمام محبة الله وتوحيده،والثاني شرك، فالأول يكون الله هو المحبوب له لذاته ويحب مايحبه الرب -تعالى- تبعاً لمحبته، فيحب رسوله وكتابه وعباده المؤمنين كما في الصحيحين عن أنس[2] عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه**

---

[1]-في (د) ذكر الآيات إلى قوله تعالى **﴿على رجل منكم لينذركم﴾** إلى قوله **﴿مانزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾**.

[2]-في (د) رضى الله تعالى عنه وفي (ف) رضى الله عنه.

مما سواهما، ومن كان يحب المرء لايحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في[1] الكفر بعد إذ انقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار»[2] وأما الحب مع الله فهو الذى يحب محبوباً في قلبه لذاته لا لأجل الله، كحب المشركين أندادهم.

تعظيم القبورية للقبور واستهزاؤهم بالله وأمثلة ذلك

وهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثانا تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله وعبادته، ويعظمون ماالتخذوه من دون الله شفعاء حتى إن طوائف منهم يستخفون بحج البيت وبمن [يحج][3]/ البيت، ويرون أن زيارة أئمتهم وشيوخهم أفضل من حج البيت، وهذا موجود في الشيعة وفي المنتسبين إلى السنة، وآخرون يستخفون بالمساجد وبالصلوات الخمس فيها ، ويرون أن دعاء شيخهم أفضل من هذا، وهذا موجود في الشيعة المنتسبين إلى يونس القينى[4]

١٦٩

١-في (د) (إلى).

٢-أخرجه البخاري في (كتاب الأدب، باب الحب في الله) رقم ٦٠٤١ جـ٤/١٩٠٨ ومسلم في (كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان) رقم ٤٣ جـ١/٦٦ واللفظ لمسلم، إلا أن المصنف جمع بين روايتى مسلم.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل يحجج.

٤-هكذا في جميع النسخ وفي (ط) القيسني ، وفي السير للذهبي جـ٢٢/١٧٨ والشذرات جـ٥/٨٧ القُيني، الياء قبل النون ويونس القيني: هو يونس بن يوسف بن مساعد المخارفي الجزري القُيني الزاهد، شيخ اليونسية -إحدى الطوائف الصوفية- أهل شطح وخفة عقل، وصفه الذهبي بقوله: كان ذا كشف وحال، ولم يكن عنده كبير علم، وله شطح، وشعر ملحون ينظمه على لسان الربوبية، وبعضه كأنه كذب، والله اعلم بسره ا.هـ توفي بالقنية من نواحي ماردين سنة ٦١٩هـ.

--

حتى ينشدون(١):

تعالوا نخـــرب الجـــامع	ونجعـــــل فيه خمـــاره
ونكســـــر المنـــبر	ونجعـــــل منه طنبــاره
ونخـــرق المصحـــف	ونجعـــــل منه زمـــاره
وننتف لحيـــة القـــاضي	ونجعـــــل منه أوتـاره(٢)

ويحلـف أحدهـم اليمين الغمـوس كاذبـا؛ ولا يجـترئ أن يحلـف بشيخه اليمين الغموس كاذبا، ومنهم من يقول كل رزق لا يرزقـه إيـاه شيخه لايريده، ومنهم من يذبح الشاة ويقول باسم سيدي، ومنهم مـن يقول إن شيخه أفضل من الأنبياء والمرسلين، ومنهم من يعتقد فيه الإلهية كما يعتقده(٣) النصارى في المسيح، وإذا ذكـروا شـيخهم(٤) عظمـوه وادعوا فيه الإلهية، وانشدوا على لسانه:

موسى على الطور لما خر لي ناجا	وصاحب الترب ما جيتُه حتى جا(٥)

انظر: وفيات الاعيـان لابـن خلكـان جـ٧/٨٥٥ تحقيـق د.حسـان عبـاس والسـير جـ٢٢/١٧٨ رقـم الترجمة ١١٩ وشـذرات الذهـب لابـن العمـاد جـ٥/٨٧ ط١٣٩٩هـ دار المسيرة.

١-كذا في جميع النسخ والأولى(ينشدوا)

٢-القائل لهذه الأبيات هو يونس القيـني انظـر: الإلحادية عقيـدة ابـن عربـي الاتحاديـة تأليف أبي إسلام مصطفى سلامه ص٣٧ الطبعة الأولى صفر ١٤١٣هـ الناشـر دار التقوى ومكتبة خالد بن الوليد عمان -الأردن.

٣-كذا في جميع النسخ والأولى (يعتقد).

٤-في (د) سيخهم (بالسين).

٥-لم أجد من نسب هذا البيت ومن قال الأبيات السابقة واللاحقة فلا يبعد أن يكون هذا.

ولهم أيضا:

وأنا صرخت في العرش حتى ضج   وأنا حملت على علي حتى هج
وأنا البحار السبعة من هيبتي ترتج[١]

ويقولون نحن غلمان الملك، ويسمون المسجد اصطبل البطالين، ويقرؤون القرآن «وما أرسلناك إلا رحمة للمدمنين»، وألوان من هذا الجنس الذى فيه استهزاء با لله وآياته ورسوله، مع تعظيم شيخهم وغلوهم فيه[٢]، وكذلك النصيرية والإسماعيلية ونحوهم وكثير من طوائف متعدده، [يرى][٣] أحدهم أن استغاثته بالشيخ الميت إما عند قبره وإما عند قبر غيره أنفع له من أن يدعو ا لله في المسجد عند السحر، ويستهزؤون بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد/، ومن هؤلاء من يرى أن زيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الحج إلى الكعبة، وأن دعاء النبي والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة با لله ودعائه. ١٧٠

تخريب القبورية للمساجد وعمارتهم للمشاهد

وكثير من هؤلاء يخربون المساجد ويعمرون المشاهد، فتجد المسجد الذى بُني للصلوات الخمس معطلاً مخرباً ليس له كسوة إلا من

١-تنسب هذه الأبيات ليونس القيني انظر الإلحادية عقيدة ابن عربي لأبي إسلام ص٣٨.

٢-انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ تأليف محمود عبدالرؤوف القاسم ص٦٠٣ وما بعدها الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، الناشر المكتبة الإسلامية عمان - الأردن، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية تأليف صادق سليم ص٢٣٢ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.

٣-كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) ترى.

الناس ؛ وكأنه خان من الخانات، والمشهد الذى بني على الميت فعليه الستور؛ وزينة الذهب والفضة والرخام، والنذور تغدوا وتروح إليه، فهل هذا إلا من استخفافهم با لله وبآياته ورسوله [وتعظيمهم](١) للشرك !!.

مشابهة أهل القبور لمشركي العرب

فإنهم اعتقدوا أن دعاء الميت الذى بني له المشهد والاستغاثة به أنفع لهم من دعاء ا لله والاستغاثة به في البيت الذى بني لله -عزوجل- ، ففضلوا البيت الذى بُني(٢) لدعاء المخلوق على البيت الذى بُني لدعاء الخالق،وإذا كان لهذا وقف ولهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم مضاهاة لمشركي العرب الذين ذكر ا لله حالهم في قوله تعالى ﴿**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى ا لله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء مايحكمون**﴾[سورة الأنعام:١٣٦] كما يجعلون لله زرعاً وماشية ولآلهتهم زرعاً وماشية؛ فإذا أصيب نصيب آلهتهم أخذوا من نصيب ا لله فوضعوه فيه؛ وقالوا(٣) : ا لله غني وآلهتنا فقيرة(٤)، فيفضلون مايجعل لغير ا لله على مايجعل لله، وهكذا(٥) الوقوف والنذور

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل تعظيم.

٢-(بنى)سقطت من (ف).

٣-في (ف) إن.

٤-في (د) فقراء.

٥-في الأصل و(ف) (هؤلاء) وهي زيادة ولا حاجة لها في المعنى.

التى تبذل عندهم للمشاهد أعظم (مما تبذل)[١] عندهم للمساجد ولعمارة المساجد وللجهاد في سبيل الله.

مقارنة بين حال القبورية عند المشاهد وفي المساجد

وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذى يعظمه يبكي عنده ويخضع ويدعو ويتضرع، ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب،/ مالا يحصل له مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن، فهل هذا (إلا من)[٢] حال المشركين المبتدعين لاالموحدين المخلصين المتبعين لكتاب الله ورسوله!! ومثل هذا إذا سمع أحدهم سماع[٣] الأبيات يحصل له من الخضوع والخشوع والبكاء مالا يحصل له مثله عند سماع آيات الله ، فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين ولا يخشع عند سماع المخلصين المتقين، بل إذا سمعوا آيات الله استثقلوا[٤] بها وكرهوها واستهزؤوا بها وبمن يقرءوها، مما يحصل لهم به أعظم نصيب من قوله ﴿**قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون**﴾[سورة التوبة:٦٥].

١٧١

وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية كأنهم صم وعمي، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم وسكنت ألسنتهم وسكنت

١-مابين القوسين في (د) مبذول.

٢-مابين القوسين في (د) الأمر إلا.

٣-سقطت من (د) و(ح).

٤-في (د) اشتغلوا.

حركاتهم حتى لايشرب العطشان منهم الماء[1].

ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم فأذن المؤذن قالوا: نحن في شئ أفضل مما دعانا إليه، ومنهم من يقول:هذا في شغله وهذا في شغله، ومنهم من يقول:كنا في الحضرة فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا على الباب.

وقد سألنى بعضهم عمن قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال؟ فقلت: صدق كان في حضرة الشيطان فصار على باب ا لله، فإن البدع والضلالة فيها من حضور الشيطان ماقد حصل في غير هذا الموضع، والذين يجعلون دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعائهم ا لله أنواع متعددة: منهم من يقدم [دعاءهم][2]، ومنهم من يحكى أنواعاً من الحكايات ، حكاية أن بعض المريدين استغاث با لله فلم يغثه فاستغاث بشيخه فأغاثه، وحكاية أن بعض المأسورين في بلاد العدو دعا ا لله فلم يخرجه،فدعا بعض المشايخ الموتى فجاءه فأخرجه إلى بلاد الإسلام ، وحكاية أن بعض الشيوخ قال لمريده إذا كانت/ لك حاجة فتعال إلى قبري، وآخر قال فتوسل بي، وآخر قال قبر فلان الترياق المجرب،فهؤلاء وأشباههم يرجحون هذه الأدعية الشركية على أدعية المخلصين لله مضاهاة لسائر المشركين، وهؤلاء تتمثل لكثير منهم صورة شيخه الذى يدعوه فيظنه إياه أو ملكاً على صورته، وإنما هو

١٧٢

١-وانظر وصف ابن القيم لحالهم في كتابه إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان جـ١/ ٣٤٤-٣٤٧.

٢-كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

شيطان أغواه كما قد بسط في موضعه[1].ومنهم من إذا نزلت به شدة لايدعو إلا شيخه ، ولا يذكر إلا اسمه قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمّه، فيتعسر أحدهم فيقول يافلان، وقد قال الله -تعالى- للموحدين ﴿**فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم ءاباءكم أو أشد ذكرا**﴾ [سورة البقرة:٢٠٠].

ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب؛ ويحلف بشيخه وإمامه فيصدق ولا يكذب، فيكون شيخه عنده أعظم في صدره من الله ، وقد قال شعيب[2] ﴿**ياقوم أرهطي أعز عليكم من الله**﴾[سورة هود:٩٢] وقد قال تعالى ﴿**لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله**﴾[سورة الحشر:١٣] وقال تعالى ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم**﴾[سورة الأنعام:١٠٨] وقال تعالى ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله**﴾ الآية [سورة البقرة:١٦٥].

عودة للكلام على استهزاء القبورية بالله - تعالى -

فإذا كان دعاء الموتى مثل الأنبياء والصالحين عندهم يتضمن مثل هذا الاستهزاء بالله وآياته ورسوله فأي الفريقين أحق بالاستهزاء بالله وآياته ورسوله!!من كان يأمر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم مع مايترتب

١-انظر " مصباح الظلال المستغيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام " لابن النعمان المالكي فهو مليء بمثل هذه القصص، وكتاب "شواهد الحق " للنبهاني ص٢٤٢، وكتاب اتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء لعبدالله بن محمد الحسيني ص٤٠ وما بعدها الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ وغيرها.

٢-في (د) عليه السلام.

على ذلك من الاستهزاء با لله وآياته ورسوله أو من كان يأمر بدعاء ا لله وحده لاشريك له كما أمرت رسله، ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ماجاء به، وأيضا فإن هؤلاء الموحدين من أعظم الناس إيجاباً لرعاية جانب الرسول[١]، تصديقاً له فيما أخبر وطاعة له فيما أمر واعتناء بمعرفة/ مابعث به والتمييز بين ماروي عنه من الصحيح والضعيف والصدق والكذب، واتباع ذلك دون ماخالفه عملاً بقوله تعالى ﴿**اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء**﴾[سورة الأعراف:٣].

١٧٣

أمثلة على الاستدلال الباطل

وأما أولئك الضُلال أشباه المشركين النصارى فعمدتهم إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة، أو منقولات عمن لايحتج بقوله ، إما أن يكون كذباً عليه وإما أن يكون غلطاً منه، إذ هي نقل غير مصدق عن قائل غير[٢] معصوم، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول حرفوا الكلم عن مواضعه وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه، كما يفعل[٣] النصارى.

أقسام الاستغاثة وحكم كل قسم

وكما فعل هذا الضال أخذ لفظ الاستغاثة؛ وهي تنقسم إلى الاستغاثة بالحي والميت؛ والاستغاثة بالحي تكون فيما يقدر عليه وما لايقدر عليه؛ فجعل حكم ذلك كله واحداً، ولم يكفه حتى جعل السؤال بالشخص

١-في (د)ﷺ.

٢-(غير)سقطت من (ف).

٣-في (د)يضل.

من مسمى الاستغاثة أيضاً، و لم يكفه ذلك [حتى][١] جعل الطالب منه إنما طلب من ا لله لامنه، فالمستغيث به مستغيث با لله، ثم جعل الاستغاثة بكل ميت من نبي وصالح جائزة، واحتج على هذه الدعوى العامة الكلية -التى أدخل فيها من الشرك والضلال مالا يعلمه إلا ذو الجلال- بقضية خاصة جزئية؛ كسؤال الناس للنبي ﷺ في الدنيا والآخرة أن يدعو ا لله لهم؛ وتوجههم إلى ا لله بدعائه وشفاعته، ومعلوم أن هذا الذى جاءت به السنة حق لاريب فيه، لكن لايلزم من ذلك ثبوت جميع تلك الدعاوى العامة وإبطال نقيضها، إذ الدعوى الكلية لاتثبت بمثال جزئي لاسيما مع الاختلاف والتباين.

وهذا كمن يريد أن يثبت [حل جميع][٢] الملاهي لكل أحد والتقرب بها إلى ا لله بكون جاريتين غنتا عند عائشة -رضىا لله عنها- في بيت النبي ﷺ [٣] يوم عيد، مع كون وجهه كان مصروفا إلى الحائط لا إليها[٤].

١-كذا في (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (جميع حل).

٣-في (ف) زاد (فى).

٤-يشير إلى حديث عائشة عند البخارى قالت: دخل أبو بكر، وعندى جاريتان من جواري الأنصار، تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبوبكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول ا لله ﷺ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول ا لله ﷺ: «**ياأبابكر، إن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا**» (كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام) جـ١/٢٨٦ رقم ٩٥٢.

١٧٤

أو يحتج على استماع كل قول/ بقوله ﴿**فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾[سورة الزمر:١٧-١٨] ولا يدري أن القول هنا هو القرآن، كما في قوله[1] ﴿**أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت ءاباءهم الأولين**﴾[سورة المؤمنون:٦٨] (وإلا فمسلم [أنه][2] لايسوغ)[3] استماع كل قول، وقد نهى الله -عزوجل- عن الجلوس مع الخائضين في آياته، وخوضهم نوع من القول فقال تعالى ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم**[4]﴾[سورة الأنعام:٦٨] وقال[5] ﴿**وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم**﴾[سورة النساء:١٤٠] وقال[6] ﴿**وإذا مروا باللغو مروا كراما**﴾[سورة الفرقان:٧٢] وقال تعالى﴿**وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم**﴾[سورة القصص:٥٥].

١-في (د) تعالى. وانظر تفسير هذه الآية في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٥/٢٤٤ وما ذكره المؤلف هو قول طائفةٍ من المفسرين. وذكر المؤلف في مجموع الفتاوى جـ١٦/٥ : أنه قول سلف الأمة وأئمتها وأطال في تفسيرها.

٢-كذا في (ح) وفي (د) أن وسقط من الأصل و(ف).

٣-مابين القوسين في (د) (ولا نسلم أن يسوغ).

٤-في (د) ﴿**حتى يخوضوا في حديث غيره ... الآية**﴾.

٥-في (د) تعالى.

٦-في (د) تعالى.

فصـــل

نقل البكري من كتاب ابن تيمية في الرد عليه

قال: (وقد أجمع العلماء كما حكاه من يرجع إليه، على أن كل مسلم صدر عنه سب للرسول -ﷺ-[١] أو تنقيصه وجب قتله، ويحكم بكفره وردته عن دين الإسلام، على ذلك دلت نصوص السنة والكتاب، وحكم جماعة من المتقدمين بأنه[٢] يقتل بغير[٣] استتابة، كما نص العلماء أيضا أن التعريض بسبه أو تنقيصه كالصريح).

تعليق ابن تيمية

فيقال: هذا نقله من الكتاب الذى صنفته[٤] في شاتم الرسول[٥]، استعاره من بعض من كان عنده[٦]، ولهذا صار الناس يعدون هذا من قلة الحياء، فإن ذلك الكتاب ذكرت فيه في مسألة السب من دلائل الكتاب والسنة وأقوال العلماء و[٧]من تعظيم الرسول وتعزيره وتوقيره ، واستنباط مايتعلق بذلك من الكتاب والسنة مايعرفه من تأمله.

١-مابين الشرطتين سقط من (د).

٢-في (د)(من أنه).

٣-في (د) (من غير).

٤-سقطت من (ف).

٥-يشير ابن تيمية إلى كتابه " الصارم المسلول على شاتم الرسول " ، وما نقله البكري عنه اختصاراً من مواضع مختلفة انظر ص ٣،٢٥٤، ٣١٢-٣١٣ وسيأتي نقل البكري من كتاب ابن تيمية بالنص.

٦-في تلخيص الاستغاثة ص٤: وأعاره بعض الأمراء -كما أخبرني- كتابي.

٧-(الواو) سقطت من (د).

فصـــل[١]

دعوى البكري أن نفي الاستغاثة بالنبي تنقص له

قال: (ومن نفي عنه أن يستغاث به فقد تنقصه عن رتبته ولا ينفعه تأوله، لأن تأويله لايخرجه عن كونه أساء الأدب على النبي ﷺ في التعبير، على أن هذا الرجل لايثبت على التأويل وغنما يذهب إليه عند الخوف، زندقة منه على ما علمته).

١٧٥

جواب ابن تيمية وبيانه التنقيص الحقيقي للنبي ﷺ

فيقال له: قد تقدم الجواب[٢]، وتبين أن الذى/ تنقصه هو الـذى يؤذيه ويتعدى عليه، ويسلط السفهاء على أذاه ويكذب عليه ويبدل دينه الذى بعث به، لامن يأمر بما أمر الله به من تعزيره وتوقيره وتصديقه وطاعته ومحبته ورضاه وموالاته، وبما يزيده الله درجة ورفعة في الدنيا والآخرة من الصلاة والسلام عليه، وفعل التوحيد والطاعات التى يحصل[٣] له مثل أجرها، وبين أيضا أنه لم ينف عنه كل مايسمى استغاثة ، بل قد صرح بأنه يطلب منه كل مايليق بمنصبه، وأنه يستشفع به ويتوسل به كما كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يفعلون، وكما يستشفع به يوم القيامة وأن المنفي هو دعاء الميت، أو أن يطلب من المخلوق مالا يقدر عليه إلا الخالق، وبين أيضا أن ماذكره هذا الرجل في مسمى لفظ الاستغاثة وإن نفي ذلك؛ يتضمن نفي كونه سبباً في حصول غوث الله ؛كلام باطل.

١-انظر ص ٣٢٥

٢-انظر ص ٥٥٦

٣-في (ف) تحصل.

وأما قوله (و[١]لا ينفعه تأويله ... إلى آخره)، فإنما يصح لو فسر لفظ بما يخالف ظاهره، والمجيب[٢] قد بين مراده بألفاظ ناصّة[٣] لاتحتمل معنيين، فأي تأويل هنا يُحتاج إليه!! فهذا من جملة افترائه، فإن التأويل إنما يحتاج إليه إذا أطلق المطلق لفظاً له ظاهر وأراد به غير ظاهره من غير بيان، وهذا لم يقع، فإن كان بعض الناس يظهر له من اللفظ ما لم يدل عليه فالتفريط منه.

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم[٤]

استطراد حول تأويل بعض الأحاديث

وقد [بينا][٥] في غير هذا الموضع[٦] أن عامة مايورد على ألفاظ الكتاب والسنة ويُدَّعى أن ظاهرها ممتنع، إنما أُتي من سوء فهمه، لامن قصور في بيان الله ورسوله، بل [ممن][٧] تأول. مثل[٨] طائفة في قوله «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن استلمه أو صافحه فكأنما**

١-في (د) (فلا).

٢-المجيب هو شيخ الإسلام ابن تيمية.

٣-في (د)خاصه.

٤-هذا البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة له مطلعها:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم.

انظر ديوان المتنبي ص٢٣٢.

٥-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل وبين.

٦-سقطت من (د).

٧-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل مما.

٨-كذا في جميع النسخ و لم تظهر في (ح) والأولى مثل قول طائفة.

صافح الله وقبل يمينه»[١] وهذا معروف عن ابن عباس، وقد روي مرفوعاً ولم يثبت بهذا[٢] اللفظ، قالت طائفة إنه يحتاج إلى تأويل وليس/ كما قالوا فإنه قال فيه «**يمين الله في الأرض**» فقيل: الخطاب في ١٧٦

١- لم أجده بهذا السياق، وقد أخرجه ابن عدي في الكامل جـ١/٣٤٢ تحقيق د.سهيل ركاز وتدقيق يحي غزاوي الطبعة الثالثة وأحمد بن علي الخطيب في تاريخ بغداد جـ٦/٣٢٨ (الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ الناشر مكتبة الخانجي القاهرة، والمكتبة العربية – بغداد) من طريق إسحاق بن بشر الكاهلي عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح به عباده» قال ابن عدي في الكاهلى عقب الحديث: هو في عداد من يضع الحديث ا.هـ وقد روى تكذيب ابن أبي شيبه للكاهلي.

وقد أخرج ابن قتيبة في غريب الحديث جـ٢/٢٢٣ تحقيق د.عبدالله الجبورى (الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ الناشر وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية) عن ابن عباس موقوفاً عليه «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها عباده أو قال خلقه كما يصافح الناس بعضهم بعضا**» قال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ١/٢٥٧ رقم ٢٢٣ في حديث ابن قتيبة: سنده ضعيف جداً. ا.هـ وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى جـ٦/٣٩٧: -في هذا الحديث- روي عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت، والمشهور إنما هو عن ابن عباس ا.هـ وقال العلجوني في كشف الخفاء ص٤١٧ رقم ١١٠٩ في هذا الحديث ومثله مما لامجال للرأي فيه وله شواهد، فالحديث حسن وإن كان ضعيفاً بحسب أصله كما قال بعضهم ا.هـ ولكن كثيراً من المتقدمين أوردوا هذا الحديث وفسروه والتفسير فرع عن التصحيح.

ومما سبق يتضح أن الحديث موقوف على ابن عباس -رضي الله عنه- وقد سبق المؤلف في تفسير الحديث ابن قتيبة في غريب الحديث جـ٢/٣٣٧، والذهبي في السير جـ١٩/٥٢٢ والعلجوني في كشف الخفاء ص٤١٧ رقم ١١٠٩ والله أعلم.

٢-في (ف) فهذا.

الأرض لم يطلق فيه، وقال في إثباته فمن استلمه فكأنما صافح ا لله وقبل يمينه والمشبه غير المشبه به، ففي الحديث بيان أنه ليس بصفة ا لله وإنما هو بمنزلة اليمين في الاستلام والتقبيل، والحديث لايدل ولا يفهم منه غير هذا.

وكذلك قوله سبحانه «**عبدي مرضت فلم تعدني، فيقول: رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلو عدته وجدتني عنده**»[١] فهذا صريح في أن ا لله لايمرض؛ وإنما مرض عبده، ولا يحتاج إلى تأويل، وأمثال ذلك.

رمي البكري لابن تيمية بالزندقة وجوابه

وأما قوله: (إن المجيب لايثبت على التأويل وإنما يذهب إليه عند الخوف زندقةً منه[٢] على ماعلمته).

فيقال له: لاريب أن المجيب لم يذهب في كلامه إلى تأويل أحد، بل لفظه ظاهر في معناه، بل قد يكون نصا، وقول القائل : إنه يذهب إلى التأويل زندقة[٣] فهو جهل منه بمسمى[٤] الزندقة وكذبٌ ظاهر باتفاق الناس، وهو بالقائل أعلق؛ إما كونه جهلاً، فإن الزنديق هو الذى يبطن الكفر ويظهر الإسلام، فمن كان مظهراً لقوله قد كتب بأجوبة من النسخ مالا يحصيه إلا ا لله، وقد وافقه عليها علماء الإسلام

١-سبق تخريجه ص ٢١٥

٢- (منه) سقطت من (ف) و(د) وفي الأصل فوقها ح.

٣-في (ف) وزندقة.

٤-في (ف) و(د) يسمى.

و لم يذهب أحد إلى خلافها، وقد بين قوله فَي أعظم الأوقات خوفاً وتعصباً عليه وناظر عليه، وتبين للحاضرين حتى الأعداء سلامته من [هذه][1] القوادح، وظهور الجهل والكذب والظلم من منازعيه[2]، فكيف ينسب إليه إبطان خلاف مايظهر!!.

ولو قدر أن شخصاً أبطن خلاف مايظهر من الأقوال لم يكن زنديقاً إلا إذا أبطن الكفر، وإلا[3] فمن أبطن قولاً [يعتقد أنه][4] دين الإسلام/ ويناظر عليه لم يكن هذا زنديقاً عند الفقهاء، بل إن [كان][5] مخطئا فقد يكون مبتدعا، وإن كان مصيبا [وسكت][6] خوف العدوان عليه لم يكن مبتدعاً، ولو دخل [مسلم][7] دار الرافضة والخوارج فكتم حبه للصحابة -رضوان الله عليهم- لم يكن زنديقاً، ولو عَرّض لم يأثم بذلك. ١٧٧

حكم التعريض في الكلام

وقد ثبت في الصحيح أن الخليل -صلوات الله وسلامه عليه-

١-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) هذا.

٢-لعله يشير إلى ماادعى به عليه ابن عطاء الإسكندري وغيره في عام ٧٠٧هـ.

٣-(وإلا)سقطت من (د).

٤-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) يعتقده.

٥-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل كا (بدون نون).

٦-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل كلمة غير واضحة.

٧-كذا في (د) و(ف) وفي الأصل و(ح) مسلماً بالنصب.

قال عن سارة «إنها أختي»[١] عند الحاجة إلى التعريض، وكان أبوبكر الصديق -رضي الله عنه- يقول عن النبي ﷺ حين سُئل عنه في الهجرة من هذا الرجل معك ياأبابكر فيقول: «**هذا رجل يهديني السبيل**»[٢] فيحسب الحاسب أنه يريد الطريق، وإنما يريد سبل[٣] الخير، وكذلك عين المشركين يوم بدر لما جيء به إلى النبي ﷺ وسأله فقال: لاأخبركم حتى تخبروني من أين أنتم، فقال النبي ﷺ: إن أخبرتنا أخبرناك، فأخبرهم فقال: النبي ﷺ «**نحن من ماء**» [٤].

[مع][٥] أن مانحن فيه ليس من هذا الباب، فإنه لم يحصل كتمان ولا تعريض، بل صرح بالأمر على ماهو عليه، وإنما المقصود بيان جهل هؤلاء الضالين المعتدين.

١-أخرجه البخارى في (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى **﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾** رقم ٣٣٥٨ جـ٢/١٠٣٤ من حديث أبي هريرة -رضيالله عنه- وأوله «لم يكذب إبراهيم -عليه السلام- إلا ثلاث كذبات ... الحديث».

٢-أخرجه البخاري في (كتاب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة) جـ٣/١١٩٦ برقم ٣٩١١ من حديث أنس بن مالك وأوله «أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبابكر، وأبوبكر شيخ يعرف، ونبي الله ﷺ شاب لايعرف ... الحديث».

٣-في (د) سبيل.

٤-أخرجه ابن إسحاق في السيرة النبوية جـ٢/٦١٦ من طريق محمد بن يحي بن حبان ومن طريقه أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه جـ٢/١٤١ وابن كثير في تاريخه أيضا جـ٣/٣٠٠.

٥-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل كلمة غير واضحة.

تعليق المؤلف على ماوقع للبكري مع السلطان

وأيضا فيخاف من الناس من يجزع إذا أوذي ويطلب الإقالة ويستغيث بالحاضرين حتى يدفعوا عنه ماطلبه ولي الأمر من قطع لسانه، ومن نفي عن البلد فلا يدخله إلا سرا[1]، ودخل في قوله[2] ﴿**ومن أظلم ممن منع مساجد ا لله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ماكان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾[سورة البقرة:١١٤].

فإن هذا المفتري سعى في منع من يذكر ماأمر ا لله به في المسجد، فمنع من سكنى البلد الذى فيه المسجد وأخرج منه، فلم يكن يدخل المسجد إلا خائفاً، وحصل له من الخزي مالا يعرف لأحد مثله في زمانه، وكأن له شبه في أبي عامر الراهب[3] الذى بني له مسجد الضرار، وكان قد قدح في الرسول الداعي إلى/ الحنيفية ومال إلى

١٧٨

١-يشير إلى قصة حصلت للبكرى مع السلطان انظر ترجمة البكري في المقدمة .

٢-في (د) تعالى.

٣-هو أبو عامر عبد عمرو بن صيفي النعمان أحد بنى ضبيعة بن زيد وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة، وكان ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فُسمي الراهب، وقد فارق قومه الخزرج لما اجتمعوا على الإسلام وذهب إلى مكة وقاتل مع كفار قريش في أحد، وخرج إلى هرقل الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومناه؛ فكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه وقد مات وحيداً شريداً طريدا كما دعا عليه النبي ﷺ . انظر: سيرة ابن هشام جـ٥٨٦/٢ وتاريخ ابن جرير جـ٦٤/٢ وتفسير الطبري أيضا جـ٤٧٠/٦ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٢٥٥/٨ وتفسير ابن كثير جـ٣٨٨/٢.

النصرانية، وقال للنبي ﷺ إلى ماتدعو يامحمد، قال: إلى ملة إبراهيم، فقال إنك شبيه[1] بغيرها، فقال: ماشبيها بغيرها، فقال: بل شبيها بغيرها، فقال: الكاذب أماته الله طريداً شريداً وحيدا، فقال أبوعامر: آمين؛ فمات طريداً شريداً وحيداً[2].

[فأي الفريقين أولى بذلك الشبه][3] من يقابل ولاة الأمر وغيرهم من الأكابر في أخذهم بالحق وإن كرهوه؟ ومن يطلبون منه[4] أن يسكت عن حق متعلق بالدين فلا يسكت؟ فيطلبون خروجه من الضيق فيأبى الخروج حتى يظهر الحق[5]، ومن يهين الحزب الجاهل الظالم، ويبين جهله ، ومن كتب جوابه في هذه المسألة في أكثر الأمصار من لايحصي عدده[6] إلا الله من ولاة الأمور وغيرهم.

١-في (ف) و(د) شبيها.

٢-انظر سيرة ابن هشام جـ٢/٥٨٦ وتفسير الطبري جـ٦/٤٧٠ وتفسير ابن كثير جـ٢/٣٨٨.

٣-بياض في جميع النسخ . بمقدار سبع كلمات في الأصل وست في (ف) وثلاث في (د) وكلمتين في (ح) وفي هوامش جميع النسخ بياض في الأصل ، ومابين المعقوفتين يقتضيه السياق.

٤-في (د) منهم.

٥-لعله يشير إلى سجنه -رحمه الله- في الجب، حيث طلب منه الخروج من السجن بشروط، وطلبوا حضوره وتكرر الرسول عليه ست مرات، ليتكلموا معه، فامتنع من الحضور وصمم . انظر تاريخ ابن كثير جـ١٤/٤٦.

٦-في (د) عددهم.

أذى أهل البدعة لأهل السنة

وأهل السنة إذا تقابلوا هم وأهل البدعة فلهم نصيب من تقابل المؤمنين والكفار، وقال تعالى ﴿**ياأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن ءامنا با لله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون * قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند ا لله من لعنه ا لله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل**﴾[1] [سورة المائدة: ٥٩-٦٠] وهؤلاء الذين يدعون الموتى من أهل البدع ، فمنهم من مسخ خنزيرا من الرافضة ، وقد تواترت بذلك الحكايات[2]، وفيهم من يعبد الطاغوت فيصور تماثيل يتوجهون إليها، ويدخلون في مداخل السحرة[3] كما هو معروف [عن][4] غير واحد منهم، وأما غضب ا لله ولعنته بسبب كثرة كذبهم وظلمهم وفسقهم فأعظم من أن يذكر.

فصل[5]

نقل البكري من كتاب الصارم المسلول لابن تيمية

قال: (ولقد بالغ السلف في الاحتياط بجنابه ﷺ، حتى أفتى

١-في (د) لم يكتب الآية الثانية وقال: إلى قوله تعالى ﴿**أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل**﴾.

٢- ذكر بعض هذه القصص ابن النعمان المالكي في مصباح الظلام في المستغيثين بالنبي ﷺ خ ص٧١ (بترقيمي).

٣-في (د)السحر.

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل عند.

٥-بياض في (ف).

بعضهم بأن من سب (فاطمة أو عائشة)[١] أنه يقتل، وقال على هذا مضت سيرة أهل العلم، وأفتى بعض الشافعية أن من سب أبابكر أو عمر أو عثمان/ أو علياً -رضيا لله عنهم- فهو كافر، وأفتى طائفة بكفر الرافضة، ونقل عن أحمد أنه استفتي فيمن شتم عثمان فقال: هذا زندقة[٢]، وروي عن أحمد رواية أخرى أنه قال: من سب واحداً من الصحابة فقد كفر[٣]، وذكرت ذلك لتعلم عظم الوقوع في الجناب النبوي عند العلماء، وقد صح وثبت أن النبي ﷺ أباح دم من نقصه وسبه و لم يختلف في ذلك الصحابة، ولقد[٤] رووا أن ابن أبي سرح بعد وقيعته جاء به عثمان -رضي ا لله عنه- وكان أخاه من الرضاعة، وقال: بايعه يارسول ا لله، فأعرض عنه، ثم[٥] جاءه من الناحية الأخرى أيضا فقال: بايعه يارسول ا لله فأعرض عنه؛ ثم بايعه النبي ﷺ في المرة الثالثة، وقال فيما روي: ماصمتُّ إلا ليقوم إليه

١٧٩

١-في (د) (عائشة أو فاطمة).

٢-السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال تحقيق د. عطية الزهراني الطبعة الثانية ١٤١٥هـ الناشر دار الراية الرياض جـ٣/٤٩٣ رقم ٧٨١ وقال المحقق: إسناده صحيح.

٣-السنة للخلال جـ٣/٤٩٣ رقم ٧٧٩ وقال المحقق: إسناده صحيح، وكفر من سب أحداً من الصحابة أبو عبيد القاسم بن سلام. انظر: السنة للخلال جـ٣ رقم ٧٩٢ والفريابي . أنظر: السنة للخلال جـ٤٩٩ رقم ٧٩٤.

٤-في (ف) بياض.

٥-(ثم) سقطت من (ف).

أحدكم فيقتله، فقال رجل من الأنصار يارسول الله ألا أومات إلي فأقتله فقال: «إن النبي لايقتل بالإشارة»[١] وكان ذلك لتحريم خائنة الأعين عليه ﷺ[٢].

وأباح قتل ابن خطل لأنه كان ينتقصه ﷺ، وجاءه[٣] رجل عام فتح مكة، فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: «**اقتلوه**» فقتل[٤]، مع أن الروايات إذا [استقرئت][٥] علم (أنها تقتضي)[٦] أنهما جاءا مستسلمين منقادين؛ ولم يكن ذلك موجباً للعفو عنهما، ففيه دليل على أن الساب اليوم ولو أسلم يقتل حتما، كما هو مذهب

١-أخرجه أبو داود في (كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولايعرض عليه الإسلام) جـ٣/١٣٣ رقم ٢٦٨٣ وطرفه رقم ٤٣٥٩ والنسائي في (كتاب تحريم الدم، باب الحكم في المرتد) جـ٧/١٠٦ رقم ٤٠٦٤ والحاكم في كتاب المغازي جـ٣/٤٥ وقال: صحيح على شرط مسلم. قال ابن تيمية في الصارم المسلول ص١٠٩: رواه أبو داود بإسناد صحيح ا.هـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٦/١٦٩ رواه أبو داود وغيره مختصرا وأبو يعلى والبزار ورجالهما ثقات ا.هـ وألفاظهم قريبة من لفظ المؤلف.

٢-انظر غاية السول في خصائص الرسول ص١٤١-١٤٣.

٣-في (ف) وجاء.

٤-أخرجه البخاري في (كتاب جزاء الصيد، باب دخول الحرم ومكة بغير إحرام) جـ١/٤٥٨ رقم ١٨٤٦ وأطرافه: ٣٠٤٤، ٤٢٨٦، ٥٨٠٨ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

٥-كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) استقربت.

٦-مابين القوسين سقط من (د) وفي (ف) أنهما تقتضي.

مالك وجماعة، ولا يلزم من أن النبي ﷺ عفى عن بعضهم أن يجوز أن [نعفوا][١]، لأن القتل كان لحقه فله ﷺ أن يترك حق نفسه).

تعقيب ابن تيمية

فيقال: هذا كله منقول من كلام المجيب من كتاب " الصارم المسلول على شاتم الرسول"[٢]، لكنه أزال بهجته ، وحذف من محاسنه مايبين حقيقته، فالمجيب هو المنافح عن الله ورسوله، وهذا كالمتشبع[٣] بما لم يعط، ومن تشبع بما لم يعط فهو كلابس ثوبي زور[٤]، وأما تقريره واستدلاله الذى لم ينقله عن غيره فمن جنس كلامه في مسألة/ ١٨٠ الاستغاثة، وجوابه في قسم مال[٥] بيت المال ونحو ذلك[٦]، ممايخرج به عن إجماع المسلمين ، ويضحك عليه العلماء الفاضلون، ويوجب لذي

١-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) العفو.

٢-انظر ص ٥٦٦-٥٧١، ١٣٥،١٠٩ وانظر أقوال الأئمة في الشفا للقاضى عياض جـ٢/٤٧٤ وما بعدها وشرح الشفا للملاعلي القاري جـ٢/٤٧١ وما بعدها. طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

٣-في (د) كلام المتشبع.

٤-يشير إلى حديث عائشة -رضي الله عنها- أن امرأة قالت: يارسول الله أقول إن زوجي أعطاني مالم يعطني؟ فقال رسول الله ﷺ: «**المتشبع بما لم يعط، كلابس ثوبي زور**».

أخرجه مسلم في (كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره، والتشبع بما لم يعط) رقم ٢١٢٩ جـ٣/١٦٨١.

٥-سقطت من (ف) ومضافة فوق سطر في الأصل و(د).

٦- لم أجد من ذكر هذه الفتوى.

القضاء أن يحجروا عليه في الفتيا، كما وقع لهذا[1] المسكين لما فيه من الجهل بمسالك الأحكام، مع فرط الجراءة والإقدام على الكلام بالهوى والجهل في دين الإسلام، بخلاف من منع خوفاً منه ، إما لسياسة مملكته أو غير ذلك.

فصل

دعوى البكري أن نفي النبي ﷺ للاستغاثة به هو إشارة للتوحيد

قال: (ومن هذا يُعلم أن النبي ﷺ لو نفى عن نفسه أنه ينفع أو يستغاث به أو نحو ذلك؛ يشير إلى التوحيد وإفراد الباري بالقدرة، لم يكن لنا نحن أن ننفي ذلك لوجهين.

أحدهما: أن المقصد إذا صح كان وجوب بيان المقصود بعبارة موضوعة له حق الرسول ﷺ فله تركه إذا عبر عن نفسه، وغيره إذا خالف موجب الأدب معه في العبارة كفرناه على ماسلف.

والأمر الثاني: أنه إذا علم بالقواعد ثبوت رتبة للرسول ﷺ فالعبارة[2] التى توهم نفيها إذا صدرت منه ﷺ علم المراد [بها][3]؛ للدليل على عصمته وصحة تبليغه وعدم تناقض أفعاله وأقواله، وغيره ليس كذلك).

جواب ابن تيمية

فيقال له: هذا من الجهل في الاستدلال، فإن ماينفيه الرسول عن

١-في (د) هذا.

٢-في (د) في العبارة.

٣-كذا في (ف) بها ، وسيذكر المؤلف المقطع نفسه هكذا في جميع النسخ كما ص ٦١١ ، وفي الأصل و(ف) و (ح) (ومنها)

نفسه هو صادق فيه وفي جميع مايقوله[١]، فإنه ﷺ هو الصادق المصدوق، وهذا خبر أخبر به والخبر يكون إثباتاً ويكون نفياً، وهو صادق فيما يثبته لنفسه وفيما ينفيه عن نفسه، وعلينا أن نصدقه في ذلك.

لايجوز العفو عمن سب النبي ﷺ بعد موته

وليس [هذا][٢] من جنس عفوه عمن آذاه؛ فإن ذلك ليس بخبر منه ،وإنما هو ترك استيفاء حق له، وبعد موته لايمكن عفوه فيجب استيفاء حقه؛ لأن سبه فيه حق لله ، وبعد موته لامسقط له فيتعين استيفاؤه، وإذا انفرد بجواز العفو عن الساب دوننا/ لم يلزم أن ينفرد في إخباره؛ بأن يخبر بالأمر على خلاف ماهو عليه، وما قال أحد من المسلمين إن ماأخبر به الرسول عن نفسه بنفي [أو][٣] إثبات ليس لنا أن نخبر بمثل خبره.

١٨١

وجوب وصف الرسول ﷺ بما وصف به نفسه أو وصفه الله به

بل إذا قال ﴿**سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا**﴾[سورة الإسراء:٩٣] نقول: ماكان إلا بشراً رسولا، وإذا قال ﴿**إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد**﴾[سورة الكهف: ١١٠] وإذا قال «**لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا:**

١-في (د) مايقول.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل هذ.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (واو).

عبدا لله ورسوله»[١] قلنا نشهد أن لاإله إلاا لله ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، وإذا قال «**إنما أنا بشر أنسى كما تنسون**»[٢] قلنا: إنما هو بشر ينسى كما ينسى البشر، وإذا قال ﴿**لاأقول لكم عندي خزائن ا لله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك**﴾[سورة الأنعام:٥٠] قلنا لم يقل[٣] [إن][٤] عنده خزائن ا لله ولا يعلم الغيب ولا نقول إنه ملك، وإذا قال ﴿**لاأملك لنفسي نفعاً ولا ضرا إلا ماشاء ا لله**﴾ [سورة الأعراف:١٨٨] قلنا: لايملك لنفسه نفعاً ولا ضرا إلا ماشاء ا لله، وإذا قال: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**» قيل: ولا أنت يارسول ا لله، قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني ا لله برحمة منه وفضل**»[٥] قلنا: لن يدخل الجنة احد بعمله، فإذا قيل: لنا ولا رسول ، قلنا: ولا رسول ا لله إلا أن يتغمده ا لله برحمة منه وفضل، فنخبر بمثل ماأخبر به تصديقاً له؛ فإنه الصادق المصدوق، ومثل هذا كثير.

١-أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب قول ا لله-تعالى- ﴿**واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت**﴾) جـ٢/١٠٧٢ رقم ٣٤٤٥ وطرفه ٦٨٣٠.

٢-أخرجه مسلم في (كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له) رقم ٥٧٢ جـ١/٤٠٠.

٣-في (د) نقل.

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٥-سبق تخريجه ص ٣٥١ .

مشابهة قول البكري أقوال النصارى والرافضة

وقول هـذا الجـاهل [شبيه ومثيـل][(١)] [ديـن النصـارى][(٢)] فـإن المسيح -عليه السلام- لمـا أخـبر [عـن][(٣)] نفسـه أنـه عبـد ا لله؛ تقـول النصارى: ليس لنا أن نقول في الأنبياء مايقولونه في أنفسهم، وقـد قـال ا لله -تعالى- ﴿**ياعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلـهين من دون ا لله * قال سـبحانك مـايكون لى أن أقـول مـاليس لي بحـق**﴾ إلى قوله[(٤)] ﴿**ماقلت لهم إلا ماأمرتني به أن اعبدوا ا لله ربي وربكم**﴾[سـورة المـائدة:١١٦-١١٧] وقـال المسـيح[(٥)] ﴿**إنـي عبـدا لله ءاتـاني الكتـاب وجعلـني نبيـا**﴾[سـورة مريـم:٣٠] فيقـول النصرانـي/ مـن جنـس قـول شبيهه[(٦)]:، هو يقول: ربي ا لله وهم يقولون: هو الرب ليـس لـه رب، ويقولون: وليس لنا أن نقول فيه مايقول في نفسه.

١٨٢

وهكذا الرافضي إذا احتججنا عليه بقـول علي -رضيا لله عنـه- عـن نفسه: يقول ليس لنا أن نقـول فيـه قولـه في نفسـه، وفي الجملـة فبعـض

١-مابين المعقوفتين بياض في جميع النسخ بمقـدار كلمتـين، وفي هـامش الأصـل و(ف) و(د) بياض في الأصل، وما ذكر أعلاه من تكرار المؤلـف لنفـس المعنـى وفي (ف) كلمة رسمت هكذا (نا ت و) وفي (د) و(ح) (ما ت و).

٢-هكذا في (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

٣-هكذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل عنهم.

٤-تمام الآية :﴿**إن كنت قلته فقد علمته تعلـم مـافي نفسـي ولا أعلـم مـافي نفسـك إنك أنت علام الغيوب**﴾.

٥-في (د) عليه السلام.

٦-في (د) شبهته.

الناس قد [يقول](١) على سبيل التواضع كلاماً فيه مبالغة، فيقال : ليس لغيره أن يقول فيه هذا.

وأما الرسول ﷺ فلا ينطق إلا بحق، وكلامه معه إذا كان تواضعاً لله فهو أحق الخلق بالتواضع لربه -عزوجل-، وليس هذا كتواضع الرجل للرجل، ثم ماذكره في عفوه عن الساب(٢) لايقتضي العلم بهذا؛ ولا هو دليل عليه.

دعوى البكري في عدم متابعة الرسول ﷺ في وصف نفسه

وأما قوله في الوجه الأول (إن القصد(٣) إذا صح كان وجوب بيان المقصود بعبارة موضوعة له حق الرسول ﷺ فله تركه إذا عبر عن نفسه، وغيره إذا خالف موجب الأدب معه في العبارة كفرناه على ماسلف).

رد ابن تيمية

فيقال له: هذا من جهلك فإن التعبير عن المعاني [بالألفاظ](٤) يتعلق باللغة، ليس هذا من الحقوق ولا له مدخل في هذا، بل الواجب أن يعبر عن المعنى باللفظ الذي يدل عليه ، فإن كان اللفظ نصا أو ظاهراً حصل المقصود، وإن كان اللفظ يحتمل معنيين أحدهما صحيح

١-هكذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل يكون.

٢-في (د) السيئات ، وكذلك في (ط) وقد أدت لمعنى يصادم غرض الكتاب فكيف يكون الرسول ﷺ يعفو عن السيئات .

٣-كذا في جميع النسخ ، وفي ص ٦٠٥ ذكر المؤلف هذه الجملة بلفظها ورسم هذه الكلمة (المقصد)

٤-هكذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بألفاظ).

والآخر فاسد تبين أن المراد [هو الصحيح][١]، وإن كان اللفظ يوهم بعض المستمعين معنىً [فاسداً][٢] لم يطلق إلا مع بيان مايزيل المحذور، وإن كان اللفظ يوهم معنى فاسدا لم يخاطب بذلك اللفظ؛ إذا علم أنه يوهم معنىً فاسداً، لأن المقصود بالكلام البيان والإفهام، وأما إذا كان اللفظ دالاً على المراد وجهل بعض الناس معناه من غير تفريط من المتكلم، فالدرك على المستمع لاعلى المتكلم.

١٨٣ الرد على تكفير البكري وإبطال دليله

وقوله/ (إذا [خالف][٣] موجب الأدب كفرناه) فيقال له: كلا[٤] المقدمتين باطلة، دعواك مخالفة موجب الأدب؛ ودعواك كفر، وأما إخبارك عن نفسك أنك تكفره بما تعتقده أنه مخالف للأدب؛ فأنت صادق في خبرك عن اعتقادك الباطل وجهلك المعروف، [كما] [٥] يصدق الروافض إذا أخبروا عن أنفسهم بتكفيرهم لأبي بكر وعمر وعثمان، كما يصدق الخوارج إذا أخبروا عن أنفسهم بتكفيرهم لعثمان وعلي، وكما

١-مابين المعقوفين بياض في (ح) بمقدار كلمة، وقد وضعته حسب مايقتضيه السياق، وليس في الأصل و (ف) و(د) إشارة للسقط.

٢-كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) فاسد بالرفع، والصواب بالنصب.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل خاف.

٤-كذا في جميع النسخ والأولى (كلتا).

٥-في جميع النسخ (بما) ولايصح ، وما أثبت أعلاه موافق للسياق كما في الجملة التى بعدها.

يصدق الكفار إذا أخبروا عن أنفسهم بأنهم يقولون عن النبي ﷺ أنه كاهن ومجنون ومعلم ومفترى، فهذا صدق يضر قائله لايضر المقول له، قال تعالى ﴿**إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم مااكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم**﴾ [سورة النور:١١].

حرمة تكفير المسلم

لكن اعتقادك كفر من هم أعظم الناس إيمانا بالله ورسوله لايضرهم، قال النبي ﷺ: «**إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما**»[١] [لذلك][٢] كنت أحق بالكفر إلا أن تعتذر بالتأويل، وفي الصحيح أيضا عن النبي ﷺ أنه قال: «**لايرمي رجل رجلاً بالكفر والفسق إلا ردت عليه إذا لم يكن لذلك أهلا**»[٣].

الرد على دعوى البكري في صدور عبارة موهمة من النبي ﷺ

وقوله في الوجه الثاني: (أنه إذا علم بالقواعد ثبوت رتبة للرسول؛ فالعبارة التى توهم نفيها إذا صدرت منه علم المراد بها للدليل

١-أخرجه البخاري في (كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال) رقم٦١٠٣ جـ٤/١٩٢٥. ومسلم في (كتاب الإيمان، باب بيان حال من قال لأخيه المسلم ياكافر) رقم ٦٠ جـ١/٧٩. والإمام مالك في الموطأ في (كتاب الكلام، باب مايكره من الكلام) جـ٢/٩٨٤ واللفظ للإمام مالك.

٢-مابين المعقوفين بياض في (ف) و(د) و(ح) بمقدار كلمتين، وفي هامش (د) بياض في الأصل، وهو مايقتضيه السياق.

٣-أخرجه البخاري في (كتاب الأدب، باب مانهى عن السباب واللعن) جـ٤/١٩٠٩ رقم ٦٠٤٥. والإمام أحمد في المسند جـ٥/١٨١ وغيرهم بألفاظ متقاربة وقريبة من لفظ المؤلف.

على عصمته وصحة تبليغه وعدم تناقض أقواله وأفعاله، وغيره ليس كذلك).

فيقال له[1]: هذا مبني على صدور عبارة موهمة وتقدم أن الجواب عبارة ظاهرة في معناها، بل نص لايحتمل معنيين؛ فضلا عن كونها توهم غير ماأريد بها، وأيضا فغير الرسول إذا عبر بعبارة موهمة [مقرونة][2] بما [يزيل][3] الإيهام كان/ هذا سائغاً باتفاق أهل الإسلام، وأيضا فالوهم إذا كان لسوء فهم المستمع لالتفريط المتكلم لم يكن على المتكلم بذلك بأس.

١٨٤

استطراد حول الألفاظ الموهمة

ولا يشترط في العلماء إذا تكلموا في العلم أن لايتوهم من ألفاظهم خلاف مرادهم، (بل مازال الناس [يتوهمون][4] من أقوال الناس خلاف مرادهم)[5]؛ ولا يقدح ذلك في المتكلمين بالحق، ثم غاية هذا أن يكون بحثاً لفظيا، والبحوث اللفظية لاتوجب خلافاً معنويا فضلاً عن التكفير، اللهم إلا على قول هذا الجاهل : إن المتكلم إذا عنى معنىً صحيحاً بعبارة وتوهم منها بعض الناس نقصاً كان ذلك كفرا، وهذا لايقوله إلا من انسلخ من العقل والدين، لاسيما إذا كان التقصير

١-سقطت من (ف) .

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (مقرنة).

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (يزل).

٤-كذا في (د) وفي الأصل (تتوهمون) و لم تظهر في (ح).

٥-مابين القوسين سقط من (ف).

إنما هو من المستمع؛ لاتقصير من[١] عبارة المتكلم.

ثم يقال هذا كله ليس مما نحن فيه، فإن ماذكره المجيب لايحتاج لهذا، ولا يتوقف على نقل عبارته بعينها؛ بل تلك المعاني بائنة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ سواء كان اللفظ بعينه منقولا أو لم يكن؛ والتعبير عن تلك المعاني شائع بما يدل عليها دلالة بينة كالدلالة على سائر المعاني، ومما يوجب معرفته أن الأسماء والألفاظ التي تُعلق بها الأحكام الشرعية من الأمر والنهي والتحليل والتحريم والاستحباب والكراهية والمدح والذم والثواب والعقاب والموالاة والمعاداة [هي][٢] الألفاظ الموجودة في كتاب الله وسنة رسوله ومعاني تلك الألفاظ، وذلك مثل لفظ الإيمان والإخلاص والعبادة[٣] والكفر والشرك والهدى والضلال والرشاد والغي[٤] والتوكل والشكر والصبر والنبوة والرسالة والتوكيل ونحو ذلك.

فأما الألفاظ التى لم توجد في كتاب الله وسنةرسوله ولا تعلق لها بشئ من ذلك إلا إذا [تبيّن][٥] أن معانيها موافقة لمعاني ألفاظ الكتاب/ والسنة، والله -تعالى- في كتابه وسنة رسوله قد أوجب لنفسه حقاً

١٨٥

١-في (ف) في.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (وهي).

٣-(والعبادة)سقطت من (ف).

٤-في (ف) و(د) والعبادة.

٥- كذا في (د)وفي الأصل و(ف)و (ح) بين.

لايشركه فيه غيره، وأوجب حقا له ولرسوله وللمؤمنين ، فله وحده أن نعبده ولا نشرك به شيئا وأن نخشاه ونتقيه[١].

فصـــل

كلام البكري في مخاطبات الأنبياء فيما بينهم

قال:(وبالجملة فللأنبياء مع أنفسهم وفيما بينهم عبارات ومخاطبات ومعاملات لايقاس بها (معهم من)[٢] دونهم، ألا ترى مافي الحديث الصحيح في محاجة موسى لآدم، وذكر شيئا في روايات ساقها مسلم؛ منها [قوله][٣] «أنت آدم الذى أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة»[٤]، ومنها قوله «أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ... الحديث»[٥]، وليس لواحد منا أن يقول في آدم ﷺ ولا أحد من النبيين

١-في (ف) (أن تعبده ولا تشرك به شيئا وأن تخشاه وتتقيه).

٢-مابين القوسين في (د) مع.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل كلمة غير واضحة.

٤-أخرجه مسلم في (كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى -عليهما السلام-) رقم ٢٦٥٢ تابع ١٤ جـ٤/٢٠٤٣ وأوله «تحاج آدم وموسى. فحج آدم موسى فقال له موسى: أنت آدم... الحديث». وانظر الروايات الأخرى في نفس الباب.

٥-أخرجه البخارى في (كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله) رقم ٦٦١٤ جـ٥/٢٠٦٨ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وأوله «احتج آدم وموسى ... الحديث» وأطرافه: ٣٤٠٩، ٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٧٥١٥.

مثل ذلك القول ولا قريباً منه، وكيف لطم موسى عين ملك الموت[1]

[عليه السلام][2]، وأثبت بعض العلماء أنه لطم حقيقة.

وروى مسلم أن النبي ﷺ قال «**لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ إلا ثلاث كذبات** ... الحديث»[3] مع أن الثلاث وجه المجاز فيها ظاهر صحيح: قوله: إنه سقيم، باعتبار الاستقبال؛ ولابد لكل بشر أن يسقم غالبا ولو بمقدمات الموت؛ مع جواز إطلاعه على ذلك أو بتأويل

١-يشير إلى حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ «جاء ملك الموت إلى موسى -عليه السلام- فقال له: أجب ربك. قال فلطم موسى -عليه السلام- عين ملك الموت ففقأها. قال: فرجع الملك إلى الله -تعالى- فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لايريد الموت وقد فقأ عيني ... الحديث» أخرجه مسلم في (كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ) رقم ٢٣٧٢ جـ٤/١٨٤٣ وقد أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى، وذكره بعد) جـ٢/١٠٥٧ رقم ٣٤٠٧ ولفظ مسلم أقرب لمراد البكري .

والصواب أنه لطم عين الملك حقيقة . انظر: شرح مسلم للنووي جـ١٥/١٣٨ وفتح الباري جـ٦/٥٤٦-٥٤٧ وكشف موقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرائه تأليف د.ربيع المدخلي ص١٨٦ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر مكتبة النمر المدينة المنورة - السعودية.

٢-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) ﷺ.

٣-أخرجه البخارى في (كتاب الأنبياء، باب من فضائل إبراهيم ﷺ) رقم ٢٣٧١ جـ٤/١٨٤٠واللفظ له من حديث أبي هريرة -رضى الله عنه- وقد سبق تخريج بعض ألفاظه انظر ص ٥٩٧

القابلية(١)، وقوله بل فعله كبيرهم هذا وجه المجاز أنه سبب للتكسير الذى وقع لما فيه من التصوير المنكر، أو تهكم يؤيده قوله ﴿فاسألوهم﴾، وأما الكلمة في سارة فقد صرح بالمعنى إذ قال لها: أخبريه أنك أختى فإنك أختى في [الإسلام](٢).

وحديث المحاجة وإن احتمل أن لايكون في دار التكليف، فنحن نعلم أنهم لايقابلون بعضهم بعضا بما يرونه خلاف الأدب منهم، وكل هذه الأمور لاينقاس بها معهم من دونهم، فربما كان الشئ من المثيل أو المساوي أدبا أو أمراً محتملا؛ ولايكون ممن دونه/ كذلك ، فليحفظ الناظر موقع الحكمة في أحكام المراتب في الأشخاص والأفعال والأقوال وسائر الأحوال). ١٨٦

جواب ابن تيمية الوجه الأول: لا يوجد نزاع في هذا الباب

والجواب من وجوه أحدها: أن يقال هذا الكلام لايدل على مورد النزاع،فإن أحداً لم يقل إن حكم النبي مع النبي أو مع الملك حكم من هو دونه؛ ولا حكم بعض الأنبياء حكم بعض بل ولا الملائكة قال تعالى ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾[سورة الإسراء:٥٥] وقال تعالى عن الملائكة ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [سورة الصافات:١٦٤] وقال(٣) ﴿كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات

١-في (د) القائلية.

٢-كذا في (ف) و(د) وفي الأصل اسلام و لم تظهر في (ح).

٣-في (د) تعالى.

وأكبر تفضيلا﴾[سورة الإسراء:٢٠-٢١].

ولكن ليس في ثبوت أفضليتهم على من دونهم وعدم مساواتهم لهم في كل شئ أنهم لايشاركون في شيء من الأحكام؛ بل الأصل عند جماهير السلف والخلف أن ماثبت في حق النبي من الأحكام ثبت في حق الأمة ما لم يقم دليل على التخصيص، فما وجب عليه وجب عليهم وما حرم عليه حرم عليهم؛ وما أبيح له أبيح لهم ؛ إلا أن يقوم دليل على التخصيص، ولهذا قال تعالى : ﴿**فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا﴾**[1] [سورة الأحزاب:٣٧] فبين أن في تزويجه بامرأة دِعِيِّه من الحكمة دفع الحرج عن المؤمنين في تزويجهم بنساء أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا، ولولا أن الإِحْلال له يستلزم الإِحْلال للأمة لم يرتفع الحرج عنهم بمجرد ذلك.

ما ثبت في حق النبي ﷺ من الأحكام ثبت في حق الأمة ما لم يقم دليل التخصيص

ولهذا لما خصه بإحلال شيء قال ﴿**وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا مافرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم﴾**[سورة الأحزاب:٥٠] فجعل إباحة الواهبة/ نفسها له خالصة له من دون المؤمنين، ومن هذا ماثبت عنه في الصحيح أنه لما[2] بلغه أن قوماً تنزهوا عن أشياء فعلها،

١٨٧

١-في (د)﴿ ... **لكيلا يكون على المؤمنين حرج** ... ﴾ الآية .

٢-(لما) سقطت من (د).

فقال: «وا لله إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده»[١] وفي حديث آخر أن رجلاً قال: ليتنا مثل رسول ا لله[٢] يحل ا لله له مايشاء، فغضب من ذلك وقال: «إني لأتقاكم لله وأعلمكم بحدوده»[٣] لأن هذا ونظائره متعدده، وهذا الأصل متفق عليه بين أئمة المسلمين[٤]، ولكن قد يقال نفس الخطاب له أو للواحد من الأمة خطاب عام للعادة الشرعية في ذلك، أو يثبت الاشتراك بالاعتبار بأدلة أخرى، أو ذلك معلوم بالاضطرار من الدين، هذا مما تنازع فيه أهل النظر، وإذا كان كذلك فما يثبت جوازه له من الأقوال يثبت جوازه لغيره ما لم يقم دليل المنع،

١- لم أجده بهذا السياق ، ولكن أخرج البخاري في (كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح) جـ٤/١٦٣١ رقم ٥٠٦٣ ولفظه «**أما وا لله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**» وأبو داود في (كتاب الصوم، باب فيمن أصبح جنباً في شهر رمضان) جـ٢/٧٨٢ رقم ٢٣٨٩ ولفظه «**وا لله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتبع**» والإمام أحمد في المسند جـ٦/٦٧ ولفظه «وا لله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله -عزوجل- وأعلمكم بما أتقي» وأخرج غيره ألفاظً قريبة.

٢-في (د) ﷺ.

٣-أخرجه الإمام مالك في (كتاب الصيام، باب ماجاء في الرخصة في القبلة للصائم) جـ١/٢٩١ رقم ١٣ والإمام الشافعي في الرسالة ص٤٠٤ رقم ١١٠٩والإمام أحمد في المسند جـ٥/٤٣٤ واللفظ لهما ؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٣/١٦٦-١٦٧: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ا.هـ. وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ١/٥٨٣ رقم ٣٢٩ في سند الإمام أحمد: وهذا سند صحيح متصل ا.هـ.

٤-في (ف) و(د)الإسلام.

وما ذكره من مطلق [التفضيل][١] ليس دليلاً على المنع [باتفاق][٢] المسلمين.

الوجه الثاني: وجوب الإخبار بما أخبر به النبي ﷺ

والوجه الثاني: أن يقال خبره عن نفسه وغيره سواء كان نفياً أو إثباتا، وما أخبر به فهو صدق يجب تصديقه، ومن أخبر به كان صادقاً داخلا فيمن جاء بالصدق وصدق به، ومن قسم إخباره إلى مالنا أن نخبر به وما ليس لنا أن نخبر به فقد قال قولاً مبتدعا لادليل له [عليه؛ بل][٣] هو معلوم البطلان، ثم إنه لايمكنه [أن][٤]يذكر حداً فاصلاً بين مايجوز موافقته فيه من الأخبار وما لايجوز؛ بل لايشاء كل جاهل وضال أن يقول -فيما أخبر به الرسول[٥]- هذا من الأخبار التى ليس لنا أن نخبر بها بحال بيديه إلا ادعى ذلك؛حتى سد على الناس أن يخبروا بالأخبار الصادقة التى أخبر[٦] بها، وقد يتعدى ذلك إلى الأمر فيقول ليس كل ماأمر به يؤمر به من غير تفصيل معلوم بدليل الشرع، وحينئذ فإذا لم يقم يخبر بخبره ويأمر بأمره كان ذلك ذريعة إلى إبطال كثير من رسالته ونبوته؛ وهذا فيه من الكفر به/ وإبطال دينه ؛ ماهو من أعظم

١٨٨

١-كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) التفصيل.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بالتفاق) بزيادة لام.

٣-مابين المعقوفتين من (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) هل.

٤-مابين المعقوفتين يتطلبه سياق الكلام و لم(في) جميع النسخ وهو في (ط) بين معقوفين.

٥-في (د) ﷺ.

٦-في (د) أخبروا.

الردة عن دين الإسلام.

وليس هذا بمنزلة سوء الأدب في الخطاب؛ بل هذا كفر صريح وردة عن الإسلام، وهذا لازم لهؤلاء الجهال، فإن قولهم يستلزم الردة عن الدين والكفر برب العالمين، ولا ريب أن أصل قول هؤلاء هو من باب الإشراك با لله ؛ الذى هو الكفر الذى لايغفره ا لله ، فإن ا لله – تعالى– قال في كتابه : ﴿**وقالوا لاتذرن ألهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا**﴾[1] [سورة نوح:٢٣-٢٤] وقال غير واحد من السلف هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم، وقد ذكروا ذلك بعبارات متقاربة في كتب الحديث والتفسير وقصص الأنبياء، كما ذكره البخاري في صحيحه وجماعة من أهل الحديث، (وكما ذكره المفسرون كالطبرى وغيره)[2]، وكما ذكره مصنفو القصص مثل وثيمة[3] وغيره.

مشابهة البكري للنصارى والرافضة

وقد أمر ا لله –تعالى– أن يقول ﴿**إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ءالهكم إله واحد**﴾[سورة الكهف:١١٠] فيقول هذا الضال هذا يقوله

١–في (د) الآية.

٢–مابين القوسين سقط من (د) وقد سبق ذكر هذا الخبر ص ٣٤٦

٣–وهو: أبو يزيد وثيمة بن موسى الفرات المعروف بالوشاء، الفارسي الفسوي نشأ في فارس ثم خرج منها إلى البصرة، ورحل إلى مصر فالأندلس ثم عاد إلى مصر فمات فيها. كان تاجراً يتجر في الوشي وهي نوع من الثياب صنف كتاباً في " أخبار الردة" توفي سنة ٢٣٧هـ. انظر وفيات الأعيان جـ٦/١٢ والأعلام جـ٨/١١٠.

هو عن نفسه وأما نحن فليس لنا أن نقول هو بشر؛ بل نقول كما قال فلان وفلان: من زعم أن محمداً بشر كله فقد كفر، وهذا يقوله قوم منهم؛ وهو تشبه بقول النصارى في المسيح؛ يقولون: ليس هو بشر كله بل المسيح عندهم يتناول اللاهوت والناسوت الإلهية والبشرية جميعا، وهذا يقوله طائفة من غلاة الصوفية والشيعة؛ يقولون باتحاد اللاهوت والناسوت في الأنبياء والصالحين كما تقوله النصارى في المسيح(١).

الوجه الثالث: اجماع الأمة على منع الاستغاثة بالأنبياء ١٨٩

والوجه الثالث: أن يقال مسألتنا ليست محتاجة إلى هذا، فإن مانُفي عنه وعن غيره/ من الأنبياء والمؤمنين؛ [وهو](٢) أنهم لايُطلب منهم بعد الموت شيء؛ ولا يطلب منهم في الغيبة شيئ؛لابلفظ الاستغاثة ولا الاستعاذة ولا غير ذلك، ولا يطلب منهم مالا يقدر عليه إلا الله حكم ثابت بالنص وإجماع علماء الأمة مع دلالة العقل على ذلك؛ فلا

١-تأثر الصوفية بالنصارى في الألفاظ والأفعال واضح ، وأول من استخدم لفظي اللاهوت والناسوت هو الحلاج: الحسين بن منصور والذى قتل وصلب في بغداد سنة ٣٠٩، وقيل ٣١١هـ . وللتوسع : انظر : المصادر العامة للتلقي عند الصوفية تأليف صادق سليم صادق الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ص٦٣ وما بعدها، ونظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام تأليف سارة عبدالمحسن الجلوي الطبعة الأولى ١٤١١هـ ص٣٢٥ وما بعدها، ومن قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة تأليف د.محمد السيد الجليند الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ ص٨٣ وما بعدها، والتصوف المنشأ والمصادر تأليف إحسان إلهي ظهير الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ص٦٠ وما بعدها ، ولا يخلو كتاب مؤلف عن الصوفية من ذكر الأثر النصراني في التصوف.

٢-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (ونهو).

يحتاج إلى ذكر حديث فيه نفي ذلك عن نفسه كقوله: «إنه لايستغاث بي وإنما يستغاث بالله»[1]، فإن هذا اللفظ هو بمنزلة أن يقال: لايستعاذ به ولا غيره من المخلوقين وإنما يستعاذ بالله -عزوجل-، وهذا كله معلوم، وكذلك لفظ الاستجارة، وأما طلب مايقدر عليه في حياته فهذا جائز سواء سُمي استغاثة أو استعاذة أو غير ذلك.

الوجه الرابع: ما يسوغ للأنبياء قد يسوغ لغيرهم بالأنبياء بعد موتهم

الوجه الرابع: إنه ليس فيما ذكره حجة على أن مايسوغ للأنبياء لا يسوغ لغيرهم، فإنه إنما ذكر [خطاب][2] موسى لآدم ولطم عين الملك، فيقال له.

أولاً: هذا سائغ لغير موسى من الأنبياء كمحمد والمسيح وغيرهما أم ليس سائغا؟ وإن ساغ لهؤلاء فهل يسوغ هذا لداود وسليمان ويونس وغيرهم؟ فإن قال: نعم هذا سائغ لهؤلاء كلهم، طولب بدليل ذلك؛ ولا يمكنه على هذا التقدير منع جوازه لغيرهم؛ إلا أن يذكر دليلاً خاصا على أن هذا من خصائص الأنبياء وليس له على ذلك دليل، وإن قال: لايسوغ هذا لنبي آخر ولايسوغ لنبي معين من الأنبياء، قيل: فحينئذ فلا حجة لك فيه على أنه[3] لايقتدى بالأنبياء فيما يسوغ لهم، فإن هذا حينئذ ليس مما يسوغ لكل الأنبياء، وما خُصّ

١-هذا الحديث سبق تخريجه انظر ص ٢٩٤.

٢-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (الخطاب).

٣-في (د) أن.

به بعض الأنبياء (لم [يعتد] [1]به)[2] غير الأنبياء بطريق الأولى، وحينئذ فلا يكون هذا من موارد الفرق بين الأنبياء وغير الأنبياء، بل من موارد الفرق بين نبي ونبي.

ومن الناس من يقول إن موسى -ﷺ-[3] كان يحتمل منه [مالا][4] يحتمل من مثل يونس؛ كجر رأس هارون ولحيته[5]/؛ وإلقاء الألواح[6]؛ ولطيم عين ملك الموت؛ ومعاتبة ربه ليلة المعراج في رفع محمد ﷺ[7] ونحو ذلك، لما كان له من عظيم المجاهدة مع فرعون وقومه، ولما كان له من عظيم المنزلة عند ربه، وحينئذ فإذا كان هذا سائغا لبعض الأنبياء لايسوغ لهم كلهم، لم يكن مما نحن فيه.

١٩٠

١-مابين المعقوفينفي الآصل و(ف) (يعتد) ولايستقيم المعنى .

٢-مابين القوسين سقط من (د) و(ح) والأولى (لم يتعد به).

٣-مابين الشرطتين في (د) عليه السلام.

٤-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) ما لم.

٥-يشير إلى قوله تعالى ﴿**قال يبنؤم لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي**﴾ [سورة طه:٩٤].

٦-يشير إلى قوله تعالى ﴿**ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه**﴾ الآية [سورة الأعراف:١٥٠].

٧-يشير إلى ماأخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قوله ﴿**وكلم ا لله موسى تكليما**﴾ جـ٥/١٣٤٤ رقم ٧٥١٧ عنه ﷺ لما علا فوق السماء السابعة قال موسى «ربِّ لم أظن أن ترفع علي أحداً ... الحديث».

الوجه الخامس: اختلاف الناس في جواز وقوع الذنب من الأنبياء

الوجه الخامس: أن يقال[١] الناس لهم في جواز وقوع الذنب من الأنبياء قولان، فالسلف والأكثرون يقولون بجواز ذلك، وإن كانوا معصومين عن الإقرار عليه، وكثير من الناس منع ذلك بالكلية، وكل من الفريقين يقول : إنه قد يخصّ بعض الأنبياء بأمر لايشركه فيه جميع الأنبياء والمؤمنين، وحينئذ فقول موسى لآدم -عليهما السلام- ماقال؛ إما أن يكون مما أقر عليه أو لايكون مما أقر عليه، فإن قيل بالأول وقيل إنه مختص به أو بأمثاله من الرسل فلا كلام، وإن قيل: إنه سائغ لجميع الأنبياء فلابد من دليل على أنه من خصائصهم، وإن قيل: إنه لم يقر عليه، وهو [الأظهر][٢] فإن آدم أجابه عن ذلك؛ وبين له أن هذا الذى جرى عليكم كان مقدوراً عليكم مكتوباً عليكم فحج آدم موسى، وإذا كان موسى محجوجا، كان موسى قد عرف أنه لاحجة له على آدم وأنه[٣] لم يكن له أن يعاتبه على ذلك، فيكون موسى رجع عن هذا، وما رجع عنه النبي و لم يقر عليه لم يُقْتد به باتفاق المسلمين، كالمنسوخ وأولى.

وكذلك لطمه لملك الموت إن كان مأذونا له فيه أو معفواً عنه؛ وهو من خصائصه أو من خصائص الرسل فلا كلام فيه، وإن قيل: إن هذا سائغ للأنبياء كلهم فلابد من دليل الاختصاص بالأنبياء ، وأما إن

١-في (د) هم (زيادة).

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل اظهر.

٣-في (د) أن.

قيل: إن موسى رجع عن تلك اللطمة لما اختار الموت وأجاب إلى ماطلب منه الملك من إجابة ربه؛ كان هذا مما رجع عنه موسى، ومثل ذلك ليس/ مما يقتدى فيه بالأنبياء، وذلك أن موسى لطمه بغضا للموت؛ فلما رجع إليه وخيره بين أن يضع يده على متن ثور فما وارته يده من شعره فإنه يعيش بها سنه وبين الموت؛ اختار الموت.

١٩١

الوجه السادس: شرح كلام موسى لآدم عليهما السلام

الوجه السادس: إن قول موسى: إن آدم أغوى الناس وأخرجهم من الجنة؛ وإنه خيبهم وأخرجهم من الجنة، إما أن يقول إنه صدق، وإما أن يقول لم يكن كذلك، وإنما قاله[1] باجتهاد وتأويل فإن [قال][2] إنه صدق لاخطأ فيه، قيل : فمن الذى منع غير موسى أن يقول الصدق الذى [لاخطأ][3] فيه، وقول القائل ليس لواحد منا أن يقول الصدق الذى لاخطأ فيه الذي قاله الأنبياء؛ دعوى مجردة لايثبت بها حكم، لكن صاحب هذا الكلام يتكلم بحاله وما يخطر[4] له من غير اعتصام بالأدلة الشرعية.

وإن قيل : إن موسى -عليه السلام- [قاله][5] مجتهداً متأولاً و لم يكن

١-في (د) قال.

٢-ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السياق.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل أخطأ .

٤-في الأصل (بنا) فوق السطر وهي زيادة.

٥-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (قال).

الأمر كذلك، أو قال بحسب اعتقاده و لم يكن الأمر كذلك كان كقول النبي ﷺ: «**لم أنس ولم تقصر الصلاة**» ؛ فإنه قال معتقداً أنه أتم الصلاة فقال له ذو اليدين: بل قد نسيت، فقال:«**أكما يقول ذو اليدين**»، قالوا: نعم[1]، وكذلك لما قال في النخل:«**ماأظنه** يعنى -التلقيح- **يغنى شيئا**» ثم قال لهم: «**إنما أخبرتكم عن ظني فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله فإني لن أكذب على الله**[2]» وفي لفظ «**أنتم أعلم بأمر دنياكم وأما ماكان من أمر دينكم فإلي**»[3].

وأما لطم موسى عين ملك الموت فليس هو إخباراً عن نبي وإنما هو فعل من الأفعال؛ فليس مما نحن فيه، وأما قول النبي ﷺ «**لم يكذب إبراهيم -عليه السلام- إلا ثلاث كذبات**» فيقال له: أتقول إنه لايجوز لنا أن

١-أخرجه مسلم في (كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له) رقم ٥٧٣ جـ١/٤٠٣ والترمذى في (كتاب الصلاة، باب ماجاء في الرجل يسلم في الركعتين من الظهر والعصر) رقم ٣٩٩ جـ٢/٢٤٨ وأبو داود في(كتاب الصلاة، باب السهو في السجدتين) رقم ١٠٠٨ جـ١/٦١٢ والنسائي في (كتاب السهو، باب مايفعل من سلم من ركعتين ناسيا وتكلم) رقم ١٢٢٢ جـ٣/٢٠ وغيرهم واللفظ للنسائي وقد سبق تخريج قطعة من الحديث ص ٦٠٦ .

٢-في (د) تعالى.

٣- أخرجه مسلم في (كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ماقاله شرعا) جـ٤/١٨٣٥-١٨٣٦رقم ٢٣٦١،٢٣٦٣ وابن ماجه في (أبواب الأحكام، باب تلقيح النخل) جـ٢/٦٨ رقم ٢٤٩٥،٢٤٩٦ والإمام أحمد في المسند جـ٦/١٢٣ وغيرهم بألفاظ متقاربة وقريبة من لفظ المؤلف.

نصدق النبي ﷺ فيما قال: «**لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات**»[١] بالمعنى الذى عناه النبي ﷺ أي شيء كان/ أم ليس لنا ذلك؟ فإن قلت: لنا ذلك، بطلت حجتك، وإن قلت: ليس لنا أن نقول ماقاله النبي ﷺ لفظا ومعنى كان هذا ممنوعا، وهو من جملة مايرد عليك، وإن لم يذكر عن[٢] ذلك حجة؛ بل ولا نقله هذا[٣] عن إمام من أئمة المسلمين، ونحن قد ذكرنا دلالة الكتاب والسنة والإجماع على أن الأخبار الصادقة التى أخبرت بها الأنبياء نفياً وإثباتا لنا أن نخبر بها كما أخبروا بها لفظا ومعنى.

١٩٢

الوجه السابع: الكلام على المعاريض وبيان حكمها

الوجه السابع: أن يقال هذه الكلمات هي من باب المعاريض، والمعرض يقصد معنى ويفهم المستمع غيره، والكلام مبدؤه عناية[٤] المتكلم[٥] ومنتهاه إفهام المستمع، فالمعرض إذا عنى حقا والمستمع فهم باطلا كان الكلام صدقا باعتبار العناية[٦] وكذبا باعتبار الإفهام، ولهذا لم يرخص في المعاريض فيما يجب بيانه؛ للخلل[٧] في[٨] البيع والشهادة

١-سبق تخريجه انظر ص ٦١٥.

٢-الأولى (على).

٣-في (ف)هذه.

٤-في (ف) غاية.

٥-في (د)للمتكلم.

٦-في (ف) العان (بدون نقط) وبياض في أصل (د) وفي الهامش (المعينائه) وكذلك في (ح).

٧-في (ف) الخلل وفي (د) و(ح) للخل.

٨-(في) سقطت من (ف) و(د) و(ح).

والإفتاء ونحو ذلك باتفاق، ويجوز للمظلوم [التعريض][١] في الأيمان وغيرها، وأما ماليس بظالم ولا مظلوم ففيه ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره، قيل يجوز له التعريض، وقيل لايجوز مع اليمين ويجوز بدونها[٢]. فقول إبراهيم -عليه السلام- ﴿إني سقيم﴾ قيل أراد سقيم القلب من كفركم، وقوله أختى أراد أخته في الدين؛ كما جاء ذلك مصرحاً به في الحديث الصحيح حيث قال:«فإنه ليس على الأرض مؤمن غيري وغيرك»[٣] وقوله ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾[سورة الأنبياء:٦٣] قيل إنه قصد [تعليقه][٤] بالشرط وهو قوله ﴿إن كانوا ينطقون﴾[٥] [سورة الأنبياء:٦٣].

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (التعرض).

٢-التعريض لغة: ضد التصريح. القاموس المحيط ص٨٣٤ واصطلاحاً قيل: مايفهم به السامع مراده من غير تصريح. التعريفات ص٦٢ وفي هذا نظر، وقد يصح في نوع من التعريض، وقيل: هو أن تذكر كلاماً يحتمل مقصودك وغير مقصودك، إلا أن قرائن أحوالك تؤكد حمله على مقصودك. الكليات لأبي البقاء ص٧٦٢. وقد اختلف الفقهاء في حكمه على ثلاثة أقوال كما ذكر المؤلف، والراجح -والله اعلم- فيمن ليس بظالم ولا مظلوم أنه لافرق بين التعريض بيمين أو دونها، فقد حلف بعض الصحابة معرضا وأقره النبي ﷺ ،وكثيرمن الفقهاء لايفرقون في حكم التعريض بيمين أو دونها. انظر: المغني لابن قدامة جـ٢٤٤/١١ وروضة الطالبين للنووي جـ٨٢/١١-٨١ والمحلى لابن حزم جـ٤٣/٨-٤٤ وفتح الباري جـ٧٢٥/١٠-٧٢٦ ونيل الأوطار جـ١٤٩/١٠-١٥٠.

٣-سبق تخريجه وهذا اللفظ للبخاري ص ٦١٥

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل تعليله.

٥-انظر الجامع لأحكام القرآن جـ٩٢/١٥ وفتح الباري جـ٤٨٢/٦.

ومن هذا قول نائب يوسف ﴿إنكم لسارقون﴾[سورة يوسف:٧٠] فإن يوسف أمره بالنداء؛ لكن نداء يوسف سارقون ليوسف من أبيه وهو صادق فيما عناه، وما ذكره هذا الذى يلبس الحق بالباطل كحاطب ليل من التأويلات ليس مما ينبى عليه مسألتنا، فإنه ليس في شيء من ذلك أنه لايجوز أن يخبر بما أخبر به الرسول لفظاً ومعنى، والناس قد ذكروا هذه التأويلات وغيرها/، فتأويل المتأول إني سقيم أي سأسقم ، إما لأن الظاهر مرضه أو لاطلاعه على ذلك هو تأويل؛ و[1]قول غيره أريد سقيم القلب تأويل ثان وهو أقرب من كون الصفة حاضرة؛ والأول أقرب من كون السقم أراد به سقم البدن، لكن يقال استعمال السقم والمرض في سقم القلب ومرضه هو حقيقة، بخلاف قوله إني سقيم بمعنى سأسقم فإن هذا لايفهم إلا بقرينة، فيكون ذلك التأويل أولى، وأما التأويل الآخر بمعنى القابليه[2] فبعيد؛ فإن الموجود لايوصف بكل مايقبله من المعدومات، إذ لو كان كذلك لجاز أن يقال عن كل مخلوق إنه معدوم، وعن كل مؤمن إنه كافر، وعن كل كافر إنه مؤمن، وعن كل غنى إنه فقير، وعن كل عفيف إنه فاجر، وعن كل سليم إنه أشل وأقطع.

١٩٣

الرد على بعض تأويلات البكري

والتأويلا[ن][3] المذكوران في قوله ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ أن الإله[4]

١-سقطت الواو من (د).

٢-في (د) المقابلية.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٤-(الإله) سقطت من (د).

الأكبر سبب للتكسير تأويل فاسد، فإن السبب في كل صنم[1] ماقام به من التصوير، لاسيما قوله بل فعله كبيرهم يقتضي أنه لم يفعله إلا كبيرهم ، فلا يكون السبب أنه التصوير الذى قام به؛ وهذا باطل قطعاً فإن التصوير القائم بكل صنم موجب لكسره؛ لايحتاج إلى تصوير صنم أكبر منه، وأما التهكم فهو أحسن، وكذلك قوله : من قال إنه نوى التعليق بقوله ﴿إن كانوا ينطقون﴾.

وقوله وحديث المحاجة وإن احتمل أن لايكون في دار التكليف، فنحن نعلم أنهم لايقابلون بعضهم بعضا بما يرونه [خلافا][2] للأدب منهم، فهذا كلام متناقض، وهو كلام من نظر في كلام شارحي الحديث ، ولم يميز بين حق ذلك وباطله؛ وأخذ من ذلك ماظنه موافقا لدعواه، فلا له تمييز في أقوال الناس بين حقها وباطلها، ولا له معرفة بطرق الاستدلال، فلا [ذاكر][3] لكلام منقول ولا مبين لمعنى مقبول، ولا نقل ولا توجيه لاذكر ولا أثر.

أقسام العلم

والعلم شيئان إما نقل مصدق، وإما بحث محقق؛ وما سوى ذلك فهذيان [مسروق][4]، وكثير من كلام هؤلاء هو من هذا القسم؛ من الهذيان، وما يوجد فيه من نقل فمنه مالا يميز صحيحه عن فاسده؛ وفيه

١-(صنم) سقطت من (د).

٢-في جميع النسخ (خلاف) والصواب ماأثبت أعلاه ، لأنه منصوب .

٣-كذا في (ف) وفي الأصل ذكراً وفي (د) و(ح) ذكر وماأثبت أعلاه يوافق ما بعده.

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (مسرق).

١٩٤

مالا ينقله على/ وجهه؛ ومنه مايضعه[١] في غير موضعه، وأما بحثه واستدلاله على مطلوبه فمن العجائب، (فلا يتحقق)[٢] جنس الأدلة[٣] حتى يميز بين مايدل وما لايدل، ولا مراتب الأدلة حتى يقدم الراجح على المرجوح إذا تعارض دليلان، ولهذا كان أصول الفقه مقصوده معرفة الأدلة الشرعية؛ جنس الدليل وهذا فيه كناية (الخلاص من كناية تراد الحق ادنى إلى الخلاص كناية)[٤] [تراد][٥].

وقد قيل إنما يفسد الناس نصف متكلم ونصف فقيه ونصف نحوى ونصف طبيب،هذا يفسد الأديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد اللسان وهذا يفسد الأبدان، لاسيما إذا خاض هذا في مسألة لم يسبق إليها عالم ولا معه فيها نقل عن أحد، ولا هي من مسائل النزاع بين العلماء فيختار أحد القولين، بل هجم فيها على مايخالف دين الإسلام المعلوم بالضرورة عن الرسول، فإن بعد معرفة ماجاء به الرسول نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن يدعو أحداً من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لابلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور،وأن ذلك من الشرك الذى

١-في (د) مالا يضعه.

٢-مابين القوسين في (ف) (لاتحقق) وفي (د) و(ح) (تحقق).

٣-كذا في جميع النسخ وفي هامش الأصل تصحيح لها ب(الاستدلال).

٤-مابين القوسين سقط من (ف).

٥-كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) (ترا)، والجملة غير واضحة المعنى .

حرمه الله ورسوله.

سبب الأقوال الشركية

لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن[١] تكفيرهم بذلك حتى يتبين[٢] لهم ماجاء به الرسول مما يخالفه، ولهذا مابينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الدين إلا تفطن؛ وقال

١-في (د) يكن.

٢-في (ح) (يُبين) ، وهذه الكلمه اختلف في رسمها أهل السنة من أئمة الدعوة السلفية في نجد وبعض مناوئيهم ، فقد زعم صاحب " جلاء الغمة في تكفير هذه الأمه " أنها رسمت : " يتبين " بتقديم الياء المثناة من تحت على المثناة الفوقية ثم باء موحده بعدهما من نسخة صحيحة على هوامشها خطه بيده (أي ابن تيمية)رحمه الله اهـورد عليه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في " مصباح الظلام " أنها رسمت : " يبين " . انظر " مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام " ص٣٢٣-٣٢٥ ط. الشيخ إسماعيل إبن عتيق .

وفي سياق غير هذا السياق زعم علوى الحداد في " مصباح الآنام وجلاء الظلام " أنها رسمت : " يتبين " . ورد عليه الشيخ سليمان بن سحمان في " الأسنة الحداد " بالتشكيك في نسبة الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ثم ذكر هذا الموضع . ورسم هذه الكلمة " يُبين " ثم قال : فزاد هؤلاء المحرفون هذه الزيادة وكتبوها بالياء التحتية المثناة الفوقية وحرفوا وتصرفوا . انظر الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد ص١٥٤ ، ١٥٧ ط. الثانية ١٣٧٦هـ بأمر الملك سعود .

ونسخة (ح) دقيقة ، والمحتج بهذه اللفظة مجادل بالباطل ، وعلى زعمه قد يدعى تارك الصلاة والزكاة أنه لم يتبين له ، بل قد ادعى ذلك كفار قريش عن نبوة المصطفى ﷺ فلم تنفعهم هذه الدعوى .

وانظر أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في قضية التكفير المواضع التالية من منهاج السنة ج ٤/ ١٣١-٤٥٢، ج٥/٨٧-١٥٧-١٥٨، ٢٤٤ ج٦/١١٥

هذا أصل دين الإسلام، وكان بعض الأكابر [من][1] الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول هذا أعظم مابينته لنا لعلمه بأن هذا أصل الدين.

حال البكري وأمثاله وبيان شيخ الإسلام للشرك

وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون إليهم، وربما كان مايفعلونه بالأموات أعظم، لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم فيدعونه دعاء المضطر، راجين قضاء حاجاتهم بدعائه أو الدعاء به أو الدعاء عند قبره[2]/، بخلاف عبادتهم لله ودعائهم إياه [فإنهم][3] يفعلونه في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف، حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام [لما][4] قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم، وقال بعض الشعراء:

١٩٥

موقف القبورية من التتار

ياخائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر

أو قال:

عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر[5]

١-كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٢-في هامش الأصل: الأول شرك والثاني وسيلة إليه ا.هـ. قلت: أي دعاء الميت شرك، والدعاء عند القبر وسيلة إلى الشرك.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (فإنه).

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (لم).

٥-لم أجد قائل هذا البيت. وفي البداية والنهاية لابن كثير جـ١٤/٣٣ ذكر تربة الشيخ أبي عمر بالسفح ، ولعله : ابو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ت ٦٠٧هـ وقد نسج الناس حوله خرافات حتى جعلوه قطبا، وهو أخو الموفق صاحب المغني.

فقلت لهم هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا، كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، فإنه كان قد قضى أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك ولحكمة كانت لله - عزوجل- في ذلك، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي ؛ الذى أمر ا لله به ورسوله، [ولما][1] يحصل في ذلك من الشر والفساد وانتفاء النصرة المطلوبة في القتال، فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة ؛ لمن عرف هذا وهذا، وإن كان كثير من [المقاتلين][2] الذين اعتقدوا هذا قتالاً شرعيا أجروا على نياتهم.

فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله والاستغاثة به، وأنهم لايستغيثون إلا إياه، لايستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل كما قال تعالى يوم بدر ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم**﴾[سورة الأنفال:٩]، ورُوي أن رسول ا لله ﷺ كان يوم بدر يقول: « **ياحي ياقيوم لاإله إلا أنت برحمتك أستغيث**»[3] وفي لفظ

انظر جهود علماء الحنفيه في إبطال عقائد القبورية ج١/ ٤٥٨

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل ولَم.

٢-كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) القائلين.

٣-أخرجه الترمذى في (كتاب الدعوات، باب ٩١) جـ٥/٥٣٩ رقم ٣٥٢٤ والحاكم في المستدرك في كتاب الدعاء جـ١/٥٠٩ وقال صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بقوله: عبدالرحمن لم يسمع من أبيه، وعبدالرحمن ومن بعده ليسوا بحجة ا.هـ. والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ٣٩٧ رقم ٦١١ وقال محققه د.فاروق حماده: إسناده منقطع ا.هـ. وابن السني في عمل اليوم والليلة ص١٣٢ رقم ٣٣٩ وأبو يعلى

--

«أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك»[١].

انتصار المسلمين على التتار لما أصلحوا حالهم وأخلصوا لله واستغاثوا به

فلما أصلح الناس [أمورهم][٢] وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصراً عزيزا؛ لم يتقدم نظيره، ولم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلا، لما صح من تحقيق توحيده[٣] وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك، فإن الله ينصر رسله[٤] والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ونحن نتكلم على ماذكره[٥] ؛ وإن لم يختص بمسألتنا، لما فيه من

في مسنده جـ١/٤٠٤ رقم ٥٣٠. قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ١٠/١٨٠-١٨١: رواه الطبراني في الصغير والأوسط من طريق سلمة بن حرب بن زياد الكلابي عن أبي مدرك عن أنس، وقد ذكر الذهبي سلمة في الميزان فقال: مجهول كشيخه أبي مدرك، وقد وثق ابن حبان سلمة وبقية رجاله ثقات ا.هـ. وجميعهم بألفاظ متقاربة وقريبة من لفظ المؤلف.

١-ذكره الديلمي في الفردوس جـ١/٤٤٥ رقم ١٨١٥ عن أبي بكر بلفظه، وقد أخرج أبو داود في (كتاب الأدب، باب مايقول إذا أصبح) جـ٥/٥٣٤ رقم ٥٠٩٠ بلفظ قريب وكذلك ابن حبان في صحيحه في (كتاب الرقائق، باب الأدعية جـ٣/٢٥٠ رقم ٩٧٠ وقال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده محتمل للتحسين ا.هـ. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ١٠/١٣٧ رواه الطبراني وإسناده حسن ا.هـ.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (أمرهم).

٣-في (د) تعالى.

٤-كذا في الأصل و(ح) وفي (ف) و(د) رسوله.

٥-في (د) ماذكر.

تمام الكلام على ماذكره كله.

أقوال الناس في حديث المحاجة ١٩٦

أما حديث احتجاج آدم وموسى -عليهما السلام- فإن هذا الحديث فهم منه كثير من الناس المتقدمين والمتأخرين أن آدم/ احتج بالقدر على فعل الذنب، فصاروا أحزابا: حزب من أهل الكلام كذبوا الحديث كأبي علي الجبائي وغيره؛ وقالوا: (نحن نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن سابق علم ا لله وكتابه لايكون حجة لأحد في ترك مأمور أو فعل محظور ؛ وهذا يناقض ذلك، فيكون كذباً على النبي ﷺ) ، وحزب من الصوفية والعامة شر من هؤلاء جعلوا هذا الحديث حجة على دفع الذم والعقاب عن الكفار والفساق والعصاة وسموا هذا حقيقة ، وهو حقيقة القدر، وقال منهم طائفة: من شهد القدر ارتفع عنه الملام؛ وقالوا: آدم كان شاهد القدر[١].

ودخل في ذلك طائفة من أعيان الشيوخ والعلماء فظنوا أن الخواص يرتفع عنهم الذم والعقاب بشهود القدر دون العامة منهم، ومنهم من قال: هذا عين الجمع ، وهو أن لايرى الفاعل إلا واحد، ومنهم من جعل هذا من أفضل مقامات العارفين؛ ومن لوازم سلوك السالكين، ومنهم من جعل هذا منتهى سير العارفين؛ وسموا ملاحظة هذا فناء في توحيد الربوبية أو اصطلاماً ونحو ذلك، فالذين جعلوا هذا منتهى للوصول رفعوا استحسان الحسنات واستقباح القبائح، وقالوا: استحسان الحسنات واستقباح السيئات يكون لأصحاب البقاء والفرق لالأهل الجمع والاصطلام والفناء في التوحيد، وأما الذين جعلوه مقاما

١-سيعود المؤلف للكلام على هذا الحديث انظر ص ٦٥١

أو لازماً للسالك فقالوا بعد هذا مقام أعلى منه وهو مشهد الفرق الثاني.

كلام الصوفية في الفناء والجمع والفرق الثاني

وكان قد وقع بين الجنيد[1] وأبي الحسين [النورى][2] وأصحابهما كلام في الفرق الثاني واضطربوا كما ذكر ذلك أبو سعيد بن الأعرابي[3] في " كتاب طبقات النساك"، وذكر أن كلامهم في

١-الجنيد هو: الجنيد بن محمد النهاوندي ثم البغدادي، والده الخزاز أصله من نهاوند توفي ٢٩٨هـ ولد سنة نيف وعشرين ومئتين، سمع من السري السقطي وصحبه، والحارث المحاسبي، وأتقن العلم، وتأله وتعبد، وقل ماروى الحديث. ترك الدنيا وبالغ في الجوع. له رسائل منها ماكتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ماهو في الألوهية والفناء ومسائل أخرى، و"دواء الأرواح". انظر السير جـ١٤/٦٦ ترجمة رقم ٣٤ والأعلام جـ٢/١٤١.

٢-في جميع النسخ النووي وبعض المؤلفين يذكره هكذا، والصواب النورى بالراء كما في كتب التراجم وكما ذكره المؤلف في كتاب الاستقامة جـ١/١٥٨، ١٧٩، ١٨٠، ٢٥١، ٤١٠، جـ٢/١٥-١٦وهو أبو الحسين أحمد بن محمد الخرساني الزاهد، شيخ الصوفية بالعراق صحب السري السقطي، وكان الجنيد يعظمه، لكنه في الآخر رق له وعذره لما فسد عقله، جرت عليه محنة في بغداد، لما أمر الخليفة المعتمد في سنة ٢٦٤هـ بالقبض على الصوفية، لما نسبوا للزندقة.

له عبارات دقيقة، يتعلق بها من انحرف من الصوفية، وكان يلهج بفناء صفات العارف. انقبض عن الصوفية وجفاهم، وغلبت عليه العلة،وعمي ولزم الصحاري، والمقابر توفي قبل الجنيد سنة ٢٩٥هـ. انظر السير جـ١٤/٧٠ ترجمه رقم ٣٥ والبداية والنهاية جـ١١/١١٣ والطبقات الكبرى للشعراني جـ١/٨٧ رقم ١٦٦.

٣-أبو سعيد بن الأعرابي: هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي البصري الصوفي ولد سنة نيف وأربعين ومئتين. صحب الجنيد، وأبا أحمد القلانسي.

--

الفناء والجمع لم يشتركوا فيه إلا في العبارة، وأن هذا يشير إلى معنى غير المعنى الذى يشير إليه هذا، وأنه لم يحصل مايعبر عنه بالفرق الثاني، وذكر أن أبا الحسين [النوري][1] لما قدم بغداد بعدأن كان خرج عنها، وكان قد خرج هو وغيره في / محنة الصوفية التى جرت لما قام عليهم ١٩٧ غلام خليل[2] سنة بضع وستين ومائتين وكتب منهم نحو سبعين نفساً، واتهمهم بالزندقة، فوضعوا منهم جماعة [في][3] الحبس، وسافر بعضهم

رحل إلى الأقاليم، وجمع وصنف، وتعبد وتأله، وحمل "السنن" عن أبي داود، كان من علماء الصوفية ومع ذلك فتراه لايقبل شيئاً من اصطلاحات القوم إلا بحجة، ألف في مناقب الصوفية، وله كتاب "طبقات النساك" اطلع عليه الذهبي واقتبس منه. قال: إذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع والفناء، أو يجيب فيهما، فاعلم أنه فارغ ا.هـ. توفي في شهر ذى القعدة سنة ٣٤٠ هـ. وله أربع وتسعون سنة وأشهر.

انظر السير جـ١٥/٤٠٧ ترجمه رقم ٢٢٩ والأعلام جـ١/٢٠٨ ولم أقف على كتاب " طبقات النساك ".

١-النووي في جميع النسخ والصواب النورى وانظر التعريف به في الصفحة السابقة.

٢-غلام خليل: هو أبو عبدالله أحمد بن محمد بن غالب الباهلي البصري، غلام خليل، سكن بغداد، له جلالة عجيبه، وأمر بالمعروف، واتباع كثير، وصحة معتقد، إلا أنه يروي الكذب الفاحش، اعترف بوضع الحديث، قدم من واسط، فلم يزل يقص ويحذر من الصوفية، ويغري بهم السلطان والعامة، وأمر المحتسب بطاعة خليل فطلب القوم، وبث الأعوان في طلبهم، وكتبوا، فكانوا نيفا وسبعين نفسا، واختفى عامتهم، وحبس منهم جماعة، وهرب النوري إلى الرقة.

مات في رجب سنة ٢٧٥هـ وحمل إلى البصرة انظر السير جـ١٣/٢٨٢ ترجمة رقم ١٣٦ والبداية والنهاية جـ١١/٥٨.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بالحبس)

واختبأ بعضهم، وكان فيهم من هو مظلوم؛ ومنهم من هو متعبد، وكان غلام خليل فيه عبادة وزهد وفيه نوع قلة معرفة[١] أيضا، ولهذا يقال إنه كان يضع الاحاديث في الفضائل، وهذا قد بسطه أبو سعيد بن الأعرابي، وغيره ذكر ذلك مختصرا.

وذكر أبو سعيد أن [النوري][٢] لما رجع سأله أصحاب الجنيد عن الفرق الذى بعد الجمع ماعلامته ، وما الفرق بينه وبين الفرق الأول، قال فسألوه عن هذا المعني -لاأدرى بهذا اللفظ أم بغيره إلا أني قد حفظت المعنى وأثبته-، قال: وكنت إذا مررت به بالرقة سنة سبعين[٣] قال لي: من بقي من أصحابنا فأخبرته، فسألنى عن جماعة، ثم سألني عن الجنيد وما يتكلم فيه ومن يجتمع إليه فأخبرته، وقلت إنهم يشيرون إلى شيء يسمونه الفرق الثاني والصحو، فقال لي اذكر لي شيئاً منه؛ فذكرت له بعض ماكنت أظنه فضحك، ثم قال أي شئ يقول[٤] في هذا ابن الجلحي[٥]، فقلت: [مايجالسهم] [٦]، قال فأبو أحمد

١-في الأصل و(ف) و(د) زاد (واو) (ومعرفة) وسقطت الواو من (ح) وهو الصواب.

٢-النووي في جميع النسخ والصواب النورى بالراء.

٣-أي سبعين بعد المائتين كما في السير جـ١٤/٧٥.

٤-في (ف) تقول.

٥-لم أجد له ترجمة وفي السير للذهبي جـ١٤/٧٥: الجلنجي .

٦-كذا في السير للذهبي ج١٤/٧٥. وفي جميع النسخ ما أجالسهم ، ولا يستقيم المعنى.

القلانسي[١] فقلت مرة يوافقهم وربما خالفهم إلى معاني الجمع، فقال: أي شئ تقول أنت، فقلت ماعسى أن أقول أنا، ولكن ماتقول في هذا ياأبا الحسين فإني أحب أن أسمع منك في هذا خاصة شيئا، فقال: لا، أو تقول أنت، فحملني حرصي على أن أسمع منه أن قلت ماكان عندي في ذلك الوقت، قلت أيسمونه فرقاً ثانيا هو عين من عيون الجمع يتوهمون به أنهم قد خرجوا عن الجمع ، وإنما هو أحد عيون الجمع، فقال: هو كذلك وأنت [إنما][٢] سمعت هذا من أبي أحمد القلانسي، فأخبرته أني ماسمعته من أبي[٣] أحمد، فلما قدمت بغداد حدث[٤] أبو أحمد بذلك، وكان أبو أحمد يعارض ذلك ولا يقطع به، وربما وافقهم فأعجبه قول أبي الحسين، وكذلك كان عند أبي الحسين، فأما أبو أحمد فقد كان[٥] ربما قال: ((هو صحو وخروج عن الجمع))؛ وربما قال: ((هو شئ من الجمع))، ثم قال أبو الحسين ببغداد لما [شاهدهم][٦]/: ((ليس هو عينا من عيون الجمع ولا صحوا من الجمع وفرقا ثانيا))، ١٩٨ ولكنهم رجعوا إلى مايعرفون وحملوا الشيء على عقولهم، فهم يسددون بجهلهم وليس معهم مما يذكرون إلا هذا العلم وهذا الوصف، وكأنهم

١-أبو أحمد القلانسي: هو أبو أحمد، مصعب بن أحمد البغدادي القلانسي، شيخ الصوفية كان مقدماً على جميع مريدي بغداد، لما كان فيه من السخاء والأخلاق مات سنة ٢٧٠ بمكه. انظر السير جـ١٣/١٧٠ الترجمة رقم ١٠١.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ما).

٣-في (د) أني.

٤-كذا في السير جـ١٤/٧٥ ، وفي جميع النسخ (حدث) ولايستقيم المعنى .

٥- (كان) سقطت من (د).

٦-كذا في (ف) و(د) و(ح) والسير جـ١٤/٧٥ وفي الأصل (شهدهم).

قد اصطلحوا عليه وكان يوميءء إلى أنهم يتكلمـون عـن غـير حقيقـة، وإنما هو شئ يأخذه بعضهم عن بعض فيزيد بعضهـم مـن بعـض بقـدر فصاحتهم في العبارة دون الحقيقة.

ولهذا كان قوله أول ماقدم بغداد[1] ، قال أبو سعيد ثم باتوا معـه ليلة لم أكن معهم كان ابن عطاء[2] ورويم[3]، فأقبل ابـن عطـاء يسـأله فإذا أصابه بشيء عكسه عليه ابن عطاء، ثم يسأله عما ينشيه فإذا أجابه قال هذا ضد الجواب الأول يا أبا الحسين قياساً وتشبيهاً، فكان منه إليه كلام فيه جفاء، وكذلك فعل أيضا فقالوا: إنه يقول الشيء وضـده ولا يعرف هذا [إلاقول] [4] سوفسـطا[5] ومـن قـال بقولـه، وكـان بينهـم

١-يقصد أبا الحسين النوري.

٢-ابن عطاء: هو أبو العباس، أحمد بن محمد بـن سـهل بـن عطـاء الأدمـي البغـدادي. كان زاهداً، عابداً، متألها. ولكن راج عليه حال الحلاج وصححه. وامتحن بسـببه حتى مات، فقد عقله ثمانية عشر عاماً، ثم ثاب إليه عقله مات سنة ٣٠٩هـ. انظر السير جـ١٤/٢٥٥ ترجمـة رقـم ١٦٠ والبدايـة والنهايـة جـ١١/١٥٤ والطبقـات الكبرى للشعراني جـ١/٩٥ رقم ١٨٤.

٣-في (د) (دريم) وهو: أبو الحسن وقيل أبو محمد، رويم بن أحمد، وقيـل: رويـم بـن محمد بن يزيد بن رويم البغدادي شيخ الصوفية، وهو رويم الصغـير، وجـده رويـم الكبير أيام المأمون. امتحن في بغداد أيام غلام خليل، وفـر إلى الشـام. كـان عـابداً زاهداً، مات ببغـداد سـنة ٣٠٣هـ .انظـر السـير جـ١٤/٢٣٤ ترجمـة رقـم ١٣٨ والطبقات الكبرى للشعراني جـ١/٨٨ رقم ١٦٨ والأعلام جـ٣/٣٧.

٤-مابين المعقوفتين من السير ج١٢/ ٧٥ ، وفي جميع النسخ (القول) .

٥-في السير جـ١٤/٧٥ ولا نعرف هذا إلا قول سوفسطا. وهم السوفسطائيون: فرقـة من فلاسفة اليونان كانوا مجادلين مغـالطين متحـيرين بـالعلم. أنكـروا المحسوسـات والبدهيات . انظر : الفلسفة اليونانية تأليف يوسف كرم ص٤٥.

وحشة بذلك، وكان يكثر منهم التعجب، وقالوا للجنيد ذلك فأنكر عليهم حنيئذ، وقال: لاتقولوا مثل هذا لأبي الحسين ولكنه رجل به علة قد تغير دماغه، ثم إنه انقبض عن جميعهم بعد تلك الليلة، وأظهر لمن اتهمه منهم الجفاء وترك مجالستهم، ثم غلبت العلة وذهب بصره ولزم الصحاري والجبانات والمقابر، وكانت له في ذلك أحوال طويلة كثيرة يطول شرحها وذكرها[١].

قال: ولم أحضره عند موته، قال جماعة من أصحابنا يقولون من رأى أبا الحسين بعد قدومه الرقة ولم يكن رآه قبل ذلك فكأنه لم يره لتغيره بعد قدومه، إلا أنه مات وهم عنده يتكلمون في شيء سكوتهم عنه أولى بهم، لأنه ليس شيئاً عندهم يعرفونه وإنما يتوهمونه[٢] فيتكهنون فيه ويتعسفون بظنونهم[٣]،وقد كانوا عند غيره [٤] ممن لا أُسميه كذلك.

قال أبو سعيد: فإذا كان أولئك كذلك فكيف بمن حدث بعدهم ممن أخذ عنهم، قال: ومنعني من الطبقة التى كانت بعد هؤلاء اشياء كثيرة، إلا [أن][٥] جملة ذلك وإن كانوا قوماً صالحين فاضلين فما يدرون ماكان يقول أولئك في هذه المعاني التى أشرنا إليها، ولا ماكانوا

١-انظر هذه الحكاية في السير للذهبي جـ١٤/٧٤-٧٥ بشيء من التفصيل.

٢-في (د) (يتوهمون) .

٣-في (ف) و(د) بطوهم ولم تنقط في الأصل.

٤-في(ف) و(ح) (غير قبره).

٥-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ن) سقطت الهمزة.

١٩٩

يشيرون إليه/ إلا بالتوهم والبلاغات وذكر كلاما طويل[١].

ترجيح ابن تيمية لقول الجنيد وأصحابه

قلت: الصوفية بعد هؤلاء هم على هذا الاضطراب،منهم من قال بالفرق الثاني كالجنيد وأصحابه وهؤلاء هم المصيبون المسددون، ومنهم من نفاه، ومنهم من تردد فيه، ومنهم من قال إنه أكبر من [المتكلم][٢] فيه، وسبب ذلك أن الإنسان يشهد أولاً الفرق حسه وعقله وهواه من غير نظر إلى أن الله خالق كل شئ وهذا هو الفرق الأول، فإذا توجه إلى الله رأى أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه كل مافي الوجود بمشيئته وقدرته وهذا شهود صحيح، بحيث يغيب عن نفسه وعن غيره ويفنى بمشهوده عن شهوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته،

١-قال الذهبي في السير جـ١٥/٤٠٩-٤١٠ عن الصوفية: والله دققوا وعمقوا، وخاضوا في أسرار عظيمة مامعهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر؛ إلا مجرد خطرات ووساوس، ماتفوه بعباراتهم صديق، ولا صاحب، ولا إمام من التابعين.فإن طالبتهم بدعاويهم مقتوك، وقالوا : محجوب، وإن سلمت لهم قيادك تخبط مامعك من الإيمان، وهبط بك الحال على الحيرة والمحال، ورمقت العباد بعين المقت، وأهل القرآن والحديث بعين البعد، وقلت: مساكين محجوبون. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فإنما التصوف والتأله والسلوك والسير والمحبة؛ ماجاء عن أصحاب محمد ﷺ من الرضا عن الله، ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة والتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ا.هـ.

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (التكلم).

فلا يبقى ناظراً إلا إلى توحيد الربوبية وهو أن الله خالق كل شئ،وهذا المشهد ليس تفريق بين المأمور والمحظور ، ولا بين المعروف والمنكر ولا بين أوليائه وأعدائه ولا بين المؤمنين والكفار ولا بين مايلائم الإنسان وما يخالفه، وهذا لايتصور أن يدوم بقاء العبد فيه، فإن نفسه لابد أن تفرق بين ما يلائمها وبين ما يضرها، كما تفرق بين الخير والشر[١] وبين الماء والبول.

أقوال الصوفية في الفناء

ولكن من قال بأن الفناء هو [الغاية] [٢]، منهم من جعل ذلك نزولاً من العبد من عين الجمع إلى الفرق، ومنهم من يقول [بل][٣] القيام بالفرق هو [لصلاح][٤] العامة لالنفسه، ومنهم من يسمى هذا تلبيساً ويقول هذا للأنبياء، وربما قال الفرق لأجل المارستان يصلح به العامة الذين هم كالمجانين، [و][٥] قد يقول هؤلاء: (الكمال أن يكون الجمع في قلبك مشهودا والفرق في لسانك موجودا، وأن يكون[٦] باطنك حقيقة وظاهرك شريعة)، ومنهم من يقول : الفرق بين هذه الأشياء الضرورية التى لابد منها للإنسان بخلاف غيرها، ومنهم من

١-في (ف) التراب.

٢-في جميع النسخ الغلبة ، ولايصح ، وهم قالوا : الفناء هو الغاية ، وسيأتي تكرار ذلك بعد خمسة أسطر .

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (باء) (بالقيام).

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (الصلاح).

٥-كذا (ح) وسقط من الأصل و(ف) و(د).

٦-في (د) نكون (بدون نقط الياء).

يقول : هذا الفناء والاصطلام/ ليس هو الغاية، بل هو مقام عال[١] لابد للسالك من سلوكه إياه، و[من][٢] لم يقم فيه لم يصل إلى حقيقة [معرفة الحقائق][٣].

٢٠٠

(وهذا غلط، فإن هذا من عوارض الطريق لامن لوازمه، فإن حاصله عدم شهود الحقائق)[٤] على ماهي عليه، وهذا نوع من نقص الشهود والعلم ورؤية الأمر على ماهو عليه، ولكن هذا[٥] يعرض لبعض المتوجهين إذا رأى أن الله خالق كل شيء يجمع في رؤيته هذا و لم يشهد الفرق، فإنه سبحانه وإن خلق الأشياء كلها بمشيئته وقدرته؛ فقد أمر بطاعته ونهى عن معصيته؛ وهو يحب ماأمر به ويبغض مانهى عنه، وهذا هو الفرق الشرعي ليس هو الفرق [الطبعي][٦].

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة

وهذا الفرق فرض على كل مسلم لايكون مؤمناً إلا به، وصاحب هذا يشهد أن لاإله إلا الله فيعلم أن الله هو المعبود دون ماسواه، وأنه أرسل الرسل يأمرون الناس بطاعته وينهونهم عن معصيته، ومن لم يشهد هاتين الشهادتين لم يكن مسلماً، وأما مجرد رؤية الله

١-في (ف) و(د) عالي.

٢-كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٣-مابين القوسين من (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (المعرفة).

٤-مابين القوسين سقط من (د).

٥-(هذا) سقطت من (د).

٦-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (الطبيعي).

خالق كل شيء فهذا كان[١] يقر به المشركون عباد الأصنام، فمن وقف في الجمع لايفرق بين مأمور ومحظور لم يكن مسلماً فضلاً عن أن يكون ولياً لله -تبارك وتعالى-، لكن هؤلاء يقولون نحن نثبت الفرق العائد إلى حظ الإنسان، بأن فعل المأمور سبب للثواب وفعل المحظور[٢] سبب للعقاب، والثواب والعقاب حظ للعبد، والكامل الخالي [عن][٣] حظوظه الذى لايريد إلا مايريد ربه هو صاحب الفناء، وهو الذي لايستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة، فالفرق لايعود إلى الله ولا إلى صاحب الفناء.

سبب غلط الصوفية

وأصل غلط هؤلاء [أنهم][٤] لم يثبتوا لله إلا الإرادة العامة المتناولة لكل مقدور[٥]، ومعلوم أنه لو كان الأمر كذلك لكان الفرق سبباً بالنسبة إلى الله ، لكن هذا غلط من المثبت لملة إبراهيم ودين الرسل كما قد بسط في غير هذا الموضع.

٢٠١

/وكثير من هؤلاء قد التبس عليهم هذا الموضع وهم متناقضون فيه، فإن الجمع العام لايتصور أن يقوم فيه أحد دائما، بل لابد إن كان مسلماً أن يوجب ماأوجبه الله ورسوله ويحرم ماحرمه الله ورسوله وإلا

لزوم وجود فرق طبعي وشرعي

١-في (ف) (لما كان) وفي (د) ماكان.

٢-كذا في الأصل و(ح) وفي (ف) و(د) المحذور.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (من).

٤-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (لأنهم).

٥-والإرادة نوعان: إرادة كونية قدرية، وإرادة شرعية وقد سبق بيان هذه المسألة.

لم يكن مسلماً، فلابد من فرق بحسب دينه وإن لم يكن له دين فرق بحسب هواه وطبعه، فمن لم يفرق فرقاً رحمانيا فرق فرقاً نفسانياً وشيطانياً، ومن لم يفرق فرقاً شرعياً فرق فرقاً طبيعياً، وقول أبي سعيد ابن الأعرابي ومن وافقه: إن هذا الفرق عين من عيون الجمع يتوهمون به أنهم قد خرجوا عن الجمع وإنما هو [أحد][1] عيون الجمع، يعنى به -وا لله اعلم- أن شاهد الفرق ماأمر ا لله به ونهى عنه مع مشاهدته بذلك، وتوحيد الإلهية بأن يشهد أن لاإله إلا لله وأن محمداً رسول ا لله ومحبته لما أمر ا لله به وبغضه لما نهى ا لله عنه، فهو يشهد أن ا لله رب ذلك كله وأنه الذي جعل المسلم مسلما، وجعل آل إبراهيم أئمة يدعون إلى الخير وآل فرعون أئمة يدعون إلى النار، فهو في هذا الفرق؛ يشهد الجمع، ويشهد -مع ماقام بقلبه من الفرق بين المأمور والمحظور- أن ا لله خالق كل شيء وربه ومليكه، وأنه هو الذي جعله يعبده ويطيعه وهو المَانّ عليه بذلك، لايكون كمن يشهد الفرق بين الطاعة والمعصية، و لم يشهد أن ا لله هو الذي مَنّ عليه بالطاعة ويسرها عليه.

فشهود الجمع [بلا][2] فرق يورث تعطيل الأمر والنهي، حتى لايستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة، وشهود الفرق بلا جمع يورث تعطيل التوكل والشكر ويورث العجب وتعظيم النفس، [وكلا][3]هما نقص عما تحت الجمع من عبودية ا لله -تعالى- ومن تحقق قوله ﴿**إياك**

١-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (حد).

٢-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بل).

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (كل).

نعبد وإياك نستعين﴾[سورة الفاتحة:٥] فلابد من الفرق في عين الجمع في شهود الفرق، وأيضا فإن ا لله -تعالى- مع خلقه لكل شيء بمشيئته وقدرته فهو يحب ماأمر به ويرضاه ويبغض/ مانهى عنه ويسخطه، فلابد مع شهود المشيئة العامة من شهود المحبة والرضا الخاص.

٢٠٢

أقوال الفرق في الإرادة

وكثير من الناس القدرية الجهمية الجبرية ومن دخل معهم في التصوف جعلوا الإرادة نوعاً واحدا، وجعلوها هي المحبة والرضا، قالت القدرية وا لله لايحب الكفر والفسوق والعصيان فيكون في ملكه مالا يشاء و لم يخلقه، وقالت الجهمية بل كل ماوقع فهو بمشيئة ا لله، والمشيئة هي الإرادة وهي المحبة والرضا؛ فكل ماوقع فإنه يحبه ويرضاه، ولكن يريد ويحب ويرضى المأمور به مأمورا به دينا يثيب[1] عليه، ويريد ويحب ويرضى المنهى عنه منهياً عنه معاقباً عليه، فالفرق بينهما يعود إلى أنه يريد ويحب ويرضى أن يُنعّم[2] هؤلاء ويعذب هؤلاء من غير فرق يعود إليه، ولا يحب بعض المخلوقات ويبغض بعضا؛ كما لايشاء بعضها دون بعض، فعنده لايحب بعض المخلوقات دون بعض.

أقوال الفرق في الفرق بالنسبة للرب تعالى

والجهمية الجبرية والقدرية المعتزلة ومن وافقهم مشتركون في أنه ليس بين المأمور والمحظور فرق يعود إلى الرب -تبارك وتعالى[3]-، والقائلون بالجمع من غير فرق يشاركون هؤلاء، ورأوا أنه لافرق

١-في (ف) بدون نقط.

٢-في (د) (ينغم).

٣-مابين الشرطتين في (د) تعالى.

بالنسبة إلى الرب؛ لكن الفرق يعود إلى العبد من حيث إن أحد العملين يقتضي حصول لذة له والآخر يقتضي حصول ألم له، وهذا من حظوظ العباد.

ثم قال غلاة هؤلاء: وهذا الفرق من العبد نقص لأنه فرق يعود إلى نفسه؛ فالعمل[1] له سعيٌ في حظ النفس، وأما الكمال فهو أن يفنى العبد بمراداته[2] جملة ولا يبقى له حظ، وأن لايشهد إلا ربه، وإرادة الرب -عزوجل- عندهم هي المشيئة المتناولة لكل شيء وهي المحبة والرضا عندهم، ولهذا قالوا : إنه حينئذ لايستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة.

/ ومعلوم بالاضطرار من دين الرسل أن هذا ليس بمجرد ولا حال الأنبياء والأولياء؛ بل هم متفقون على استحسان ماأحبه الله واستقباح [ما][3] نهى الله عنه؛ والحب في الله والبغض في الله؛ وذلك أوثق عرى الإيمان[4]، فصار العالم منهم بخلق الله وأمره وشرعه وقدره

٢٠٣

حال الأنبياء والأولياء مع المأمور والمحظور

١-في (د) فالعبد.

٢-في (د) لمراداته.

٣-كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (من).

٤-يشير إلى قوله ﷺ «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**» وقد أخرجه الطيالسي في مسنده جـ٣/١٠١ رقم ٧٤٧ (طبعة دار المعرفة بيروت، ومكتبة المعارف) الرياض عن البراء بن عازب واللفظ له.

وعن ابن مسعود أيضا جـ٢/٥٠ رقم ٣٧٨، والإمام أحمد في المسند جـ٤/٢٨٦ عن البراء، والطبراني في المعجم الكبير جـ١/٢١١-٢١٢ رقم ١٠٣٥٧،

--

المشيئة العامة وعلاقتها بالجمع والفرق

الذين يفرقون بين مشيئة الله ومحبته ورضاه كالجنيد ونحوه؛ يقولون بالفرق الثاني، والذين لايثبتون إلا المشيئة العامة لايقولون بالفرق الثاني، وآخرون يترددون فتارة يشهدون المشيئة العامة فقط ولا يقولون بالفرق، وتارة يثبتون محبة الله ورضاه فيقولون بالفرق الثاني، والقول بهذا الفرق لاينافي الجمع العام، فإن مشيئة الله متناولة لكل شيء؛ وما وجد شيء محبوب مكروه فالمشيئة متناولة له، فلهذا صار منهم من يقول إن هذا الفرق عين من عيون الجمع، وأن أحداً لايخرج من الجمع الذي هو المشيئة العامة؛ فإنه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وإنما يرى الخروج من هذا المعتزلة ونحوهم من المكذبين بالقدر، القائلين أنه يكون في ملكه مالا يشاء وأنه لايقدر على هدى ضال ولا ضلال مهتدٍ ونحو ذلك، وهؤلاء ضلوا في مسألة القدر كما ضلت بها المعتزلة، [فالمعتزلة][1] كذبوا بالقدر رعاية للأمر والنهي، وهؤلاء أبطلوا الأمر والنهي رعاية[2] للقدر.

وجـ١٠/٢٧١-٢٧٢ رقم ١٠٥٣١ عن ابن مسعود، وجـ١١/٢١٥ رقم ١١٥٣٧ عن ابن عباس.

وقد أعل الهيثمي طرق الحديث في مجمع الزوائد جـ١/٨٩-٩٠، وكذلك الدوسري في النهج السديد ص١٨٠ رقم ٣٦٨ وقال بعد ذكر طرقه: فالحديث بمجموع هذه الطرق إلا الأخيرة أي (طريق حنش عن عكرمة عن ابن عباس لأن فيها متروكاً) حسن لغيره بلاريب ا.هـ.

١-كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٢-في (د) غاية.

عودة للكلام على حديث المحاجة

وهؤلاء يحتجون بقصة آدم وموسى -عليهما السلام[1]- واحتجاجهم عليه بالقدر هو[2] حجة داحضة، فإن الله -تعالى- عاتب إبليس وأهبط آدم من الجنة وأهلك قوم نوح وعاداً وثمود وغيرهم، ولو كان القدر عذراً لم يعاقب كافرا، وآدم -عليه السلام- تاب من الذنب فلو كان محتجاً بالقدر لم يتب.

٢٠٤

وصار آخرون يتكلمون على حديث موسى/ -عليه السلام[3]- بتأويلات فاسده، كقول بعضهم إن هذا الاحتجاج كان في غير دار التكليف كما ذكره هذا الضال، فيقال لهؤلاء: الاحتجاج بالقدر لايسوغ في دار التكليف ولا غيرها[4]، فإنه قول باطل وقول الباطل لايسوغ بحال، وأيضا فموسى قد لام آدم فكيف يقع الملام في غير دار تكليف، [وتناظرا][5] وتحاجا ودار السلام منزهة عن الحجاج والخصام، وقال بعضهم: إنه كان أباه فما كان ينبغي له لوم أبيه، وقال: بعضهم كان تائباً والتائب لايلام، وقال: بعضهم كان الذنب في شريعة واللوم في أخرى، وهذا كله باطل، فإن الحديث فيه أن آدم احتج بالقدر وقال لم تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق، فحج آدم موسى.

١-مابين الشرطتين سقط من (د).

٢-في (د) زاد (واو) وهو.

٣-مابين الشرطتين سقط من (د).

٤-في (د) وغيره.

٥-كذا في (ف) و(د) و(ح)وفي الأصل (فتناظرا).

سبب الغلط في فهم حديث المحاجة

وسبب هذا الغلط أنهم فهموا من الحديث أن آدم جعل القدر حجة للمذنب وهو غلط قبيح على من هو دون آدم وموسى فكيف عليهما، وهذا آدم يقول ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾[1] [سورة الأعراف:٢٣] وموسى يقول ﴿**ربي إني ظلمت نفسي فاغفر لي**﴾[سورة القصص:١٦] ويقول ﴿**أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين**﴾[2] [سورة الأعراف:١٥٥]، وكيف يجوز أن يظن بمثل هذين النبيين الكريمين أنهما يجوزان هذا؛ وعوام الناس يعرفون أن هذا باطل، إلا من كان مصطلماً قد سلب حقيقة العقل، والذي يظن أن الله يسوي بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمفسدين في الأرض؛ وبين المتقين والفجار؛ وبين المسلمين والمجرمين، فإن الجمع و[3]توحيد الربوبية يتناول هؤلاء كلهم، فإن لم يحصل مع ذلك فرق فالجمع بين أهل البر والتقوى ويشهد[4] القلب [إلهية][5] الرب التي يستحق لأجلها/ أن يعبد دون ماسواه وأن تطاع رسله كان مسوياً[6] بين هؤلاء.

٢٠٥

لوم موسى لآدم - عليهما السلام - لأجل المصيبة لا لمجرد الذنب

ولكن نكتة الحديث أن موسى لام آدم لأجل المصيبة التي لحقت

١-في (د) ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا** ... ﴾الآية.

٢-في (د) ﴿**أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا** ... ﴾الآية.

٣-في (د) (في).

٤-في الجملة ركاكه. وفي (ح) بياض بمقدار كلمتين.

٥-كذا في (د) و(ح) وفي الأصل (الإلهية) وفي (ف) الأهية.

٦-في (د) (مستوياً).

الذرية من أجله، فإنه بسبب ذلك خرجوا من الجنة وصاروا في دار الشقاء، ولهذا قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة، وكان لومه له لأجل المصيبة التى أصابتهم لا لمجرد الذنب من جهة حق الله، كما يقول الولد لوالده الذي أذهب ماله حتى افتقر هو وأولاده؛ أنت الذى أذهبت هذا المال حتى صرنا فقراء واحتجنا إلى الناس، وأنت نقلتنا إلى بلاد الغربة ونحو ذلك، فقال له آدم هذه المصيبة كانت مكتوبة عليك مقدرة قبل أن أخلق هي وسببها وهو الذنب، فإنه كان مكتوباً علي قبل أن أخلق بأربعين سنة[1].

وجوب التسليم لله عند المصائب

والعبد مأمور عند المصائب بالتسليم لله -تعالى[2]- كما قال تعالى **﴿ماأصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾**[سورة التغابن: ١١] قال طائفة من السلف : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم[3]، لهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك**

١-وللتوسع في شرح الحديث انظر شرح مسلم للنووي جـ١٦/٤٤٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١١/٢٥٦ وفتح الباري لابن حجر جـ١١/٦٢٣-٦٢٦ ومج جـ٨/١٠٧-١٠٩ وشفاء العليل لابن القيم جـ٢/٤٥ وما بعدها والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة للمحمود ص٢٧٦-٢٧٨.

٢-في (د) تعالى.

٣-انظر تفسير ابن جرير الطبري جـ١٢/١١٥ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٨/١٣٩.

شيء فلا تقل لو أني فعلت [كذا][١] **لكان كذا كذا ولكن قل: قدر الله وماشاء فعل، فإن اللو**[٢] **تفتح عمل الشيطان»**[٣] وفي السنن عنه ﷺ أنه قال «**إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس فإن غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل**»[٤]، وقد قال تعالى لنبيه ﴿**فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك**﴾[سورة غافر:٥٥] فأمره بالصبر على المصاب والاستغفار من الخطيئات.

٢٠٦ عودة إلى ترجيح قول الجنيد في الفرق الثاني

وكان الجنيد[٥] أفقه القوم وأعلمهم بالدين فلهذا/ بين الفرق الثاني وأمر باتباع الأمر ولزوم الشرع ورعاية العلم، بخلاف[٦] من لم

١-كذا في (د) ، وفي (ح) (كذا وكذا) ، وسقطت من الأصل و(ف).

٢-في (د) (لو).

٣-أخرجه مسلم في (كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله عز وجل) جـ٤/٢٠٥٣ برقم ٢٦٦٤ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- واللفظ له.

٤-أخرجه أبو داود في (كتاب الأقضية، باب الرجل يحلف على حقه) جـ٤/٤٤ رقم ٣٦٢٧ واللفظ له وأحمد في المسند جـ٦/٢٥ والنسائي في عمل اليوم والليلة ص٤٠٣ رقم ٦٢٦ قال المنذري: أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة وفي إسناده بقيه بن الوليد وفيه مقال. انظر عون المعبود جـ١٠/٥٥، وقال النسائي في عمل اليوم والليلة ص٤٠٣ سيف لاأعرفه، قال محققه د.فاروق حماده: سيف هو سيف الشامي وثقه العجلي وباقي رواة الحديث رجال مسلم ا.هـ. وضعفه جاسم الدوسري في النهج السديد ص١٩٢ رقم ٣٨٩ ونقل تحسين الحافظ ابن حجر للحديث في تخريج الأذكار.

٥-في (د) رحمه الله.

٦-في الأصل كرر الناسخ هذه الكلمة.

يحقق هذا الفرقان واختطفه قدر فإنه قد يتعدى فيه إما حالاً وإما مـآلا، مثل[1] كثير من الشيوخ الغالطين في هذا الباب، ثم انضم إلى ذلك أنـه لم يفرق بين إرادة الله ومحبته ورضاه؛ بل يرى أن جميع الحوادث خيرها وشرها بالنسبة إليه سواء صادرة عن تلك الإرادة[2]، وأنه لايحب الحسنات ولا يرضاها إلا بمعنى ينعم أهلها؛ ولا يبغض السيئات ويسخطها إلا بمعنى تعذيب أهلها،ورأى أن هذا فرق يعود إلى المخلوق لاإلى الخالق، فهذا رأى أن في كمال العبودية فناء عن إرادته وأنه لايريد إلا مايريده الحق؛ وعنده ليس له إرادة إلا هذه، لزم من هذا أنه لايستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة مادام هذا الفناء، لكن دوامه فيه ممتنع لأن العبد مجبول على حب مايلائمه وبغض ماينافيه، فإن لم يشهد ما[يتصف][3] به الرب من الحب والبغض والرضى والسخط فيحب[4] مايحبه الله ويبغض مايبغضه الله[5] ويرضى مايرضاه ويسخط مايسخطه الله، وإلا فرق باعتبار نفسه، فيحب ويبغض لمجرد ذوقه ووجده وحبه وبغضه لابحب الله وبغضه وأمره ونهيه، فإن هذه الحقيقة تخالف[6] الشريعة، ويجعلون القيام بها لأجل الخاصة[7] والعامة، لامن حقيقة

١-في (ف)سثل.

٢-انظر شرح المقاصد للتفتازاني جـ٤/٢٧٤-٢٧٨ حيث وضح مذهب الأشاعرة والمعتزلة.

٣-كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) (ينسب).

٤-في (د) (فيحب) بالجيم.

٥-سقط لفظ الجلاله من (ف) و(د).

٦-في (د) يخالف.

٧-في (د) الظاهرة.

شهودها الخاصة ويسمون هذا تلبيساً؛ وهو مقام الأنبياء، وهذا من أغاليط كثير من الشيوخ وهو في الحقيقة خروج عن ملة إبراهيم وغيره من الرسل، وبا لله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل[1].

---

1 -**انتهى** الكتاب في جميع النسخ، ومابعده كلام الناسخ وفي الأصل: وهذ آخر ماوجدت من "كتاب الاستغاثة "لابن تيمية -قدس ا لله روحه ونور ضريحه- وكان الفراغ من نسخه عصر الخميس لأربعة عشر خلت من ربيع الثاني من شهور عام سنة ١٢٨٤، بقلم الفقير إلى ربه القدير محمد بن عثمان بن يحى -غفر ا لله له ولوالديه وإخوانه المؤمنين- والحمد لله رب العالمين وصلى ا لله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وفي (ف): وهذا آخر ماوجدت من "كتاب الاستغاثة "لشيخ الإسلام ابن تيمية - قدس ا لله روحه ونور ضريحه وأدخله الجنة بغير حساب-، وكان الفراغ من نسخه يوم الأربعاء خامس يوم من جماد أول سنة ١٣١٩ على يد الفقير إلى ربه المقر بالذنب والتقصير عبده بن عبده صالح بن موسى بن صالح بن موسى بن مرشد -غفر ا لله له ولوالديه ولإخوانه وذريته وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات آمين- وصلى ا لله على محمد وآله وصحبه وسلم.

وفي (د): وصلى ا لله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم سنة ١٣٢٦.

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والرسل وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

أمابعد :

فلقد أمضيت فترة من الزمن في تحقيق هذا الكتاب « كتاب الاستغاثة في الرد على البكري » للإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الذي رد به على أحد القبورية المعاصرين له.

وفي نهاية هذا التحقيق لابد من وقفة نعرض فيها لمعالم الكتاب في النقاط التالية :

١- هذا الكتاب في بيان التوحيد الذي جاءت به الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ونفي الشرك عن الصمد المجيد.

٢- كما أنه جزء من جهود شيخ الإسلام ابن تيمية العلمية والعملية في الرد على أهل البدع، والذب عن العقيدة الصحيحة، وهو أيضا جزء من ردود علماء أهل السنة والجماعة.

٣- يرسم لنا هذا الكتاب منهجاً علمياً لردود أهل السنة على المبتدعة، والتي تتميز بالعدل والإنصاف، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإخلاص في النصح للخصم مهما كانت خصومته. بل ومحبة الخير والتوفيق والهداية له.

٤- ويقابل هذا المنهج منهج أهل البدعة، والذي يتميز بالكذب على المخالف، وطلب العلو في الأرض بغير الحق، وتكفير المخالف وإن كان محقا.

٥- التوحيد الذي جاءت به الرسل هو توحيد الإلهية، وفيه كان النزاع بين الرسل وأممهم، وقد أخطأ من ظن أن توحيد الربوبية يكفي للنجاة من النار ودخول الجنة.

٦- التوحيد الذي يعرفه أهل الكلام ومن شايعهم من الصوفية وغيرهم فهو توحيد الربوبية، أقر به مشركو العرب في الجاهلية، وقد أدى هذا الفهم الخاطئ للتوحيد إلى وقوع كثير منهم في الشرك ووسائله.

٧- التكفير حق لله ـ تعالى ـ فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، فلا يحق لأحدٍ أن يكفر من كفره، أما بالنسبة للمبتدعة فلغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير منهم لايمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ماجاء به الرسول ﷺ.

٨- بدع القبور والمشاهد لم تعرف في القرون الفاضلة، وقد ظهرت عند الرافضة في آخر القرن الثالث الهجري، ثم انتشرت عن طريق الطرق الصوفية، الذين نقلوا هذه البدع ودعاويها الباطلة من الرافضة وغيرهم، كما أثبت المؤلف في هذا الكتاب.

٩- هذا الكتاب ليس رداً على شخص البكري، بل هو رد على طوائف من الغلاة، كثير عددهم واسع انتشارهم وهم عند

كثير من الناس مشايخ الإسلام وسادة الأنام، وأهل التحقيق والتوحيد.

١٠- القبورية أو عباد القبور أو المقابرية، نسبة للقبور، وهم كل طائفة جاوزت الحد في تعظيم القبور، وهم في كثير من الأمم فمقل ومستكثر، وسلفهم قوم نوح - عليه السلام -.

١١- القبورية من أخطر الطوائف على الإسلام وأهله، وقد جمعوا شرك الطوائف؛ فأشركوا في توحيد الأسماء والصفات وفي توحيد الربوبية والإلهية.

وهم أشد وثنية من مشركي العرب، وأكثر خضوعاً للأموات من خالق البريات.

١٢- خيانة القبورية للأمة الإسلامية في الشدائد والمحن، مثل موقفهم مع التتار فقد لاذوا بالقبور بل إن منهم من عد التتار من أولياء الله، وكذلك فعل معاصروهم مع المحتلين للبلاد الإسلامية في العصر الحديث .

١٣- تخويف القبورية لكل ناه لهم عن الشرك وآمر لهم بالتوحيد، كما فعل أسلافهم من الأمم المكذبة للرسل - عليهم السلام -، وكذلك فعلوا مع المؤلف وأجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم؛ ولكن الله رد كيدهم في نحورهم وجعل الدائرة عليهم.

١٤- إن القبورية يسمون عقائدهم الفاسدة بأسماء براقه، فسموا الشرك با لله ـ تعالى ـ تعظيماً للأولياء والصالحين؛ والاستغاثة بغير ا لله توسلا؛ وادعاء علم الغيب مكاشفة إلى غير ذلك من الدعاوى الباطلة.

١٥- القبورية أعظم الناس إيذاء للنبي ﷺ بتسليط العامه عليه لطلب الحاجات منه، وحاجاتهم لا تنضبط ولا حد لها.

١٦- بدع القبورية أُخذت من : فلاسفة اليونان ومن أخذ عنهم ممن سموا بفلاسفة الإسلام وأهل الكلام فهم (أي فلاسفة اليونان) قبورية.

وكذلك من الرافضة الذين أصل دينهم تقديس الأئمة وعبادتهم، ومن أهل الأديان السابقة، كتابيهم ووثنيهم.

١٧-الاستغاثة بالأموات من أهم عقائد القبورية عندهم، وقد يسمونها ـ تلبيساً على من لم يعرف حقيقة أمرهم ـ استمداداً أو توسلا أو غير ذلك، وهذه التسميات لا تعرف في لغة العرب و لم يسبقهم أحد بهذه التسميات.

١٨- جواز الاستغاثة بالإنسان الحي الحاضر فيما يقدر عليه، لا ينازع فيه أحد. أما الاستغاثة بالأموات أو بالقبور أو بالأحياء فيما هو من خصائص الرب تبارك وتعالى فهو شرك با لله عز وجل.

١٩-تلاعب الشياطين بالقبورية، لهم، وإجابة بعض مطالبهم، لإضلالهم وفتنتهم.

وما يحدث عند القبور هو من جنس ما يحدث عند الأصنام سواء بسواء .

٢٠-اهتمام النبي ﷺ ببيان التوحيد، وحماية جنابه وسد ذرائع الشرك ووسائله كما صحت بذلك الأخبار.

٢١- معرفة أماكن القبور ليست من الدين الذى تكفل الله بحفظه، ولذا ثبت كذب كثير من المشاهد التى يعظمها الجهله، مثل مشهد رأس الحسين، وقبر نوح، وقبر أبي بن كعب وغيرها.

٢٢- إجماع العلماء في عصر المؤلف على موافقته في منع الاستغاثة بغير الله وهو الثقة فيما ينقل، وللعلماء من المذاهب الأربعة جهود طيبة في الرد على هذا الشرك.

٢٣- النهي عن الاستغاثة بالنبي ﷺ لتحقيق العموم، وأن من دونه أولى بالنهي، وليس فيها تنقص له ﷺ، بل هو من أحسن الكلام.

٢٤- رواج الأحاديث الموضوعة والقصص المكذوبة عند القبورية والروافض وغيرهم من أهل البدع، وقد ذكر المؤلف طائفة منها.

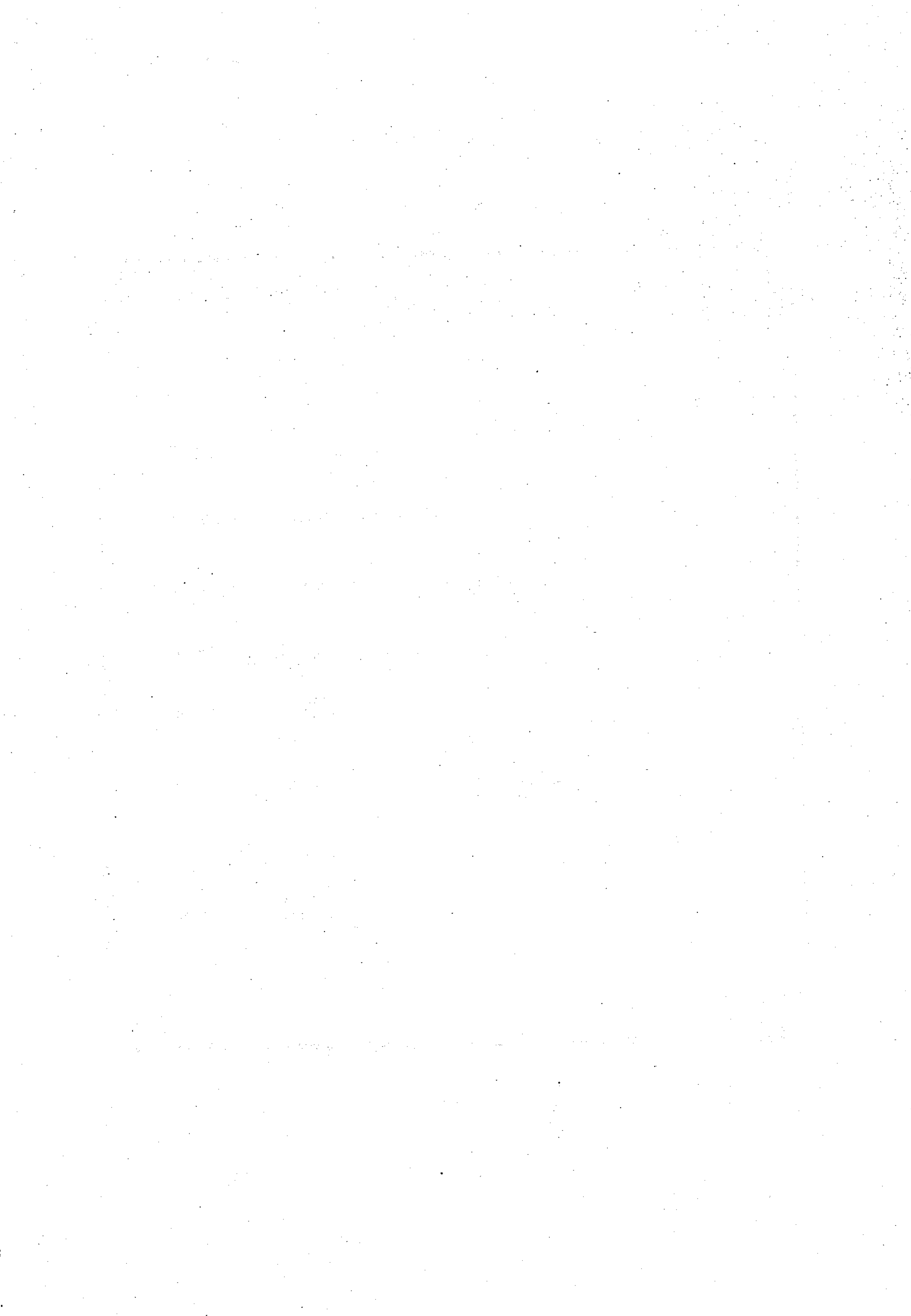
٢٥- لا يجوز الحلف بالنبي ﷺ، والذى عليه الجمهور عدم انعقاد اليمين بالنبي ﷺ، ولا يجوز الإقسام به على الله تعالى.

٢٦- البناء على القبور وتزيينها وتطييبها حدث في دول الرافضة كدولة العبيدين والدولة البويهية، بعد القرون الثلاثة الفاضلة، وانتشرت بعد ذلك تلك البدع نتيجة الجهل بآثار الرسالة.

٢٧- أعظم وسيلة لمعالجة ضلال القبورية هو بيان السنة للمسلمين في كل مكان وبمختلف الوسائل، وبيان كذب الأحاديث التى يعتمدون عليها، والقصص المكذوبة التى يذكرونها، وبيان حقيقة دين القبورية ومخالفتهم لأصول الإسلام.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس



فهرس الآيات القرآنيه

رقم الآيـة	الصفحة
سورة الفاتحه	
٥	٢٨٦، ٣٠٠، ٣٢٢
٦-٧	١٤١، ٣١٩
سورة البقرة	
٣٧-٣٨	١٣٥
٤٠	١٨٤
٤٢	٤٥٧
٤٥	٢٨٧
١٠٢	٥٤٩
١٠٤	٥٧٠
١٠٨	٢٨٥، ٥٢٥
١١٤	٥٩٧
١٢٥	٤٨٠
١٢٨	٢٠٢
١٣٧	٥٥٠
١٦٥	٥٨٦
١٨٧	٥٢٣
٢٠٠	٥٨٦
٢١٤	٤٤٤

رقم الآيـة الصفحة

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة القصص

رقم الآيـة	الصفحة

فهرس الأحاديث والآثار*

* يشمل ماورد في الهامش.

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« اللهم أيده بروح القدس	٤٦١
« اللهم إنا كنا إذا أجدبنا	٢٦٧، ٢٩٠، ٣٣٦
« اللهم إني أسالك	١٥٨
« اللهم إني أعوذ برضاك	٢٠٣
« اللهم لاتجعل قبري وثناً يعبد	٣٤٣
« اللهم لامانع لما أعطيت	٥٤٩
« اللهم لك الحمد وإليك	٢٩٩
« اللهم هل بلغت	٣١٨
« أما وا لله إني لأعرف من كان يغسل جرح ...	
« أمرت أن أقاتل الناس حتى	٢٣٤
« أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه	٤٣٦
« أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس	٥٧٢
« أن النبيﷺ كان يصلي العصر والشمس في	٤٠٣
« أن تعبد ا لله كأنك تراه	٢٣١
« أن رجلا ً ضرير البصر أتى النبي ﷺ	٣٨٩
« أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة	٢٩٧
« أن رسول ا لله ﷺ لما قدم أبى أن يدخل البيت ..	٤٧٤
« أن رسول ا لله ﷺ أمره أن يجعل مسجد الطائف	٤٧٥
« أن رسول ا لله ﷺ قال حين جاءه	٢٧٠
« أن رسول ا لله ﷺ كان إذا رمى الجمرة	٤٢٩
« أن عمر قال: يارسول ا لله رأيت فلانا	٢٦٢
« أن فاطمة -عليها السلام- أتت النبي	٢٧٠

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون؟	٢٦٦
« أنا مع عبدي ما ذكرني	٢١٩ حديث قدسي
« أنت آدم الذى أغويت الناس	٦١٢
« أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا	٦١٢
« أنتم أعلم بأمر دنياكم	٦٢٤
« أنتم مابرئتموني إنما برأني الله	٥٦١
« أنه ﷺ كان يدعو بين الجمرتين	٤٢٩
« أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا	٤٥٢
« إن أحدكم يسألني المسألة	٣٣٨
« إن أحدهم ليسألني المسألة فأعطيها إياه	٢٦٣
« إن أحدهم يسألني فينطلق	٢٦٣
« إن أخاكم لايقول الرفث	٤٥٦
« إن أخبرتنا أخبرناك، فأخبرهم	٥٩٦
« إن الحرم لايعيذ عاصياً ولا فاراً بدم	٤٥٣
« إن الدنيا حلوة خضرة	١٩٢
« إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه	٥٠٢
« إن الله -عزوجل- يقول يوم القيامة	٢١٣
« إن الله لو عذب أهل سمواته وأرضه	٣٥٢
« إن الله يلوم على العجز ولكن عليك	٦٥٢
« إن المسألة كد يكد بها الرجل	٢٨٢
« إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة الغارم	٢٦٠
« إن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل	٥٤٩

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« إن النبي لايقتل بالإشارة	٦٠١
« إن ربك يحب الحمد	٤٥٤
« إن روح القدس معك مانافحت	٤٦١
« إن في الله عزاءً من كل هالك	١٩١
« إن لله تسعة وتسعين اسماً	٢٩٥
« إن لله ملائكة	١٥١
« إن من الشعر لحكمة	٤٦١
« إن من كان قبلكم كانوا يتخذون	٣٣٦
« إن هذا يوم جعله الله للمسلمين	٤٣٣
« إن وسادك إذا لعريض، أن كان	٥٢٤
« إنا لاندخل كنائسكم من أجل	٤٧٤ أثر عن عمر رضي الله عنه
« إنما أنا بشر أنسى كما تنسون	٦٠٥
« إنما جعل السعي بين الصفا والمروة	٤٢٨
« إنه لايستغاث بي إنما يستغاث	٢٩٣،٦٢٠
« إنها أختي	٥٩٦
« إنها أوساخ الناس وإن	٣٨٧
« إنها لاتحل لي	٣٨٧
« إني أبرأ إلى الله أن يكون لي	٩،٥١٢
« إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين	١٣٧
« إني لأتقاكم لله	٦١٦
« أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا	٤٧٣
« أو كلما نفرنا في الغزو خلف	١٩٣

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« من سألنا	٢٦٢
« من عادى لي	٢١٧
« من لايسألنا أحب	٥٥٥
« من نزل منزلاً	٢٠٤
«من سمع النداء	٥١٨
« مابغت امرأة نبي قط	٥٦٥ أثر عن ابن عباس والضحاك
« من نزلت به	١٧٩
« من يستعف يعفه	٢٦٢
« من يعذرني من رجل	٥٦١
« مهما ينزل	٢٧٢

ـــنـــ

« نهى النبي ﷺ عن العقر	٤٣١
« نهينا أن نسأل	٢٨٤

ـــهـــ

« هات وابدأ	٤٥٤
« هذا رجل	٥٩٦
« هم الذين لايسترقون	٢٦٠،٢٨٢،٥١٤
« هن حولي كما ترى	٢٥١
« هيه هيه ٢٨٧	٤٥٥

ـــوـــ

« من نفس عن مؤمن	٢٨٧
« وآدم بين	١٣٧

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

فهرس الفرق والأديان

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الكتب الواردة في أصل الكتاب

فهرس الشعر

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
إذا ماضاق	القرافة	١	محمد العميدي	٥٢
إن تغفر اللهم	لاألما	١	أمية بن أبي الصلت	٤٥٩
إن قريشا	المؤكد	٢	عمرو الخزاعي	٤٦٢
بانت سعاد	مكبول	١	كعب بن زهير	٤٦٣
تعالوا نخرب	خمارة	٤	يونس القيني	٥٨١
حاضر في القلب	فأذكره	٢		٢١٩
د ع ماادعته	واحتكم	٤	البوصيري	٣٠٨
الرب حق	المكلف	١	ابن عربي	١٥٥
زحل وثور	مرصد	٢	أمية بن أبي الصلت	٤٥٦
ساكن في	فأذكره	١	الجنيد	٢١٩
ستور بيك	الباري	٢		٤٥٣
شهدت	الكافرينا	٣	ابن رواحة	٤٥٧
عوذوا بقبر	الضرر	١		٦٣١
فليت لنا	طهيان	١	الأحول الكندي	١٩٤
كن ياعلي	وسلم	٢	البكري	٥٢
لاهم إن	حلالك	١	عبد المطلب	٤٥٨
اللهم إن	والمهاجرة	٢	ابن رواحة	٤٦٠
اللهم لولا	ولا صلينا	١	ابن رواحة	٤٥٨

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
مجدا الله	كبيرا	٣	أمية بن أبي الصلت	٤٥٥
موسى على الطور	حتى جا	١		٥٨١
وأبيض يستسقى	للأرامل	١	أبو طالب	٢٩٥
وانا صرخت في	هج	٢	يونس القيني	٥٨٢
وفينا رسول	ساطع	٢	ابن رواحة	٤٥٧
وكل كلام	ونظامه	١	ابن عربي	٢١٣
وكم من	السقيم	١	المتنبي	٥٩٢
ومن عجبي	معي	٢	الجنيد	٢٢٠
ياخائفين	أبي عمر	١		٦٣١
يارسول الله	قيلا	٢	الصرصري	٣٦٨
يامن ألوذ	أحاذره	٢	المتنبي	٥٩٢

فهرس المصادر والمراجع

– أ –

١–الآيات البينات في عدم سماع الأموات تأليف نعمان الألوسي تحقيق الألباني الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت – لبنان .

٢–أحكام الجنائز وبدعها للألباني الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض – السعودية.

٣–الإحكام في أصول الأحكام للآمدي تعليق عبدالرزاق عفيفي الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت – لبنان.

٤–الإختيار لتعليل المختار تأليف عبدالله الموصلي الحنفي تعليق محمود أبو دقيقة الطبعة الثالثة ١٣٩٥هـ الناشر دار المعرفة.

٥–أزواج النبي ﷺ تأليف محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي تحقيق محمد نظام الدين الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار ابن كثير دمشق، بيروت.

٦–أصول الفقه تأليف د.محمود أبوالنور زهير طبعة ١٤١٢هـ الناشر المكتبة الأزهرية للتراث–القاهرة.

٧–أصول مذهب الشيعة الإمامية تأليف د.ناصر القفاري الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٨–الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية تأليف عمر بن علي البزار تحقيق زهير شاويش الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت – لبنان.

٩–الأعلام تأليف خير الدين الزركلي الطبعة العاشرة ١٩٩٢م الناشر دار العلم للملايين بيروت لبنان.

١٠–أقوم ماقيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى جـ٨.

١١-آكام المرجان في عجائب وغرائب الجان تأليف بدر الدين الشبلي الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الناشر المكتبة العصرية بيروت – لبنان.

١٢-الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطى تحقيق مصطفى عاشور الناشر مكتبة القران – القاهرة .

١٣-الأموال لأبي عبيد بن سلام تحقيق محمد خليل هراس الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ

١٤-أهوال القبور في أحوال أهلها إلى النشور لابن رجب طبعة ١٣٥٧هـ مطبعة أم القرى مكة المكرمة .

١٥-أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية تأليف محمد الشيباني الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.

١٦-أول واجب على المكلف تأليف الشيخ عبدا لله الغنيمان الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر مكتبة لينة دمنهور – مصر.

١٧-أولياء ا لله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي تأليف عبدالرحمن دمشقية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي الرياض – السعودية.

١٨-الأولياء لابن أبي الدنيا، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، الناشر مكتبة القرآن القاهرة ومكتبة الساعي الرياض – السعودية.

١٩-إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء تأليف عبدا لله بن محمد الحسيني الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٢٠-الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (صحيح ابن حبان) لعلاء الدين علي بن بلبان تحقيق شعيب الأرنؤوط الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان.

٢١-إرشاد السالك إلى أفعال المناسك لابن فرحون المالكي تحقيق محمد الهادي الطبعة الثلاثية الرابعة لسنة ١٩٨٨م الناشر وزارة الثقافة والأعلام بتونس.

٢٢-إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل تأليف سليمان بن سحمان الحنبلي تحقيق عبدالسلام بن برجس النشرة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر ودار العاصمة الرياض.

٢٣-اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية تحقيق د.ناصر العقل الطبعه الثالثة ١٤١٣هـ الناشر مكتبة الرشد - الرياض .

٢٤-الالحادية لأبي إسلام مصطفى سلامة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار التقوى ومكتبة خالد بن الوليد عمان - الأردن.

٢٥-الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل تأليف علاء الدين علي بن سليمان المرداوي تحقيق دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

٢٦-إيثار الحق على الخلق لابن المرتضى اليماني طبعة مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم جدة.

٢٧-الابتهاج بأذكار المسافر والحاج للسخاوي تحقيق رضوان محمد رضوان الطبعة الأولى ١٣٧١هـ الناشر دار الكتاب - مصر.

٢٨-ابن تيمية السلفي تأليف محمد خليل هراس الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٢٩-ابن سبعين وفلسفته الصوفية تأليف د.أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، الطبعة الأولى ١٩٧٣م، الناشر دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان.

٣٠-إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي طبعة ١٣٥٦هـ لجنة نشر الثقافة الإسلامية وبذيله تخريج الإحياء.

٣١-إخوان الصفا تأليف عمر الدسوقي الطبعة الثالثة الناشر دار النهضة القاهرة - مصر.

٣٢-الأدب المفرد تأليف محمد بن إسماعيل البخاري، ترتيب كمال يوسف الحوت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ الناشر عالم الكتب بيروت - لبنان.

٣٣-الأذكار، تأليف محي الدين يحى بن شرف النووي، تحقيق عبدالقادر الأرنوؤط، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ الناشر دار الهدى الرياض.

٣٤-الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لأبي المعالي الجويني تحقيق أسعد تميم الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - لبنان.

٣٥-الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد تأليف الشيخ سيلمان بن سحمان ط. الثانية ١٣٧٦هـ بأمر الملك سعود رحمه الله .

٣٦-الاستذكار لابن عبد البر تحقيق علي ناصف النجدي طبعة إحياء التراث الإسلامي الجمهورية العربية المتحدة.

٣٧-الاستقامة لابن تيميه تحقيق د.محمد رشاد سالم الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة السنة القاهرة - مصر.

٣٨-الأسرار المرفوعه في الأخبار الموضوعه تأليف نور الدين على بن محمد بن سلطان المشهور ملا علي القاري تحقيق د.محمد لطفي الصباغ الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، الناشر المكتب الإسلامي بيروت.

٣٩-أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة تأليف د.عمر بن سليمان الأشقر الطبعة الثانية ١٤١٤هـ الناشر دار النفائس عمان الاردن.

٤٠-الأسماء والصفات لأبي بكر البيهقي، تحقيق عمادالدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.

٤١-أسماء ومؤلفات ابن تيمية تأليف ابن القيم تحقيق د.صلاح المنجد الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.

٤٢-الإصابة في تمييز الصحابة تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق على محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر الفجالة القاهرة.

٤٣-اصطلاحات الصوفية تأليف كمال الدين عبدالرزاق الكاشي السمرقندي طبعة سلسلة إشاعة العلو - القاهرة.

٤٤-إصلاح المساجد من البدع والعوائد تأليف محمد بن جمال الدين القاسمي تخريج وتعليق الألباني الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت

٤٥-إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان تأليف الإمام محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية تحقيق محمد عفيفي الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت لبنان، ومكتبة الخاني الرياض - السعودية.

٤٦-الإغاثة بأدلة الاستغاثة بالنبي ﷺ تأليف حسن علي السقاف الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر مكتبة الإمام النووي عمان - الاردن.

٤٧-الإيضاح في المناسك للنووي الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

-ب-

٤٨-الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة تحقيق عادل عبدالمنعم الناشر مكتبة الساعي -الرياض .

٤٩-بدائع الفوائد لابن القيم تحقيق بشير عيون الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر مكتبة المؤيد الرياض - السعودية.

٥٠-بداية المجتهد ونهاية المقتصد تأليف محمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد (الحفيد) طبعة مكتبة الرياض الحديثة الرياض - السعودية.

٥١-البداية والنهاية تأليف إسماعيل بن كثير تحقيق أحمد فتيح الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار الحديث القاهرة - مصر.

٥٢-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف محمد بن علي الشوكاني الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ، الناشر مطبعة السعادة - مصر.

٥٣-البدع والنهي عنها لابن وضاح الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ الناشر دار الرائد العربي بيروت - لبنان.

٥٤-بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، لأبي محمد عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي/شرح مختصر صحيح البخاري المسمى "جمع النهاية في بدء الخير والغاية" الطبعة الثالثة، الناشر دار الجيل – بيروت.

٥٥-بيت الصديق تأليف محمد بن توفيق البكري ط . ١٣٢٣هـ الناشر مكتبة المؤيد – القاهرة .

– ت –

٥٦-تأويل مختلف الحديث لأبي محمد عبدالله مسلم بن قتيبه، تحقيق محمدمحي الدين الأصفر الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت ودار الإشراق بيروت – لبنان.

٥٧-تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) تأليف محمد بن جرير الطبري الطبعة الثالثة ١٤١١هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت –لبنان.

٥٨-تاريخ الجهمية والمعتزلة تأليف جمال الدين القاسمي الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان.

٥٩-تاريخ الخلفاء، تأليف جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ الناشر مطبعة المدني القاهرة

٦٠-تاريخ الفلسفة اليونانية تأليف يوسف كرم طبعة دار القلم بيروت – لبنان.

٦١-تاريخ بغداد للخطيب البغدادي الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة الخانجي القاهرة والمكتبة العربية بغداد .

٦٢-تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب تأليف محمد لطفي جمعة الناشر المكتبة العلمية.

٦٣-تاريخ مدينة دمشق ، تأليف الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق د.شكري فيصل،سكينة الشهابي، ومطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٦٤-التعريفات تأليف علي الجرجاني الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٦٥-تحفة الأحوذي للمباركفوري تصحيح عبدالرحمن محمد عثمان الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ مطبعة الجفالة الجديدة - مصر.

٦٦-تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف تأليف جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، صححه وعلق عليه عبدالصمد شرف الدين، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ الدار القيمة بمباي - الهند مع النكت الظراف على الأطراف لابن حجر.

٦٧-تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس تأليف عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ تحقيق عبدالسلام بن برجس الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

٦٨-التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية للشيخ فالح آل مهدي تصحيح د.عبدالرحمن المحمود الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار الوطن الرياض - السعودية.

٦٩-تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد تأليف فريح البهلال الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر دار الأثر الرياض - السعودية.

٧٠-تذكرة الموضوعات تأليف محمد طاهر بن علي الهندي ١٣٩٩هـ طبعة الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان وفي ذيلها قانون الموضوعات والضعفاء.

٧١-التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي تحقيق د.السيد الجميلي الناشر دار ابن زيدون بيروت - لبنان ومكتبة مدبولي القاهرة - مصر.

٧٢-ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض تحقيق أحمد بكير طبعة دار مكتبة الحياة بيروت - لبنان .

* طبعة أخرى : تحقيق سعيد اعراب ط. الأولى مطبعة فضالة المحمدية بالمغرب.

٧٣-الترغيب والترهيب للمنذري ضبط وتعليق مصطفى عمارة طبعة ١٤٠١هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.

٧٤-التصوف المنشأ والمصادر تأليف إحسان إلهي ظهير الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر إدارة ترجمان السنة لاهور - باكستان.

٧٥-التعرف لمذهب أهل التصوف تأليف محمد بن إسحاق الكلاباذي ضبط وتخريج أحمد شمس الدين الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٧٦-تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر العسقلاني تحقيق د.أحمد المباركي الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٧٧-تغليق التعليق على صحيح البخاري، تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق سعيد عبدالرحمن موسى القزقي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - دمشق، ودار عمار عمان - الاردن.

٧٨-تفسير الفخر الرزاي المشتهر ب"التفسير الكبير ومفاتيح الغيب"، تأليف فخرالدين محمد بن عمر الرازي طبعة ١٤١٠هـ، الناشر دار الفكر - بيروت.

٧٩-تفسير القرآن العظيم تأليف ابن كثير طبعة ١٤٠٣هـ الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان.

٨٠-تقريب التهذيب تأليف ابن حجر العسقلاني تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٨١-تقريب الوصول إلى علم الأصول لأبي القاسم محمد الغرناطي تحقيق د.محمد المختار الشنقيطي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم جدة.

٨٢-التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لزين الدين العراقي تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ الناشر المكتبة السلفية المدينة المنورة - السعودية.

٨٣-التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر تحقيق عبدا لله صديق.

٨٤-تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدارسي والحلبي تأليف أحمد بن عيسى الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر مكتبة لينه دمنهور - مصر.

٨٥-التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع تأليف محمد بن أحمد الملطي الشافعي تحقيق يمان بن سعدالدين المياديني الطبعة الأولى ١٤٤هـ الناشر رمادي الدمام - السعودية.

٨٦-تهافت الفلاسفة للغزالي تحقيق د.سليمان دنيا الطبعة السادسة الناشر دار المعارف القاهرة - مصر.

٨٧-التوحيد وإثبات صفات الرب -عزوجل- لابن خزيمة تحقيق د.عبد العزيز الشهوان الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية .

٨٨-التوحيد ومعرفة أسماء ا لله -عزوجل- وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن منده تحقيق د.علي الفقيهي الطبعة الثانية ١٤١٤هـ الناشر مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة - السعودية.

٨٩-التوسل أنواعه وأحكامه للألباني تنسيق محمد عيد العباسي الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٩٠-التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع تأليف محمد نسيب الرفاعي الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

٩١-التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولى الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب تأليف سليمان بن عبدا لله بن محمد بن عبدالوهاب الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار طيبة الرياض - السعودية.

- ج -

٩٢-جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) تأليف محمد بن جرير الطبري، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٩٣–جامع الترمذي تأليف محمد بن عيسى الترمذي عناية د.بدر الدين جنتن آر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون – تونس .

٩٤–جامع العلوم والحكم تأليف ابن رجب تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان.

٩٥–الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله القرطبي الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ (لم يذكر الناشر) تصحيح أحمد البردوني شاركه في التصحيح بعد المجلد الرابع إبراهيم طفيش وبشندي خلف الله ومحمد محمد حسين.

٩٦–الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ الناشر مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن – الهند.

٩٧–جزء في عقيدة ابن عربي وحياته من كتاب العقد الثمين لتقي الدين الفاسي عناية علي حسن عبدالحميد الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار ابن الجوزى الدمام – السعودية.

٩٨–جزء منتقى من حديث ولي الدين العراقي تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي – مجلة الحكمة العدد الخامس في شهر شوال ١٤١٥هـ .

٩٩–جهود علماء الحنفيه في إبطال عقائد القبورية تأليف شمس الدين الأفغاني ط. الأولى ١٤١٦هـ الناشر دار الصميعي الرياض .

–ح–

١٠٠–حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم تحقيق علي الشربجي وقاسم نوري الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان.

١٠١–حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع جمع عبدالرحمن بن قاسم النجدي الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

١٠٢–الحاوي للفتاوى، تأليف جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبعة دار الكتاب العربي بيروت – لبنان.

١٠٣-الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة إملاء قوام السنة الأصبهاني تحقيق محمد ربيع المدخلي الطبعة الأولى ١٤١١هـ الناشر دار الراية الرياض - السعودية.

١٠٤-حديث الإفك تأليف عبدالغني المقدسي تحقيق هشام السقا طبعة ١٤٠٥هـ الناشر دار عالم الكتب الرياض - السعودية.

١٠٥-حسن المحاضرة تأليف جلال الدين عبدالرحمن السيوطي تحقيق محمد إبراهيم الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ طبعة عيسى البابي الحلبي.

١٠٦-حقيقة الجن والشياطين تأليف محمد علي السيدابي الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار الحارث الخرطوم - السودان.

١٠٧-الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى تأليف د.محمد ربيع المدخلي الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة لينة دمنهور.

١٠٨-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.

١٠٩-الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي تحقيق علي حسن عبدالحميد الطبعة الأولى ١٤١١هـ الناشر دار ابن الجوزي الدمام .

١١٠-حياة الأنبياء بعد وفاتهم للبيهقي تحقيق د.أحمد الغامدي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر مكتبة العلوم والحكمة المدينة المنورة - السعودية.

-خ-

١١١-ختم الولاية تأليف الحكيم الترمذي تحقيق عثمان إسماعيل يحي طبعة المطبعة الكاثوليكية بيروت - لبنان.

١١٢-الخضر وأثاره بين الحقيقة والخرافة تأليف أحمد الحصين الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ والناشر دار البخاري بريدة - السعودية.

١١٣–خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل تأليف محمد بن إسماعيل البخاري الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت– لبنان.

١١٤–خوارق العادات، تأليف مجدى محمد الشهاوي، الناشر مكتبة الفرات القاهرة –مصر.

–د–

١١٥–دائرة المعارف الإسلامية، تأليف مجموعة من المستشرقين، ترجمها للعربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم خورشيد، عبدالحميد يونس راجعها د.محمد مهدي علام، الناشر دار المعرفة بيروت – لبنان.

١١٦–دائرة معارف القرن العشرين، تأليف محمد فريد وجدي، الطبعة الثانية ١٣٤١، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين

١١٧–دحض شبهات على التوحيد من الفهم لثلاثة أحاديث تأليف عبدالله أبابطين الحنبلي تحقيق عبدالسلام بن برجس الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١١٨–الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للإمام الشوكاني تحقيق أبي عبدالله الحلبي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار ابن خزيمة الرياض.

١١٩–الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد تأليف صالح العصيمي الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار ابن خزيمة الرياض – السعودية.

١٢٠–درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية تحقيق د.محمد رشاد سالم طبعة دار الكنوز الأدبية.

١٢١–دراسات في التصوف تأليف إحسان إلهي ظهير الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر ادارة ترجمان السنة لاهور – باكستان.

١٢٢-دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين تأليف د.أحمد جلي الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ الناشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض – السعودية.

١٢٣-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة تأليف الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني طبعة دار الجيل بيروت – لبنان.

١٢٤-دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عرض ونقد تأليف عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار العاصمة -الرياض.

١٢٥-الدعوات الكبير لأبي بكر البيهقي تحقيق بدر البدر الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مركز المخطوطات والتراث والوثائق – الكويت.

١٢٦-دعوة التوحيد تأليف د.محمد خليل هراس الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت -لبنان.

١٢٧-دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني تحقيق د.محمد رواس وعبدالبر عباس الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ الناشر دار النفائس بيروت لبنان.

١٢٨-دلائل النبوة للبيهقي تحقيق د.عبدالمعطي قلعجي الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

١٢٩-ديوان أمية بن أبي الصلت جمع بشير يموت الطبعة الأولى ١٩٣٤م الناشر المكتبة الاهلية بيروت – لبنان.

١٣٠-ديوان الأمير الصنعاني للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني قدم له وأشرف على طبعه علي السيد صبح المدني الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ مطبعة المدني القاهرة على نفقة الشيخ علي عبدا لله آل ثاني.

١٣١-ديوان البوصيري لأبي عبدا لله محمد بن سعيد البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ، الناشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

١٣٢-ديوان المتنبي طبعة ١٤٠٣هـ الناشر دار صادر بيروت.

١٣٣-ديوان عبدالله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، جمع د.وليد قصاب الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ دار العلوم.

-ذ-

١٣٤-ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين للعبادي تحقيق د.أحمد عمر هاشم ود.محمد زينهم طبعة المكتبة الثقافية الدينية بور سعيد - مصر.

١٣٥-الذيل على طبقات الحنابلة تأليف ابن رجب تصحيح محمد حامد الفقي طبعة ١٣٧٢هـ مطبعة السنة المحمدية القاهرة.

١٣٦-ذيول العبر في خبر من غبر تأليف شمس الدين محمد الذهبي تحقيق أبي هاجر محمد السعيد زغلول الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- ر -

١٣٧-رأس الحسين لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى جـ٢٧.

١٣٨-الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية لابن حجر العسقلاني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية تصحيح إدارة الطباعة المنيرية طبعة ١٣٤٣هـ الناشر مكتبة طيبة الرياض.

١٣٩-الرد على الأخنائي لابن تيمية بهامش الرد على البكري طبعة ١٣٤٦هـ .

١٤٠-الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي تخريج وتعليق بدر البدر الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر الدار السلفية حولي - الكويت.

١٤١-الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد تحقيق د.عبدالرحمن عميرة الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ الناشر دار اللواء الرياض - السعودية.

١٤٢-الرد على شبهات المستغيثين بغير الله تأليف أحمد بن إبراهيم بن عيسى ضمن الجامع الفريد الطبعة الثانية على نفقة عبدالعزيز ومحمد الجميح.

١٤٣-رسائل إخوان الصفا المقدمة لبطرس البستاني طبعة ١٣٧٦هـ الناشر دار صادر بيروت - لبنان.

١٤٤-الرسالة للإمام محمد بن أدريس الشافعي تحقيق أحمد شاكر طبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

١٤٥-رسالة الشرك ومظاهره تأليف مبارك محمد الميلي الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة الإيمان الإسكندريه-مصر .

١٤٦-الرسالة القشيرية تأليف عبدالكريم القشيري تحقيق د.عبدالحليم محمود ومحمود الشريف.

١٤٧-رسالة في وجوب التوحيد تأليف محمد علي الشوكاني تحقيق د.محمد ربيع مدخلي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار المنار القاهرة - مصر.

١٤٨-الرسل والرسالات تأليف د.عمر بن سليمان الأشقر الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ الناشر مكتبة الفلاح ودار النفائس الكويت.

١٤٩-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف الألوسي البغدادي، الناشر مكتبة دار التراث - القاهرة.

١٥٠-الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية تأليف الحسن بن عبدالمحسن المشهور بأبي عذبة تحقيق د.عبدالرحمن عميرة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر عالم الكتب بيروت - لبنان.

١٥١-روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي أشرف على طبعه زهير الشاويش الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

١٥٢-روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد تأليف موفق الدين عبدالله بن أحمد المقدسي تحقيق عبدالكريم النملة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٥٣-زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط الطبعة الخامسة والعشرون ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت ومكتبة المنار الكويت.

١٥٤-الزهد الكبير للبيقهي تحقيق د.تقي الدين الندوي الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ الناشر دار القلم الكويت.

١٥٥-الزهر النضر في نبأ الخضر تأليف ابن حجر العسقلاني ضمن مجموعة الرسائل المنبرية طبعة مكتبة طيبة الرياض - السعودية.

١٥٦-الزواجر عن اقتراف الكبائر ويليه كف الرعاع والإعلام بقواطع الإسلام تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن حجر المكي الهيتمي، الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان ١٤٠٢هـ.

- س -

١٥٧-سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها تأليف محمد ناصر الدين الألباني، جـ١ وجـ٢ الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت جـ٥ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض .

١٥٨-سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة تأليف العلامة محمد ناصر الدين الألباني، جـ١ الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت جـ٢ الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض

١٥٩-سنن أبي داود تأليف سليمان بن الأشعث السجستاني عناية د.بدر الدين جنتن آر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون - تونس .

* طبعة أخرى : تحقيق محمد عبد الحميد محي الدين .

١٦٠-سنن ابن ماجه تأليف محمد بن يزيد بن ماجه تحقيق د.محمد الأعظمي الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ الناشر شركة الطباعة العربية السعودية - الرياض.

١٦١-سنن الدارقطني تأليف علي بن عمر الدارقطني تصحيح عبدا لله هاشم يماني المدني طبعة دار المحاسن للطباعة القاهرة وبذيله التعليق المغني على الدارقطني لأبي الطيب محمد شمس الحق آبادي.

١٦٢-سنن الدارمي تأليف عبدا لله بن عبدالرحمن الدارمي عناية وتعليق د.بدر الدين جنتن آر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون - تونس.

١٦٣-السنن الكبرى لأبي بكر أحمد البيهقي وبذيله الجوهر النقي لابن التركماني طبعة دار المعرفة بيروت - لبنان.

١٦٤-سنن النسائي تأليف أحمد بن شعيب النسائي عناية د.بدر الدين جنتن آر الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون تونس.

١٦٥-سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط الطبعة السادسة ١٤٠٩هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

١٦٦-سير الأولياء في القرن السابع تأليف صفي الدين الحسين الأنصاري تحقيق مأمون ياسين وعفت وصال الطبعة الأولى الناشر دار العالم بيروت - لبنان.

١٦٧-السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرين الناشر المكتبة العلمية بيروت - لبنان.

- ش -

١٦٨-شبهات التصوف تأليف عمر قريشي الناشر دار الهدى القاهرة - مصر.

١٦٩-شذرات الذهب في أخبار من ذهب تأليف عبدالحي بن عماد الحنبلي الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ الناشر دار المسيرة بيروت - لبنان.

١٧٠-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله اللالكائي تحقيق د.أحمد سعد حمدان الطبعة الثانية ١٤١١هـ الناشر دار طيبة الرياض - السعودية.

١٧١-شرح الأصول الخمسة تأليف القاضي عبدالجبار المعتزلي تعليق أحمد بن الحسين تحقيق د.عبدالكريم زيدان الطبعة الثالثة رمضان ١٤٠٨هـ الناشر مكتبة وهبة القاهرة.

١٧٢-شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الثانية، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٥هـ.

١٧٣-شرح التحفة الوردية لزين الدين عمر بن مظفر بن الوردي، تحقيق د.عبدالله الشلال،طبعة ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.

١٧٤-شرح السنة تأليف الحسين بن مسعود الفراء البغوي تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت لبنان.

١٧٥-شرح العقائد النسفية تأليف سعدالدين التفتازاني تحقيق د.أحمد حجازي السقا الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية - مصر.

١٧٦-شرح العقيدة الطحاوية شرح ابن أبي العز الحنفي خرج أحاديثها العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني الطبعة الثامنة ١٤٠٤هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

١٧٧-شرح المقاصد تأليف سعدالدين التفتازاني تحقيق د.عبدالرحمن عميرة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار عالم الكتب بيروت - لبنان.

١٧٨-شرح حديث حصين بن عمران لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى جـ١٨.

١٧٩-شرح ذات الشفا تأليف محمد بن الحاج الكردي تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي وصابر الزيباري الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار عالم الكتب بيروت - لبنان.

١٨٠-شرح صحيح مسلم تأليف محي الدين النووي مراجعة خليل الميس الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار القلم بيروت - لبنان.

١٨١-شرح مسند الإمام أحمد شرح أحمد شاكر الطبعة الرابعة ١٣٧٣هـ الناشر دار المعارف - مصر.

١٨٢-شرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني تعليق محمد الصباغ الطبعة الثانية ١٤١٠هـ الناشر مكتبة الغزالي دمشق.

١٨٣-الشريعة للآجرى تحقيق محمد حامد الفقي الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ الناشر مطبعة السنة المحمدية.

١٨٤-شفاء السقام في زيارة خير الأنام للسبكي الطبعة الثانية ١٩٧٨م الناشر دار الأفاق الجديدة بيروت - لبنان.

١٨٥-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل تأليف ابن قيم الجوزية تخريج وتعليق مصطفى الشلبي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مكتبة السوادي جدة - السعودية.

١٨٦-الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض تحقيق محمد أمين وآخرين طبعة مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن دمشق.

طبعة أخرى: بتحقيق محمد البجاوي طبعة دار الكتاب العربي.

١٨٧-الشفاعة تأليف عبد الرحمن بن مقبل بن هادي الوادعي الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ الناشر مكتبة دار الأرقم - الكويت.

١٨٨-الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية تأليف مرعى الكرمي الحنبلي تحقيق نجم عبدالرحمن الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الفرقان عمان - الاردن، ومؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

١٨٩-شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق تأليف يوسف النبهاني الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ الناشر مكتبة مصطفى البابي وأولاده - مصر.

١٩٠-شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين جمع صلاح الدين المنجد الطبعة الأولى ١٩٦٧م الناشر دار الكتاب الجديد بيروت - لبنان.

- ص -

١٩١-الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي تحقيق أبي عبدالرحمن السلفي الطبعه الأولى ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة الرياض - بيروت .

١٩٢-صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، مصوره عن الطبعة الأميرية، الناشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

١٩٣-صحيح ابن خزيمة لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق د.مصطفى الأعظمي الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ش الطباعة العربية السعوديةالمحدودة.

١٩٤-صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري للعلامة الألباني الطبعة الثانية ١٤١٥هـ الناشر دار الصديق الجبيل - السعودية.

١٩٥-صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري تحقيق محمد علي قطب طبعة ١٤١١هـ الناشر المكتبة العصرية بيروت - لبنان.

١٩٦-صحيح الجامع الصغير وزيادته تأليف العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني أشرف على طبعه زهير الشاويش الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

١٩٧-صحيح سنن أبي داود للألباني الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

١٩٨-صحيح مسلم للإمام محمد بن الحجاج القشيري عناية وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي طبعة ١٤١٣هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

١٩٩-صفات الله -عزوجل- الواردة في الكتاب والسنة تأليف علوي عبدالقادر السقاف الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار الهجرة الرياض- السعودية.

٢٠٠-الصفات للدارقطني تدقيق وتعليق عبدا لله الغنيمان الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ الناشر مكتبة الدار المدينة المنورة - السعودية.

٢٠١-صفة الساق لله -تعالى- بين إثبات السلف وتعطيل الخلف لمحمد بن موسى نصر الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة - السعودية.

٢٠٢-الصفدية لابن تيمية تحقيق د.محمد رشاد سالم الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.

٢٠٣-الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني تحقيق محمد ربيع المدخلي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار الحرير القاهرة - مصر.

٢٠٤-الصواعق المرسلة الشهابية تأليف سليمان بن سحمان الحنبلي تحقيق عبدالسلام بن برجس النشرة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار العاصمة - الرياض.

٢٠٥-الصوفية في نظر الإسلام تأليف سميح عاطف زين الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان ودار الكتاب المصري القاهرة- مصر.

٢٠٦-صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان تأليف محمد السهسواني الهندي الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم بجدة.

- ض -

٢٠٧-ضعيف الأدب المفرد للبخاري للعلامة الألباني الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار الصديق الجبيل - السعودية.

٢٠٨-ضعيف الجامع الصغير وزياداته الفتح الكبير تأليف محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثانية المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ.

٢٠٩-ضعيف سنن أبي داود تأليف محمد ناصر الدين الألباني وأشرف على استخراجه زهير الشاويش الطبعة الأولى ١٤١٢هـ المكتب الاسلامي بيروت لبنان.

٢١٠-ضعيف سنن ابن ماجه للألباني أشرف على طبعه زهير الشاويش الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

- ط -

٢١١-طبقات الأطباء والحكماء تأليف سليمان بن حسان الأندلسي -ابن جلجل- طبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.

٢١٢-طبقات الشافعية الكبرى، تأليف تاج الدين عبدالوهاب السبكي تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي الطبعة الأولى طبعة عيسى البابي الحلبي.

٢١٣-طبقات الشافعية تأليف جمال الدين عبدالحليم الأسنوي، تحقيق عبدالله الجبوري طبعة ١٤٠١هـ، دار العلوم.

٢١٤-طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير تحقيق د. أحمد عمر هاشم ود.محمد زينهم طبعة مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد - مصر.

٢١٥-الطبقات الكبرى (لوامع الأنوار في طبقات الأخيار) للشعراني الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الناشر دار الجيل بيروت.

أخرى: الطبعة الأولى١٣٤٣هـ بالمطبعة الأزهرية الناشر ورثة محمد عبدالخالق المهدي وبهامشه الأنوار القدسية.

٢١٦-الطبقات الكبرى لابن سعد، طبعة ١٣٦٧ الناشر دار بيروت ودار صادر بيروت -لبنان .

٢١٧-طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم طبعة ١٤١٣هـ على نفقة محمد بن صالح بن سلطان.

٢١٨-طهارة بيت النبوة تأليف خالد الشايع الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار الجلالين ودار بلنسية الرياض - السعودية.

- ع -

٢١٩-عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي تأليف ابن العربي المالكي، الناشر دار العلم - سوريا.

٢٢٠-عالم الجن والشياطين تأليف عمر سليمان الأشقر الطبعة الثانية الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٢٢١-عقائد الثلاث وسبعين فرقة تأليف أبي محمد اليمني تحقيق محمد عبدا لله الغامدي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر مكتبة العلوم والحكم المدين المنورة - السعودية.

٢٢٢-العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية تأليف الإمام محمد بن أحمد بن عبدالهادي تحقيق محمد حامد الفقي الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

أخرى: مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦هـ.

٢٢٣-عقيدة الإمام ابن عبدالبر في التوحيد والإيمان تأليف سليمان بن صالح الغصن إشراف د.ناصر العقل رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين ١٤٠٩هـ.

٢٢٤-العقيدة السلفية القسم الخامس مواقف السلف مالك بن أنس تأليف محمد عبدالرحمن المغراوي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار المنار الخرج - السعودية.

٢٢٥-العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات تأليف محمد بن عبدالرحمن المغراوي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار المنار الرياض - السعودية.

٢٢٦-العقيدة السلفية في كلام رب البرية تأليف عبدا لله الجديع الطبعة الثانية ١٤١٦هـ الناشر دار الإمام مالك ودار الصميعي الرياض - السعودية.

٢٢٧-العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبدالله تحقيق وصي الله عباس الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٢٢٨-العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ للعلامة صالح المقبلي وبهامشه كتاب الأرواح النوافح له أيضا الناشر مكتبة دار البيان دمشق - سوريا.

٢٢٩-العلو للعلي الغفار للذهبي تصحيح محمد رشيد رضا طبعة ١٣٣٢هـ الناشر محمد أفندي نصيف .

٢٣٠-عمل اليوم والليلة لأبي بكر أحمد بن محمد إسحاق الدينوري المعروف بابن السني الطبعة الثانية ١٣٥٨هـ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن - الهند.

٢٣١-عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح ابن القيم الجوزية للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الناشر محمد عبدالمحسن - المكتبة السلفية - المدينة المنورة الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ.

-غ-

٢٣٢-غاية الأماني في الرد على النبهاني تأليف محمود شكري الألوسي الطبعة الثانية الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.

٢٣٣-غاية السول في خصائص الرسول لأبي حفص عمر الأنصاري المشهور بابن الملقن تحقيق عبدالله بحرالدين عبدالله الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار البشائر الإسلامية بيروت - لبنان.

٢٣٤-غريب الحديث، تأليف عبدالله بن مسلم بن قتيبة تحقيق د.عبدالله الجبوري الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ، الناشر وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية.

٢٣٥-غلاة الشيعة الباطنية في بلاد الشام تأليف د.يوسف درويش غوانمه، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، الناشر جمعية عمال المطابع التعاونية عمان - الأردن.

- ف -

٢٣٦-الفتاوى الكبرى لابن تيمية الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار القلم بيروت - لبنان.

٢٣٧-الفتاوى الهندية (الفتاوى العالمكيرية) تأليف فخر الدين حسن بن منصور الهندي الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت، وبهامشها فتاوى قاضيخان البزازية.

٢٣٨-فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ جمع وترتيب محمد بن عبدالرحمن قاسم الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ بمطبعة الحكومة بمكة المكرمة.

٢٣٩-الفتاوى، تأليف عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام الشافعي، خرجها عبدالرحمن عبدالفتاح، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ دار المعرفة - بيروت لبنان.

٢٤٠-فتح الباري شرح صحيح البخاري تأليف ابن حجر العسقلاني رقّم الأحاديث محمد فؤاد عبدالباقي حقق المجلد الأول والثاني العلامة عبدالعزيز بن باز الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٢٤١-الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ترتيب أحمد عبدالرحمن البنا الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ الناشر دار الشهاب القاهرة - مصر.

٢٤٢-فتح القدير تأليف كمال الدين محمد بن عبدالواحد طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت وبهامشه شرح العناية على الهداية .

٢٤٣-فتوح البلدان، تأليف أحمد بن يحي بن جابر البغدادي الشهير بالبلاذري، الطبعة الأولى مطبعة الموسوعات القاهره.

٢٤٤-الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية تأليف محمد بن علان الصديقي طبعة ١٣٩٨هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.

٢٤٥-الفتوحات المكية، تأليف محي الدين بن عربي، تحقيق د.عثمان يحي ومراجعة إبراهيم مدكور طبعة ١٣٩٢هـ، الناشر وزارة الثقافة والأعلام بمصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٤٦-الفرج بعد الشدة للقاضي أبي على المحسن التنوخي ط. مكتبة الخانجي - مصر ، مكتبة المثنى ببغداد .

٢٤٧-الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع الديلمي، تحقيق السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٢٤٨-الفرق بين الفرق تأليف عبدالقاهر البغدادي تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان.

٢٤٩-الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية تحقيق د.عبدالرحمن اليحي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار طويق الرياض - السعودية.

٢٥٠-الفصل في الملل والأهواء والنحل تأليف علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري تحقيق د.محمد إبراهيم نصر ود.عبدالرحمن عميرة طبعة ١٤٠٥هـ الناشر دار الجيل بيروت - لبنان.

٢٥١-فصوص الحكم تأليف محي الدين ابن عربي تحقيق أبي العلا عفيفي طبعة دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.

٢٥٢-فضائل الصلاة على النبي تأليف إسماعيل القاضي المالكي تحقيق الألباني الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٢٥٣-فضائل المدينة لأبي سعيد المفضل المكي تحقيق محمد الحافظ وغزوة بدير الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر دار الفكر دمشق - سوريا.

٢٥٤-فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد لأبي عبدالله البخاري تأليف فضل الله الجيلاني الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ الناشر المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة.

٢٥٥-فضيلة الشكر لله على نعمته، لأبي بكر محمد بن جعفر السامري المعروف بالخرائطي، تحقيق محمد مطيع ، د.عبدالكريم اليافي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.

٢٥٦-الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي تأليف د.زكريا بشير إمام الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة الفلاح الكويت.

٢٥٧-فهرس الفهارس والأثبات لعبدالحي عبدالكبير الكتاني، تحقيق د.إحسان عباس الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، دار الغرب الإسلامي - بيروت.

٢٥٨-الفهرست لابن النديم، تحقيق رضا تجدد الناشر مكتبة الأسدي ومكتبة الجعفري - طهران.

٢٥٩-فوائد حديثية تأليف ابن القيم تحقيق مشهور بن حسن وإياد القيسي الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشر دار ابن الجوزى الدمام السعودية.

٢٦٠-الفيء والغنيمة ومصارفهما تأليف محمد الربيع الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٦١-فيض القدير شرح الجامع الصغير تأليف عبدالرؤوف المناوي الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ الناشر المكتبة التجارية مصر.

- ق -

٢٦٢-قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية تحقيق ربيع المدخلي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مكتبة لينه دمنهور.

٢٦٣-القاموس المحيط للفيروز آبادي تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرساله الطبعه الثالثة ١٤١٣هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت .

٢٦٤-قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن الحنبلي تحقيق بشير عيون الطبعة الأولى ١٤١١هـ الناشر مكتبة المؤيد الطائف السعودية ومكتبة دار البيان دمشق - سوريا.

٢٦٥-قصص الأنبياء لابن كثير الطبعة الثامنة ١٤٠٨هـ الناشر دار القلم بيروت -لبنان.

٢٦٦-قصيدة البردة لكعب بن زهير شرح أبي البركات ابن الانباري، تحقيق د.محمود حسن زيني دحلان الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ تهامة للنشر والتوزيع - الرياض.

٢٦٧-القضاء والقدر د.عبدالرحمن المحمود الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار النشر الدولي الرياض السعودية.

٢٦٨-القضاء والقدر في الإسلام تأليف د.فاروق الدسوقي الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٢٦٩-القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا تحقيق مجدي السيد إبراهيم طبعة مكتبة القرآن القاهرة - مصر.

٢٧٠-القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع تأليف شمس الدين عبدالرحمن السخاوي الطبعة الثالثة ١٣٩٧الناشر المكتبة العلمية المدينة المنورة -السعودية.

٢٧١-القول الرشيد في حقيقة التوحيد تأليف سليمان العلوان الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار المنار - الرياض السعودية.

٢٧٢-القول المفيد على كتاب التوحيد تأليف الشيخ محمد العثيمين عناية د.سليمان أبا الخيل ود.خالد المشيقح الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

-ك-

٢٧٣-الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل تأليف موفق الدين بن قدامة المقدسي الطبعة الثانية الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٢٧٤-الكامل في ضعفاء الرجال تأليف أحمد بن عدي تحقيق د.سهيل ركاز تدقيق يحي غزاوي الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.

٢٧٥-الكبريت الأحمر للشعراني طبعة ١٣٧٨هـ الناشر شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بهامش اليواقيت والجواهر للشعراني ايضا.

٢٧٦-الكتاب المقدس -التوراة- طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

٢٧٧-الكرامة تأليف عبدا لله العنقري رسالة ماجستير في قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية جامعة الملك سعود.

٢٧٨-كشاف القناع عن متن الإقناع تأليف منصور البهوتيّ راجعه هلال مصيلحي هلال طبعة ١٤٠٢هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.

٢٧٩-كشف أسرار الباطنية تأليف محمد بن مالك بن أبي الفضائل اليماني تحقيق محمد عثمان الخشت طبعة مكتبة ابن سيناء القاهرة - مصر.

٢٨٠-كشف الأسرار تأليف روح ا لله الخميني ترجمة للعربيه د.محمد البنداري وعلق عليه سليم الهلالي وقدم له د.محمد الخطيب الطبعة الثانية الناشر دار عمار عمان - الاردن

٢٨١-كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث، تأليف إسماعيل بن محمد العلجوني، الطبعة الثانية ١٣٥١هـ الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٨٢-كشف المتواري من تلبيسات الغمارى تأليف علي حسن عبدالحميد الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار ابن الجوزى الدمام - السعودية.

٢٨٣-الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ تأليف محمود عبدالرؤوف قاسم الطبعة الثانية ١٤١٥هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.

٢٨٤-كشف ماألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس تأليف عبدالرحمن بن حسن تحقيق عبدالعزيز الزير آل حمد النشرة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

٢٨٥-الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي مقابلة وطبع د.عدنان درويش ومحمد المصري الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان.

٢٨٦-الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية تأليف مرعي الكرمي الحنبلي تحقيق نجم عبدالرحمن الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان.

- ل -

٢٨٧-اللألي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة تأليف جلال الدين السيوطي الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان.

٢٨٨-اللباب شرح الكتاب تأليف عبدالغني الحنفي تحقيق محمود أمين النواوي طبعة دار الحديث.

٢٨٩-اللباب في تهذيب الأنساب تأليف عز الدين أبي الحسن ابن الأثير طبعة ١٣٥٧هـ الناشر مكتبة القدسي القاهرة - مصر.

٢٩٠-لسان العرب لابن منظور الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.

٢٩١-لسان الميزان لابن حجر العسقلاني طبعة دار الفكر بيروت - لبنان.

٢٩٢-لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية تأليف محمد السفاريني الطبعة الثالثة ١٤١١هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

- م -

٢٩٣-المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لأبي حاتم البستي تحقيق محمود إبراهيم زايد طبعة ١٣٩٥هـ الناشر دار الوعي حلب - سوريا.

٢٩٤-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تأليف نور الدين علي الهيثمي طبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٢٩٥-مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن القاسم وابنه محمد طبعة ١٤١٢هـ الناشر دار عالم الكتب الرياض - السعودية ويشار لها بـ (مج).

٢٩٦-المجموع للنووي مطبعة الإمام بمصر.

٢٩٧-مجموع يشتمل على رسائل وفوائد كثيرة أصولية ومنظومة ومديح ومراثي تأليف العلامة عبدا لله أبابطين وأخرون جمع عبدا لله الربيعة (مخطوط) محفوظ بقسم المخطوطات جامعة الملك سعود برقم ٩/٣٤٢٢.

٢٩٨-محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين تأليف فخر الدين محمد بن عمر الرازي راجعه وعلق عليه طه عبدالرؤوف سعد الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ومعه تلخيص المحصل للطوسي.

٢٩٩-المحلى لابن حزم الظاهري طبعة المكتب التجاري بيروت لبنان.

٣٠٠-محيط المحيط تأليف بطرس البستاني طبعة ١٩٨٣م الناشر مكتبة لبنان بيروت.

٣٠١-مختصر العلو للذهبي اختصار العلامة الألباني الطبعة الأولى ١٤٠١هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٣٠٢-مختصر المقاصد الحسنة للسخاوي اختصار محمد عبدالباقي الزرقاني تحقيق د.محمد لطفي الصباغ طبعة ١٤٠١هـ الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٣٠٣-مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ومعالم السنن للخطابي وتهذيب ابن القيم تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي طبعة دار المعرفة بيروت - لبنان.

٣٠٤-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٣٠٥-المدخل إلى الصحيح للحاكم تحقيق د.ربيع مدخلي الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٠٦-المدخل لابن الحاج طبعة ١٤٠١هـ الناشر دار الحديث.

٣٠٧-المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، تأليف د.عبدالحليم محمود، طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة - مصر.

٣٠٨-المراسيل لأبي داود السجستاني دراسة وتحقيق عبدالعزيز السيروان الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار القلم بيروت - لبنان.

٣٠٩-مسألة في الكنائس تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق علي الشبل الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشر مكتبة العبيكان الرياض - السعودية.

٣١٠-مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى تحقيق سعود الخلف النشرة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار العاصمة - الرياض - السعودية.

٣١١-المسائل والرسائل المروية عن أحمد بن حنبل في العقيدة جمع وتحقيق عبدالإله الأحمدي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار طيبة الرياض - السعودية.

٣١٢-المساجد بين الإتباع والابتداع تأليف محمد القيسي الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار عمار عمان-الاردن .

٣١٣-المستخرج تخريج أحاديث إحياء علوم الدين تأليف محمود محمد الحداد الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

٣١٤-المستدرك على الصحيحين لأبي عبدا لله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للذهبي، الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

٣١٥-المستغيثين با لله -تعالى- عند المهمات والحاجات والمتضرعين إليه سبحانه بالرغبات والدعوات وما يسر ا لله -الكريم- لهم من الإجابات والكرامات تأليف خلف عبدالملك بن مسعود بن بشكوال ضبط غنيم عباس غنيم الطبعة الأولى الناشر دار المشكاة - القاهرة - مصر.

٣١٦-مسند الإمام أبي يعلى، لأبي يعلي الموصلي تحقيق حسين سليم أسد الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار الثقافة العربية دمشق - سوريا.

٣١٧-مسند الطيالسي تأليف سليمان بن داود الجارود الفارسي الشهير بابن الطيالسي طبعة دار المعرفة بيروت - لبنان ومكتبة المعارف الرياض - السعودية.

٣١٨-مسند الفاروق لابن كثير تحقيق د.عبدالمعطي قلعجي الطبعة الأولى ١٤١١هـ الناشر دار الوفاء المنصورة - مصر.

٣١٩-المسند لأبي بكر عبدا لله بن الزبير الحميدي ت ٢١٩هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٣٢٠-المسند للإمام أحمد بن حنبل عناية د.بدر الدين جتان آر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون - تونس .

٣٢١-المسيحية تأليف د.أحمد شلبي الطبعة الثامنة ١٩٨٤م الناشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة - مصر.

٣٢٢-مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي تحقيق ناصر الدين الألباني الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٣٢٣-مشكل الآثار لأبي جعفر الطحاوي الطبعة الأولى دار صادر بيروت مصوره من ١٣٣٣هـ.

٣٢٤-مصادر ابن تيمية ومنهجه في تحليلها تاليف د.رزق الشامي بحث منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية القاهرة المجلد٣٨ الجزأن ١،٢ رجب ١٤١٤هـ.

٣٢٥-المصادر العامة للتلقي عند الصوفية تأليف صادق سليم صادق الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.

٣٢٦-مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه تأليف شهاب الدين البوصيري دراسة وتقديم كمال الحوت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار الجنان.

٣٢٧-مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام تأليف عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ مراجعة إسماعيل بن عتيق النشر على نفقة صحاب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز.

٣٢٨-مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام تأليف محمد بن موسى بن النعمان المزالي مخطوط بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مصور من مكتبة شستربتي رقم ٣٦٧٧.

٣٢٩-المصباح المنير تأليف أحمد الفيومي المقرئ طبعة مكتبة لبنان بيروت - لبنان.

٣٣٠-المصنف تأليف عبدالرزاق الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ الناشر المجلس العلمي حيدر أباد.

٣٣١-المضنون به على غير أهله لأبي حامد الغزالي، تحقيق رياض مصطفى العبدا لله، طبعة ١٤٠٧هـ دار الحكمة دمشق -سوريا.

٣٣٢-معارج القبول بشرح سُلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد تأليف الشيخ حافظ الحكمي ضبط وتعليق عمر بن محمود الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار ابن القيم الدمام - السعودية.

٣٣٣-معالم السنن للإمام أحمد الخطابي بهامش سنن أبي دواد طبعة ١٤٠١هـ طبعة المستشرقين.

٣٣٤-المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها تأليف عواد المعتق النشرة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

٣٣٥-معجم البلدان تأليف ياقوت الحموي تحقيق فريد عبدالرحمن الجندي الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دارالكتب العلمية بيروت.

٣٣٦-المعجم الصغير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الناشر المكتبة السلفية لصاحبها محمد الكتبي المدينة المنورة - باب الرحمه ١٣٨٨هـ.

أخرى : تقديم وضبط كمال الحوت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت

٣٣٧-المعجم الفلسفي تأليف د.جميل صليبا الناشر دار الكتاب اللبناني .

٣٣٨-المعجم الكبير للطبراني تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي الطبعة الأولى١٤٠٠هـ.

٣٣٩-معجم المؤلفين تأليف عمر رضا كحالة طبعة مطبعة الترقي ١٣٨٧هـ

٣٤٠-معجم قبائل العرب القديمة والحديثة تأليف عمر رضا كحالة الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان.

٣٤١-معجم مصطلحات الصوفية تأليف د.عبدالمنعم الحنفي الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ الناشر دار المسيرة بيروت – لبنان.

٣٤٢-المغنى تأليف موفق الدين ابن قدامة وبهامشه الشرح الكبير طبعة دار الكتاب العربي بيروت – لبنان.

٣٤٣-المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج مافي الإحياء من الأخبار (تخريج الإحياء) تأليف زين الدين عبدالرحيم العراقي عناية أشرف عبدالمقصود الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر مكتبة طبرية الرياض – السعودية.

٣٤٤-المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة تأليف محمد عبدالرحمن السخاوي تصحيح عبدا لله محمد الصديق وتقديم عبدالوهاب عبداللطيف طبعة ١٣٧٥هـ الناشر مكتبة الخانجي مصر ومكتبة المثنى بغداد.

طبعة أخرى : الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت(دون تصحيح أو ترقيم).

٣٤٥-مقاصد الفلاسفة لأبي حامد الغزالي تحقيق د.سليمان دنيا الطبعة الثانية الناشر دار المعارف – مصر.

٣٤٦-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تأليف علي بن إسماعيل الأشعري تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ الناشر مكتبة العلوم والحكم المدين المنورة – السعودية.

٣٤٧-المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام احمد لابن مفلح تحقيق د.عبدالرحمن العثيمين الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض – السعودية.

٣٤٨-المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي لأبي بكر الهيثمي، تحقيق د.نايف هاشم الدعيس، الطبعة الأولى، الناشر تهامة المملكة ١٤٠٢هـ.

٣٤٩-الملل والنحل تأليف محمد بن عبدالكريم الشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاني طبعة ١٤٠٢هـ الناشر دار المعرفة بيروت – لبنان.

٣٥٠-من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة تأليف د.محمد السيد الجلينـد الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ الناشر دار اللواء الرياض – السعودية.

٣٥١-منح المدح أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول ﷺ لأبي الفتح محمد بن محمد بن محمد اليعمري المشهور بابن سيد الناس تحقيق عفت وصال حمزة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار الفكر دمشق – سوريا.

٣٥٢-المنخل لغربلة خرافات ابن الحاج في المدخل تأليف د.محمد الخميس الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشر دار الصميعي الرياض – السعودية.

٣٥٣-منهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق د.محمد رشاد سالم الطبعة الأولى الناشر مؤسسة قرطبة.

٣٥٤-منهج الإمام الشوكاني في العقيدة تأليف د.عبدا لله نومسوك الطبعة الأولى ١٤١٤هـ مكتبة دار القلم الرياض – السعودية.

٣٥٥-مهمات التعريف تأليف عبدالرؤوف المناوي تحقيق عبدالحميد حمدان الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ الناشر عالم الكتب القاهرة – مصر.

٣٥٦-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي، طبعة بالأوفست لمكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٧٠ مصوره عن طبعة بولاق سنة ١٢٩٤هـ.

٣٥٧-المواقف في علم الكلام تأليف عضد الدين الإيجي طبعة عالم الكتب بيروت لبنان.

٣٥٨-الموسوعة الفقهية من إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت طبعة ذات السلاسل.

٣٥٩-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ الناشر الندوة.

٣٦٠-الموضوعات لابن الجوزي تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ الناشر المكتبة السلفية المدينة المنورة - السعودية.

٣٦١-الموطأ تأليف الإمام مالك بن أنس تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون - تونس.

٣٦٢-موقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف د.عبدالرحمن المحمود الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.

- ن -

٣٦٣-ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية بقلم خادمه أحمد الغياني تحقيق محب الدين الخطيب طبعة ١٣٦٨هـ الناشر المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة -مصر.

٣٦٤-النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين تأليف حمد بن ناصر بن معمر تحقيق عبدالسلام بن برجس النشرة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

٣٦٥-النبوات لابن تيمية طبعة ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت.

٣٦٦-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردي الأتابكي طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١هـ.

٣٦٧-نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام تأليف سارة بنت عبدالمحسن آل سعود الطبعة الأولى ١٤١١هـ الناشر دار المنارة جدة - السعودية.

٣٦٨-نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس القلقشندي تحقيق إبراهيم الإبياري الطبعة الأولى ١٩٥٩م الناشر الشركة العربية للطباعة القاهرة.

٣٦٩-نهاية الإقدام في علام الكلام تأليف محمد عبدالكريم الشهرستاني حرره وصححه الفردجيوم، طبعه مصوره من مكتبة المثنى بغداد - العراق.

٣٧٠-نهاية السول في شرح مناهج الأصول للقاضي البيضاوي تأليف جمال الدين الأسنوي ومعه حواشيه المسماة "سلم الوصول لشرح نهاية السول" تأليف محمد بن بخيت مطيع طبعة دار عالم الكتب بيروت.

٣٧١-النهاية في غريب الحديث والأثر تأليف مجد الدين المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي طبعة المكتبة العلمية بيروت - لبنان.

٣٧٢-النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد تأليف جاسم الدوسري الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.

٣٧٣-نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني تحقيق طه عبدالرؤوف، ومصطفى محمد الهواري، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة - مصر.

-هـ -

٣٧٤-هداية المريد لتحصيل معاني كتاب تجريد التوحيد المفيد لتقي الدين المقريزي تعليق وضبط أحمد طاحون طبعة ١٤١٤هـ الناشر مكتبة التراث الإسلامي القاهرة - مصر.

٣٧٥-هذه مفاهيمنا تأليف الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ طبعة الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد الرياض - السعودية.

٣٧٦-هذه هي الصوفية تأليف عبدالرحمن الوكيل الطبعة الرابعة ١٩٨٤م الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٣٧٧-الهواتف لابن أبي الدنيا تحقيق مجدي السيد إبراهيم الناشر مكتبة الساعي الرياض - السعودية.

- و -

٣٧٨-الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لابن القيم تحقيق بشير عيون الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.الناشر مكتبة المؤيد - الرياض .

٣٧٩-الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين الصفدي عناية س ديدرنيغ الطبعة الثانية.

٣٨٠-وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى، لنور الدين علي بن أحمد المصرى السمهودي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٣٧٤، الناشر مكتبة محمد المدني المدينة المنورة.

٣٨١-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق د.حسان عبدالقدوس، الناشر دار صادر - بيروت.

- ي -

٣٨٢-اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشعراني طبعة ١٣٧٨هـ الناشر شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وبهامشه الكبريت الأحمر.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

فصـــــــل

فصـــــــل

فصـــــــل

الموضوع	الصفحة

فصل

فصل

فصل

فصل

الموضوع	الصفحة

الفهـــــارس

الموضوع	الصفحة

* * *